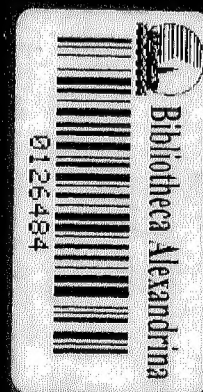


فريدون هويدا

سقوط الشاه

ترجمة وتعليق وتقديم
د. احمد عبد القادر الشاذلي

مكتبة مدبولي



هذا الكتاب...

القضية التي نحن بصدها هي قضية السقوط، سقوط امبراطورية آل بهلوي التي استنفذت أسباب استمرارها وبقائها، وتوافرت علل زوالها واندثارها، إنها قضية سقوط الجالس على عرش الطاووس، الشاهنشاه محمد رضا، آخر أسرة آل بهلوي. إن سقوط الشاه قضية طرفاها الشاه ونظامه وخميني ومؤيدوه، إنها قضية صراع بين أيديولوجيتين ونظامين ورجلين.

ولقد سجل كل فريق أفكاره وآراءه، وسجل الشاه، وزوجاته؛ ثريا وفرح ديبا ورجال بلاطه؛ على أميني ونصر الله انتظام وأسد الله علم وپرويز راجي وأبو الحسن ابتهاج وأحمد علي مسعود أنصاري ومينو صميمي وغيرهم مذكراتهم وخواطرهم، كما كتب رجال الثورة ومؤيدوها ومعارضوها كتباً كثيرة في شأنها.

ويتميز كتاب فريدون هويدا باستعراضه لأحوال إيران سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، ويستعرض أحوال الشاه وعصره في واشنطن ولندن وموسكو، وكذلك علاقته بدول الخليج العربية والمملكة العربية السعودية والعراق.

إن عجلة التاريخ تدور بسرعة ولا تقف إلا عند الأحداث البارزة، وتاريخ إيران الحديث والمعاصر ملئ بالصفحات المثيرة التي تترك بصماتها على تاريخ الشرق الأوسط والعالم، ولا يستطيع أحد أن ينكر هذه البصمات على الساحة الإقليمية والعالمية.

وهذا الكتاب مجرد صفحة من تاريخ تلك البلاد، ولعلنا بقراءته نتوقف على أحداث الأمس القريب اندرك أهمية الدوافع والعلل والتي تكمن وراء دفع تلك البلاد نحو المستقبل.

فريدون هويدا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين ... أما بعد

القضية التي نحن بصددتها هي قضية السقوط، سقوط امبراطورية آل بهلوي التي استنفذت أسباب استمرارها وبقاءها، وتوافرت علل زوالها واندثارها، إنها قضية سقوط الجالس على عرش الطاووس، الشاهنشاه محمد رضا، آخر أسرة آل بهلوي.

إن سقوط الشاه قضية طرفاها الشاه ونظامه وخميني ومؤيدوه، إنها قضية صراع بين ايديولوجيتين ونظامين ورجلين.

ولقد سجل كل فريق أفكاره وآراءه، وسجل الشاه، وزوجته؛ ثريا وفرح ديبا ورجال بلاطه؛ على أميني ونصر الله انتظام وأسد الله علم وپرويز راجي وأبو الحسن ابتهاج وأحمد على مسعود أنصاري ومينو صميمي وغيرهم مذكراتهم وخواطرهم، كما كتب رجال الثورة ومؤيدوها ومعارضوها كتباً كثيرة في شأنها.

سجل الشاه نظرياته وأفكاره في عدة كتب منها: انقلاب سفيد (الثورة البيضاء) ماموريت برای وطنم (المسئولية تجاه وطني) بسوی تمدن بزرگ (نحو الحضارة العظمى) پاسخ به تاريخ (شهادة للتاريخ) والأخير منها كتبه بمساعدة كريستيان مي يار الكاتب الفرنسي، وقد كتبه بالفرنسية وترجم إلى الإنجليزية على يد السيدة تريزا واف (Teresa Waugh) تحت عنوان قصة الشاه "The Shah's Story" وترجمه إلى الفارسية د. حسين أبوترابيان سنة ١٩٩٣.

وسجلت الملكة ثريا اسفندياري - الزوجة الثانية لمحمد رضا شاه - مذكراتها تحت عنوان خاطرات ثريا اسفندياري نشرتها صحيفة نيمروز التي تصدر بالفارسية من لندن - خلال عام ١٩٩٢ وأصدرت الشاهبانو فرح ديبا - الزوجة الثالثة لمحمد

رضا شاه - كتابا كتبه منصور پيرنيا باسم « سفرنامه شهبانو فرح بهلوى » (رحلة الشهبانو فرح بهلوى، وقد نُشر فى الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٩٢).

أما رجال البلاط الذين أدلوا بدلوهم وسجلوا خواطرهم فمنهم د. على أمينى رئيس الوزراء الذى نشر خواطره فى صحيفة كيهان - طبعة لندن خلال عام ١٩٩٢ تحت عنوان « خاطرات دكتور على امينى ».

وكتب محمد رضا عياشى وبهروز طيرانى مذكرات نصرالله انتظام فى كتاب أسمياه " خاطرات نصرالله انتظام - شهريور ١٣٢٠ - از ديدگاه دربار ".

ونشر أسدالله علم وزير البلاط مذكراته والتى ترجمت إلى العربية عن الإنجليزية تحت عنوان " الشاه وأنا "

ونشر پرويز راجى وأبو الحسن ابتهاج وأحمد على مسعود أنصارى مذكراتهم حول علاقتهم بالبلاط.

ورصدت مينو صميمى ابنة صادق صميمى رئيس المتحف الإيرانى - والتى تقلدت عدة مناصب هامة فى وزارة الخارجية ومؤسسة رعاية الطفولة، أحوال البلاط وخاصة الشاهبانو فرح ديبا والسافاك فى كتابها " پشت پرده تخت طاووس " (وراء ستار عرش الطاووس) وقد ترجمه إلى الفارسية عن الإنجليزية الدكتور حسين أبو ترابيان.

كما أدلى "لوبرانى" سفير إسرائيل فى إيران بدلوه فى أحداث سقوط الشاه وقيام الثورة الإسلامية عندما كتب مذكراته تحت عنوان "خاطرات آورى لوبرانى سفير إسرائيل در ایران از انقلاب ایران، شاه فقيد وآيت الله خميني".

وكتب حسين فردوست رئيس المكتب الخاص للمعلومات كتابا مدعماً بالوثائق عن فترة عمله بالسافاك والبلاط تحت عنوان "ظهور وسقوط سلطنة بهلوي" وقد أصدرته مؤسسة الدراسات والأبحاث السياسية سنة ١٩٩٣ فى طهران.

كما كتب الأوروبيون والأمريكان عدة كتب حول الشاه، وصدرت تحليلات وتفسيرات كثيرة عن أوضاع وأحوال إيران في عهد محمد رضا شاه وأبيه رضا شاه.

ولما كان أغلب رؤساء الوزارات في إيران قد سجلوا مذكراتهم باستثناء أمير عباس هويدا - أطول رئيس وزارة، أمدا في عهد محمد رضا شاه - فإن الله قد قبض رجلا في أهل بيته وهو فريدون هويدا، أخوه الوحيد، ليسجل لنا مذكراته عن فترة حكم أخيه، وهذا الكتاب بعنوان "سقوط الشاه" ويعد وثيقة هامة لرجل عمل في وزارة الخارجية طوال عمره، وعمل أخوه رئيسا للوزارة ووزيرا للبلاط ثلاث عشرة سنة.

وما زالت الكتب والمؤلفات التي كتبت عن الشاه وفتريه حكمه تحظى بالاهتمام حتى داخل إيران نفسها، ويهتم بها مؤيدو الثورة نفسها وكذلك المعارضون، لهذا يقوم مركز الدراسات والبحوث بترجمتها والتعليق عليها.

وكتاب فريدون هويدا هو واحد من هذه الكتب التي ترجمت من اللغة الإنجليزية إلى اللغة الفارسية على يد ح - أ . مهران والذي علق تعليقات وافية على الكتاب فأصبح هذا الكتاب كتابين، يحمل المتن وجهة نظر أحد رجال البلاط، والهامشية وجهة نظر أحد مؤيدي الثورة.

ويتميز كتاب فريدون هويدا باستعراضه لأحوال إيران سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ويستعرض أحوال الشاه وعلاقته بواشنطن ولندن وموسكو، وكذلك علاقته بدول الخليج العربية والمملكة العربية السعودية والعراق.

ويؤخذ على هويدا تحامله على الشاه بسبب قتل أخيه أمير عباس بالإضافة إلى محاولته إلقاء اللوم على الشاه ورجال بلاطه وتصويره لأمر عباس على أنه ضحية للشاه.

ويؤخذ عليه التناقض الذي وقع فيه محاولاً تبرئة أخيه من المسؤولية عن الفساد

المالى والأخلاقي فى البلاد على الرغم من تصويره لمدى هذا الفساد بين أفراد الأسرة البهلوية ورجال البلاط.

وهذا الكتاب الذي عنوانه بعنوان سقوط الشاه ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول - سقوط الشاه (العلل والأسباب)

وهو دراسة منفصلة قدمت فيها ثلاثة أسباب رئيسية، ودراستى جاءت على النحو التالي:

القسم الأول: سقوط الشاه - العلل والأسباب تناولت فيه ما لم يتناوله فريدون هويدا بالتفصيل، وعلى الرغم من كثرة الأسباب التى أدت إلى سقوط الشاه إلا أننى قد ركزت على ثلاث علل وهي:

العللة الأولى: أسرة الشاه وقد تناولت أفرادها الأب رضا شاه والأم تاج الملوك، والإخوة؛ غلامرضا وعليرضا وعبدالرضا وأحمد رضا ومحمود رضا وحميد رضا، والأخوات؛ همد السلطنة وأشرف وشمس وفاطمة. وكذلك تحدثت عن الشاه وزوجاته الثلاث؛ فوزيه وثرى وفرح ديبا ..

وكان الهدف من هذا التناول إظهار دور هذه الأسرة فى إسقاط النظام الشاهنشاهي، لفسادها وسوء سلوكها.

العللة الثانية: السافاك - جهاز أمن واستخبارات الدولة، وقد استعرضت الجوانب التى لم تعرض بوضوح فى الكتب التى كُتبت عن عهد محمد رضا شاه، فقد تناولت الهيكل الإدارى للسافاك وأجهزته ورؤساء السافاك وكيفية توصيل المعلومات إلى الشاه، ودور السافاك فى إسقاط النظام الشاهنشاهي.

العللة الثالثة: أمير عباس هويدا، الذى شغل منصب رئيس الوزارة فى عهد محمد رضا شاه أطول فترة. وقد تناولت دوره فى إسقاط نظام الشاه خلافاً لما استعرضه فريدون هويدا فى كتابه "سقوط الشاه".

أما القسم الثانى من الكتاب فقد ترجمت فيه كتاب فريدون هويدا من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية مع التعليق، وقد أثبت تعليقاتى فى حاشية الكتاب، أما تعليقات المترجم الذى ترجم الكتاب من الإنجليزية إلى الفارسية فقد أثبتها فى آخر كل فصل.

إن عجلة التاريخ تدور بسرعة ولا تقف إلا عند الأحداث البارزة، وتاريخ إيران الحديث والمعاصر ملئ بالصفحات المشيرة التى تترك بصماتها على تاريخ الشرق الأوسط والعالم، ولا يستطيع أحد أن ينكر هذه البصمات على الساحة الإقليمية والعالمية.

وهذا الكتاب مجرد صفحة من تاريخ تلك البلاد، ولعلنا بقراءته نتوقف على أحداث الأمس القريب لنذكر أهمية الدوافع والعلل التى تكمن وراء دفع تلك البلاد نحو المستقبل.

د. أحمد عبد القادر الشاذلي

كلية الآداب - جامعة المنوفية

- ٩ -

سقوط الشاه

(العلل و الأسباب)

- ١ -

دكتور

احمد عبد القادر الشاذلي

كلية الآداب - جامعة المنوفية

- ١١ -

الصلة الأولى

أسرة الشاه

تربعت أسرة آل پهلوى على عرش الطاوس ما يزيد عن أربع وخمسين سنة، ولعلها واحدة من الأسر المحدودة في عدد حكامها، حيث لم يحكم منها سوى رضا شاه وابنه محمد رضا شاه، وبذلك فهي أقل الأسر الحاكمة في إيران عدداً وليس بأقصرها أمداً.

لقد تعددت الأسباب التي أدت إلى سقوط أسرة پهلوى، ولعل الأسباب المتعلقة بالأسرة نفسها هي من أهم الأسباب، حيث شاع الفساد والظلم والقهر بين أفرادها، وتعتمد كثيرون منهم التماذى فى الإفساد حتى قلدهم رجال البلاط والسائرون فى فلكتهم.

كان الأب دكتاتوراً؛ من أشهر الطغاة، استولى على الحكم بالقوة، وجثم على صدر الشعب، فلم يستطع أن يحركه أحد، حتى أجبره الأجانب على مغادرة البلاد لموقفه المساند للنازى.

وجاء الابن على شاكلة الأب، لايرعى حرمة لدينه، ولا يلتزم بأخلاق الحكام، ولا يحافظ على شئون الرعية، وترك الأمور تجري من سبىء إلى أسوأ حتى أسقطه الشعب الإيرانى.

انغمس أفراد الأسرة الپهلوية فى الفساد المالى والخلقى، ولم يتركوا مجالاً من مجالات الفساد والسرقة والنهب لأموال الشعب إلا وكان لهم فيه نصيب وافر.

كان فساد أخوة الشاه إمتداداً لفساد الأب والشاه، وكان فساد أخوات الشاه إمتداداً لفساد الملكة الأم تاج الملوك وخلال الصفحات القادمة أستعرض حياة أفراد أسرة پهلوى موضعاً دور كل واحد منهم فى إسقاط النظام.

الأب

"قرا الأحمق كتابا فظن أنه عالم"

وركب الجاهل مركبا فظن أنه ربان (۱-خ)

هكذا كان رضا خان مؤسس الأسرة ورب العائلة، التي بحثت في غياهب التاريخ لتجد لها نسباً، فانتسبت إلى بهلوى، انتسبت إلى سلسلة لا أصل لها ولا نسب، وإنما اختار لهم "فروغى" هذا اللقب حتى يتميز آل رضا خان عن غيرهم، فإذا بهم يسقطون في بئر لا قرار له، وفي نسب لا امتداد له.

ولد الأب رضا خان في مارس ۱۸۷۸م (فروردین ۱۲۵۷ش) في آلاشت من توابع مازندران.

مات جده مراد على خان سنة ۱۸۵۶م في حرب هرات، بينما كان أبوه رضا خان شاباً، وكان يدعى عباس على خان.

تزوج عباس على خان من خمس نساء، أنجب أربع منهن اثنين وثلاثين ولداً، وصل منهم إلى سن الرشد سبعة أولاد وأربع بنات، رحل ثلاثة من الأبناء عن موطنهم إلى بابلسر قرب بحر الخزر، وبقي الآخرون في آلاشت (۲-خ).

كان رضا خان الابن الوحيد من المرأة الخامسة وهي نوش آفرين.

مات عباس على خان في آبانماه سنة ۱۲۵۷هـ.ش (نوفمبر ۱۸۷۸م) بينما كان رضا لم يتجاوز عامه الأول، فحملته أمه نوش آفرين لعدم مقدرتها على رعايته وتربيته، وتوجهت إلى طهران لتلحق بأخيها الذي يعيش في العاصمة.

(۱-خ) أحمق كتاب خواند وگمان برد عالم است . . . نادان به کشتی آمد وپنداشت ناخداست!

(۲-خ) زندگى پرماجرأى رضا شاه - اسکندر دلم تهران ۱۳۷۱ مجلد أول ص ۱۶.

ومما يذكر فى تاريخ آل بهلوي أن الطفل قد أصابته الحمى أثناء السفر، فأسلمته الأم - وهو ميت - إلى خادم إمامزاده هاشم، ليدفنه بعد توقف الثلج والمطر والرياح، ولكنها بعد أن سارت عدة فراسخ، وبسبب عاطفة الأمومة، عادت إليه، لترى طفلها الميت الذى أودعته لخادم إمامزاده داخل الاصطبل وقد استعاد وعيه ودهت فيه الحياة، فقامت بإرضاعه. (١-×)

ظلت نوح آفرين عدة سنوات فى طهران عند أخيها ثم تزوجت، وصار لرضا خان أخ من زوج أمه، وهذا الأخ هو حد يكجان آتاباى، الذى عمل طبيباً فى جيش القزاق، وتولى الإدارة الطبية للجيش سنة ١٩٣٠ وأبدل اسمه بـ "هادى"، وعمل وزيراً للصحة سنة ١٩٤١.

عمل رضا خان فى فرقة القزاق، ولم تشر المؤلفات التى تناولت سيرته إلى أول عمل عمله وإن كانت بعضها تذكر أنه كان يعمل علافاً وبعضها يذكر أنه عمل ضابطاً (٢-×) وأخرى تذكر أنه تدرج فى سلك الجنديّة إلى أن وصل الى قيادة فرقة القزاق.

تزوج رضا شاه من أربع نساء وأنجب أحد عشر ولداً، سبعة أولاد وأربع بنات. زوجته الأولى امرأة همدانية تدعى صفية، تزوجها خلال فترة خدمته فى همدان وطلقها بعد عام، وأنجبت ابنتها همدى السلطنة التى تزوجت من حديكجان آتاباى (٣-×) ابن زوج أم رضا شاه.

الملكة الأم: تاج الملوك

وتزوج رضا شاه من تاج الملوك، وكانت أسرتها من المهاجرين الذين هاجروا من

(١-×) زندگى پرماجرای رضا شاه - ح ١ ص ١٧

(٢-×) Firu kazemzadeh, The Origin and Early Development of the Persian Cassack Brigade, A merican slavic and East European Review 15 (1956) 351 - 363.

(٣-×) المعروف باسم هادى، وزير الصحة فى سنة ١٩٤١.

آذربايجان بعد الغزو الشيوعي إلى إيران، وأبوها هو تيمور خان وكان "ميرنج" وهي رتبة عسكرية تعادل رتبة العميد الآن، وقد تزوج رضا خان منها سنة ١٢٩٤ هـ. ش. وأنجب منها أربعة أبناء هم : شمس ومحمد رضا وأشرف وعليرضا، وكان محمد رضا توأماً لأشرف.

كانت تاج الملوك من أسرة عريقة، كان لها ثلاث أخوات وأخ واحد، وقد تزوجت أختها الصغرى من قائد عسكري يدعى مين باشيان (١-٣).

وقد تزوجت تاج الملوك بمجرد أن توفي رضا شاه في منفاه من غلا محسين صاحب ديوان وكان في سن ابنها.

ولما كان كتابي هذا يبحث عن علة سقوط الشاه فإنه حري بنا أن نتتبع سلوكيات أسرة الشاه وخاصة أقرب المقربين إليه، فأمه تاج الملوك كانت معشوقة لشاب في سن أولادها، ظلت على علاقة به حتي تزوجته بعد أربع سنوات، وبعدها ترقى زوج الأم - وقد كان من أسرة "قوام الملك شيرازي - وهي من الأسر المعروفة في محافظة فارس - إلى درجات عالية، علي الرغم من أنه لم يكن مؤهلاً تأهيلاً عالياً فقد اختير نائباً في مجلس الشورى (٢-٣).

لم تكتف الملكة الأم بغلام محسين زوجاً لها بل اختارت عدة أزواج بشكل رسمي

(١-٣) أهـل اسمه بمهرداد پهلبد، وتزوج من شمس بهلوى وقد عمل قائداً للقوات البرية، وهو في الأصل من أهالي كرجستان وكان مدرسا لمحمد رضا شاه في الكلية الحربية وكان مدرساً لمادة التكتيك والاستراتيجية العسكرية.
(خاطرات ارتشيد سابق حسين فردوست - ظهور وسقوط سلطنت بهلوى - مؤسسة مطالعات پژوهشهای سياسي تهران ١٣٧٠ مجلد أول ص ٦٥٠.

(٢-٣) زندگى پرماجرأى رضا شاه ج ١ ص ١٨ - ١٩

أو غير رسمي، وكان آخرهم في سن الخامسة والثمانين ويدعى رحيم علي خرم وهو عامل في تعبيد الطرق.

كان رحيم علي خرم قروي، جاهل، ضخم الجثة غليظ الرقبة، وبعد أن اختارته أم الشاه تحول في ليلة واحدة من عامل بسيط إلى صاحب مقاطعة، وصار صاحب منشآت عرفت باسم "پارك خرم" في نوحى الكرج والجزيرة، وقد صودرت أملاكه بعد الثورة وأعدم.

كان زوج أم الشاه قد جمع جماعة من المجرمين الذين أطلق لهم العنان بشكل علني للاعتداء وقتل النساء والبنتات، وعندما واجه مقاومة من زوجة رجل، دفاعاً عن شرفها، ألقى زوجها في قفص أسد كان يحتفظ به في حديقته^(١-خ).

ولم يكن فساد أخلاق الملكة الأم تاج الملوك خفياً، لذا ملأت أخبارها الصحف والمذكرات التي كتبها رجال البلاط، وقد اتهمها حميد رضا بهلوي - ابن زوجها - في حديث صحفي بالفساد الخلقي حتى أنها كانت في عهد رضا شاه معشوقة لخدام منزلها، ويدعى سليمان بهبودي، وقد ضربه رضا شاه لدرجة أنه نُقل للعلاج في المستشفى^(٢-خ).

كانت تاج الملوك حادة الطباع سيئة الخلق بلا حياة، ارتبطت فترة بزواج شمس (ابنتها) والمسمى مهرداد پهلبد برباط غير شرعى بالقوة والتهديد.

إن ثلاث نساء من نساء آل بهلوي قد لوثن سمعة أسرة الشاه وهن : الملكة الأم وأشرف بهلوي وفرح بهلوى.

وقد كتبت ثريا اسفنديارى في مذكراتها عن تاج الملوك : إنها امرأة مغرورة،

(١-خ) گذشته ج ١ ص ٢٠.

(٢-خ) خاطرات ارتشيد سابق حسين فردوست ج ١ ص ٨٣ - ٨٤.

كانت تعتقد دائماً أن زوجها رضا خان هو مؤسس آل بهلوى، ولهذا كانت تعتقد أنه من المهن لها أن تأتي لزيارتنا، وعلي الرغم من أنني ملكة إيران رسمياً، فقد كنت مجبورة لأن أذهب لزيارتها في قصرها الخاص (١-٣).

وتقول في موضع آخر: إن تاج الملوك كانت تعمل فكرها ومكرها للوصول إلي غايتها " وفي نظري أنني كنت مستاءة من حكومة النساء التي كانت تاج الملوك بهلوى هي حاكمها الفعلي (٢-٣).

كان بلاط طهران يقع بالفعل تحت سلطة النساء، وعلي الرغم من أنهن رسمياً لم يكن لهن حقوق "ولكن كن يصلن إلي أهدافهن بآلاف الحيل، وقد توصلت إلي نتيجة أنني أعيش في مجتمع الملكة الأم التي بيدها كل المسئوليات".

كانت تاج الملوك امرأة قوية استطاعت أن تفرض نفسها على رضا شاه على الرغم من فساد أخلاقها وعلي الرغم من زواجه بأخريات غيرها، وبذلك لم تجعل نفسها مجرد واحدة من زوجات رضا شاه بل صارت الزوجة الوحيدة التي تدعي الملكة الأم (٣-٣) بعد أن ألحقت ولي العهد محمد رضا، ثم صارت بيدها كل المسئوليات بعد أن صار ولدها ملكاً علي البلاد.

كان الشاه محمد رضا بهلوي معجباً بتفوق أمه في السيطرة علي الجميع، ولذا يقول: لم أر شخصاً أقوى من أبى علي الرغم من أن نفوذ أمى في حياتنا الأسرية كان قائماً علي الجميع (٤-٣).

وتصف أشرف بهلوى أمها وصفاً دقيقاً بقولها: "امرأة جميلة المحيا، بشعر

(١-٣) حالا خودم حرف مى زنم - ثريا اسفنديارى ترجمه ٤ معصومه عامرى - تهران - بها رستان ١٣٥٨ ص ١٩

((٢-٣) خاطرات ثريا اسفنديارى-روز نامه ٤ نيمروز شماره/ ١٠٩ جمعه ٦ ارديبهشت ماه ١٣٧٠ ص ٦.

(٣-٣) خاطرات ارتشيد سابق حسين فردوست ج ١ ص ٦٥.

(٤-٣) مأموريت براى وطتم - محمد رضا شاه ص ٤٥٩

ذهبي، وعيون خضراء، بدیعة، لا يطاول قوامها قوام أبى وهي بجواره، وقد علت النياشين العسكرية زيه، ومع ذلك كانت تقارب أبى في سطورته، وعندما كانت نساء إيران يدثرن "بالشادر" ومحجبات وليس لهن فى الواقع أى حق من الحقوق، في الوقت الذي كانت جميع المقدرات فى يد الرجال، لم يكن لدى أمى أى خوف من الجدل مع أبى أو مقاومة قراراته^(١-×)

كانت تاج الملوك علي شاكلة أهلها، وربما تكون قد ورثت الخشونة والقسوة عن أبيها باقرخان ميونج فقد طبقت شجاعته الآفاق، وأصبحت تاج الملوك على شاكلة زوجها، وقد اعتادا الشجار والنزاع وانتهى بزواج رضا شاه من ثالثة أكثر شبها بحيوية من تاج الملوك فى سنة ١٩٢٠.

كان الزواج من ثانية فى إيران عيباً وتحقيراً للزوجة الأولى، ومع أن تاج الملوك كانت الزوجة الثانية لرضا شاه إلا أنها تزوجته بعد وفاة زوجته الأولى^(٢-×) ومع ذلك فإن تاج الملوك قد أبدت رد فعل غاضب ضد رضا شاه، وأعلنت أنها لن تقبل أن تكون الزوجة الثانية.

رفضت تاج الملوك العيش مع رضا شاه، وقالت أشرف بهلوى : إنها امتنعت عن رؤية أبى فترة طويلة، ومع أن رضا شاه قد رأى مثل هذه المقاومة غير المسبوقة فى مواجهة قدرته فإنه كان يتخفى لرؤية أمى.^(٣-×)

قال عنها ابنها محمد رضا: كانت أمى لاشك امرأة ممتازة، ولكن لم يجر بينها وبين أبى أى شئ طيب، لم تكن زوجة مطيعة، بل كانت مستقلة الرأى، ربما كان هذا

Ashraf Pahlavi, Faces in Mirror, Memoirs from the Exile Engle- (١-×)
wood Cliffs, N, J : prentice Hall 1980 p. g

(٢-×) وقيل بعد طلاقها.

Ashraf Pahlavi, Faces in The Mirror p. 10. (٣-×)

سببا فى أنهما لم يستطيعا أن يعيشا سويا، كانت أمى تعيش فى قصر آخر وحدها. (١-×)

تربى محمد رضا شاه وسط مجتمع نسائى فى مملكة أمه تاج الملوك حتى فصله أبوه عن أمه وإخوته بالإكراه ليربيه تربية عسكرية.

ولعلنا بالوقوف على حياة الملكة الأم، ومدى النفور القائم بين رضا شاه وزوجته وانعكاساتها على أسرة الشاه (٢-×) نكون قد أدركنا بداية النهاية لأسرة آل بهلوى.

لم تحظ الزوجات الأخريات بما حظيت به تاج الملوك، ويرجع هذا إلى كونها أم ولى العهد.

تزوج رضا شاه سنة ١٣٠٦ هـ.ش من امرأة من آل قاجار وتدعى ملكة توران وعلى الرغم من أنها كانت امرأة شابة جميلة وبيضاء البشرة وشقراء الشعر وطويلة القد وحسنة التريبة إلا أنها طلقت بعد عام واحد، وقد أنجبت منه غلام رضا. (٣-×)

كانت العلاقة بين ملكة توران (٤-×) وتاج الملوك سيئة بسبب حسد ملكة توران لأم محمد رضا، وكانتا تتشاجران دوماً.

(١-×) شكست شاهانه ٦٥

(٢-×) كانت المرأة الوحيدة القادرة على مواجهة رضا شاه ومحمد رضا شاه (خاطرات ثريا-روزنامه نيمروز شماره ١١٠ ص ٦.

(٣-×) خاطرات ارتشيد سابق حسين فردوست ج ١ ص ٧٣.

(٤-×) رفع إليها مجموعة من السيدات المتحركات رسالة طالبين فيها برفع الحجاب، وقد سافرت الملكة إلى سويسرا وهناك رفعت الحجاب وعندما عادت حادثت الشاه فى رفع الحجاب .. (خاطرات ملكة توران - روزنامه نيمروز شماره / ١١٧ سال سوم جمعه ٣١ خردادماه ١٣٧٠ ص ٧.

وتزوج رضا شاه من امرأة قاجارية أخرى وهى عصمت الملوك دولتشاهى (١-خ) وقد أنجبت منه أربعة أبناء وبناتاً واحدة هم : أحمد رضا وعبد الرضا وحמיד رضا ومحمود رضا وفاطمة.

وكانت العلاقة بين تاج الملوك وعصمت الملوك سيئة جداً ، وقد سعت مرات لإيذائها والتعدي عليها (٢-خ) ، وعندما نفى رضا شاه إلى جوهانسبرج رافقته عصمت الملوك إلا أنها عادت إلى طهران بعد عام واحد تاركة أبناءها وبناتها مع أبيهم حتى مات رضا شاه.

لقد سعت تاج الملوك لخلع محمد رضا عن العرش ، وإجلاس ابنها الآخر علي رضا محله ، ولكنها لم توفق ، وقد قُتل على رضا في سنة ١٩٥٤م في حادثة طيران مشكوك فيها .

وقد ظلت تاج الملوك على قيد الحياة حتى خُلع ابنها عن العرش وكانت في سن الثامنة والسبعين من عمرها .

لقد كانت الملكة الأم بسلوكها الاجتماعي وتأثيرها على البلاط الملكي ، وإدارتها للمكائد والحيل قد أثرت بشكل مباشر علي الشاه ، وأسهمت في اقتلاع أسس النظام الشاهنشاهى .

(١-خ) در آخرین روزهای رضا شاه - ریچارد آ - استوارت ترجمه عبد الرضا هوشنگ مهدوى كاره بیات - تهران ١٣٧٠ ص چاپ سوم ٣٤٥ - زندگى پرماجرای رضا شاه ج ١ ص ٢٤ .
(٢-خ) خاطرات ارتشید سابق حسین فردوست ح ١ ص ٧٥ .

إخوة الشاه

كان لمحمد رضا شاه عشرة من الإخوة والأخوات، كان الذكور منهم ستة وهم :
غلام رضا وهو الأخ الشقيق له من تاج الملوك وعلي رضا من ملكة توران وعبد الرضا
وأحمد رضا ومحمود رضا وحמיד رضا من عصمت الملوك.
لم يحظ إخوته بشهرة تفوق أو تعادل شهرة أخواته خاصة شمس وأشرف بهلوى.

× غلام رضا

ولد في طهران سنة ١٣٠٢ هـ .ش، وهو الابن الوحيد لملكة توران، الزوجة
الثالثة لرضا شاه.

تلقى غلام تعليمه في طهران ثم سافر إلى سويسرا، وتلقى تعليمه في نفس كلية
مدينة رول التي تلقى فيها محمد رضا تعليمه، والتحق غلام رضا بكلية الضباط في
برينستون Princeton، وقضى فترة في المدرسة الأمريكية ببيروت وكاليفورنيا^(١-×).

وقضى غلام رضا عدة دورات تكميلية في كلية فورت ناكس لدراسة المدرعات،
ونال درجة عالية في الجيش وكان أيضا الياور الخاص للشاه ورئيس اللجنة الأولمبية
ونائب الرئيس الفخري لنادي الفروسية.

كان غلام رضا قد عهد اليه لولاية العهد^(٢-×) قبل ولادة ولي العهد. وبعد وفاة
الأخ الوحيد شقيق الشاه، وقد أشيع في السنوات ما بين ١٩٥٤ حتي ١٩٥٩ أنه كان
قد اختير رسمياً ولياً للعهد، وسعى عدد من الساسة والعسكريين في أوائل سنة
١٩٥٩ لكي يجعلوه ولياً للعهد، لأنهم كانوا يتوقعون سقوطاً سريعاً للشاه، ولكن
هذا الأمر انتهى بولادة رضا ابن الشاه محمد رضا.

(١-×) زندگي پرماجرای رضا شاه ج ١ ص ٥٤.

(٢-×) كان غلام رضا مكروها من عبد الرضا وشمس انظر : خاطرات ارتشيد سابق حسين فردوست
ج ١ ص ٢٢٨.

× علي رضا

ولد في ١٢ فروردین سنة ١٣٠١ هـ ش وألحق رضا شاه بالمدرسة، وظل بالمدرسة الابتدائية حتي الصف الرابع، ثم أرسله إلى سويسرا لإكمال تعليمه (١-×)، وفي لوزان واصل تحصيله للعلم، ثم عاد إلي طهران بعد خمس سنوات، وواصل تعليمه في طهران والتحق بكلية الضباط وأنهى تحصيله بعد خمس سنوات، وحضر الشاه حفل التخرج، وكانت دفعته آخر دفعة تخرجت في الكلية قبل احتلال الحلفاء لإيران (٢-×).

كان علي رضا علي شاکلة أبيه من ناحية الصرامة والشدة والقسوة (٣-×).

كان علي رضا طويل القامة، وهو الأخ الوحيد الشقيق للشاه محمد رضا، وقد كان ولياً للعهد فترة - قبل إنجاب ولي العهد.

لقد تزوج علي رضا من امرأة بولندية أثناء عودته من سويسرا إلى طهران - في باريس - وتدعى "كريستيان شولومسكي" وأنجبت منها طفلاً أسماه علي باتريك (٤-×)، وكان طبيعياً أن يعود إلي إيران بدون زوجته وابنه لأن الملكة الأم كانت تمنع دخول معشوقات أبنائها إلي البلاط.

(١-×) خاطرات ارتشید سابق حسین فردوست ج ١ ص ٤١.

(٢-×) زندگي پرماجرای رضا شاه ج ١ ص ٥٨.

(٣-×) خاطرات فردوست ج ١ ص ١٠٥ - ١٠٦.

(٤-×) علي باتريك شاب في الأربعينيات من عمره الآن، عاش بين أفراد المجتمع وانفصل عن البلاط بسبب أفكاره الدينية والمذهبية، وقد وزع جزءاً من أملاكه علي المزارعين، عندما قامت الثورة لم يخرج من البلاد مستفيداً من حماية آية الله طالقاني وآية الله شريعتمداري وآية الله قمي وعندما سادت العلاقة فر من إيران سنة ١٩٨٢ ويعيش الآن في باريس بفرنسا وقد ألف كتابها باسم "دختر عمران" أي أخت عمران عن السيدة مريم العذراء (روزنامه نيروز شماره/ ١٤٤٠ جمعه ٦ دی ماه ١٣٧٠ / ٢٧ ديسمبر ١٩٩١ ص ١٤ - ١٥).

كان على رضا شريراً جرت علي الألسنة قصص كثيرة حول علاقته باللصوصية والسرقة والاعتداء على النساء والبنات، وقد أسهبت الصحف كثيراً بعد الثورة في حديثها عن أفعال على رضا السيئة.

ولما كان علي الرضا يطمع في أن يشغل منصباً مرموقاً، بل يطمع في منصب الشاه نفسه، لذا فكر محمد رضا في القضاء عليه حماية لعرشه وولى عهده، فدير حادثة جوية أودت بحياة علي رضا أثناء عودته من جرجان إلي طهران، ودفن في الرى في مقبرة رضا شاه (١-×).

أما ابن علي رضا من زوجته البولندية فقد تزوج من ابنة السكرتير العام لحزب الشعب، وعاش في مزرعة قرب قزوین، وفى سنة ١٣٥٤ هـ ش حاصر رجال السافاك المزرعة، وأغاروا عليه وعلي زوجته وأبنائه وتبادلوا معهم النار، ولم يعلن النظام سبب هجوم السافاك على ابن أخى الشاه، وعُلم فيما بعد أنه كان لديه أفكار ثورية واتجاهات يسارية وأنه كان يهاجم سلطة عمه في السر.

وباستقراء أوضاع الأخ الشقيق للشاه يتضح أن العلاقة لم تكن عند مستوى الأخوة بل هي حالة من التوجس والريبة، مما أسهم في سرعة سقوط الشاه.

× عبد الرضا

ولد سنة ١٩٢٤ م (١٣٠٣ هـ ش) من زوجة رضا شاه الرابعة "عصمت الملوك".

تلقى عبد الرضا دراسته الابتدائية في طهران، وأرسل إلي مدرسة "له روزي" Le Roscy في مدينة رول Rolle بسويسرا، وعاد إلي طهران سنة ١٣١٥ هـ. ش وواصل تعليمه، ثم رافق والده في ومنفاه بجوها نسبرج.

(١-×) زندگى پرماجرى رضا شاه ج ١ ص ٥٩.

وقد رافق جثة والده بعد موته إلي مصر حيث دفنت في مسجد الرفاعي، وبعدها سافر إلي الولايات المتحدة الأمريكية، والتحق بجامعة هارفارد في كامبردج، وأتم دراسته في مجال الاقتصاد والعلوم السياسية سنة ١٩٤٧.

كان عبد الرضا عاقلاً ومثقفاً، وكان رياضياً^(١-٥).

تزوج سنة ١٣٢٩ من پرى سيما بهلوى، عينه الشاه كرئيس لهيئة برنامج السنوات السبع وأراد الشاه أن يكون منصبه شرفياً ولكن عبد الرضا أخذ مهمته على محمل الجد، ولم يتوان عن أداء مهمته بطرح الخطط العمرانية والاقتصادية، ولكنه واجه الشاه ونفراً من السياسيين المخضرمين، فعزله الشاه وقضى عليه تماماً ١٣٣٤ هـ ش.

كان الشاه محمد رضا يحسد عبد الرضا كثيراً، لأنه كان أفضل منه علماً ومعرفة وثقافة.

وفى سنة ١٩٥٠ ذكر عبد الرضا أموراً مريرة عن الشاه، وكانت أكثر الأمور اعتدالاً مما ذكرها، أن الأسرة المالكة هي أسرة فاسدة وأنه يخجل من الانتساب إليها، وأن الشاه غير قادر علي أن يجمع حوله المخلصين، وأنه سيخرب البلاد بأفعاله.

كان عبد الرضا منفصلاً عن الأسرة الحاكمة لاعتقاده بفساد أمرها وحلول نهايتها، ولعله مثل باقى الأسرة ينظر بوجل وريبة إلى الآخرين مما أسهم في الإسراع بسقوط الشاه.

* (أحمد رضا)

ولد أحمد رضا في مهرماه ١٣٠٤ هـ ش، وقضى مرحلة دراسته الابتدائية والإعدادية في طهران، ورافق والده عند نفيه إلي جنوب أفريقيا سنة ١٣٢٠.

(١-٥) زندكى پرماجرى رضا شاه ج ١ ص ٦٢.

واصل أحمد رضا تعليمه في جامعة كاليفورنيا، واقترب بسيمين بهرامي سنة ١٩٤٤ وأنجبا طفلا اسمياه شاهرخ وطفلة اسمياها شهلا وانتهى زواجهما بالطلاق.

تزوج أحمد رضا أيضا من روزا بزرگ نيا، وكانت من أسرة ثرية من تجار مشهد، كان لروزا أخوان هما دانش وعلي، وقد عملا في التجارة إلا أن دانش اشتهر بالأدب فكان شاعراً وقصاصاً، كما أن عليا صار عضواً بالبرلمان، وعندما شك رضا شاه من إمكانية قيامها بالتآمر عليه، استقدمها إلى طهران، وقد ظل علي عضواً في البرلمان حتي سنة ١٩٦٠، وفي سنة ١٩٦٣ لم يستطع علي بزرگ نيا أن يدخل البرلمان، وغير معروف سبب عدم إمكانية تحقيق ذلك، ولكن ابن أخيه تزوج إحدى سيدات الأسرة المالكة واستطاعت زوجة علي (صدري) أن تصل إلي البرلمان عن إحدى الدوائر الانتخابية في خراسان سنة ١٩٧٠ (١-٥).

استطاع آل بزرگ نيا من تحقيق مصالح خاصة لهم بعد زواج روزا من أحمد شاه وأصبح لهم مكانة في البلاط، وعمل حسين بن دانش بزرگ نيا كاتباً لأحمد رضا.

* محمود رضا

ولد محمود رضا في آبائاه ١٣٠٥ هـ ش (١٩٢٦م) ودرس إدارة الأعمال في جامعة كاليفورنيا وميتشجان، ورافق والده في منفاه.

تزوج محمود رضا سنة ١٣٣٣ (١٩٥٤م) من مهري زنكته وطلقها سنة ١٩٥٧ وتزوج سنة ١٩٦٤ من مريم إقبال أخت رئيس الوزراء السابق ورئيس مجلس إدارة شركة النفط الإنجليزية الإيرانية - د. منوهر إقبال.

(١-٥) اسناد لآئه جاسوسی آمریکا سند شماره ١٠١ - نقل از زندگي پرماجرای رضا شاه ج ١ ص ٦٥ - ٦٧.

× حميد رضا

آخر أبناء رضا شاه، ولد سنة ١٣١١ هـ ش (١٩٣٢) درس المرحلة الابتدائية في طهران ولم يوفق في دراسته العليا.

في سنة ١٩٦٠م (١٣٣٩ هـ - ش) طردوه من الأسرة المالكة، وسلبوا منه لقب السمو، وأشاع السافاك في طهران أن حميد رضا قد طرد من البلاط بسبب فساد خلقه، ولكن هذا الأمر ليس صواباً فكيف يطرد الشاه؛ الذي هو عنوان الفساد، أخاه بجرم مرافقته لامرأة؟ والواقع أن حميد رضا قد طردوه من البلاط بسبب علاقته مع تيمور بختيار (١٠٠×) والتآمر ضد الشاه.

أقام حميد رضا في منزل يقع خارج طهران على طريق پارس، ومع أن حميد رضا كان فعلاً فاسداً ولاهياً إلا أنه لم يطرد من البلاط لهذا السبب.

تزوج حميد رضا من مينو دولتشاهی سنة ١٣٣٠ هـ - ش وطلقها بعد عامين وأنجب منها ابنة أسماها نيلوفر، ثم تزوج من هما خامنه ای، وبعد أن أنجبت ولدين هما بهزاد ونازك أفترقا.

كان حميد رضا مدمناً للمخدرات، وكان ابنه بهزاد أيضاً مدمناً للهيروين وقد أحضره للعلاج في مصحة في نهاية شارع پیروزی الحالي (٢-×).

كان حميد رضا وأسرته ينفرون من الشاه محمد رضا، وعندما قامت الثورة الإسلامية ظل هو وأولاده في إيران وغير اسم عائلته من بهلوی إلى إسلامی.

(١-×) أول رئيس للسافاك.

(٢-×) زندگی پرماجری رضا شاه ج ١ ص ٧٢.

أخوات الشاه

لم تشهد دولة في الشرق، يعتنق شعبها الإسلام فساداً في نساؤها قدرما شهدت إيران، فقد فاقت شهرة فساد نساء آل بهلوي فساد نساء الشرق والغرب على السواء، وتفوقن على فساد أخلاق أميرات ويلز ويورك وهن ديانا وسارة زوجتا الأميرين تشارلز واندرو.

لقد أنجب رضا شاه أربع بنات هن : همد السلطنة وأشرف وشمس وفاطمة وقد تفوقن في الفساد الخلقي على بعضهن البعض.

× همد السلطنة

أكبر بنات رضا شاه من زوجته الأولى صفية، وقد ولدت في سنة ١٢٩١ هـ - ش، تزوجت من د. هادي (حد يكجان اتاباي - ابن زوج أم رضا شاه) وأنجبت ثلاثة أبناء هم : أمير رضا اتاباي وسيمين، وسيروس، وقد تزوجت سيمين من أمريكي. وقد تربي ابنها الأول أمير رضا تربية عسكرية في ألمانيا، وبعد هزيمة الألمان في الحرب العالمية الثانية، عمل بالتجارة وأصبح من أصحاب رؤوس الأموال في أمريكا. أما سيروس فقد تلقى تعليمه في سويسرا وألمانيا، وهو شاعر موهوب، ألف عدة مؤلفات.

أما سيمين فقد أتمت دراستها في مجال الاقتصاد في كاليفورنيا، وعملت مسئولة عن الاستقبالات الرسمية في قصور الدولة، وتعاونت مع المخابرات المركزية الأمريكية، وأطلعت أجهزة الاستخبارات الأمريكية على أمور الدولة، واختفت في أمريكا بعد الثورة (١-٢).

طلقت همد السلطنة مثل أخواتها من زوجها بعد موت أبيها، وطردت من إيران مع أخواتها أثناء رئاسة مصدق للوزارة وتزوجت همد السلطنة سنة ١٩٤٨م من مهندس

(*) زندگی پرماجری رضا شاه ج ١ ص ٢٠.

بهرون ثم طلقت منه ثم تزوجت من محام شاب يدعي أمير أصلان وطلقت أيضا في نفس العام ١٩٤٨.

× (أشرف بهلوي

الأخت التوأم لمحمد رضا شاه، وواحدة من أهم النساء اللاتي لعبن دوراً هاماً في حكم البلاد، فقد كانت أهم مؤيدة ومعاونة للشاه طوال سنوات حكمه.

لقد التحقت أشرف بمدرسة زردشتية لتلقي التعليم ولا شك أن تعلمها في هذه المدرسة قد ساعد على إفسادها.

تزوجت أشرف من علي قوام بن قوام الملك سنة ١٩٣٧ (١-×) وأنجبت ابناً أسمته شهرام بهلوي نيا، وقد تقلد عدة مناصب أهمها نائب قائد القوات البحرية وقد فر إلى باريس بعد قيام الثورة حيث تم اغتياله.

يقول حسين فردوست في مذكراته (٢-×) أن رضا شاه عندما أراد أن يزوج ابنته شمس وأشرف اختار لهما زوجين هما : فريدون جم وعلى قوام، وأن شمس قد قالت له أن أباهما قد استدعاها وقال : حان وقت زواجك، وهناك شخصان ينتظران، ولما كانت شمس أكبر فإنها ستختار الأول والثاني سيكون من نصيبك، ولما كان فريدون جم أجمل منظراً وأكثر جاذبية فقد اختارته شمس وأصبح على قوام الذي كان يفرق كثيراً عن جم في قوامه وشخصيته من نصيبى"

كان علي قوام من أسرة عريقة في شیراز، وكان والده على علاقة حميمة بالإنجليز، وكان زواجه من أشرف مجرد زواج سياسى، لم ترض عنه أشرف، وقد انعكس

(١-×) خاطرات وخطرات مهدي قلى هدايت (مخبر السلطنة) تهران - زوار چاپ چهارم ١٣٦٣ ص ٣١٦.

(٢-×) خاطرات ارتشيد سابق حسين فردوست ج ١ ص ٤٣.

هذا الزواج على حياة أشرف وترك عواقب وخيمة، وكانت أشرف لديها استعداد للنساء، وعلي شاكلة أمها تاج الملوك. وكانت شمس علي شاكلة أختها في النواحي المالية إلا أنها لم تكن مثلها في الناحية الجنسية، وقد ترك زوجها من علي قوام عقدة نفسية (١-٣).

اتسمت حياة أشرف بهلوى بالفساد الخلقي (٢-٣) وإقامة علاقات جنسية غير مشروعة ومن العجيب أنها تفتخر بمثل هذه العلاقات، وما يذكر أنها كانت تفتخر بلقائها بستالين وأنه قد أهدي إليها معطفاً من الجلد غالى الثمن، وكانت تزهر علنياً باهتمام ستالين بها وسعيه وإلحاحه علي أن تلازمه الفراش (٣-٣) !!

كانت أشرف بهلوى مولعة بمرافقة رجال عديدين (٤-٣) وكانت تتمادي فى الفساد الخلقي، وتصاحب المطربين والفنانين وحتى الأوباش، وما يذكر ارتباطها غير الشرعي مع بهروز وثوقى الممثل المعروف، وقد حملته معها إلى أمريكا بعد الثورة.

لقد تنقلت أشرف في حياتها الزوجية من أحضان زوج إلي أحضان آخر، فقد تزوجت من مصري يدعي أحمد شفيق سنة ١٩٤٩ بعد تركها لزوجها الأول علي قوام، وقد منح مجلس الشورى الوطنى أحمد شفيق الجنسية الإيرانية و ألحبت من هذا الزوج

(١-٣) خاطرات ثريا اسفنديارى ص ٤٨.

(٢-٣) پشت برده تخت طاووس تأليف مينو صميمى ترجمة وكتر حسين أبو ترابيان جاب سوم ١٣٦٩ ص ٥٢.

(٣-٣) زندگي پرمجراى رضا شاه ج ١ ص ٤٥.

(٤-٣) عندما جاءت إلي مصر أيام زواج فوزية، كانت معشوقة لتقى إمامي وكان لها علاقة بالملك فاروق، ويقول فردوست انه في ١٣٣١ - ١٣٣٢ هـ - ش رأى أشرف ومعها ثلاثة رجال أصدقاء لها، اثنان من فرنسا وواحد يوغوسلافى وإنه كان يرى هؤلاء الرجال في حجرتها كل علي حدة - خاطرات فردوست ج ١ ص ٢٣٢.

- ٢٩ -

المقامر ابنا أسمته "شايان" والمعروف بپونزی وابنة اسمتها آزاده شفيق، وانتهى هذا الزواج بالطلاق سنة ١٩٥٩ (١-×).

وفي رحلتها مع الأزواج تزوجت من مهدي بوشهرى پور، وكان شريكا لها في التجارة.

ولقد حظى من تزوج أشرف بالمنصب الرفيع فقد عمل أحمد شفيق مديرا لطيران إيران في باريس، ثم صار مديراً عاما لهذه الشركة وقد استخدم - خلال فترة عمله - الطيران الإيراني في التهريب لحسابه من سويسرا إلى إيران وبالعكس.

أما بوشهرى (٢-×) فقد نال منصب سفير متجول ورئيس إدارة المهرجانات الفنية وقد حصل على عمولات ضخمة من شركة ايرفلوت الروسية، وأنتج عدة أفلام مشتركة مع شركة الفنانين المعروفة، وقد جنى من ورائها مئات الملايين.

كانت أشرف بهلوى تميل كثيرا إلى عقد علاقات مع شباب، منهم أسد الله علم، وقد اشتهرت هذه العلاقة سنة ١٩٤٣، ومنهم پرويز راجى الذى عمل سفيرا لإيران في إنجلترا ومعاوناً لرئيس الوزراء هويدا.

كانت أشرف تملك مصدق كثيرا لأنه فى سنة ١٩٥١ أوعز للشاه بطردهم جميعا من إيران (٣-×).

لعبت أشرف دورا بارزا فى حياة الشاه لدرجة أنه لم يكن يتخذ قرارا إلا بمشورتها، وكانت تسعى لتحقيق مصالحها.

(١-×) خاطرات ارتشيد سابق حسين فردوست ج ١ ص ٢٣٠ - ٢٣١.

(٢-×) خاطرات ارتشيد سابق حسين فردوست ج ١ ص ٢٣١.

(٣-×) زندكى پرما جراى رضا شاه ج ١ ص ٤٨.

- ٣٠ -

عمل الشاه في أواخر أيامه على تحقيق مطالب أخته وإرضاء شهوتها في التطلع إلى السلطة، وقلدها بعض المهام الرسمية في حكومته، وقد زارت أشرف الصين في سنة ١٩٧٠ و ١٩٧٥ وكانت عضواً في لجنة حقوق الإنسان، ومستثولة عن وفد إيران في الأمم المتحدة (١-٣).

ومع أن دورها السياسي كان محدوداً، إلا أن علاقاتها التجارية التي كان أغلبها غير مشروع - قد زاد، وقد استغلت نفوذها لمنح أصدقائها مهام حكومية وقد قدموا إليها نظير ذلك مبالغ طائلة، وفي السنوات الأخيرة كانت لا تأخذ نقوداً منهم، ولكن قالت لهم أنها تريد أن تعتمد عليهم عند اللزوم.

لم يستطع الشاه أن يتخذ موقفاً محدداً من سلوكيات أخواته وخاصة أشرف في النواحي المالية، وما يروى أنه في سنة ١٩٥٠، أطلع على النشاط التجاري لأخته، ولكن لم يستخدم نفوذه معها، وذات مرة قال رئيس بنك إيراني كبير لمسئول السفارة الأمريكية أنه كان قد سلم الشاه تقريراً خاصاً بنشاط أشرف، لكن الشاه لم يهتم به، وقال رئيس البنك: إنه لو حدث هذا مع شخص آخر لسجن عشر سنوات.

وما يروى عنها أنها كانت تمارس نشاطاً في تهريب المواد المخدرة، وأن المافيا قد دبروا لها حادثاً، ولكنها نجت منه (٢-٣).

وكان ابنها شهram علي شاكلة أمه وجدته تاج الملوك حيث كان له أسهم في عشرين شركة في مجالات البناء والنقل والملاهي الليلية والإعلام والتوزيع، وأن هذه الشركات كانت تمارس أنشطة غير مشروعة.

وما زالت أشرف بهلوي علي قيد الحياة وتبلغ من العمر اثنين وسبعين عاماً (٣-٣).

(١-٣) پشت پردهء تخت طاووس - مينو صميمي ص ٣٥

(٢-٣) خاطرات ارتشيد سابق فردوست ج ١ ص ٢٦٢.

(٣-٣) زندگي پرماجرأي رضا شاه ج ١ ص ٣٥. ش

بعد أن أسهمت في إسقاط الشاه بسلوكها اللا أخلاقي وعلاقاتها المشبوهة، وممارستها لأنشطة غير مشروعة.

إن أشرف بهلوي مجرد فرد من أسرة تميز كل فرد فيها بخصلة ذميمة أسهمت جميعها علي إسقاط الشاه، والحكم الشاهنشاهي.

× شمس بهلوي

ولدت شمس بهلوي سنة ١٢٩٦ هـ - ش وعندما وصلت إلي سن الزواج اختارت فريدون جم بن محمود جم (مدير الملك) زوجاً لها تاركة علي قوام لأختها أشرف.

وكان فريدون جم مقيماً في المجلتري حيث كان والده موالياً للإنجليز.

سرعان ما طلق فريدون جم شمس وتزوج من فيروزه صديقة محمد رضا شاه وظل يتمتع بنفوذه حيث كان الشاه لا يرد له طلباً من أجل فيروزه (١-×).

وتزوجت شمس من عزت الله مين باشيان وهو نفسه الذي أبدل اسمه بـ "مهرداد بهلبد" وتقلد منصب رئاسة الإدارة العامة للفنون الجميلة في الدولة، ثم تحولت هذه الإدارة إلي وزارة الفنون والثقافة وتقلد منصب الوزارة، وظل بها حتي سقوط النظام.

أما شمس بهلوي فقد ظلت حتي نهاية عمرها رئيسة للهلال الأحمر الإيراني "جمعية شيرخورشيد سرخ إيران" (٢-×).

ولم تكن شمس ملوثة مثل أشرف ولا فاسدة فساد أشرف، إلا أنها كانت منحرفة دينية فقد ارتدت عن الإسلام وأقامت كنيسة خاصة في أملاكها الواقعة في مدينة الكرج، وأدت بها الطقوس الدينية على المذهب الكاثوليكي، وغير معروف سبب انحرافها.

(١-×) خاطرات ارتشيد سابق حسين فردوست بخش اول چاپ دوم تهران ١٣٧٠ ص ٦٦.

(٢-×) زندگي پرمآجری رضا شاه ج ١ ص ٥٢.

وكانت شمس مثل أشرف في النواحي المالية والتجارة، حيث كان حبيب ثابت البهائي يدير لها مصالحها التجارية، وكان حبيب ثابت يعمل علي آلة لغسل الملابس في ميدان تويخاته، وصار أكبر مالك لأكثر مصانع إيران الرئيسية، مصانع صناعة النبيذ وسيارات فولكس ومصانع إنتاج الأدوات المنزلية، وكان ثابت يقوم بإدارة هذه المصانع بأموال شمس بهلوي، وقد رحل ثابت إلي أمريكا بعد الثورة وكان أحد الممولين الرئيسيين لإسرائيل، وله شارع في تل أبيب يحمل اسمه.

عملت شمس مدة في بناء المساكن، وساهمت في بناء المساكن بغرب طهران ولها قصر قرب كرج.

ومع أن شمس كانت أقل إفساداً من أشرف إلا أنها كانت كغيرها من آل البيت البهلوي لها ميولها واتجاهاتها في وادي الفساد، وقد ارتبطت في علاقاتها بشخص بهائي وانحرفت عن الإسلام.

* فاطمة بهلوي

آخر من أنجب رضا شاه، نالت قسطاً من التعليم في إيران وأمريكا، تزوجت في سن الثامنة عشرة من خسرو قشقائي، وكان زواجها زواجاً سياسياً، لأن قبائل القشقائي كانت من أكثر القبائل تصديعاً لآل بهلوي، ولكن لم تستقر الأمور بسبب إعدام جماعة منهم وعداء الإخوة قشقائي للشاه.

تزوجت فاطمة من أمريكي يدعي وينسنت هيلر، تعرفت عليه في روما، وقد أتت به إلي إيران، ومنحه مجلس الشوري القومي الجنسية الإيرانية، وغير دينه ومذهبه واسمه وأصبح يدعي علي هيلر، وأنجبت فاطمة من هيلر ولدين هما؛ كيوان وداريوش ثم طلقت منه، وقد كذب هيلر بعد خروجه من إيران تغيير دينه ومذهبه، وأكد أنه امتنع عن التسليم لمطالب بلاط إيران وعلي الرغم من إقامته تسع سنوات في إيران، عاد سالماً إلي أمريكا.

وبعد هيلر ارتبطت فاطمة باردشير زاهدي بما أوجب غضب الشاه، وقد تزوجت مرة أخرى سنة ١٣٣٨ هـ ش من النقيب محمد خاتمي^(١-٣) الطيار الخاص للشاه. أصبح محمد خاتمي قائداً للقوات الجوية الإيرانية، ولكنه قتل في حادثة مريبة في بحيرة سد دز، وذكروا أن سبب وفاته السقوط أثناء الطيران^(٢-٣). وهذه هي أسرة الشاه لا نجد فيها إلا عناصر مريبة تبحث عن المال والشهرة والجنس، وتعيث في البلاد فساداً.

* محمد رضا بهلوي

إذا كانت أسرة الشاه قد أسهمت في إسقاط نظام الحكم، وساعدت على وجود حركة معارضة بسبب الفساد المالي والخلقي الذي تمتع به الكثير من أفراد هذه الأسرة، فإن الشاه نفسه كان واحداً من هذه الأسرة، ولم يكن يقل عنها فساداً، وقد أدى هذا إلى فساد الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

كان محمد رضا أكبر الأبناء من الذكور، والثاني في الترتيب، وتوأم الأميرة أشرف أكثر أبناء البيت الملكي فساداً -- ولد محمد رضا في ٢٦ أكتوبر سنة ١٩١٩ في حسن آباء بطهران.

تلقي دراسته في طهران ثم سافر إلى سويسرا، ودرس في مدينة رول قرب جنيف في "كولج دوروزي".

التحق محمد رضا بالكلية الحربية بعد عودته من سويسرا وتخرج سنة ١٣١٧ هـ ش برتبة ملازم ثان، وعين مفتشاً عاماً لجيش إيران^(٣-٣).

(١-٣) خاطرات ارتشبد سابق حسين فردوست ج ١ ص ٢٤٣.

(٢-٣) زندگی پرماجرای رضا حسین شاه ج ١ ص ٧٤.

(٣-٣) زندگی پرماجرای رضا شاه ج ١ ص ٣٢ - ٣٣.

- ٣٤ -

تزوج محمد رضا من الأميرة فوزية ابنة الملك فؤاد وأخت الملك فاروق ملك مصر، وأنجبت الأميرة فوزية ابنتها شهناز.

ضاعت الأميرة فوزية ذرعاً من مضايقات تاج الملوك وأخوات محمد رضا وكذلك من سلوكيات الشاه وخيانتته لها، فتركت إيران إلي القاهرة ولم تعد وطلبت الطلاق. وتزوج الشاه محمد رضا من ثريا اسفنديارى ابنة خليل اسفنديارى ولكنها لم تنجب.

كان محمد رضا قد وصل إلى كرسى الحكم بعد نفى أبيه إلى جنوب أفريقيا لاتهم الخلفاء له بمالأة هتلر.

كتب ارنست - آر - بى - عضو مكتب التحقيقات السياسية فى وكالة المخابرات المركزية عن محمد رضا شاه قائلا :

كان محمد رضا فاسد الأخلاق ومنحرفاً، ارتبط أثناء دراسته فى سويسرا بشاب من جنسه، وأحضره معه إلى إيران وظل معه حتي سقوطه فى بهمن سنة ١٣٥٧ هـ ش.

كان يعاشر نساء وفتيات كثيرات معاشرة غير شرعية، منها علاقته بفتاة أرمينية - ملكة سينما إيران، وبامرأة ما عاهرة اسمها پرى غفارى، كما أنه كان يعيش فى سنوات عمره الأخيرة مع فتاه تدعى طلا.

لم يكن محمد رضا يرتبط بأى مبادئ أخلاقية، وكان مطلعاً على مغازلة أخواته لعشاقهن، بل أنه كان يعلم بعلاقة زوجته فرح بهلوي مع برويز ثابتى نائب السافاك.

كانت آخر زوجاته هي فرح ديبا التي تزوجها سنة ١٩٥٩ وأنجب منها ولى العهد وثلاثة من الأبناء.

لقد كان لفرح ديبا الزوجة الأخيرة- دور بارز^(١-خ) في حياة الشاه، وقد نالت لقب الشاهبانو أو الامبراطورة أما فوزية وثريا فقد كانتا تلقبان "بملكة" ويوضح هذا إبراز العظمة والغرور في المملكة فيما بين سنة ١٩٦٠ - ١٩٧٠^(٢-خ).

لقد كانت الشاهبانو فرح ديبا شريكة للشاه في ملكه، ولو لم تقم بدورها الفعال فلربما سقط الشاه من قبل ذلك، ولقد كان لها دور بارز في الثقافة والفنون والتربية والتعليم والأسرة والمرأة والطفل^(٣-خ).

ولقد وقفت فرح ديبا إلي جوار الشاه طوال فترة حكمه ورافقتة في منفاه حتى مات ودفنته في مسجد الرفاعي بالقاهرة حيث دُفن أبوه من قبل.

المملكة فوزية

كان الملك فؤاد؛ والد فوزية؛ خادماً معروفاً للإنجليز، وكان حاكماً علي مصر خلال استعمار الإنجليز لها، وقد قوي نفوذ الإنجليز خلال فترة حكمه، وكان للإنجليز دور هام في تقريب البيتين المالكين في إيران ومصر.

كان محمد رضا يقول: إنه لا يعرف أبداً لماذا يصمم أبوه علي أن يزوجه من أخت الملك فاروق؟^(٤-خ) وهذا يعني أن الزواج كان زواجاً سياسياً، حيث أراد رضا شاه أن يمزج الدم الإيراني بالدم الأوربي^(٥-خ) الذي تنتسب إليه الأسرة الحاكمة في مصر.

(١-خ) ياسخ به تاريخ ٧.

(٢-خ) گذشته ٦٣.

(٣-خ) به سوى تمدن بزرگ - وزارت اطلاعات ١٩٧٤ طهران.

(٤-خ) خاطرات ارتشبد سابق حسين فردوست ج ١ ص ٦٠ - زندگي پرماجرای رضا شاه ج ٢ ص ٦٥٠.

(٥-خ) كان محمد علي رب هذه الأسرة ألباني الأصل ومن هنا جاء انتساب هذه الأسرة إلي أوروبا.

أرسل رضا شاه وفداً برئاسة محمود جم رئيس البلاط إلى القاهرة، ليخطب الأميرة فوزية من الملك فاروق لمحمد رضا، ووافق الملك فاروق، ودعا الوفد الأسرة المالكة لزيارة طهران، وقد سافرت الملكة ومعها أربعة من بناتها وكانت فوزية أكبرهن، إلى إيران حيث استقلوا سفينة إلى بندر بهلوى، ومن هناك استقلوا القطار إلى طهران، واستقبلهم رضا شاه بنفسه في محطة السكك الحديدية (١-٣).

وعقدت مراسم العرس في قصر الجلستان وكان العقد قد تم من قبل في مصر في ربيع ١٩٣٩ (٢-٣)، وظلت أسرة فوزية مدة في طهران ثم عادت وظلت فوزية وحدها.

كانت فوزية امرأة خجولة، وكانت تتحدث مع محمد رضا باللغة الفرنسية لعدم معرفتها الفارسية وعدم معرفتها العربية، وكانت فوزية لا ترغب في الخدم الإيرانيين، ولم تتوافق مع أسرة الشاه علي الرغم من أن شمس وأشرف كانتا مكلفتين بزيارتها يومياً، ولم تكن فوزية ترغب في الحديث معهما، ولذا كانت دائماً تتصل بالسفير المصري وحرمة لتتحدث إليهما، وكانت تقضي أوقات فراغها معهما.

كانت فوزية لا تشارك في المراسم الاجتماعية وتتضايق من إصرار محمد رضا - خلال ولاية عهده - التواجد في الاجتماعات والاشتراك في المشروعات الخيرية (٣-٣).

لقد كان زواج محمد رضا من فوزية لعبة سياسية لم يكتب لها النجاح، حيث لم يكن هناك معرفة سابقة بين فوزية ومحمد رضا مع اختلاف مذهبيهما.

لم يفلح زواج محمد رضا لأنه كان لاهياً يقيم علاقات جنسية مع نساء كثيرات مما أدى إلى فشل زواجه من فوزية، وكان محمد رضا خلال زواجه من فوزية يرتبط بعلاقة سرية مع فتاة تدعى ديبسالار، وكان قد منحها أموالاً كثيرة.

(١-٣) زندگی پرماجرای رضا شاه ج ١ ص ٣٨٣ - ٣٨٥.

(٢-٣) رحلة الشاه الأخيرة - تأليف وليام شاوكروس ترجمة إبراهيم مرعى - صحيفة الخليج

(الشارقة) العدد ٣٨٢١ - ١١٩ أكتوبر ١٩٨٩ ص ٥.

(٣-٣) خاطرات ارتشبد سابق حسین فردوست ج ١ ص ٦١.

وعندما أدركت فوزية خيانة زوجها لها، غادرت طهران، ولم تعد إليها ثانية وطالبت بالطلاق بعد تسع سنوات (١-٣).

وقد قايض محمد رضا شاه وثيقة الطلاق بمجوهرات ومسكوكات وأشياء ثمينة كانت لدى الملكة فوزية، قُدرت في وقتها بـ ٨ و ١٨٥٨٩ ليرة (٢-٣).

ويذكر فردوست (٣-٣) أن الإنجليز كانوا قد قرروا فصل محمد رضا شاه عن فوزية بسبب فساد الملك فاروق، وحتى لا يهدد ذلك سلطنة الشاه، وقد ذكر أرست براون قصة عشق الشاه لديوسالار للإيعاز لفوزية بخيانة زوجها.

وكانت شهناز هي ثمرة الزواج بين فوزية والشاه (٤-٣).

الملكة ثريا اسفنديارى

لم تتحمل الملكة فوزية خيانة الشاه ورحلت عنه لتدعه يمارس نزواته فقد ارتبط بعلاقة آثمة مع فيروزه ثم مع ديوسالار ثم پرى غفاري.

وتزوج محمد رضا من ثريا اسفنديارى ولكنها لم تنجب له وليا للعهد، وقد استمرت معه سبع سنوات، وعندما خاف محمد رضا من أن يغتال ويضيق العرش (٥-٣) لذا فكر في الزواج من أخرى، وتزوج فرح ديبا.

واستمر مسلسل خيائته حيث ارتبط بامرأة تدعى كيتي خطير (٦-٣).

(١-٣) تم طلاقها سنة ١٩٤٨ (رحلة الشاه الأخيرة - صحيفة الخليج العدد ٣٨٢١ ص ٥).

(٢-٣) زندگى پرماجرای رضا شاه ج ٢ ص ٦٦٨

(٣-٣) خاطرات ارتشبد سابق حسين فردوست ج ١ ص ١٩٤ - ١٩٥.

(٤-٣) خاطرات ثريا اسفنديارى - روزنامه نيمروز شماره ١١٠ ص ٦.

(٥-٣) خاطرات ارتشبد سابق حسين فردوست ج ١ ص ٢٠٩.

(٦-٣) گذشته ٢٠٩.

والمملكة ثريا التي تخطت الآن الثالثة والستين من عمرها مازال لها علاقاتها الخاصة ومبها ما أشيع حول ارتباطها بأمير موناكو الأمير رينار (١-٣) وهذا في حد ذاته يبرهن علي مدى تدني أفراد الأسرة المالكة وانعدام الوازع الديني.

وتحكي الملكة ثريا جانباً من حياتها مع الشاه في مذكراتها - حيث تزوجت وهي في سن السادسة عشرة - فتذكر أنها كانت تقضى وقتها في مشاهدة الأفلام أو لعب الورق وأحياناً تفر من الناس مع محمد رضا لركوب الخيل أو التنزه بالسيارة أو الطائرة، وتذكر بلا حياء أن محمد رضا كان يعرف عشرات من البنات مع أنه كان يخلج أمام النساء (٢-٣).

وفي حفل بهيج تزوجت ثريا اسفندياري الشاه، وكانت الملكة الأم تنثر الذهب فوق رأسها بينما كان ثلث الشعب الإيراني عاطل عن العمل، ويملاً المتسولون الشوارع (٣-٣).

وتقول ثريا في مذكراتها أن دكتور أيادي قال لها مرة أن جميع أفراد أسرة بهلوي مصابون بمرض عقلي "الماخوليا" وأن طبيباً نفسياً قد أقنع محمد رضا وشمس وعلي رضا أنهم اذا لم يلتزموا بدقة بما يقوله فسيبتلون بالمرض في شبابهم (٤-٣).

(١-٣) روزنامه نيمروز شماره / ١٤٩ سال سوم جمعه بهمن ماه ١٣٧٠ - ٣١ يناير ١٩٩٢ چاپ لندن ص ٧.

(٢-٣) خاطرات ثريا اسفندياري - نيمروز شماره / ١٠٩ جمعه ١٦ ارديبهشت ماه ١٣٧٠ - ٢٦ / أبريل ١٩٩١ ص ٦. وانظر ايضاً : رحلة الشاه الأخيرة تأليف وليام شاوكرس ترجمة إبراهيم مرعي - الحلقة الرابعة - صحيفة الخليج (الشارقة) العدد ٣٨٣٥ - ٢ نوفمبر ١٩٨٩ ص ٥.

(٣-٣) المصدر السابق ص ٦ - ٧.

(٤-٣) خاطرات ثريا اسفندياري - روزنامه نيمروز شماره ١١٠ جمعه ١٣ ارديبهشت ماه ١٣٧٠ ص ٦.

- ٣٩ -

لقد عاصرت الملكة ثريا الأحداث التي حدثت في إيران سنة ١٩٥٣ في عهد وزراء مصدق، وشاركت في تلك الأحداث (١-٣).

استمر زواج محمد رضا شاه من ثريا سبع سنوات ولما لم تنجب فقد اضطر إلى طلاقها سنة ١٩٥٩ (٢-٣).

ومما ذكرته عن محمد رضا شاه بعد انفصالها عنه أنه ظل سنة كاملة مشغولاً بالبحث عن عروس جديد، وقد دعا لضيافته شابات كثيرات وصادق فتايات كثيرات حتي تعرف علي فرح ديبا وتزوجها (٣-٣).

وقد عملت ثريا بعد طلاقها في التمثيل وعشقت المخرج الإيطالي فرانكو ايندونيا، ولكنه قتل في حادث سقوط طائرة (٤-٣).

وما زالت ثريا اسفندياري تعيش في باريس بعد أن طافت العالم كله وزارت محمد رضا شاه في قبره بعد وفاته سنة ١٩٨٠ (٥-٣).

وثرى من أب إيراني وأم ألمانية وكان الشاه قد أعجب بها من صورتها وعندما لم تأت بولي للعهد، أذاع الشاه خبر طلاقه منها في الإذاعة والتلفاز وهو يذرف الدمع، وقد قالت الشاهبانو فرح ديبا عنها: إنها كانت الحب الوحيد للشاه (٦-٣).

الشاهبانو فرح ديبا

كان والد فرح ضابطاً، توفي وهو برتبة نقيب بسبب مرض السل، ولم تتزوج فريده ديبا زوجته من بعده، وعاشت مع أخيها محمد علي قطبي، وكان لأخيها ابن يدعي رضا، أرسله إلي باريس لتلقي العلم، وقد أنهى دراسته بنجاح.

(١-٣) خاطرات ثريا - نيمروز شماره ١١١ ص ٦ - ٧ - وأيضاً نيمروز شماره ١١٢ ص ٦ - ٧.

(٢-٣) خاطرات ثريا اسفندياري - روزنامه نيمروز شماره ١١٣ ص ٧.

(٣-٣) خاطرات ثريا اسفندياري - نيمروز شماره ١١٤ ص ٦.

(٤-٣) خاطرات ثريا - نيمروز شماره ١١٥ ص ٦.

(٥-٣) نيمروز ١١٥ ص ٧.

(٦-٣) روزنامه نيمروز شماره ١٦٨ جمعه ٢٩ خرداد ماه ١٣٧١ ص ٨.

- ٤٠ -

وأرسل الخال فرح ديبا إلي باريس لتدرس في كلية الفنون الجميلة، ولكن بسبب فقرها فقد تعهدوا أحد أعضاء حزب "توده" الشيوعي بالرعاية وهو انوشيروان رئيس (١-٣).

وتعرف أردشير زاهدي على فرح ديبا وقدامها إلى الشاه الذي تزوجها بدوره علي الفور سنة ١٩٥٩.

وتحول الأمر بالنسبة لأسرة فرح ديبا، فتولي أهلها المناصب، وبلغت ثروتها خلال سنتين إلي مليارات التومانات، وأنشأت مكتباً خاصاً لها باسم "دفتر فرح" (٢-٣) به ستمائة موظف من الخبراء في الشئون المختلفة، ويقول فردوست أن مكتب فرح كان يتقاضى ثلثي قيمة العمليات التي ينفذها، وأنه كان لفرح ديبا إيرادات خاصة في حساب خاص، وكان أولادها لهم نفقات خيالية (٣-٣).

وقد جرى باقى أفراد الأسرة المالكة مجري الشاهبانو (٤-٣) وأنشأوا مكاتب خاصة لهم يمكنهم من ورائها أن يستولوا على المال العام.

ولقد كانت العلاقة بين الشاهبانو وتاج الملوك علاقة جيدة إذ استطاعت فرح ديبا أن تحتوى الملكة الأم، وسبب ذلك أنها كانت دائمة الاتصال بها والسؤال عنها مما جعلها أقرب إليها من بناتها (٥-٣)، وقد توطدت العلاقة أكثر بعد وصول ولي العهد.

وإذا كانت أخوات الشاه قد انغمسن في الرذيلة، إلا أن فرح ديبا قد انهمكت في جمع الأموال والمشاركة في دفة الحكم.

(١-٣) كزراهة - خاطراتى از تاريخ حزب توده احسان طبري - تهران ١٣٦٦ ص ٢٢٠.

(٢-٣) خاطرات ارتشبد سابق حسين فردوست ج ١ ص ٢١٣.

(٣-٣) گذشته ص ٢١٤.

(٤-٣) پشت پرده تخت طاووس - منيو صميمى ١٨٧ - ١٨٨ انظر أيضا = روزنامه نيمروز

شماره / ١٨٩ سال چهارم جمعه ٢٢ آبان ماه ١٣٧١ ص ١٢

(٥-٣) خاطرات فردوست ٢٣٩

- ٤١ -

لعبت الشاهبانو فرح ديبا دوراً بارزاً في الحياة السياسية والاجتماعية في إيران حيث تربعت على العرش تسع عشرة سنة، وكانت تدير البلاد بسبب اعتلال صحة زوجها.

وقد رافقت زوجها في رحلته الأخيرة التي خرج فيها من إيران في ١٦ يناير سنة ١٩٧٩ متوجهاً إلى مصر ثم إلى المغرب ومنها إلى الباهاما ثم المكسيك ومنها إلى أمريكا ومنها إلى بنما ثم العودة إلى مصر حيث مات الشاه ودفن بمسجد الرفاعي. وبعد مقتل الرئيس السادات رحلت أسرة الشاه إلى أمريكا حيث تستقر في مدينة " وليامز تاون" (١-٨)، ومازالت تحلم بالعودة إلى إيران وإقامة حكم دستوري.

(*) روزنامه، كيهان شماره/٣٦٦ بنجشنبه ٢٤ مرداد ١٣٧٠ - موافق ١٥ اوت ١٩٩١ م ص ١٢

- ٤٣ -

العلقة الثانية
السافاك

السافاك

الأسباب كثيرة، والعلل عديدة، وكلها تصب في مجرى واحد، أدت إلى تراكم الفساد، وإذا فسدت رأس السمكة فلا نفع منها، وإذا فسدت الأمة فلا علاج لفسادها إلا بثورة تطيح بأس الفساد.

كانت أسرة الشاه والشاه نفسه جزءاً من هذا الفساد مما أدى إلى تسريع السقوط. والسبب الآخر الذي أسهم بشكل مباشر في سقوط الشاه ونظامه، كان فساد الجهاز الأمني للشاه والمسمى باسم "السافاك" (١-٠).

نالت مجموعة من أجهزة الأمن في بعض دول العالم شهرة واسعة بسبب حسن تنظيمها وقوة فاعليتها في الحفاظ على الأمن الداخلي ومواجهة الاختراقات الخارجية، ومن هذه الأجهزة: السي. آي. ايه (C. I. A) (المخابرات المركزية الأمريكية) والكي. جي. بي (المخابرات السوفيتية) والموساد (المخابرات الإسرائيلية) و SDECE (المخابرات الفرنسية) والسافاك (جهاز أمن واستخبارات الدولة في إيران).

تأسيس السافاك

بعد أحداث ١٩٥٣ والتي أودت بحياة د. مصدق، والتي كاد أن يفقد الشاه فيها عرشه، فكر الشاه في تأسيس جهاز أمنى لحماية النظام، وأراد أن ينشئ جهازاً خاصاً به، يخضع لسلطة رئيس الوزراء مباشرة، ورئيسه في درجة نائب رئيس وزراء.

ويدعى الشاه (٢-٠) أن تأسيس السافاك - بعد حادثة حكومة مصدق - قد جاء لمحاربة الشيوعيين المفسدين، حيث أن قوى الاحتلال الروسى - التي لم ترحل عن إيران

(١-٠) وهو بالفارسية ساواك - اختصار لمصطلح "سازمان امنیت واطلاعات كشور" أى جهاز أمن واستخبارات الدولة.

(٢-٠) پاسخ به تاریخ - نوشته محمد رضا بهلوی ترجمه دکتر حسین أبو ترابیان - تهران ١٣٧١ هـ.ش چاپ دوم ص ٣٣٧.

- ٤٦ -

حتى سنة ١٩٤٦، وحزب توده، قد ظنوا في الشهور الأخيرة لحكومة مصدق، أن لحظة انتصارهم قد حانت، ولهذا أعلن محمد رضا شاه عدم شرعية-حزب توده - الذي كان لا يهدد النظام فحسب بل كان يعرض استقلال البلاد كلها للخطر-على حد زعم الشاه.

أنشأ الشاه جهاز السافاك لمواجهة نشاط المخربين في الداخل والخارج، وليقضى على الخطر الذي يهدد إيران، وقد عين الجنرال تيمور بختيار (١-٣) على رئاسة هذا الجهاز، وظل بختيار من سنة ١٩٥٣ (٢-٣) إلى ١٩٥٧.

أرسل الشاه العناصر الأولى لجهازه الأمني إلى أمريكا وأوروبا لتلقى التدريبات الأمنية اللازمة، واستعان بعناصر من المخابرات الأمريكية للعمل داخل جهازه.

كان تيمور بختيار رجلاً محباً للمنصب والجاه، يسعى إلى غرضه بكافة الوسائل المشروعة وغير المشروعة، وظل ممسكاً بيد من حديد على السافاك حتى أقاله الشاه - ففر إلى بيروت ثم توجه إلى بغداد للعمل ضد الشاه - حيث كان يرغب في منصب رئيس الوزراء - ولما لم يستجب له، بدأ يعمل لصالح العراق حتى اغتيل سنة ١٩٧٠ على يد عناصر الجهاز - الذي ترع على عرشه عدة سنوات.

كان الشاه قد أسس جهازاً آخر سنة ١٩٥٨ باسم "جهاز التفتيش الشاهنشاهي" (٣-٤)، وأوكل مهمته للجنرال حسين فردوست، وكانت مهمة الجهاز البحث عن مصادر الفساد بين المسئولين في الدولة، ورفع تقارير التحقيقات مباشرة إلى الشاه (٤-٤)، ولكن هذا الجهاز لم يرق بدور مؤثر في اجتثاث الفساد من البلاد.

(١-٣) تقول مينو صميمي - أن السافاك قد تأسس سنة ١٩٥٧ (بشت پردهء تخت طاووس، ترجمه دكتور حسين أبوترابيان، چاپ سوم ١٣٦٩ ص ١٨٥).

(٢-٣) انظر : الثورة الإيرانية - أ.د إبراهيم الدسوقي شتا - القاهرة ١٩٨٦ ص ٣٩.

(٣-٣) سازمان بازرسی شاهنشاهی، وایضا "دفتر ویژه اطلاعات" أي مكتب المعلومات الخاص.

(٤-٤) بشت پردهء تخت طاووس - ١٨٥ - ١٨٦

مهمة السافاك.

كانت مهمة جهاز السافاك - الحفاظ على النظام الشاهنشاهى بكافة الوسائل - ولكن الشاه (١-٣) يرى أن مهمة جهازه الأمنى كانت لملاحقة الخونة والجواسيس ومشيرى الفتنة، كما كان له دور فى مراقبة القادة العسكريين، ولما كان من الضرورى أن يخضع جهاز السافاك لقضاة المحاكم - باعتباره جهاز معلومات ومكافحة التجسس - إلا أن هذا الأمر لم يكن ينفذ، بل يوكل به لرجال الشرطة.

ولما كانت الأساليب التى يتبعها السافاك غير مشروعة فى مجملها - لهذا يدعى الشاه أن السافاك لا يخضع لقوانين العدالة فى إيران لأنهم يطبقون قواعد غريبة.

تاريخ السافاك

مر السافاك بأربع مراحل من بداية تأسيسه إلى سقوطه، وحل هياكله وإحلال، جهاز "ساواما" محله، وهو الجهاز الأمنى الجديد للثورة الإسلامية الإيرانية.

المرحلة الأولى : وهى مرحلة التأسيس والتى كانت تحت رعاية المستشارين الأمريكان، وكان رئيسه محل عناية الولايات المتحدة الأمريكية، وكان عدد أعضاء السافاك لا يتجاوز مائة وخمسين فرداً، والمهمة الموكولة إليه هى ترسيخ نظام محمد رضا شاه، وضرب المعارضين للنظام بشدة، ولما كان تيمور بختيار يرتبط بالأمريكان بعلاقة حميمة لذا ظل على رئاسة الجهاز، واستمر حتى سنة ١٩٥٧ حيث أقاله الشاه.

المرحلة الثانية : بدأت بتولى حسين پاكروان رئاسة السافاك، وكان هدف محمد رضا شاه تطهير الجهاز من أتباع بختيار، وإحلالهم بآخرين أوفياء للجهاز، وتحويل السافاك إلى جهاز منظم يعمل على الحفاظ على العرش والنظام، ولكن پاكروان لم يستطع أن يقوم بالمهام خير قيام - لضعف شخصيته - فأقاله محمد رضا، وحل محله

- ٤٨ -

نصيرى - الضابط الوفى لمحمد رضا ، وخلال هذه الفترة التى استمرت إحدى عشرة سنة وصل عدد السافاك إلى خمسة آلاف عنصر بارز.

المرحلة الثالثة : وهى مرحلة تسلط الجهاز واتساع نطاقه ، وتحكمه فى كثير من شئون البلاد ، وقد شاعت سوء سمعة الجهاز خلال هذه المرحلة.

المرحلة الرابعة : مرحلة السقوط ، وهى المرحلة الأخيرة ، التى بدأت بعزل نصيرى ومعتضد ورئاسة مقدم ، وانتهت بثورة ٢٢ بهمن واستمرت ٢٢ سنة (١-٢).

ويصور فردوست (٢-٣) الجهاز فى مرحلته الثالثة بقوله : لقد سألت كنگرلو حول المقدم زيبائى : " هل كان زيبائى بهذه الشهرة السيئة فى التعذيب والقسوة ؟ ... قال كنگرلو : كل ما سمعته عن زيبائى صحيح تماما ، وهو الآن يعمل كرئيس للمحققين السافاك ، ويستعمل كل أنواع ووسائل التعذيب".

تنظيم السافاك

يتكون جهاز السافاك من عدة أجهزة يختص كل جهاز منها بمهام محددة ، وهذه الأجهزة تخضع لرئاسة السافاك.

ورئاسة السافاك تضم عدة إدارات أهمها (٣-٤) :

١- إدارة التحقيقات وبها عدد من المتخصصين والحقوقيين.

٢- إدارة تلقى الشكاوى.

٣- النيابة الإدارية للسافاك لتلقى المخالفات الإدارية.

٤- المحكمة الابتدائية للسافاك وبها خمسة أعضاء.

(١-٢) خاطرات ارتشيد سابق حسين فردوست ج ١ / ٤٢٣.

(٢-٣) گذشته ٤٢٤.

(٣-٤) خاطرات ارتشيد سابق حسين فردوست ج ١ ص ٤٣٢.

- ٤٩ -

٥- محكمة الاستئناف وهي مشكلة من سبعة أعضاء.

٦- إدارة الحسابات الخاصة بحسابات الإدارة العامة في رئاسة السافاك.

٧- الميزانية السرية وهي ميزانية المسئول عنها رائد، ولا يعرف بنودها إلا رئيس السافاك.

كما توجد إدارة للنقلات وإدارة الشؤون الطبية.

أما الإدارات القائمة في المحافظات فإنها تتشكل من عناصر حسب عدد سكان كل محافظة وتتكون الإدارة في المحافظة من: رئيس - نائب - مدير مكتب الإدارة العامة الأولى والسادسة وشئون مكتب الرئيس ونائب الرئيس.

وفي كل إدارة من إدارات السافاك بالمحافظات قسم للأمن الداخلى وهو شعبتان: شعبة النشاط السرى، وشعبة استقراء الرأى العام.

ويوجد أيضا شعبة فنية وشعبة مكافحة التجسس فى بعض الإدارات بالإضافة إلى شعبة التحقيق فى كل الإدارات.

أما أجهزة السافاك فى المراكز فهى عبارة عن رئيس واثنين أو ثلاثة مرشدين وبعض الحرس.

وفى خارج البلاد تنتشر أجهزة السافاك وهى عبارة عن رئيس وموظف (١-٢).

(١-٢) شكست شاهانه - ملاحظاتي درباره، سقوط شاه - ماروين رونيس ترجمه، إسماعيل زند بتول سعیدی - نشر نور ص ١٢٦.

الهيكل الإداري لجهاز السافاك^(١-٠).

يقوم الهيكل الإداري علي النحو التالي :

١- التوظيف :

يتم تعيين الأفراد في جهاز السافاك على غمطين؛ توظيف أو تكليف، أما التوظيف فيتم عن طريق الأشخاص العاملين بالفعل في السافاك حيث لا يوظف في الجهاز إلا الأشخاص المعروفين لدى العاملين بالسافاك من قبل، حيث يرشح الموظفون أقاربهم وأصدقائهم، ويوضعون في قوائم حسب الأقدمية، ولا بد أن يرشح - طالب الوظيفة - اثنان من العاملين السابقين.

أما في مكتب الاستخبارات، إذا طلب شخص العمل في المكتب فلا بد أن يجتمع جميع الضباط في غرفة الاجتماعات، ويستعرضون الأسماء المرشحة، ولا بد أن يكون المرشح مختاراً من ثلاثة أفراد من اللجنة ومعروفاً لدى خمسة أفراد من اللجنة نفسها.

أما التكليف فيتم للبارزين في الجيش.

٢- التحقيقات :

المستول عن التحقيقات السياسية وغيرها هي الإدارة العامة الرابعة، والموظف الذي يعين بالتحقيقات لابد أن يكون حاصلاً على مؤهل دراسي، ويخضع لاختبار ذكاء، ويحظى بقبول رئيس السافاك.

والمكلفون يتم اختيارهم من الأشخاص أو الضباط أو ضباط الصف حيث تتحرى عنهم الإدارة العامة الرابعة، ومن يُقبل فيهم يكلف بالعمل في السافاك.

(١-٠) خاطرات ارتشبد سابق فردوست ج ١ ص ٤٣٢.

٣- الترقّيات :

هناك تسع درجات للوظائف المدنية، أما الوظائف العسكرية فيتم من قبل رئيس السافاك وموافقة الجيش حيث يطلب رئيس السافاك ترقية الضباط وضباط الصف ولا بد من موافقة الجيش.

وشروط الترقّي من درجة إلى أخرى تستلزم أن يطلب رئيس السافاك أو المدير العام وأن يسمح التوظيف للفرد بالترقى إلى أى رتبة، ومن الممكن أن يترقى الفرد أربعة درجات متتالية (١-٤).

٤- العودة إلى العمل :

يمكن إعادة توظيف الأشخاص الذين كانوا يعملون من قبل سواء الموظفين أو المكلفين، تبعاً لحاجة الإدارة العامة، ويتم إعادة للعمل بقرار من اللجنة العليا للسافاك.

واللجنة العليا للسافاك تتكون من :

رئيس السافاك ونائبه والمدير العام ونائبه ورئيس الإدارة ..

٥- التدريب والتعليم :

بعد أن استقر هيكل السافاك، قام الأشخاص المدربون في أمريكا والمجتلرا وإسرائيل بتدريب العناصر الجديدة.

وفرد الاستخبارات يقضى دورة لمدة تسعة أشهر في الإدارة العامة للتدريب، أما فرد الحراسة فيقضى ثلاثة أشهر في الإدارة العامة الرابعة، والفرد الفني يقضى دورة في الإدارة العامة الخامسة.

٦-التخصص :

يمكن للأفراد الحصول على دورات تخصصية للترقى أو تبعاً للعمل الذى يمارسونه، وكان الأفراد الفنيون يحصلون على تدريب تخصصى ويحصلون على درجات تخصصية.

٧- المخالفات الإدارية :

تهتم النيابة الإدارية للسافاك والمحكمة الابتدائية والاستئناف ببحث المخالفات الإدارية فى حدود اللوائح التى تعدها الحكومة (١-٣).

٨- المنح :

يقدم رئيس السافاك أو المدير العام منحاً إلى إدارة التوظيف.

٩- المزايا :

يمنح السافاك مزايا خاصة للأفراد الموظفين والمكلفين حتى درجة مقدم طبقاً للوائح الخاصة بهم.

١٠- التقاعد :

لم يكن الأفراد المستخدمون فى جهاز السافاك يتقاعدون، وإنما يستمرون فى العمل طوال عمرهم، أما الذين يكلفون من الجيش فإنهم يستمرون فى خدمة السافاك حتى بعد تقاعدهم من الجيش (٢-٣).

(١-٣) خاطرات ارتشيد سابق فردوست ج ١ ص ٤٣٤.

(٢-٣) گذشته ١ / ٤٣٥.

- ٥٣ -

الإدارات العامة للسافاك

يتشكل جهاز السافاك من تسع إدارات هامة وهى :

١- الإدارة العامة الاولى

وتنقسم إلى

١- إدارة التوظيف وتهتم باختيار العاملين بالجهاز.

٢- إدارة الاتصالات وتختص بتأمين شبكة الاتصالات السلكية واللاسلكية فى البلاد.

٣- إدارة الشريقات.

٢- الإدارة العامة الثانية

وتختص بجمع المعلومات الخارجية عن طريق:

١- المكاتب الخارجية

٢- الأفراد المجندين

وترسل هذه المعلومات إلى الإدارة العامة السابعة

٣- الإدارة العامة الثالثة

وتختص بالأمن الداخلى ومكافحة التجسس، وهى من أهم إدارات السافاك.

٤- الإدارة العامة الرابعة

وتختص بحراسة رجال السافاك وهى مكونة من :

١- إدارة حراسة الأفراد

٢- إدارة حراسة الأماكن

٣- إدارة حراسة الوثائق

٤- إدارة الحرس

٥- الإدارة العامة الخامسة

وهي الإدارة الفنية التي تهتم بالنواحي الفنية وبها عدة إدارات:

١- إدارة المراقبة والتعقب

٢- إدارة التصنت على الهاتف

٣- إدارة الرقابة

٤- إدارة القفل

٥- إدارة التصوير

٦- إدارة التصنت وتضم الإدارة الإلكترونية وبها موظفون حاصلون على دورات ما

بعد الليسانس ولديها أجهزة استقبال وإرسال وجميع الوسائل الإلكترونية (١-٢).

ويتبع نفس الإدارة قسم لمعرفة وفحص الخطوط.

٦- الإدارة العامة السادسة:

وهي الإدارة المالية وبها عدة إدارات هي:

١- إدارة المحاسبة: وهي مسئولة عن الميزانية والشئون المالية.

٢- إدارة التجهيز: وهي مسئولة عن إعداد لوازم الكتابة والشئون الفنية والأجهزة.

٣- إدارة النوادي: وتهتم بحماية النوادي الخاصة بالسافاك من ضيافة وإعداد طعام العاملين على مدى أربع وعشرين ساعة.

٧- الإدارة العامة السابعة

وهي الإدارة التي تختص ببحث المعلومات المقدمة إليها من الإدارة الثانية

وتحليل هذه المعلومات (٢-٣).

٨- الإدارة العامة الثامنة

وهي خاصة بمكافحة التجسس، وتعنى بمعرفة أفراد الاستخبارات بالسفارات

المعنية، والتحكم فى خروج ودخول أعضاء السفارات المعنية، وتحديد أماكن المراقبة الداخلية للسفارات.

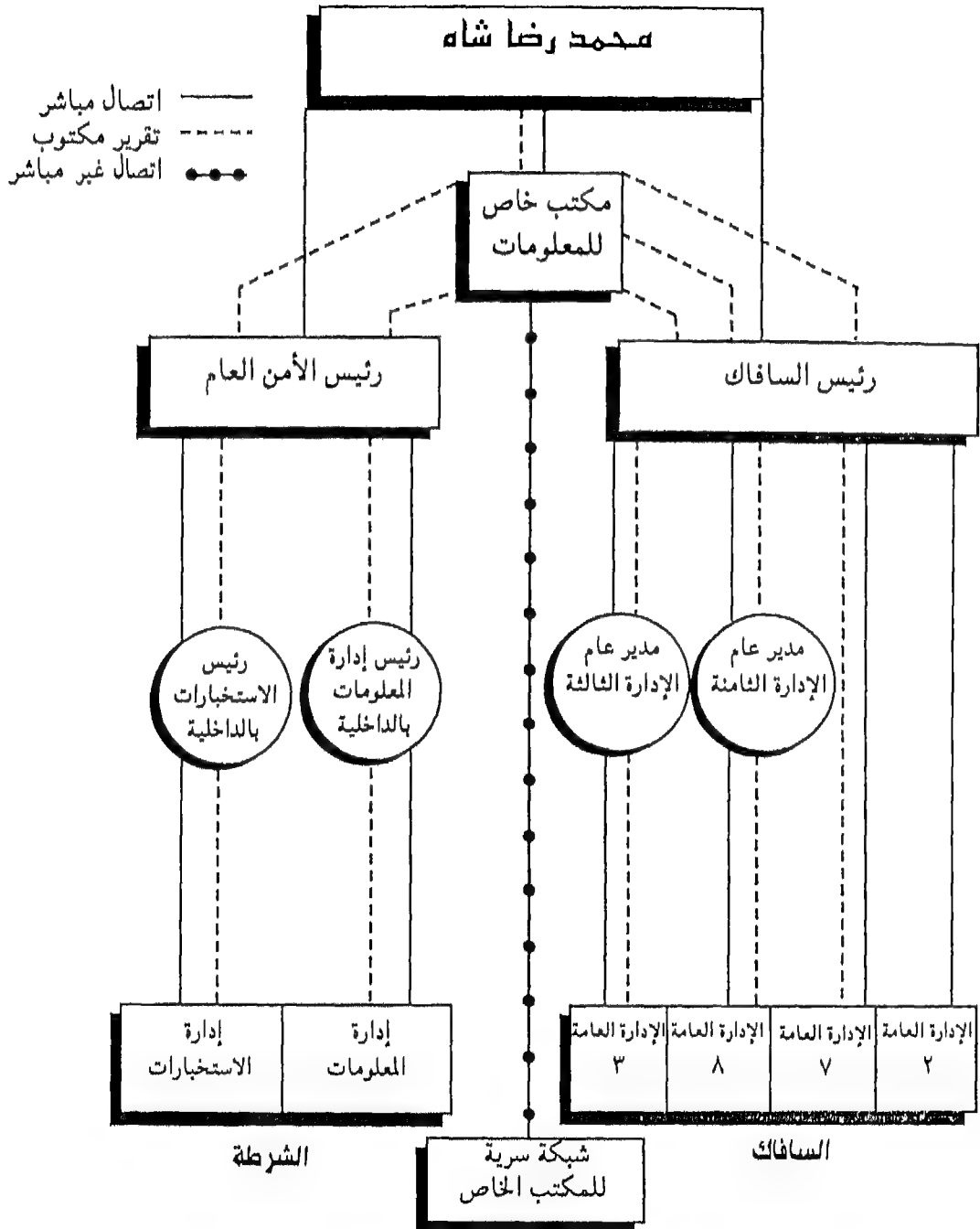
٩- الإدارة العامة التاسعة

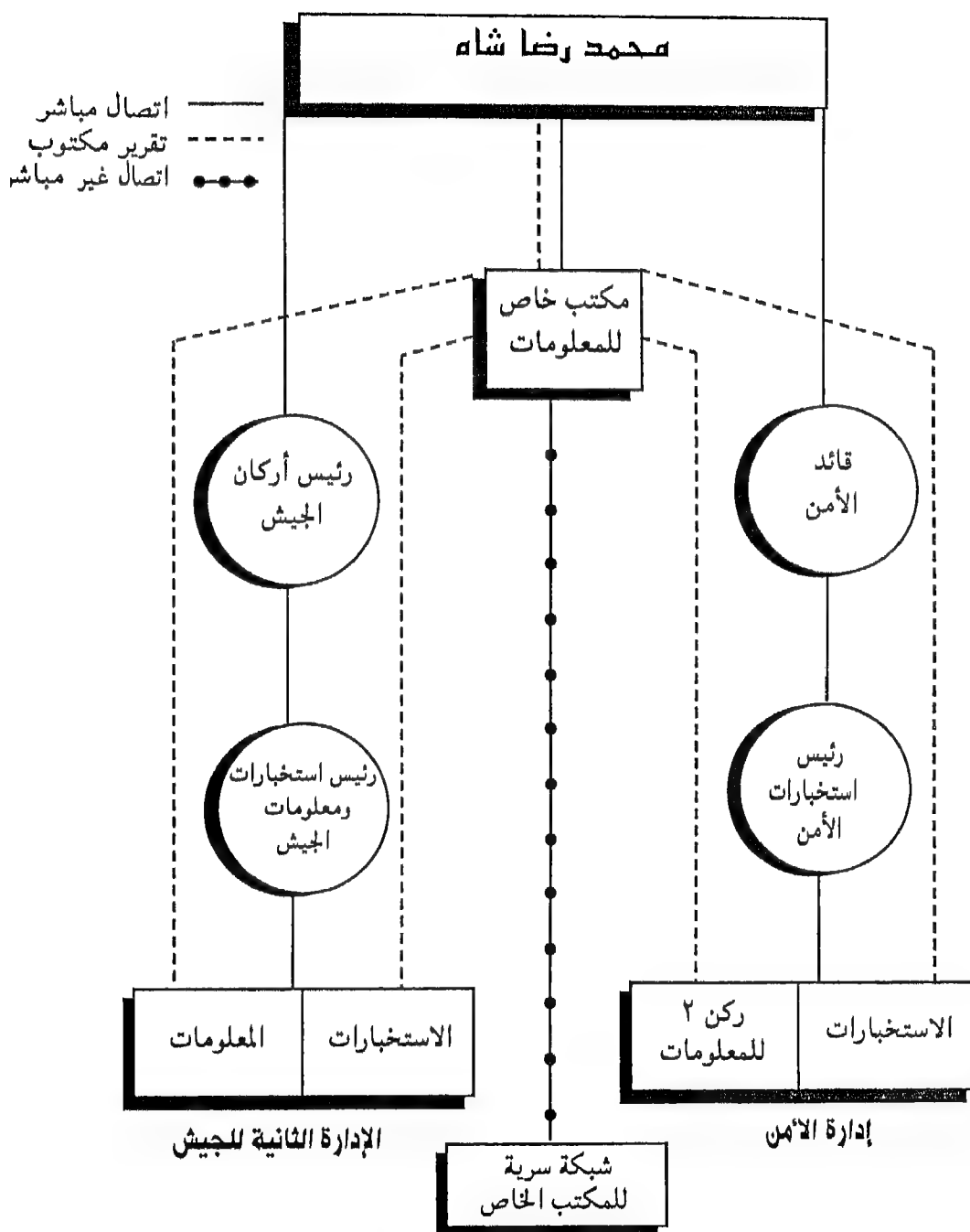
وهي إدارة التحقيقات.

(١-٢) خاطرات فردوست ١ / ٤٤١

(٢-٣) گذشته ١ / ٤٦١

- ٥٥ -





وهذه الإدارات فى مجملها مرتبطة بشكل غير مباشر بالمكتب الخاص للاستخبارات وبشكل مباشر بالرئاسة العامة للسافاك، وقد تعاون جهاز السافاك مع الاستخبارات بالجيش على النحو المبين فى الشكل المرفق (١-٣).

تيمور بختيار أول رئيس للسافاك وأول مسمار فى نعش الشاه

تيمور بختيار أول رئيس للسافاك، عمل قائدا عسكريا ل طهران قبيل توليه هذا المنصب.

بدأ بختيار حياته فى منزل قديم فى شارع كاخ فى طهران، وعاش حياة فقيرة حتى أرسله الشاه - بناء على طلبه - إلى آذربايجان حيث أبدى شجاعة ومهارة فى قتال المتمردين (٢-٣).

وعندما كان مصدق رئيسا للوزارة، كان تيمور قائدا عاما للواء المدرع المتمركز فى كرمانشاه، فأرسل إحدى وحداته إلى طهران خلال الأحداث الجارية فى طهران، وتدخل الجيش، وأحمد الثورة، ومنذ ذلك الحين عُين بختيار قائدا عسكريا ل طهران بأمر من أمريكا.

تحول تيمور بختيار من الفقر إلى الغنى ومن الاعتدال إلى الظلم والقسوة، فقد كان مكلفاً بإسكات كل شخص لا يرغب فيه الشاه أو الإنجليز أو الأمريكان، وقام بتعقب أعضاء حزب توده الشيوعى، وأعدم العديد من فدائى الإسلام، وأطلق العنان للفرقة المدرعة رقم ٢ بإخماد نواح البنات والسيدات السجينات، ولم ينج من أذيته الشيوخ المبجلين أمثال آية الله كاشانى (٣-٣).

(١-٣) انظر الشكل المرفق.

(٢-٣) خاطرات فردوست ١ / ٤١٦.

(٣-٣) مگذشته ١ / ٤١٧.

ارتقى تيمور بختيار إلى رتبة فريق بفضل معاونة المستشارين الأمريكيين له، وكان محمد رضا شاه قد عينه رئيساً للسافاك ليشغله ويبعده عن قيادة أى وحدة عسكرية، وقد علا نجم تيمور خلال فترة زواج الشاه من الملكة ثريا بختيارى.

عمل تيمور على جمع الثروة بكل السبل ليعوض أوقات الفقر، حيث كان يلقي بالأبرياء فى السجن ليحصل على المال مقابل إطلاق سراحهم، حتى بلغت ثروته أكثر من مليار تومان بالإضافة إلى الجواهر والذهب والأراضى الواسعة والعقارات.

لم يزد عدد رجال السافاك فى عهده عن مائة وخمسين شخصاً ، ومع ذلك كانت الميزانية السرية التى تحت يده كبيرة.

قوى نفوذ تيمور حتى طمع فى رئاسة الوزارة، وقد اتصل بالأميرة أشرف پهلوى لتؤثر على الشاه لكى يوليه رئاسة الوزارة، وأمر صحيفتين بطبع صورته وكتابة عبارة (رئيس وزراء إيران القادم) ، ولما لم يتحقق مطلبه وأقاله الشاه، أحس بالضجر، وأقام قصراً فى سعد آباد لا مثيل له، به الأثاث الفاخر، وعلى أبوابه الحراس بالملابس الخاصة، وكان دائماً يستضيف سفراء الدول العربية والنواب والوزراء والقواد، ويعلن فى مكبر الصوت فى شارع سعد آباد بحضور الضيف لسمع محمد رضا شاه صوت المكبر.

ولما اشتد غيظ الشاه من أفعال تيمور نفاه إلى أوربا، فذهب إلى جنيف وبدأ حملة علنية ضد الشاه، ومنها توجه إلى فرنسا ثم بيروت، واستقر فى بغداد حيث واصل الهجوم على الشاه بدعم حزب البعث العراقى.

تابع السافاك نشاط رئيسه السابق، وعلى الرغم من حرص العراقيين لحماية بختيار إلا أنه قُتل على يد أحد المحيطين به (١-٥) وشرب من الكأس التى أذاقها لكثيرين.

وقد حل حسن پاكروان محل بختيار فى رئاسة السافاك، وكان من قبل نائبا له، ولكن بسبب نظافة يده لم يستمر طويلا، وأقيل فعمل وزيراً للإعلام فى وزارة هويدا ثم سفيرا فى باكستان ثم فرنسا وظل فى إيران حتى قامت الثورة الإيرانية وأعدم فى ١٣٥٨/١/٢٢ هـ.ش (١-٣).

السافاك جهاز القمع والقتل

كان جهاز السافاك - مثل جميع أجهزة الأمن فى العالم - تعمل على الحفاظ على النظام القائم - والفارق بين جهاز السافاك وغيره من أجهزة الأمن أن جهاز السافاك قد تهادى فى استعمال الوسائل للإنسانية من أجل تحقيق الغاية، ولهذا أسهمت هذه السلوكيات فى إثارة كوامن الغضب لدى الشعب الإيراني، فانطلقت، ولم يستطع أن يقف أمام سبلها أى لون من ألوان الشدة والقسوة.

لقد استعمل السافاك ألوان تعذيب أشد وأنكى من القتل، ألوان تعذيب جسدية ومعنوية، وتدمير للذات، وتخطيم للإنسان من داخله.

لقد أسهبت الكتب والمؤلفات (٢-٣) فى ذكر ألوان التعذيب التى كان يستعملها السافاك ضد الشعب الإيراني، ولكن مقالته الشاه فى هذا الشأن لهو خير دليل على وحشية السافاك، لقد قال الشاه: إن أشخاصا يغالون حول السافاك، ويظهرونه كقاتل للسجناء السياسيين ومعذب للمساجين، وأن السجناء ما بين ٢٥ إلى مائة ألف سجين سياسى (٣-٣).

(١-٣) خاطرات فردوست ٢ / ٤٤٨.

(٢-٣) انظر: الثورة الإيرانية، د. إبراهيم شتا ص ٣٧ وما بعدها - الشعر النسائى فى إيران فى ظل الثورة الإسلامية، د. أحمد الشاذلى ١٩٩٠ ص ٢٢ - إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية - طلال مجذوب بيروت ١٩٨٠ - الثورة الإسلامية - السيد زهره - الثورة الإيرانية - محمود النجار -
(٣-٣) پاسخ به تاريخ - ٣٤.

ويقول الشاه: لا يمكن أن أدافع عن أعمال السافاك، ربما أنهم قد سلكوا سلوكاً عنيفاً مع المعتقلين، لكن لم تصدر قرارات محددة منى بالمعاملة السيئة لهم، وأننى قد وافقت على أن يزور الصليب الأحمر المساجين (١-٠).

لقد أساء الشاه اختيار رؤساء وأفراد جهاز السافاك، ولم يتابع أعمالهم، ولعله تابعها وباركها، وعلى الرغم من وجود جهاز تحقيق ومحكمة ابتدائية واستئناف ولكنها كانت مجرد شكليات، وكان جهاز التحقيق جهاز تعذيب.

لم يكن الهدف من إنشاء السافاك إلا بث الرعب والفرع فى قلوب الشعب الإيرانى لإجباره للخضوع والاستسلام للنظام الشاهنشاهى، ولكن مؤسسى الجهاز لم يقفوا على البعد الدينى للشعب الإيرانى ولم يقفوا على دور المذهب الشيعى والأئمة ورجال الدين.

إن السافاك لم يكن يوماً فى صالح النظام، بل إنه كان بمثابة المعول الذى حفر تحت جدار النظام، كان بمثابة الفأس التى اجتثت النظام من جذوره.

(١-٠) يقصد بذلك العام الأخير فقط من حكمه.

- ٦١ -

العله الثالثة

أمیر عباس هویدا

(أطول رئیس وزراء محمد رضا شاه أمدا)

أمير عباس هويدا

لم يبق إلا ثلاثة الأثافي التي قام عليها نظام الشاه - أسرة الشاه - السافاك - أمير عباس هويدا ، ثلاثة عناصر تأسس عليها النظام الشاهنشاهي ، وثلاثتهم كانوا أس الفساد في البلاد ، اختلفوا عن بعضهم البعض في أشياء كثيرة واتفقوا جميعا حول الفساد .

على الرغم مما قاله فريدون هويدا في حق أخيه ، وامتداحه لفترة حكمه إلا أن نبرة الصدق غير متوافرة ، وعلامات التردد واضحة حيث يسارع فريدون إلى إلقاء التقصير في عنق الشاه ، فهو يمدح فترة رئاسة أخيه للوزارة ولكنه يعاود التنكر للمساوئ والمفاسد ويعلقها في ذمة الشاه .

أمير عباس هويدا هو ذلك الرجل الذي تقلد منصب رئاسة الوزارة في إيران ثلاث عشرة سنة ، وقد وصل الفساد في عهده إلى الذروة ، وقويت في عهده العلاقات الحميمة بين البلاط الشاهنشاهي والقوى الغربية الصهيونية .

لقد علا نجم محمد رضا شاه في فترة رئاسة هويدا للوزارة ، وبدا هويدا أمام الرأي العام لشعب إيران كوجه "مسلوب الإدارة" وقد ركز فريدون هويدا على هذه الصفة كثيرا في كتابه " سقوط الشاه" .

هويدا في وزارة الخارجية

نال هويدا شهادة الليسانس في العلوم السياسية من بروكسل سنة ١٩٦٢ وعمل بعد إتمام درسته في وزارة الخارجية بوساطة محمد ساعد مراغه ای .

كان أمير عباس ملماً باللغة الفرنسية والعربية والإنجليزية والإيطالية والألمانية مما سهل له التعيين في وزارة الخارجية وهو في سن الرابعة والعشرين ، وجاء في تأشيرة الوزير الذي عينه :

"بموجب هذا الأمر يعين السيد عباس هويدا من تاريخ ١٣٢٢/٦/١٢ على الدرجة الثالثة بوظيفة موظف إدارة بمكتب الوزير ويحول إليه مسئولية هذا العمل (١-×).

لم يستمر هويدا طويلا في عمله بالخارجية حيث جُند لأداء الخدمة العسكرية بكلية الضباط، وعندما أنهى فترة التجنيد عاد ثانية إلى الخارجية، وعمل كعضو في إدارة المعلومات، ثم انتقل إلى الإدارة السياسية الثالثة وبَعدها أُوُفِدَ إلى بيروت للعمل بسفارتها وذلك لمرافقة أمه التي كانت تقيم ببلبنان بعد وفاة أبيه (٢-×).

عاد هويدا من بيروت بعد عام حيث أُرسل إلى باريس للعمل بسفارة إيران ثم عمل قائما بالأعمال في ألمانيا (٣-×) وهناك تعرف على رجال حزب توده.

وخلال عمله في أوروبا اعتقل بتهمة تهريب المخدرات، ولكن أُطلق سراحه بتدخل البلاط، وقد نشرت الصحف هذه الفضيحة (٤-×).

وعُيِّن أمير عباس في عام ١٩٥٠ في قنصلية إيران في اشتوتجارت بألمانيا، وهناك تعرف على عبدالله انتظام - الذي كان يرتبط بوزير الخارجية على أكبر سياسى - بعلاقة حميمة، فأرسل إليه ليعين هويدا قنصلا باشتوتجارت، وعلى الرغم من أن هويدا لم يكن يستحق المنصب إلا أنه عين بصفة استثنائية.

استدعى عبدالله انتظام - عندما تولى وزارة الخارجية - هويدا إلى طهران، وعمل بمنصب كاتب الوزير الخاص ونائب الإدارة السياسية الثالثة، ولكنه سرعان ما

(١-×) جستارهایی از تاریخ معاصر ایران - ظهور وسقوط سلطنت پهلوی - مؤسسه مطالعات و پژوهشهای سیاسی - جلد دوم - تهران ١٣٧٠ ص ٣٦٧.

(٢-×) گذشته ٢ / ٣٦٨.

(٣-×) کُزراهه - خاطراتی از تاریخ حزب توده - إحسان طبری - تهران ١٣٦٦ ص ٢٢١.

(٤-×) روزنامه، کیهان مورخ ١٤ - ١٩ بهمن ١٣٢٥ - مجله خواندنیهای سال هفتم شماره ٤٩.

- ٦٥ -

انتقل إلى الأمم المتحدة، وعمل في مؤسساتها بجنيف، ثم انتقل إلى أنقرة للعمل مستشارا بالسفارة، ثم قنصلاً.

عاد هويدا بعد ذلك وعمل في الشركة الوطنية لنفط إيران كمسئول من وزارة الخارجية.

هويدا وشركة البترول

عمل هويدا ست سنوات في شركة البترول، ولكنه أيضا كان يعمل لحساب السافاك، حيث كان يسعى لتجنيد المؤهلين للعمل بالجهاز، وكان هو نفسه أحد المتعاونين في الخفاء مع السافاك في عهد بختيار (١-٢).

كان حسن على منصور وزير المالية صديقاً لهويدا، وقد وعده بمنصب الوزارة، وكان يعرف علاقته بالسافاك.

هويدا ورئاسة الوزارة

اختار الشاه هويدا لرئاسة الوزارة في سنة ١٣٤٣ هـ.ش (١٩٦٥) (٢-١)، واستمر ثلاث عشرة سنة حتى سنة ١٣٥٦ هـ.ش (١٩٧٧)، وقد كان الشاه يرغب في رئيس وزراء مطيع للأوامر الشاهنشاهية، ولاشك أن عمله في السافاك قد زكاه لذلك.

وعزل الشاه أمير عباس عن رئاسة الوزارة، وعينه في منصب وزير البلاط.

وبعد عام واحد وثلاثة أشهر أصدر نعمت الله نصيري رئيس السافاك أمراً باعتقال هويدا.

اعتقل هويدا في ٨ نوفمبر ١٩٧٨، وعندما اشتعلت الثورة أطلق سراحه جماعة من المتمردين، واختفى في منزل أحد أصدقائه واتصل تليفونيا برجال الثورة وأعطاهم

(١-٢) الإدارة العامة التاسعة للسافاك وهي إدارة التحقيقات.

(٢-٢) شكست شاهانه ١٧٩.

العنوان (١-×)، ولكن بعض المصادر تذكر أنهم قبضوا عليه في سجنه (٢-×).

يقول الشاه في مذكراته (٣-×)؛ لما كان ازهارى راغباً في أن يبدى لمعارضيه حسن النية، لذا اعتقل ١٢ شخصا من كبار المسئولين من بينهم هويدا، اعتقله في بيته وقال لى: إنه سيقدمه لمحاكمة عادلة ...، لم أثق في هذا الأمر كثيراً، ولكن السيد هويدا - الذى كنت احترمه من صميم قلبى - كان هدفاً من أهداف المعارضين، وطلبت منه أن يقترح على السيد هويدا أن يختار مسئولاً في الخارجية - واقترحت سفارة بلجيكا ولم يقبل الاقتراح.

وفر الشاه، وأمير عباس في معتقله، وقُبض عليه رجال الثورة الإسلامية، وقدموه للمحاكمة العلنية، وأعدم في ١٨ فروردين ١٣٥٧ (١٥ مارس ١٩٧٨) - وكان قد طلب مهلة لمدة شهر لكتابة عريضة دفاع، لكن المحققين رفضوا، وأعدموه.

هويدا البهائى

كان جد أمير عباس هويدا بهائياً، وكان مريداً لعباس أفندى البهائى، لذا سافر إلى عكا، وأقام معه لخدمته، وأرسل ابنه عباس إلى أوروبا على نفقة البهائيين ليتعلم ويعود إلى طهران ليعمل مترجماً - ويحصل على لقب عين الملك، ويلتحق بوزارة الخارجية بمساعدة البختياريين.

وعمل عين الملك في سورية ولبنان وخلال عمله كان يعمل على نشر البهائية في المنطقة.

كان عين الملك والد أمير عباس مقرباً من الملك سعود كثيراً بحكم عمله وزيرا مفوضاً، وقد نشرت الصحف خبر نشره للبهائية، ولكنه مرض في بيروت، بعد أن زار

(١-×) پاسخ به تاريخ ٣٨٠.

(٢-×) خدمتگزار تخت طاووس - پرويز راجى - انتشارات اطلاعات تهران ١٣٦٤.

(٣-×) پاسخ به تاريخ ٣٥٠.

قاضى الشيعة فى لبنان، وأعلن التوبة، ولكنه عاد إلى خدمة عباس أفندى البهائى. كان لعين الملك ولدان هما أمير وفريدون، وقد سلكا مسلك أبيهما فى نشر البهائية.

كان أمير عباس هويدا معروفاً بأنه بهائى مما سبب نفوراً عاماً بين الشعب، وأظهر عدم رعاية الشاه للرأى العام.

فساد هويدا

اشتهر أمير عباس هويدا بين الخواص، وعلى مستوى المجتمع أنه رجل جنسى، وكان محمد رضا يعرف هذه الصفة تماماً، وهذا دليل على فساد الشاه نفسه.

كتب شخص يدعى خليل انقلاب آذر رسالة إلى هويدا^(١-×) جاء فيها: "أنت شخص ليس لديك أسرة، وليس لديك مروة ولا تقوى ولا نخوة، وبصدق عليك قول أمير المؤمنين: إنه سيأتى زمن تُنسى فيه الفضيلة فى المجتمع ويجلس الأوباش والأشرار على كرسى الحكم، ويقبضون على زمام الأمور، ويظهر فى سلوكك المخجل معنى أنك لا ارتباط قلبى أو معنى لك بأبناء إيران، أنت اسماً إيرانى ورسماً لست كذلك... ويختم رسالته قائلاً: كانت هذه الرسالة درس الأستاذ لتلميذ وقح.. مع اشمئزى اللامتناهى.

وفى تقرير للسافاك^(٢-×) عن فساد أمير عباس هويدا جاء فيه أن زوجته وجدته ذات مرة فى فراشها يلوط، مما دفعها للمطالبة بالطلاق.

هذا هو أمير عباس هويدا - الذى كان إعدامه دافعاً لأن يكتب فريدون هويدا كتابه - سقوط الشاه - ليبرى ساحة أخيه، لعل فريدون لا يعرف حجم الفساد الذى كان عليه أمير عباس.

إن أمير عباس هويدا - أحد أركان النظام - وآخر مسمار فى نعش النظام الشاهنشاهى.

(١-×) جستارهایى از تاریخ معاصر ایران جلد دوم ص ٣٩٥.

(٢-×) گذشته ٢ / ٣٩٧.

- ٦٩ -

سقوط الشاه (فريدون هويدا)

- ٢ -

ترجمه عن الفارسية وعلق عليه
د. أحمد عبد القادر الشاذلي
كلية الآداب / جامعة المنوفية

مقدمة ج ١٠، مهراڤ

نشر هذا الكتاب مجرد محاولة لاطلاع شعب إيران ووجهات نظر خدام النظام السابق، وهو تكرار لقصة الشاه والبلاط والأوضاع السائدة فى البلاد فى تلك الأيام، التى كان للفساد والخبائنة والعمالة بريق، وعجيب أن هذه القصة مهما حكيت، فإنها غير مكررة.

مؤلف الكتاب، "فريدون هويدا" الذى نال الجاه والمنصب ببركة رئاسة أخيه (أمير عباس هويدا) للوزارة، وفى السنوات الأخيرة لنظام الشاه عمل كسفير لإيران فى منظمة الأمم، وعلى الرغم من أنه قد كتب هذا الكتاب فى الغالب ليبرىء أخاه، ولكن فى خلال الكتاب يفشى أسراراً ضد حكومة الشاه، ويعرضها على الملأ كخبير ومطلع على الأمور.

حقيقة، لم يغفل فريدون هويدا فى كتابه؛ الانتقام من الجمهورية الإسلامية، بسبب إعدام أمير عباس هويدا على يد محكمة الثورة، ولم يغفل عن إهانة وقذف الحكومة الإسلامية الإيرانية، ولكن هذا بسبب أن المؤلف فيما يتعلق بأمر الثورة الإسلامية يده بعيدة عن النار، وأصلاً لم يدرك الوقائع الجارية فى أثناء الثورة، فليست بذات أهمية ويمكن تجاوز وتنحية جميع أكاذيبه ودعاويه الخاوية، ويمكن أن نعتد بتصريحاته الخاصة بمسائل نظام الشاه لأنه كان لأكثر من عشر سنوات من المقربين للشاه وأشرف، ويتصل مباشرة بالأوضاع التى كانت تجرى فى الحكومة والبلاط، وفى هذا الصدد؛ حتى وإن كان يتصدى لتصفية حسابه من شخص الشاه أيضاً -عندما تسائل - لماذا ألقى أخوه بالسجن كدرع بلاء له؟ فإنه لا يفسد قيمة أسرارهِ المعلنة ضد الشاه، لأنه لو كان مغرضاً جـدلاً فإننا نقبل تصريحات فريدون هويدا الخاصة بنظام الشاه، ومعنى آخر هل كان يقصد أن يشير متعمداً لتلويث فترة رئاسة أخيه.. فمهما يكون فإن الشاه وهويدا فى نظر محكمة التاريخ شريكان على الأقل لمدة ١٣ سنة فى الخير والشر، ولا يمكن مطلقاً أن يتم فصل أعمالهما طوال فترة رئاسة هويدا للوزارة عن بعضها.

وفيما يتعلق بالأمور المشابهة التي أوردها فريدون هويدا الخاصة بأيام ما بعد انتصار الثورة ومحاكمة أعمدة النظام السابق، فى كتابه، يجب التوضيح أن مشكلته فقط تتلخص فى "عدم معرفة أسلوب الثورة" وكفى، وعلى هذا المعنى فإنه عندما افترض أن "الثورة" مسألة شبيهة "بالانقلاب" أو "تغيير حكومة عادية" فإن توقعه أن يجلس مسئولو النظام الثورى ويتبعوا الأساليب السابقة ويقلدوا الأنماط المشابهة، ويتخذوا قراراً فيما يخص النظام المهزوم والعناصر المؤيدة، بينما لا يعرف: أن الثورة كسيل صاخب عندما يتحرك يحمل كل شىء فى طريقه ويسحقه، حمى الثورة - خاصة فى مراحلها الأولى - حامية لدرجة أنها لا ترحم أحياناً حتى مؤيديها، وفى وسط هذا السيل الصاخب كم من أفراد يختفون لأنه لو كان سير السيل قد تأخر أكثر لعدة أيام لكان مصير آخر قد بدا.

ولكن فيما يتعلق بأمر عباس هويدا أصلاً لا ضرورة لطرح مسألة، "الثورة" ذريعة لنهاية أمره، لأنه لو تصادف فرضاً سقوط نظام الشاه إثر أحداث غير الثورة، بشرط أن يتولى النظام التالى أيضاً مؤاخذه ومحاكمة العناصر الموالية لنظام پهلوى، فإن مستقبل هويدا لم يكن يُكتب له شىء آخر غير ما فعلته به محكمة الثورة، لأنه حتى فى نظر الدستور السابق كان هويدا أيضاً يعد مجرماً فى المقام الأول، ولا تختلف نتيجة أمره كثيراً، وعلى هذا فإنه طبقاً للقانون فيما يتعلق بهويدا فإنه طالما يتولى رئيس الوزراء مسئولية شئون البلاد فإن الشاه يعد شخصاً غير مسئول، لذا لن يستطيع هويدا مطلقاً بسبب كونه جزءاً من "النظام" أن يثبت عدم ارتباط جرائم ومفاسد الشاه به، ويخلص نفسه من العقوبات.

وكان الدستور السابق يعتبر هويدا صراحة المسئول الوحيد للجرائم التى ارتكبتها سافاك الشاه فى عهد رئاسته للوزارة، مع الإشارة إلى أن رئيس السافاك رسمياً يعتبر "نائباً لرئيس الوزراء"، ولا يمكن لكلام هويدا فى المحكمة والخاص بعدم اطلاعه على

أعمال السافاك مطلقاً أن يبرئه من تهمة المشاركة فيما تم من قبل الشاه والسافاك، خاصة أنه بشهادة "عباس على خلعتبرى" فى محكمة الثورة؛ أن أغلب أعضاء حكومة هويدا كانوا أيضاً دائماً أعضاء فى السافاك (صحيفة اطلاعات ١٩ فروردين ٥٨).

بالنظر فى صحف يوم ١٩ فروردين ٥٨ (خاصة صحيفة اطلاعات التى نشرت شرحاً كاملاً لمحاكمة أمير عباس هويدا) تروى حقيقة هى أنه لم يتفوه بكلام غير ما تحدث به فى محكمة الثورة.

وبالتأكيد إذا كانت عشر سنوات قد منحته وقتاً ولم يفش مطلقاً أى أمر لأن جريئته أكبر ، ولما كان من المؤكد أن يعرف أنه طبقاً للقانون السائد فى زمن رئاسته للوزارة فإن مسؤولية جميع الأحداث التى حدثت فى البلاد؛ ملقاة على عاتقه.

فى التحقيق، عندما سُئل هويدا، ماهى قضية رستاخيز؟ أجاب: "كنت الأمين العام لرستاخيز، ولكن لم يكن لدى إيمان به" وهذا نموذج للدفاع شخص يقول عنه أخوه فى هذا الكتاب: لو كان قد مُنح الفرصة كان من الممكن أن يبرىء نفسه من جميع التهم القائمة!!... بينما غير معلوم فى الواقع. كيف ينتظر من شخص أن يقوم بالدفاع بعد كل هذا الذى قاله عن الشاه فى عهد رئاسته للوزارة، وبعدها فى يوم ٢١ بهمن ٥٧ خلال مكالمة هاتفية، يقول أخوه له: "الآن أدركت أننى أخطأت فى الحكم على الشاه...." (صفحة ٢١٢ نفس الكتاب) ولكنه يرفض قول نفس هذه الجملة فى محكمة الثورة.

طبع فريديون هويدا هذا الكتاب فى سنة ١٩٧٩م (١٣٥٨ هـ.ش) باللغة الفرنسية فى باريس، وبعد فتره (١٩٨٠) نشر ترجمته الإنجليزية فى لندن ونيويورك، والمثن الإنجليزية المنشور فى لندن ونيويورك يختلفان فقط من ناحية صف الحروف وعدد الصفحات، ومع أن موضوعاتهما واحدة وقد تم الاستفادة فى الترجمة الفارسية أيضاً من المثن الإنجليزية طبعة لندن.

تقديم:

الثلاثاء ٣ أكتوبر ١٩٧٨ م (١١ مهر ١٣٥٧ هـ.ش) مطار أورلي ، باريس
فى جو باريس الملبد بالغيوم، هبطت طائرة بوينج عملاقة بسلام على مدرج
المطار، وبعد أن خفت من سرعتها، دارت نحو مكان توقفها، ووقفت.
بعد فتح باب الطائرة، لاح رجل أنيق على مخرجها ، يماثل سياح القرن الماضى
ويدا كأنه آت من زمن سحيق، وقد خطا نحو الحاضر الذى يختلف تماماً عن كل ما كان
يعيش فيه.

كان موظفو المطار ومضيفات الطائرة ينظرون إليه نظرة متفحصة، ومن المحتمل
أنهم كانوا يفكرون من أى عصر تاريخى يكون مثل هذا الرجل ذى العمامة السوداء،
واللحية البيضاء.

مسافر غير عادى، ذو نظرة ثاقبة ، كان ينظر إلى الأمام بعيونه ذات الحواجب
الغزيرة والرموش الهزيلة ، هبط على سلم الطائرة ، وبعد عدة خطوات تحلق به أصدقاؤه
الذين كانوا فى انتظاره، ورافقهم إلى مبنى المطار، وهناك بعد تفحص ضابط شرطة
لجواز سفر المسافر، قرأ اسمه "روح الله موسوي خميني" (١).

وتوجهت هذه الجماعة بعد عبور الجمرك إلى مكان ناحية بوابة المطار، ووقفوا
عدة لحظات بجوار لوحة تذكارية محفور عليها جملة للجنرال ديجول، كانت تصف
المطار "كمكان للقاء الأرض بالسماء".

وكانت نفس هذه النقطة، نقطة التقاء آية الله خمينى (١-خ) مع جماعة المعارضين
للنظام الإيرانى، مهددة لكي يستخدم المذهب كعامل محرك وأساسى للثورة، ورابط
"لللقاء الأرض بالسماء".

(١-خ) آية الله خمينى ولد ببلدة خمين فى العشرين من جمادى الثانية من عام ١٣٢٠ هـ
(١٩٠٢/٩/٢٤ م) درس العلوم الدينية فى الحوزة العلمية بأراك، كما درس الأدب، وانتقل إلى =

الثلاثاء ٣ أكتوبر ١٩٧٨ م (١١ مهر ١٣٥٧ هـ.ش) طهران - إيران.

تتلاً قمم جبال البرز تحت أشعة الشمس، وفي كنفها، يفرك محمد رضا بهلوى - آريامهر (١-خ) - شاهنشاه فى قصره؛ يديه، تعبيراً عن السعادة ، لأنه قد استطاع فى النهاية أن يتخلص من قبضة الرجل الذى كان بعد نفيه إلى النجف (٢-خ) لا يزال مثل الشوك فى طريقه، وقد أحس بالراحة.

وتصور أنه بوجود مسافة ٥٠٠٠ كيلو متر بُعداً عن إيران، لن يجدى تصرف الخمينى، ولا يمكنه أبداً أن يتحرك خطوة صوب الانسقاط عرشه، وارتسمت ابتسامة على وجه ملك الملوك تعبيراً عن رضائه، وفى نفس الوقت، وهو يحس باللذة، لأنه تمكن أيضاً أن يبعد عن طريقه، وبمهارة، أحد مخالفيه الآخرين، أرسل برقية لوزير خارجيته "أمير خسرو أفشار" فى نيويورك ليشكره على ما تكبده، لأنه تمكن خلال انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة الاستفادة من توجيهات الشاه وبعد مباحثات مع نظيره العراقى، لإيضاح مشاكل آية الله، وتهيئة أسباب طرده من العراق (٣-خ).

وحتى هذه اللحظة لم يخطر ببال "شاهنشاه آريامهر" ابن رضا شاه" والامبراطور الثانى فى سلسلة بهلوى، مطلقاً، أن نفس هذا الثالث من أكتوبر ١٩٧٨ م، ليس إلا

= قم ودرس الفقه والأصول ونال درجة الاجتهاد وعمل مدرساً للفقه والفلسفة والعرفان والأخلاق، واختير مرجعاً عاماً فى قم بعد وفاة آية الله بروجردى ، وتعاضم نشاطه من سنة ١٩٦١ إلى ١٩٦٣ وفى ١٣ خرداد ١٣٤٢ هـ.ش (١٩٦٣/٦/٣) هاجم الشاه مما أدى إلى انتفاضة شعبية فى المدرسة الفيضية ، فاعتقله رجال الشاه فى ١٥ خرداد ١٤٣٢ هـ.ش، واحتج الشعب فى مظاهرات عارمة، واصطدمت بالجيش ، وقتل الكثيرون ، وظل الإمام خمينى فى معتقله لمدة ثلاثمائة يوم ، وتم نفيه إلى تركيا فى ١٩٦٤/١١/٤ ثم العراق حتى أخطر للرحيل من النجف إلى باريس فى ١٩٧٨/١٠/٣٦ ثم عاد إلى طهران يقود الثورة فى ١٩٧٩/٢/١.

(١-خ) آريامهر؛ حبيب الآريين.

(٢-خ) تم نفى آية الله خمينى إلى النجف فى نوفمبر ١٩٦٤ هـ.

(٣-خ) طرد الإمام الخمينى من العراق فى ١٩٧٨/١٠/٣ حيث توجه إلى الكويت التى رفضت =

بداية لنهاية أمره، بل إنه سيكون أيضاً نهاية خمسة وعشرين قرناً^(١-x) من الحكم الملكي لإيران.

وجعل توجه خميني إلى "نوفل لوشاتو" (تقع على بعد عدة كيلو مترات من باريس)، منه، فجأة أبرز شخصية سياسية في العالم.

ولأول وهلة كان هذا الأمر مثيراً لاهتمام الإذاعات والتلفاز والصحف به، بالإضافة إلى أن رسائل خميني كانت تصل عن طريق باريس بشكل أكثر سهولة عن ذي قبل إلى الشعب الإيراني.

عهداً إلى التنظيمات السابقة المعارضة للنظام في أوروبا أيضاً، والتي كانت تكافح على الرغم من سيطرة السافاك^(٢-x) في إيران؛ بدور مهم، وقوض أعضاؤها الملتفون حول خميني له السلطة لإسقاط نظام الشاه.

لم يكن لآية الله في النجف مثل هذه الحرية في التصرف كما كانت له في باريس، فقد جعله المستولون العراقيون هناك دائماً تحت مراقبتهم الدقيقة، وسعوا قدر الإمكان للسيطرة على "المراجعين"، ولم يقترب منه مراسل أجنبي قط.

= منحه تأشيرة دخول، فتوجه إلى فرنسا في ٦/١٠/١٩٧٨ واستقر في نوفل لوشاتو حتي عودته إلى طهران.

(*) يدعى المؤلف أن إيران ظلت خمسة وعشرين قرناً في ظل حكم ملكي وهذا ترديد لما قاله الشاه إن الحكومة الملكية في إيران تمتد لثلاثة آلاف سنة، (باسخ به تاريخ نوشتہ محمد رضا پهلوی ترجمہ دکتر حسین آبر ترابیان تهران ١٣٧١ هـ.ش) چاپ دوم ص ٣٧) وهذا قول مرفوض لأن إيران لم يحكمها حكومة ملكية إلا تسعمائة سنة فقط.

(***) السافاك : اسم ساواك من الحروف الأولى لـ "سازمان امنیت واطلاعات كشور" (باسخ به تاريخ ص ٣٣٧) أو "سازمان اطلاعات وامنيت كشور" (شكست شاهانه، ملاحظاتى درباره سقوط الشاه، ماروين زونيس ترجمه إسماعيل زند بتول سعیدی تهران. ١٣٧ هـ.ش. ص ١٢٦) وتعنى منظمة استخبارات وأمن الدولة.

ولكن منذ جاء آية الله إلى باريس في الثالث من أكتوبر^(٢)، تسارعت الأحداث، وأخذت المواجهة بين الشاه وخميني أبعاداً جديدة، وكأنا لاعبا الشطرنج اللذان كانا قد أوقفا صراعهما خمسة عشر عاماً، قد دخلا الآن الحلبة، وبينما كانت الحركة الأولى لخميني كان الشاه يجلس مفعماً بالأمل، مطمئناً للمستقبل، منتظراً حركته.

لمعرفة سبب العداوة بين هذين الرجلين من الأفضل أن نلم بالماضي. لم يكن زعماء التشيع في المجتمع الإيراني في أي وقت في عون رضا شاه، رأس الأسرة البهلوية، ولكن عندما لم يجدوا في أنفسهم القدرة على الصراع المباشر معه، اضطروا للرضوخ للواقع، وصمتوا.

وسلك محمد رضا شاه بعد عودته إلى السلطنة سنة ١٩٥٣م (٢٨ مرداد ١٣٣٢ هـ.ش) نفس المسلك مع الثورة، بمساعدة قائد الجيش زاهدي^(١-خ) (والد أردشير زاهدي وبمساعده) وحماية السي. آي. آيه^(٢-خ).

واستطاع خلال عشر سنوات أن يحرر نفسه من شر الحكومات التي فرضها عليه الأمريكان، وبالسيطرة الكاملة على الدولة، وبدأ ينفذ منذ أوائل عقد ١٩٦٠م (١٣٤٠ هـ.ش) عدة خطوات مثل إصلاح الأراضي والتحديث^(٣).

(١-خ) زاهدي هو فضل الله زاهدي، اشترك في الثورة ضد مصدق، وصدر فرمان من الشاه بتعيينه رئيساً للوزراء، وكان زاهدي من أسرة ثرية جداً من ملاك الأراضي ومن الأمراء الموثوق فيهم عند رضا شاه، وقد استعمله رضا شاه في تحطيم قوة العشائر التركمانية في الشمال، وأرسله للقضاء على الشيخ خزعل في المحمرة، وفي الحرب العالمية الثانية وسبب ميوله للألمان، أسره الإنجليز ونفوه إلى فلسطين ثم الهند ثم عاد إلى إيران بعد انتصار الحلفاء، ونال رضا شاه محمد رضا وتقلد منصب القائد العام للشرطة حتى تولى منصب رئيس الوزراء (ظهر وسقوط سلطنة بهلوي - خاطرات ارتشيد سابق حسين فردوست تهران ١٣٧٠ - چاپ دوم - مجلد أول ص ص ١٧٦ - ١٨٤).

(٢-خ) C.I.A. Central Intelligence Agency سازمان اطلاعاتی آمریکا (سيا) وكالة المخابرات الأمريكية المعروفة بوكالة المخابرات المركزية.

واجهت برامج الشاه مع مرور الأيام ردود أفعال، ظهر أشدها من الخميني بدعوته لآتباعه بالثورة عند الشاه، واستطاع أن يثير الاضطرابات في طهران سنة ١٩٦٣م (١٥ خرداد ١٣٤٢ هـ.ش) (١-٢)، وفي المقابل أظهر الشاه أيضاً رد فعل شديد بسحق المتمردين (٢-٣) وقتل جماعة منهم، وألقى أيضاً بالخميني في السجن (٤).

ولكن عندما أثارت هذه الخطوة اعتراض وثائرة المحافظ الدينية نفى الشاه آية الله، وأرسله بعد فتره قصيرة من الإقامة الجبرية في تركية إلى النجف في العراق (٥).

وإلى هنا كان الشاه قد لعب الدور الأول في السباق بمهارة، ولكن الخميني صاحب العزيمة، لم يقبل الهزيمة بهذه السهولة، وقال عقب الطرد من إيران: "سيرى كلام من سيقبل شعب إيران، إن الله مع الصابرين"، وبعد خمس عشر سنة استأنف العدوان بعنف صراعهما الذي كان قد نسي.

ومن الوقائع العجيبة هي أن انتصار الشاه سنة ١٩٦٣م وأيضاً فوز الخميني سنة ١٩٧٩م قد أيدهما الشعب في استفتاء بأغلبية ٩٥ في المائة (٦) مع هذا التناقض الشديد المتمثل في أن نتيجة الاستفتاء الأول كانت موافقة على الحكومة الملكية وتحديث الدولة (٣-٤) ونتيجة الاستفتاء الثاني الموافقة على استقرار الجمهورية الإسلامية ومعارضة تحديث الدولة (٧).

ولكن لكل مشكلة علتها سواء من قبيل المنافسة أو الصدف المحضة، إلا أنها لا تستحق الاهتمام، والنقطة التي تحتاج إلى تعمق في هذا الشأن هي التغير الكامل في وجهة نظر الشعب والتي ظهرت طوال ١٥ سنة فقط، وإيجاد إجابة لهذا

(*) ألقى الخميني خطاباً في المدرسة الفيزية في ١٩٦٣/٦/٣ هاجم فيه تبعية النظام الشاهنشاهي لأمريكا وجرائم أمريكا وإسرائيل ودعا العلماء للثورة وقد تم اعتقاله في ١٥ خرداد. (***) احتلت الدبابات وتوالى إطلاق الرصاص لقمع الانتفاضة بينما كانت المظاهرات مستمرة ليومين كاملين.

(***) يقصد به الاستفتاء الذي عقد في يناير ١٩٦٣ (بهم ١٣١٤).

السؤال: لماذا واجه الرأي العام للشعب الإيراني مثل هذا التغيير الصارخ؟

هدفى من هذا الكتاب أيضاً البحث عن أسباب هذا التغيير، وأقصد المشكلة حتى يمكننى أن أوضح خواطرى وتجاربى الشخصية معتمداً على الوقائع المتعلقة بأواخر عهد سلطنة الشاه.

بقى لى أننى أرجو من قراء الكتاب أن يقبلوا عذرى، ولا يحملوا علىّ إذا ما خرج زمام قلمى من بين يدى أحياناً من شدة تأثرى.

وليس لهذا الأمر علة مطلقاً باستثناء حادثة قتل أخى أمير عباس هويدا (١-٣) على يد المحكمة ولا يمكن أن أنساها مطلقاً، ويجب أن أؤكد أيضاً أن هذا الأمر مبعث اطمئنان خاطرى بسبب مااتفق عليه آية الله خمينى مع رئيس جمهورية فرنسا (وقد أشار الرئيس جيسكار ديستان إليه فى مؤتمر صحفى فى شهر إبريل سنة ١٩٧٩).

(١-*) أمير عباس هويدا، رئيس وزراء إيران فى عهد الشاه من سنة ١٩٦٥ (١٣٤٤ هـ.ش) إلى سنة ١٩٧٨ (١٣٥٦ هـ.ش). وقد أمر الشاه باعتقال هويدا فى نوفمبر ١٩٧٨ (أبان ١٣٥٦ هـ.ش). وقد اعتقله ازهارى مع اثنى عشر شخصاً آخرين، وقد وقع فى يد رجال الثورة وحوكم محاكمة سريعة وأعدم- (پاسخ به تاريخ ٣٤٩ - ٣٧٩).

- ٨١ -

الفصل الأول بداية النهاية

الفصل الأول

بداية النهاية

"لا يقدر أحد على قلب نظام حكمي، طالما أن سبعمائة ألف جندي، مع جميع العمال وأغلبية شعب إيران يؤيدونني"

(من كلام محمد رضا شاه بهلوي
مجلة أخبار أمريكا وأبناء العالم
بتاريخ ٢٦ يوليو ١٩٧٨)

الأحد ٣١ ديسمبر ١٩٧٧م (١٠ دي ١٣٥٦ هـ.ش) طهران - إيران
وصل الرئيس كارتر (*) (١-) وزوجته في طريقهما إلى الهند، إلى إيران، حتى يقضيا ليلة رأس السنة الميلادية الجديدة مع الشاه في قصر نياوران (*-٢).
أثار لقاء كارتر والشاه فضول المراسلين، طالما أن الرجلين كانا قد أجريا مباحثات الشهر الماضي في واشنطن مع بعضيهما (*-٣) ولم يكن يدرك المراسلون سبب توقف كارتر في إيران وكيف يتذرعون سبب لقائه الثاني مع الشاه؟
وحقيقة ذلك هو أنه لما كان المسئولون الأمريكيون السابقون ينتقدون أحياناً السلوك الدكتاتوري لنظام إيران لذا صمم كارتر خلال هذا اللقاء أن يظهر حمايته لنظام الشاه، ويطلع الشاه بشكل منفرد أنه قادر على إرضاء خاطر رئيس جمهورية أمريكا بشأن مسألة حقوق الإنسان.

(*-١) زيارة كارتر إلى إيران أثناء توجهه إلى الهند كانت في ١٠ دي سنة ١٣٥٦ هـ.ش، وقد وصف إيران بأنها "جزيرة الاستقرار" (شاه و كارتر نوشتہ: مايكل لدين ووليام لويس ترجمة مهدي افشار چاپ أول ١٣٧١ ص ٣٧-٤٠).
(*-٢) قصر نياوران أشهر القصور التي كان يقيم فيها الشاه في طهران وهو على مقربة من سجن نياوران، ويفصل بينهما حديقة عامة ويتصل القصر بالسجن بممر تحت الأرض.
(*-٣) كان هذا في ٢٠ آبان ١٣٥٦ هـ حيث سافر الشاه وزوجته للقاء كارتر، وهناك واجهتهما مظاهرات قادها المعارضون أمام البيت الأبيض (پاسخ به تاريخ ٣١٦).

وعند منتصف الليل بدأت السنة الجديدة وقرع رئيسا الدولتين، أمريكا وإيران، كأسيهما المملوءين بالشمبانيا، وشربا نخب السلام، وعندئذ دارت كؤوس الشامبانيا على ضيوف الشاه، وبارك كارتر تطور إيران السريع وأعرب عن سروره للشاه المستنير، وأبدى حماية كاملة لبلاده.

ولم تكد تمر سنة على هذه الواقعة حتى تدفق مئات الآلاف من الشعب الإيراني في شوارع المدن الكبرى للبلاد وهم يهتفون "الموت للشاه".

بالإشارة إلى هذا الوضع، كيف استطاع رجل خبير مثل رئيس جمهورية أمريكا أن يرتكب مثل هذا الجرم الفاحش في تصريحاته بينما تلقى في اليوم السابق لزيارته لإيران ما يمكن أن يكون تحذيراً، وهو حادثة انفجار قنبلة مقابل بناية المركز الثقافي الأمريكي في طهران؟ ومن المؤكد أيضاً أن مصادر الاستخبارات قد أبلغت كارتر أنه قبل وصوله بيومين أغلق طريق السير من مطار مهرآباد (١-*) حتى قصر الشاه تماماً أمام وسائل النقل، واحتل رجال الشرطة جميع المنازل والشقق التي تقع في طريق مرور رئيس أمريكا.

إن كارتر بنفسه شاهد على مظاهرات الشهر الماضي للمنقيين (٢-*) مقابل البيت الأبيض وكانوا يصيحون "الموت للشاه" عند استقباله له، ومن المؤكد أنه يعرف أن مظاهرات فاترة وباردة لجماعة مؤيدة للشاه في زاوية أخرى من تدبير أردشير زاهدي ومستولى السافاك مستفيدين من الإيرانيين المرتزقة.

وعلاوة على ذلك فإن كارتر لا يمكنه مطلقاً أن يهمل الانتقادات الشديدة لنظام الشاه في الجامعات الأمريكية وبعض وسائل الإعلام، وألا يرى النشاط المتجدد

(١-*) مطار طهران الدولي.

(٢-*) قام عدد من الإيرانيين المقيمين في أمريكا أثناء ارتدائهم النقاب بالهجوم على الإيرانيين الذين حشدتهم السافاك لاستقبال الشاه والشاهبانو (پاسخ به تاریخ ۳۱۶).

للمعارضين للنظام فى إيران ، وألا يتنبه للأنباء الخاصة بالعمليات الفدائية للمجاهدين والفدائيين (١-*) .

إن الحكم الخاطيء لكارتير بشأن نظام الشاه يمكن ضمناً أن يظهر مدى ارتكاب النظام الحاكم للخطأ استناداً إلى أجهزة الاستخبارات الأمريكية، وبينما تصاعدت مظاهرات الشعب الإيراني فى شهر سبتمبر ١٩٧٨م (شهر يور ١٣٥٧ هـ.ش) كان جهاز السى آى إيه يطلع كارتير خلال تقاريره عن أوضاع النظام الإيراني "بالاستقرار" ويعلن خلالها أن الشاه لا يهدده أى خطر داخل الدولة.

نتيجة لإبداء هذه المعلومات الخاطئة أيضاً فقد وجه كارتير، خلال مذكراته المؤرخة فى ١١ نوفمبر ١٩٧٨م، اللوم إلى رئيس السى آى إيه ووزير خارجيته ومستشار الأمن القومى فى لهجة حادة بسبب العجز الشديد تجاه معرفة أوضاع إيران (١)، وعلم بعد ذلك أنه صدرت أوامر للقيادات العليا بألا يسمح لأى من المسئولين الأمريكيين على خلاف رتبهم فى إيران ألا ينتقدوا وضع نظام الشاه وألا يتصلوا بمعارضيه.

وطبيعى أنه نتيجة لمثل هذه السياسة يمكن أن يؤدى إلى تعميم كامل عن حقائق أوضاع إيران ، وأنه يجب على المسئولين الأمريكيين أن يرجعوا إلى إيران لاتخاذ أى قرار.

وأدى هذا إلى غفلة وجهل أمريكا وحتى روسيا ، وقد أدى هذا أيضاً إلى انحرافهما عن الاهتمام بالحقائق، وسبب هذا الوضع حتى الأسابيع الأخيرة من عمر النظام، وظلوا يؤيدون حكومة الشاه حتى النهاية (٢) .

(١-*) كان كارتير فى أوائل سنة ١٩٧٦ (١٣٥٥ هـ.ش) يستعد للمعركة الانتخابية (شكست شاهانه ٤٣).

بداية الازمة:

لا يمكن الشك فى حقيقة أن أزمة قد ظهرت فى إيران، وكانت منذ فترة فى طور التكوين.

وفى نفس وقت المعركة الانتخابية لكارتى لرئاسة أمريكا مما حدا به إلى الإشارة كثيراً إلى مسألة حقوق الإنسان، أحس معارضو النظام الإيرانى أيضاً وبدافع من الساخطين الروس بسعادة غامرة، وعملوا على تكوين تنظيمات لهم.

أحيا كريم سنجابى (*-١) الجبهة القومية "جبهه ملي" التى كانت تعد حزياً من إرث مصدق ، وأهملت لسنوات بسبب الإحباط الشديد.

كوّن مهدي بازرجان وعبد الكريم لاهيجى سويًا "لجنة الدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان" (كميته دفاع از آزادى وحقوق بشر)، وانتشرت عقب هذه الخطوات أيضاً رسائل سياسية مختلفة بين الشعب على نطاق واسع.

فى مايو ١٩٧٧م (أردىبهشت ١٣٥٦ هـ.ش) وقع أكثر من خمسين (*-٢) من الحقوقيين بياناً، احتجوا فيه على التدخلات الحكومية فى الشئون القضائية، وفى يونيو (خرداد) طالب أربعون من الكتّاب فى بيان لهم بحرية التعبير وإلغاء الرقابة فى البلاد، وفى يوليو (تير) أيضاً كتب عدد من المفكرين (كريم سنجابى، شاهبور بختيار، داريوش فروهر) رسالة مفتوحة إلى الشاه، وطالبوه أن يحقق بأسرع ما يمكن مطالبهم.

(*-١) أرسل كريم سنجابى وجماعة منهم داريوش فروهر وشاهبور بختيار رسالة مفتوحة يطالبونه

فيها بإنهاء الحكم الاستبدادى والعمل بالدستور وميثاق حقوق البشر وإلغاء نظام الحزب الواحد وحرية المطبوعات وإطلاق سراح المسجونين السياسيين وإقامة حكومة أغلبية

(In the service of the peacock throne: The Diaries of the shah's Last Ambassador to London (London- Hamish Hamilton 1983)p.91.

(*-٢) أربعة وخمسون شخصاً من الحقوقيين (شكست شاهانه ٢٢٩).

وكانت بيانات ومنشورات ورسائل مختلفة ومتنوعة توزع بشكل سرى بين الشعب، وهذا التصرف على الرغم من كونه غير علنى فإنه كان يشير بوضوح إلى أن منعطفاً فى الحياة السياسية للبلاد قد برز، ذلك لأنه حتى ذلك الحين كانت جميع الاحتجاجات والمعارضات عادة تتم خارج البلاد، وفى داخل إيران بدا واضحاً أن معارضة النظام فقط متمثلاً فيما يشاهد من هجمات من حين لآخر لجماعات فدائية.

فى نفس الوقت اضطر الشاه تحت ضغط أمريكا لإعلان رسمى لبرنامج "إعادة الجوى السياسى" وأعقب ذلك أيضاً بالسماح إلى حد ما بأن يوجه الانتقادات لحكومته فى الصحف وفى حوزات حزب "رستاخيز" (*-١). وسمح الشاه أيضاً لعدة أشخاص من نواب المجلس - وكانوا جميعاً أعضاء فى حزب رستاخيز. بأن يعارضوا بعض اللوائح الحكومية، ويصوتوا سلبياً.

مع أن السافاك، كان يراقب عن كثب كل هذه التحركات ولكنه فضل ألا يعوق نشاط الكتاب والموزعين للنشرات والرسائل السرية بأى وسيلة، وخفف قبضة الرقابة التى كانت أيضاً قد وصلت إلى ذروتها.

ولكن هذه التغييرات الظاهرية لم تتمكن مطلقاً من أن تشبع نهم الطلاب والمفكرين فى إيران، وتضعف من رغبتهم فى تحقيق الديمقراطية التى كانت تدفعهم إلى الأمام كقوة محرركة، ومع ذلك قل من صدقه فى أن يستمر برنامج "إعادة الجوى السياسى".

وفى نفس الوقت سأل "ألن هارت" مراسل صحيفة التايمز الشاه خلال حديث صحفى معه عن رأيه فى هذا الشأن، وهل ستجعل الحكومة الدستورية الملكية فى إيران شبيهة بالمجترات؟ أجابه الشاه: "ليس هناك داع لأن نتمسك بمثل هذا الأمر، ولو أرادته

(١-*) أصدر الشاه فى مارس ١٩٧٥ (إسفند ١٣٥٣ هـ.ش) أمراً بتأسيس حزب سياسى أسماه "حزب رستاخيز" أى حزب النهضة، ومنع جميع الأحزاب السياسية- (شكست شاهانه ١٤٩).

الشعب فلا يمكن أبداً أن تحكم حكومة خلافاً لرأى الشعب، وإذا أراد الشعب مثل هذا، من المؤكد سيتمسكون به (*) (١-١) " (صحيفة تايمز بتاريخ ٩ يونيو ١٩٧٧).

هل كان الشاه صادقاً فى بيان هذا الأمر؟ أرى من وجهة نظرى أنه فى الواقع أراد أن يقيم ديمقراطية بشأن المعارضين فى إيران مثلما فعل الشاه فى سنة ١٩٦٠ (١٣٣٩ هـ.ش) وطبقاً لما أراده الشوار من إصلاحات فى ذلك الوقت، ولكنه فى تلك كان يردد دائماً "إذا أراد أحد دعاة الثورة أن يثور فإنني أهيبء له هذه الثورة وليس هم" (٣).

مع أنه فى سنة ١٩٧٧م، قام المعارضون بنشر المنشورات والرسائل المفتوحة اعتماداً على تأييد كارتر إلا أنهم كانوا يدركون أن أعمالهم أيضاً تتوافق مع رأيه، ولكن مع هذا الوضع الذى سمح فيه الشاه بالبحث والمناظرة فى الصحف ومقار حزب رستاخيز، اشتعلت الشعلة التى لا يمكن السيطرة عليها، ولم يستطع أحد عند رؤية هذا الوضع أن يتذكر الانتقادات السابقة للشاه بشأن الديمقراطية الغربية.

لم يدع الشاه فرصة خلال أحاديثه الصحفية المتعددة دون امتداح سياسته فى إدارة الأمور والهجوم على الأوضاع الناجمة عن الديمقراطية، وجل ما كان يراه ينتقده من مجتمع أمريكا المبرمج وكسل عمال المجلترة والاضطرابات السياسية الإيطالية، وفى جلساته الخاصة أيضاً يتجشم عبء الرجل الناصح لرؤساء الدول الآخرين.

ذات مرة فى صيف ١٩٧٦م (١٣٥٥ هـ.ش) حيث كنت موجوداً برفقة عدد من الضيوف الأجانب وكنت أحد المدعوين لغذاء ملكى فى نوشهر، كان البحث جارياً على مائدة الغداء بين الشاه والسيدة "جاويتس". زوجة السناتور الأمريكى جاكوب

(١-٢) قال الشاه لريتشارد هولمز سفير أمريكا فى إيران: إن الأمريكان والإنجليز كانوا يضغطون على، وكانوا يريدون جمهورية ديمقراطية وطالبونى أن أكون أكثر تسامحاً مع معارضى، وقد قست بإجراءات حقيقية لكن إيران لا تقبل الديمقراطية على النمط الغربى " (Helms, Cyn- thia, An Ambassador's wife in Iran, New York: Dodd, Mead. 1981 p. 204.).

جاويتس) حيث انتقد الشاه بشدة الديمقراطية الأمريكية، وخلالها جعل الإيرانيين أفضل أمة في جميع مزايا "حقوق الإنسان" وادعى أن الفساد المالي في أمريكا يشيع، ولكن في إيران كانت الحكومة تعتقل جميع اللصوص، حتى لو كانوا من المسؤولين الكبار.

سببت انتقادات الشاه جميعها إلى شيوع جو بارد وجامد على الضيوف الأجانب في حفل الغذاء.

أدت المساجد في إيران، والتي تحولت بشكل دائم إلى مراكز معارضة للحكومات، أدت دوراً مؤثراً في ترسيخ وتنمية الأنشطة السياسية، وهذا الأمر هو من مميزات أكثر الجوامع التي لم يجد الأفراد الساخون مكاناً إلا إياها لشرح وجهات نظرهم في التنظيمات البرلمانية، ومن هنا يختارونها مكاناً مقدس وآمن للإعراب عن سخطهم، وفيما يتعلق بالوعاظ في المساجد، فقد اعتادوا حشر انتقاداتهم للأمور السياسية والاجتماعية في وعظهم، ويتناظرون عقب ذلك مع الحضور في الأمور الحياتية.

في مساجد إيران كانت الشرائط الممنوعة (*) (١) لأحاديث خميني في النجف تذاق في الغالب على الحضور، وكانوا ينقلون مضمون ما سمعوه فيما بعد إلى الآخرين خارج المسجد.

كانت أكثر هذه الأشرطة قد دخلت إيران مع المسافرين الذين جاءوا من العراق ولكي لا يمنع مسئولو الجمرات دخول مثل هذه الأشرطة كانوا يلصقون عليها "موسيقى شرقية" ويحضرونها إلى إيران، وبعد ذلك يضاعفونها ويرسلونها للبيع بملصقات مختلفة في محلات قم وطهران.

(*) (١) كانت هذه الشرائط تأتي سراً مع الزائرين للنجف، وكان الإمام خميني يسجل فيها أفكاره وآراءه في النظام، وكان لهذه الشرائط أهمية كبرى حتى أن الثورة الإسلامية أطلق عليها ثورة الكاسيت. (الشعر النسائي في إيران في ظل الثورة الإسلامية- د. أحمد الشاذلي - القاهرة ١٩٩٠ ص ٢٤).

- ٩٠ -

وبناء على هذا فإن صوت خميني بعد أن قضى قرابة ١٥ سنة في المنفى وصل إلى آذان الشعب في كل إيران، وكان يلتقي أيضاً بنفسه في منفاه - بالنجف - يومياً مع جميع المعارضين للنظام الذين وفدوا لزيارته من أماكن مختلفة، وكان يزدي وقطب زاده من الأشخاص الذين زاروه عدة مرات في النجف خلال سنة ١٩٧٧م (١٣٥٦ هـ.ش).

كان خميني دائماً يهاجم الشاه في خطبه، وكان الشاه أيضاً مستاءً جداً من الأمور التي تحدث في النجف.

كان الشاه نافراً من خميني، ولم يكن يخفى إحساسه ضده أبداً، وحمل خميني أيضاً للشاه شعوراً مماثلاً (٤).

كان الشاه في سنة ١٩٧١م قد صرح لـ "أريك رولو" مراسل صحيفة "لوموند" - الشعب الإيراني يرفض قبول شخص مثل الخميني بينه، طالما هو من مواليد الهند ومن أصل أجنبي" (٥).

وهجوم الشاه يعد نوعاً من الانتقام خاصة لما قاله خميني بشأن إقامة احتفالات بمرور ألفين وخمسمائة سنة علي الملكية (٦-١)، حيث هاجم الشاه بشدة في حديث له بالنجف.

وفي نص مطبوع لقول خميني ورد فيما بعد على يد الزعماء الدينيين إلى إيران، وقد لفتت هذه الجمل النظر "... هل تبنون يا شعب إيران، ليحتفل من خان الإسلام؟ لرجل قتل في ١٥ خرداد مائة شخص في قم وأكثر من ألف وخمسمائة شخص في أنحاء المملكة؟..." (٦).

(٦-١) يقصد بها احتفالات پرسپولیس التي احتفل فيها بمرور ٢٥٠٠ سنة على حكم كوروش الهاخمنشي.

الأحد ٨ يناير ١٩٧٨ م (١٨ دي ١٣٥٦ هـ.ش) تهران

الاثنين ٩ يناير ١٩٧٨ م (١٩ دي ١٣٥٦ هـ.ش) قم

عندما سمع الشاه بخبر دخول وإذاعة أشرطة خميني المهرية، صب جام غضبه بسبب ضعف جهاز أمنه، ولذا قام بعمل مماثل، وتمسك بالانتقام، وأصدر أمره دون مشورة أحد، بنشر مقالة شائنة تماماً لتدمير الخميني، وكلف وزير إعلامه آنذاك (داریوش همايون^(١-*)) الذي كان زوج أخت أردشير زاهدي^(٢-*)) بهذا الأمر، وهياً أيضاً إحدى صحف طهران الهامة^(٣-*) لتطبع هذا المقال، وكان نشر هذا المقال بمثابة الشرارة التي أمسكت بهرميل بارود^(٧).

ظهر رد فعل للمقال المذكور بشكل مغاير، وبعد يوم من نشره اندلعت الثورة في مدينة قم التي احتج خلالها أهالي المدينة بالقيام بمظاهرات حول المسجد، ضد نشر المقالة الشائنة بشأن زعيمهم الديني، وقتل عدد منهم إثر إطلاق النيران من قوى الجيش والشرطة^(٤-*).

(١-*) داریوش همايون وزير الإعلام في وزارة هويدا، وقد كلف هويدا همايون في أوائل يناير ١٩٧٨ (دي ١٣٥٦ هـ.ش) بنشر مقالة مشينة ضد الإمام الخميني مما استوجب قيام المظاهرات من قبل طلاب العلوم الدينية في قم وأطلقت الشرطة النار على المتظاهرين وكان هذا هو بداية القتل مما فتح الباب لاستمرار أعمال العنف حتى رحيل الشاه (شكست شاهانه ٢٥٦).
(٢-*) أردشير زاهدي سفير إيران في واشنطن وابن قائد الجيش فضل الله زاهدي، وزوج أخت الشاه، شهناز.

(٣-*) كان ذلك في ١٧ دي ١٣٥٦ هـ.ش الموافق ٧ يناير ١٩٧٨ في صحيفة إطلاعات (پاسخ به تاریخ ص ٤٥٨).

(٤-*) في ١٩ دي ١٣٥٦ هـ.ش الموافق ٨ يناير ١٩٧٨.

فى اليوم التالى من واقعة قم، أعلن جمشيد آموزجار رئيس الوزراء (*) (١-*) أن الموقف الحازم للحكومة الذى اتخذه ضد مخطط المتآمرين الذين يهدفون إلى إضرار بالمصالح العليا للمجتمع، والتدخل فى شئون القوات المحافظة على النظام والقانون، قد مكّنه من منع امتداد القوضى.

ولم يكدر وقت قصير على هذه الواقعة وفى ١٨ يناير ١٩٧٨م (٢٩ بهمن ١٣٥٦ هـ.ش) تظاهر عدة آلاف من أهالى تبريز فى ذكرى الأربعين لضحايا حادثة قم، وعقب ذلك هبت الثورة، التى سُمع فيها ولأول مرة شعار "الموت للشاه" طبقاً لرواية شهود العيان (*) (٢-*) .

هاجم المتظاهرون خلال ثورتهم مباني حزب رستاخيز، البنوك، دور العرض وبعض المحلات، وحطموا نوافذها.

كان الهجوم على حزب رستاخيز تعبيراً عن معارضة النظام، وكان الهجوم على دور العرض لكونها تعرض أفلاماً مبتذلة، بينما كان الهجوم على البنوك أيضاً لكونها تقدم قروضاً مخالفة للشرعة الإسلامية، وتحقق من ذلك مكاسب.

وقُتل فى عصيان تبريز أيضاً مثل قم عدد إثر إطلاق النيران لقوات الأمن على الأهالى، ولكن الحكومة سعت فى هذه الحادثة إلى السيطرة على الصحف والإذاعة والتلفاز حتى تبين قدر المستطاع أنها مشكلة تافهة، ولتهدئة مشاعر الأهالى؛ قدمت الحكومة تعويضاً مناسباً لمحافظة آذربايجان، وعزلت بلدية تبريز.

واليوم وبمنظرة على ما جرى فى تبريز، حقيقة أحتار، كيف لم يستطع الشاه إلى هذا الحد أن يدرك أهمية المشكلة ووخامة الأوضاع فى تبريز؟ وكان هذا الموقف كافياً له

(١-*) تولى جمشيد آموزجار رئاسة الوزارة بعد إقالة أمير عباس هويدا فى ١٦ مرداد ١٣٥٦ هـ.ش.

(٢-*) تظاهر أهالى تبريز فى ذكرى الأربعين لشهداء قم، وقتلت الشرطة بعض الأهالى، فقاموا بمظاهرات فى ذكرى الأربعين لشهداء تبريز.

ليفتح عينيه ويشنف آذانه حتى يمكنه بقليل من التفحص أن يعرف جميع الأسباب وعوامل الأزمة التي كانت قد تجمعت في تبريز ، ويحدد رد الفعل.

قامت في الثلاثين من مارس ١٩٧٩ (١٠ فرودين ١٣٥٧ هـ.ش) مظاهرات في طهران وأصفهان استجابة لدعوة رجال الدين في الذكرى الأربعين لقتلى حادثة تبريز، وفيها أيضاً تكفلت القوات العسكرية بمواجهتهم وقتلت عدداً، وأعلن المسؤولون الرسميون عدد القتلى بخمسة أشخاص وأكثر من ثلاثين شخصاً من معارضى النظام. في نفس الوقت أضرب المسجونون السياسيون في سجن القصر^(١-*) أيضاً عن الطعام، مع أن الحكومة كذبت هذا الخبر الخاص بالإضراب عن الطعام في أول الأمر، ولكنها اضطرت للاعتراف به فيما بعد وسعت لتأكيد عدم أهميته، وذلك في الوقت الذي اتهم مهدي بازرجان من "لجنة الدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان" مسئولى السجن بسوء معاملة المسجونين المضربين.

علم فيما بعد أنه في نفس يوم ٣٠ مارس قامت مظاهرات في عدة مدن أخرى أيضاً مشابهة لمظاهرات طهران وأصفهان، والتي هبت أكثرها بناءً على طلب رجال الدين بشكل هادئ، ولكن مظاهرات الأهالي في يزد وجهرم لم تكن بهذا الحال بل مالت إلى العنف، وفتح رجال الأمن النار صوب الأهالي، وقتلوا في المدينتين ثلاثة أشخاص (طبقاً لرواية الحكومة) أو ٣٢ شخصاً (طبقاً لرواية المعارضين).

وعلى هذا الأساس توالى انعقاد مراسم الأربعين بصورة مستمرة، وكأما عم جميع المملكة؛ نظراً لتكرارها يومياً، وكان استمرار الصراع مع النظام يتعاظم لحظة بعد لحظة أخذاً شكلاً دينياً.

كان الشاه مستاءً من تكرار مثل هذا الوقائع، ووجه انتقاداً في البداية لرئيس السافاك ورئيس الوزراء لماذا لم يتمكنوا من إيجاد حاجز لمواجهة استمرار الأحداث؛ وبعدها أصدر أمراً بنفسه لكي ينظم حزب رستاخيز مظاهرات مؤيدة للنظام.

(١-*) قصر نياران.

تم تنفيذ أمر الشاه فى الثانى من إبريل ١٩٧٨م (١٣ فروردين ١٣٥٧ هـ.ش) وخلالها استطاع رجال حزب رستاخيز من تنظيم مظاهرة بالاشتراك مع عدة آلاف من العمال والفلاحين وأشخاص معروفين فى تبريز كنوع من التأييد للنظام (٨) .

كنت أقضى ذلك اليوم فى مدينة داکار عاصمة دولة السنغال ، واستطعت أن أسمع فى سفارة إيران برنامجاً من إذاعة طهران كانت مظاهرات تبريز تُبث مباشرة خلاله.

خلال هذه المراسم كان محمود جعفریان" (نائب الأمين العام لحزب رستاخيز) يتحدث بعبارات منمقة جداً تفوق قدرة فهم كثير من الأهالى حتى الطهرانيين، وأخذ يعدد المكاسب الجمة الناجمة عن "ثورة الشاه والشعب" خلال امتداحه النظام، ومما قاله: هذه الثورة هى السبب فى تملك الأهالى، العمال يشاركون بعشرين فى المائة من أرباح المصانع، الأهالى يستفيدون من مزايا الضمان الاجتماعى " وخلال ذكره أيضاً لاسم الشاه كل مرة كان تصفيق المجتمعين مسموعاً.

وبينما كنت أستمع إلى الإذاعة قلت لسفير إيران فى السنغال: "حقاً إنها مسخرة فظة" سأل متعجباً "كيف؟" أشرت فى الرد عليه إلى مسألة اللهجة الشائعة فى آذربايجان وقلت: "العمال والفلاحون الذين يشتركون فى هذه المراسم أكثرهم يعرف الفارسية فقط معرفة بسيطة ، ولهذا السبب فإن مايقوله من كلام أدبى لهؤلاء القوم لا يمكن أن يصدق، واعتقد أن جعفریان فى خطبته أصلاً لايتحدث إلى الأهالى الموجودين فى الميدان، ويظن نفسه مخاطباً فقط الشاه شخصياً، لأنه متأكد أنه الآن جالس أمام الراديو، يستمع لخطاب جعفریان.....".

وكانت هذه المسألة مصاحبة لإغماض العين فى كل أمور حكومة إيران، وعلى هذا فإن المسئولين الكبار لم يهتموا بالآثار الناجمة عن أقوالهم وأفعالهم على الأهالى، وفى كل خطوة يخطونها كانوا يفضون النظر عن هذه المسألة لأن الشاه سيهتم برد فعلهم نحوه.

بعد أحداث مظاهرات تبريز، واصل الشاه بسرور برنامجه "إعادة الجو السياسي"، والتحول نحو الليبرالية، ولكن كالعادة كانت قراراته الصادرة مبهمة لدرجة أنه ما من شخص استطاع أن يفهم ما يجرى فى ذهن الشاه، وبالتحديد الحد الذى يجب أن يكون للحريات السياسية، إلى أين ينتهى؟.

كانت القوى المعارضة قد تلقت إجراءات الشاه بشأن إعلان إعادة الجو السياسى كنفخ، وكانوا يعتقدون أن الهدف من مثل هذه السياسة ليس إلا للتعرف على الأشخاص المعارضين.

مؤيدو الشاه أيضاً طالما ردّدوا أن الشاه بعد سنوات طويلة من الدكتاتورية يمكنه أن يقلع عن عادته، وتصوروا أن هدفه من إعلان سياسة الليبرالية ليس إلا امتحاناً لمؤيديه، والسبب الرئيسى لهذا الشك والتردد عند العودة إلى حديث الشاه السابق ضد الديمقراطية، لاشك أنه كان يطرح هذا السؤال: كيف يمكن لأحد أن يصدق أن الإنسان بمقدوره أن يُنحى بمثل هذه السرعة أفكاره وآراءه السابقة؟.

كان الشاه قد تحدث مثل هذا الحديث فى حديث صحفى عقده معه صحيفة كيهان حول الديمقراطية والحرية فى ٣٠ أكتوبر ١٩٧٦م (٨ آبان ١٣٥٥ هـ.ش) جاء فيه:

".....الديمقراطية (*-١). إذا كانت موجودة - ماذا يمكن أن يكون معناها غير ما نفعله؟ صحيح ما معنى الديمقراطية؟ عند بعضهم معنى الديمقراطية هى أن يسقط شخص فى الشارع، فى وضخ النهار، هذا ليس فى قرية، بل فى مدينة كبيرة، فى العاصمة، وأمام الأهالى، ويصبح أحدهم ويقول: اعطنى كيس نقودك، وبعد أخذ كيس النقود، يغرس السكين فى البطن، وأمام أعين الجميع، ويسير فى طريقه مباشرة أهذه هى الديمقراطية؟.

(*-١) قال الشاه فى كتابه پاسخ به تاريخ: إن سياسته الداخلية قائمة على ثلاثة أصول: المشاركة، اللامركزية، الديمقراطية (ص ٢٩٣).

الآن هذه المملكة التى يشترك أصحاب الاقتراع فى أهم انتخاباتها بحد أكثر ٤٥ إلى ٥٠٪، الأهالى أيضاً كما قلت يصيرون وتغوص السكين فى أحشائهم، ويريدون أن يسألونا عن الديمقراطية وحقوق البشر؟ حقيقة إنها مهزلة، لعل الديمقراطية فقط هى البذاءة؟ لعلها فقط للصوصية؟ لعلها فقط كل ما هو مغامرة؟ لعل الديمقراطية فقط هى القتل؟ ثم حقوق الأشخاص الذين يقتلون مجاناً بلا ذنب فى الشارع، فى البيت، أو فى حجرة بفندق، ماذا يحدث؟ أليسوا بشراً؟ أليس لهم حقوق؟ إذا كان لهم من يحفظ حقوقهم؟ ولكن ماذا نفعل؟ إننا نواجه شخصاً إرهابياً بالإضافة إلى كونه خائناً وبائعاً لوطنه، إننا نحمل الشعب من شره، ولن ندعهم يقدمون المملكة للعدو، أليس هذا حفاظاً على حقوق الإنسان؟ فهل عدم تركنا لها جس قتل الأبرياء ألا نكون قد حفظنا حقوق الإنسان؟^(٩).

واستدل الشاه بمثل هذه الدلائل على أن المجرمين المحترفين من معارضيه السياسيين فى نفس الخندق، ولم يستطع أن يقنع مفكرى إيران والمراقبين الأجانب ويقدم الدليل المقبول على عدم وجود ديمقراطية فى إيران.

وكنت قد تحدثت عدة مرات مع الشاه بشأن الديمقراطية ولكن لم أر مطلقاً أنه يمكنه أن يفرق بين الديمقراطية الحقيقية وما كان يؤمن به عن الديمقراطية.

وقد شرح الشاه فكرته عن الديمقراطية^(١٠-*) الموجودة فى إيران فى كتاب بعنوان طنان "نحو الحضارة العظمى" فى سنة ١٩٧٧ م (١٣٥٦ هـ.ش) كتب فيه:

".....فى ديمقراطيتنا الحرية الكاملة تؤم للضبط الاجتماعى، كل إيرانى جدير بأرقى الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

(١٠-*) تحدث الشاه عن الديمقراطية أيضاً فى كتابه "پاسخ به تاريخ" جاء فيه: إنه يريد أن تصيح إيران وهى على أعتاب الألف الثالثة دولة عصرية تماماً وأمة متحضرة ومجتمعاً متطوراً، وشعباً مثقفاً، واقتصاداً مزدهراً وأسس حكم قائمة على الديمقراطية (پاسخ به تاريخ ص ٣١).

ديمقراطية إيران، ديمقراطية الحريات والحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية المشروعة، لكنها ليست ديمقراطية الفوضى، ومن باب أولى ليست أيضاً ديمقراطية التخريب وأحياناً الخيانة، مفهوم ما قيل هو أنه في إيران اليوم الفساد والإحباط في تطوير شئون البلاد ليس مقبولا، وبناءً على هذا فإن عدداً من المخادعين أو المغرضين أو المجانين يخرجون من بين لحمة المجتمع، وهم في كثير من الدول المتقدمة أيضاً، ويشكلون للأسف نوعاً واحداً عن "عالمية التخريب" وهم في هذه الدولة لا مجال لهم، وهؤلاء الأفراد إما جهلاء بالفطرة وبلا منطق، وإما أنهم ضلوا بغسيل مخ، أو أنهم مرضى نفسيون وبسبب الأيديولوجيات الحمقاء مثل الماركسية الإسلامية- التي تشير الضحك لكونها تركيبة غير ممكنة، وهي سهلة أيضاً حتى لطفل في المدرسة الابتدائية، يدفعونهم للعمل ضد وطنهم (وطبقاً لمصلحة الآخرين). للتخريب وأحياناً القتل، ويعتبرون الإفساد في كل حالاته بناءً وإيجابياً ويعتبرونه أيضاً مهمة بطولية، حقيقة أن مساعي هؤلاء الأشخاص، سواء الحمقاء أو الخائنة، في مواجهة قدرة وسرعة تطور وبناء الدول له أثر سلبي لأنه لا يمكن لأى قلق حقيقى أثر إيجابى، ولكن وجود مثل هؤلاء الأشخاص وهم في سن الخامسة والعشرين ويسلكون سلوك أطفال في عمر السنتين أو الثلاثة، بالنسبة للمجتمع فإن نمو مثل هذه الحشائش التي لا نفع منها أمر مثير للأسى" (١٠).

بالنظر إلى الأجزاء المنقولة من كتاب "نحو الحضارة العظمى" الذى أوضح فيه الشاه وجهات نظره الفلسفية للشعب، يمكن بسهولة إدراك إلى أى مدى كان مستاءً من معارضيه، ومسئء الظن بهم، يتحدث الشاه في كتابه عن الحرية، ولكن لم يستفد أصلاً بما حدده لهذه الحرية من حدود، ويظهر مفهومه المحدود أيضاً إلى أى مدى كان بعيداً عن إدراك الحقائق، وقلة معرفته بمعارضيه.

لعل نقل ما جرى في آخر لقاء كان بينى وبين الشاه في شهر أبريل ١٩٧٨ (أوائل أوردبیهشت ١٣٥٧ هـ.ش) يوضح أكثر أفكار الشاه المتناقضة.

آخر لقاء لى مع الشاه :

بعد ظهر ذلك اليوم الذى كنت منتظراً حلول دورى للقاء الشاه فى القصر، كان عدد من جنرالات الجيش أيضاً بحلهم العسكرية المنشأة والمطرزة بالأوسمة المختلفة يقضون وقتاً انتظاراً للقاء الشاه، وفى نفس الوقت دون أن يبدو عليهم القلق والاضطراب بسبب حوادث تبريز وأصفهان ويزد، كانوا يبحثون المسائل المتعددة للأفرع التى تحت قيادتهم مع بعضهم البعض.

والنقطة المثيرة للحيرة هى أن الشاه كان يستقبل قادته العسكريين واحداً تلو الآخر، وآخر شخص حضر لمقابلة الشاه كان رئيس أركان الجيش الذى لم يبد من مظهره أنه ارتكب خطأ فى الحوادث الطارئة الجارية فى البلاد.

سمعت مرات أن الشاه يستفيد فى إدارة شئون مملكته من سياسة "فرق تسد"، ولكن لم أكن أعرف أنه يستغل مثل هذه السياسة إلى هذه الدرجة.

بعد ذلك حل دور لقائى، وبدأ الشاه فوراً حديثاً فى مجال وجوب استمرار السياسة الليبرالية فى المملكة، وكعاداته دائماً لم يمتحنى فرصة لإبداء وجهة نظرى، وكأنا أنا شخص يتدرب على النطق وراء ما يتحدث به.

كانت الصورة التى رسمها الشاه للمملكة وتقدمها صورة متفائلة جداً، وادعى أنه خلالها، "يمكننا أن نسيطر على التضخم" (*-١).

كان هذا الادعاء صحيحاً من وجهة نظرى، ففى إيران كانت أسعار كل شىء خاصة المواد الغذائية عند المستوى المقبول، ولكن المشكلة كانت فى أنها توجد فقط فى السوق السوداء وليست بالسعر الذى كانت قد حددته الدولة.

(*-١) كان الشاه يدرك قضية التضخم فى البلاد وقد بلغ التضخم مبلغه فى سنة ١٩٧٥ (أنظر شكست شاهانه ص ١٥٢).

أشار الشاه أيضاً فى لقاءاته الصحفية إلى الاضطرابات التى كانت تعم الدولة، وقال فيها: "..... إن أحداث تبريز وأصفهان لم تبلغ ما بلغته من أهمية، طالما أنها الثمن الذى يجب أن يدفع لإقرار الديمقراطية فى البلاد، والمسألة ليست بهذا القدر من الخطر، وفى الأصل يجب معرفة من هم معارضى؟ خمينى؟! الذى لا يحسب له أى شخص حساباً، سنجابى والبقية؟! إنهم أصلاً ليسوا أهلاً للثقة وبعضهم خونة.....".

ولكن عندما أدرك عند - سماع خيانة سنجابى ورفاقه - استيائى، نظر مباشرة فى عينى وقال: نعم لدينا وثائق بشأن علاقات هؤلاء الأشخاص مع الأجانب، إنهم مثل مصدق يرتبطون بأولياء نعمتهم الأجانب.....".

عند سماع هذا القول سألت فوراً: "طالما لديك مثل هذه الوثائق لماذا لم يدعها جلالتكم؟ رد على الفور: "عندما يحين حينها لابد أن نفعل".

ثم ارتشف الشاه جرعة شاي، وواصل حديثه: "...الجميع طالما نفذ سياسة إعادة الجوسياسى فى البلاد فإنهم مستاءون وبالتأكيد كان لابد أن تظهر مثل هذه الحالة التى واجهتها فى عهد الاصلاحات سنة ١٩٦٢م (١٣١٤ هـ.ش) وعند تنفيذ هذه السياسة ستخلو الأرض من تحت أقدامهم.... ولكننى لست بمن يخشاهم، سأستمر فى برامجى وأنا مطمئن أن الشعب - حقاً الشعب الأصيل - سيكون درعى.....".

بينما كنت أستمع لكلام الشاه، ورد بخاطرى أنه يؤكد يقرأ لى عبارات من كتابه الجديد "نحو الحضارة العظمى" (وسبب معرفتى بعبارات كتابه هو أننى كنت قد انتهيت توالاً فى ذلك الوقت من ترجمة "نحو الحضارة العظمى" إلى اللغة الفرنسية الذى قمت به بأمر منه مع زميلى "سهيلا شاهكار").

حاولت فى إجاباتى على الشاه أن أوضح له النتائج السلبية لمثل هذا الاعتقاد، ولكن أدركت أنه لا فائدة، وإننى أضيع وقتى، ولما كان الشاه فى "حضارته العظمى" المبتدعة مثل طفل يعشق حصانه الخشبى، وكان يتصور الدنيا وردية، بينما كانت

"حضارته العظمي" فى نظرى ليست إلا دنيا الخيال، والواقع الذى كان الشاه يراه بعيداً عن "الواقعية" بعدة فراسخ.

لم أكد أتم كلماتى حتى قاطع الشاه حديثى وقال: ".....لم أسمع أن شخصاً قد فهم كتابى، وأصلاً يجب أن تعرف أن ما طرحته فى هذا الكتاب له أهمية عظمي لمستقبل الوطن.....".

كان تعجبى كثيراً من أنه كيف للشاه بعد سبع وثلاثين سنة من الحكم - لم يزل غير مدرك لخطر المتملقين والمنافقين؟!،

فؤاد روحانى (الذى قام بالترجمة الإنجليزية لكتاب "نحو الحضارة العظمي" كان يعتقد مثلى أنا وسهيلاً شاهكار أن هذا الكتاب ليس إلا هذيان مجنون، ولا بد لنا إلا أن نتلقى مطالبه التافهة، وطالما أن الشاه فى كتابه قد رسم صورة مجتمع لا نظير له فى الأرض، فإننا كنا قلقين بشأن نشر مثل هذه الأفكار، ولم نفكر فى ردود الفعل المستنكرة التى من المسلم أن تظهر.

ولعل من الأفضل نقل أجزاء من كتاب "نحو الحضارة العظمي" لتوصيل هذا المفهوم:

"..... كانت ثورتنا (*) (١-) التى بدأت منذ ١٥ سنة من قبل فى هذه البلاد أكبر تحول اجتماعى فى تاريخ إيران.... كانت هذه الثورة قد قضت على الظروف الاجتماعية الفاسدة التى كانت حائلاً للعمل الجاد والبناء، وهىأت أرضية صحية لإبراز جميع الطاقات والإمكانات الخلاقة، والنجاحات المشرفة والعادلة لجميع أفراد الأمة الإيرانية كنتاج لعملهم وجهدهم.

وعلى أساس هذا الاقتصاد السليم والمزدهر، يبرز الإنسان الإيرانى الجديد الذى يجنى جميع مزايا العلم والمدنية المتقدمة ببركة نظام اجتماعى واقتصادى متطور... فى

(١-*) يقصد بالثورة البيضاء.

مجال التضخم أيضاً يجب القول: إن بلادنا قد حققت فوزاً جديداً بالسيطرة على التضخم وهذه التجربة لا يعتقد أنها تحققت فى أى مكان آخر فى العالم.....

فى السنوات الأخيرة حقق المجتمع الإيرانى بسهولة مزاي - وحقوق - عانت كثير من المجتمعات الأخرى صعوبات ومشاكل طويلة لكى تحقق مثلها، قسم من المزايا التى تتعلق بالعمال فى المجتمع الإيرانى اليوم، لانظير لها حتى فى الدول الصناعية المتقدمة جداً وفى دول العالم الاشتراكى أيضاً، وكذلك فإن الحقوق والامتيازات التى تحققت للفلاح الإيرانى الآن أكثر من تلك التى تحققت للفلاحين فى كثير من الدول على طول التاريخ.... فى مجال التأمين الشامل للجميع، على الرغم من وجود خبرات طويلة فى المجتمعات المتقدمة إلا أن بلادنا اليوم تتفوق على أغلبها فى هذا المجال....." (١١) .

على الرغم من أننى أستطيع إيراد أمثلة أخرى متعددة من كتاب الشاه فى آخر كتابى، ولكنى أعتقد أن ماتم نقله كاف بدرجة تظهر تماماً وجود فجوة عميقة بين فكر الشاه وحقائق الحياة.

كنت فى السنغال قبل أن أحضر لمقابلة الشاه، هناك وخلال اللقاء مع صدر الدين أغاخان (*-١) و "آندرو يانج" (المنسوب الأمريكى آنذاك فى منظمة الأمم المتحدة) قلت لهما: "..... مما لا يمكن تصديقه أن الشاه بعيد إلى هذا الحد عن الواقع وأعتقد لو استمر الوضع على نفس المنوال، سيواجه فى المستقبل بمشكلات لاحصر لها".

ثم حضرت إلى طهران وأطلعت خلال لقاءات مع مسئولين بالبلاد أنه لا مصداقية لما جاء فى كتاب الشاه، ولكن عندما سمعت من الشاه مثل هذا الأمر

(*-١) صدر الدين أقاخان سياسى بارز فى الأمم المتحدة قام بجهود وساطة بين كثير من الدول وله دور بارز فى المنظمات الإنسانية، وهو باكستانى يحمل جوازاً إنجليزياً، ومن رجال الطائفة الأغاخانية الإسماعيلية، ومن أغنى الأغنياء فى العالم، رشع لمنصب الأمين العام للأمم المتحدة فى سنة ١٩٩٢ ولم يفز بالمنصب.

خلال لقائى به حين قال: "..... طالما نخطر صوب المرحلة الجديدة من ثورتنا، فيجب أن نتوجه نحو الليبرالية، مثلما فعل خوان كارلوس^(١٢) مثل هذا الأمر، والواقع أنه اختصر المحذور...".

عندما غادرت قصر الشاه، أحسست بالتشاؤم الذى غمرنى تماماً، وفى نفس الوقت تأملت من أنه لماذا لايجزؤ أحد ليقول للشاه أنه لا يستطيع أبداً أن يكون فى نفس الوقت الجنرال فرانكو ويكون أيضاً خوان كارلوس.

فى تلك اللحظات أحسست أن كابوساً قد دهمنى طوال سنوات طويلة، وقد ارتدى الآن رداء الحقيقة، وقد كنت مع الشاه، وجهاً لوجه وقد بُعد تماماً عن إدراك الواقع - ولن يدرك أهمية الاضطرابات التى تواجه البلاد.

فى زيارتى لإيران تحدثت أينما ذهبت مع كل شخص - من المعارف أو الأجانب على وجه عام - كانوا جميعاً يشكون من الأوضاع فى المملكة.

على الرغم من أن الشعب فى ذلك الوقت لم يهاجم الشاه نفسه بشكل واضح، ولكن لم يتمنعوا عن انتقاد وإدانة أسرته بكل وسيلة، فعل عبد الرضا^(١-*) هذا وكذلك غلام رضا^(٢-*)، وورد مثل هذا أيضاً على لسان الشعب (بدون استخدام

(١-*) عبد الرضا بن رضا شاه من زوجته الرابعة عصمت الملوك، ولد فى سنة ١٩٢٤ (مهرماه ١٣٠١ هـ.ش) وامه تنسب إلى آل قاجار، التحق عبد الرضا بمدرسة ابتدائية فى سويسرا ونال الدبلوم، ورافق أباه إلى جزيرة موريس ثم جنوب أفريقيا (جوهانسبرج) ثم رحل إلى أمريكا والتحق بجامعة هارفارد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، كان شخصاً عاقلاً تزوج سنة ١٣٢٩ هـ.ش، وعين بمنصب رئيس جهاز الخطة السباعية، وكان الشاه يريد من منصباً شرفياً، ولكنه كان جاداً مما أدى إلى عزله، واختفى عن الحياة السياسية بسبب حسد الشاه له (زندگى پر ماجرای رضا شاه إسکندر دلد. تهران ١١٣٧١ - چاپ سوم - جلد أول ص ٦٢ - ٦٤.

(٢-*) غلام رضا هو ابن ملكه توران إحدى الأميرات من آل قاجار لزوجها رضا شاه سنة ١٣٠٦ هـ.ش، وتلقى دراسته الابتدائية فى طهران. ثم فى سويسرا ثم أكمل دراسته العسكرية فى =

ألقابهم الملكية) ولكن من بين هؤلاء حظيت الأميرة أشرف (*) (١-) أخت الشاه التوأم بمكانة خاصة، وكان الهجوم في أغلبه موجهاً في الحقيقة أيضاً إليها.

وعندما تعرضت سيارة الأميرة لهجوم عند عودتها من صالة القمار في مدينة كان (جنوب فرنسا) في سنة ١٩٧٧م (شهر يور ١٣٥٦ هـ.ش) كانت الألسنة تلوك شائعات كثيرة في طهران بسبب هذه الحادثة، قال بعضهم: إن الهجوم في مجمله لفصيل داخل جماعة تهريب المخدرات، ورأى آخرون أن هذا الهجوم كان من تدبير منظمة "المافيا" وكان اسم الأشخاص الذين يعدون من أتباع الأميرة، يتردد على الشفاه دائماً، وكان الجميع يعتقدون أن الأميرة وأتباعها قد قصروا التجارة الخارجية للملكة عليهم.

= طهران، وتلقى تعليماً عسكرياً في بريطانيا وأمريكا ودرس الدبابات والمدرمعات في كلية فورت ناكس ونال رئاسة أركان القيادة العليا، كان ياوراً خاصاً للشاه ورئيس اللجنة الأولمبية، عهد إليه الشاه ولاية العهد قبل إلمجاهد- (زندكسى پرماجراى رضا شاه ج ١ ص ٥٣-٥٤).

(١-*) الأميرة أشرف الأخت التوأم للشاه كانت تحظى بمكانة رفيعة- نالت تعليمها الأولى في مدرسة زرادشتية، وتزوجت على قوام بن قوام الملك سنة ١٩٣٧، وأنجبا شهرام بهلوى نيا، ثم تزوجت من أحمد شفيق وهو مصرى وقد أنجبا إبناً هو "شايان" وابنة هي آزاده شفيق، وانتهى الزواج بالطلاق سنة ١٩٥٩ وتزوجت أشرف من مهدي بوشهرى بور، واشتهر عن أشرف تعلقها بالشباب ومنهم أسد الله علم سنة ١٩٤٣ وپرويز راجى، كما أنها كانت متسلطة وقوية ولذلك تولت مجموعة من المناصب الشرفية وأشيع عنها اشتراكها في تجارة المخدرات- تعيش الآن في نيويورك وعمرها ٧٢ سنة (انظر زندكسى پرماجراى رضا شاه ج ١ ص ٣٠ - ٤٩) اسناد لآله جاسوسى أمريكا - أثر ظهور تاسقوط - جلد أول ص ١١٠.

آخر لقاء لى مع أخى:

ذات ليلة كنت أتناول العشاء مع أخى، وكنت أوافق على رأيه من أن "للأمة أب يواجه السقوط، ومحاط بحالة سخط واسعة".

كان أمير عباس يعتقد أن "الجرم الأساسى على عاتق الأسرة الملكية، ولو فقد الشاه تاجه وعرشه، فإنه فى المقام الأول سيكون بسبب أعمال وسلوك إخوته وأخواته..." وكان يقول فى هذا الشأن "إنك لا يمكن أن تدرك ما يجرى فى البلاط: إنه سباق على النهب، وكر فساد... لقد تحدثت مرات مع المسؤولين عن شئون البلاط (كان أخى بعد تعيينه رئيساً للوزراء دائماً مذكور من الشاه، وقد نال لقب "أرباب") وقد ذكرت له أكثر من ألف مرة إذا بدأ بمحاربة الفساد يجب أن يبدأ من بيته وأن يحاسب من الوهلة الأولى بشكل قاطع أسرته.... فى سنة ١٩٧٥ أشارت تحقيقات مجلس الشيوخ الأمريكى: أن الشركات الأمريكية قد قدمت مليارات الدولارات رشوة لمسؤولين معروفين فى دول العالم، وطالت أقلام كثيرة أيضاً الأسرة المالكة فى إيران، قال لى الشاه: ليس هناك مشكلة إنه يعتقد أن إخوته وأخواته مثل الآخرين لهم الحق أن يتعاملوا ويعيشوا حياتهم، وكان يعتقد أن تلقى العمولات فى المعاملات المختلفة فى الوقت الحالى أمر عادى، وبعد أمراً طبيعياً (١٣).

قلت رداً على أخى: إن هذا الأمر يشير بوضوح إلى أن الشاه لا يستطيع أن يميز الفرق بين حق السمسرة وتقاضى الرشوة وقد أضاف أمير عباس مؤيداً قولى: "..... ولكنه فى النهاية قبل تحليلاتى وكلفنى أن أسجل ضوابط لأنشطة الأسرة المالكة التى بموجبها لا يحق لأى منهم أن يتدخل فى المعاملات المتعلقة بالحكومة، أو يوصى الوزراء، ويضغط عليهم فى أمورهم ويتصدى للمسؤولين الرسميين، و..... ولكن مع الأسف يجب أن أذكر أنه بعد إعداد وتنظيم هذه الضوابط طالبت الشاه فى كل مناسبة لينظر فى مضمونها نظرة عامة، تعلق وطلب منى أن أصبر قليلاً، وحتى الآن لم أستطع أن أفهم ما سبب تعلله؟....".

وتأخر إعلان ضوابط نشاط الأسرة المالكة حتى أواخر أكتوبر ١٩٧٨ (أوائل آبان ١٣٥٧ هـ.ش) وعندما أطلع على مضمونها كان أكثر أعضاء الأسرة المالكة خارج البلاد.

وحينما التقيت بأخى مرة أخرى، وجدته بحالة أسوأ من السنة الماضية، وقد شاركته بعد عدة أيام بالصدفة فى ضيافة مع الأفراد الباقين من الأسرة المالكة، وسمعت الكلام الذى بثه أمير عباس فى أذن أحد أصدقائه كان يقول: "لدينا الآن عدة أيام لنقضها فى ميمى" (١٤).

وقبل مغادرة طهران ذهبت مرة أخرى لتوديع أخى، وسألته: "إذا كنت تعرف كل هذا الفساد الذى ذكرته فلماذا لاتستقيل؟" أجابنى أمير عباس: "فكرت فى هذا مرات، ولكن لم أستطع أن أترك السفينة وسط الطوفان الذى اشتد، والحقيقة هى أننى كان يجب أن أستقيل من رئاسة الوزارة سنة ١٩٧٤ (١٣٥٣ هـ.ش) بعد تدفق أموال البترول الكثيرة على إيران، كان صحيحاً فى ذلك الوقت أن كل شىء يتغير فى المملكة".

سألته: "لو أننى تركت الآن منصبى فى وزارة الخارجية (*) (١-*) هل سيسبب لك إشكالاً؟".

أجابنى: "لا، أى إشكال؟ أى عمل تحببه أفعله، ولكن ليكن فى معلومك أى شىء تريده ثابتاً لمثل هذه الخطوة؟ وإلا بأى شىء تتمسك بافتقارك الاعتماد على الجناحين؟ وإذا ألقيت بنفسك فى الجناح اليمينى أو فى اليسارى فإن الجميع سيقولون من ورائك؛ عندما رأى الأوضاع سيئة فضل الفرار...." وبعد أن أشعل غليونه وشد نفسه عميقاً، واصل قوله: "مهمتك هى السعى لحل المشاكل، فوضع البلاد متأزم

(*) ١- عمل فريدون هويدا فى عدة مناصب بوزارة الخارجية فى بلدان عديدة، آخرها فى الأمم المتحدة.

للغاية، الأصدقاء الذين تذكروهم فى الجماعات اليسارية (*) (١-) إذا لم أكن أعمل ولم تطلب منى مساعدتهم لكان أكثرهم الآن مدفونين تحت الثرى، إننى كنت أسعى دائماً أن أخفض من شدة الحرارة، وأساعد الشعب وحتى بعض رجال الدين.... والآن إذا تنازلت عن منصبى، فتأكد أننى ألعب فقط لصالح طالبي المنفعة الذين يستطيعون أن يسرقوا أكثر من ذى قبل ويملاؤن جيوبهم....".

قلت لأمير عباس: "لكننى فقدت تماماً ثقتى واطمئنانى بشأن الشاه، فإن الكتاب الذى كتبه أخيراً سىء، لقد تغير الشاه تماماً عما كنت أعرفه منذ سنة ١٩٦٥ وصار شخصاً آخر، وسترى أنه سيتخلص تماماً من هذه السفينة العرقى، وبتركنا جميعاً، وكان أفضل سبيل لك أن تستقيل فى سنة ١٩٧٥ عندما مرضت وبرز كل هذا الفساد من تحت الغطاء، وكنت رحلت.....".

أجابنى أمير عباس الذى كان مشغولاً بتنظيف غليونه: "إننا تحت سيطرة نظام سواء أردنا أم لم نرد، مضطرين للتعاون معه، سواء اشتركنا فى الحكومة أو لم نشترك، وبالنسبة لى لا يوجد سبيل آخر، وفى الواقع ليس لأحد فى هذه المملكة استطاعة على أن يتنحى عن التعاون مع النظام، وإلا ماكان أصلاً قد أقحم نفسه منذ البداية...".

حينئذ سألته: "ماذا يكون الإحساس بالمسئولية؟ أجاب أخى بحدة" أية مسئولية؟ هل يدع أحداً يحس بالمسئولية؟ إنه يتخذ كل القرارات بنفسه، وأنا خلال فترة رئاسة الوزارة وما سبقها فى الجيش والسافاك لا أدرى بنفسى.... فقط أقوم بالعمل الذى أكلف به والمهام المخولة إلىّ خير قيام، وحتى الآن لم أسرق ديناراً واحداً، ولم أمر بإطلاق الرصاص على الناس.....".

(*) (١-) كان فريدون هريدا ينتمى إلى الجماعات اليسارية.

وحوكم أخى بعد ذلك فى أوائل أبريل ١٩٧٩ (فروردين ١٣٥٨ هـ.ش) وردد كثيراً من هذه الأمور مرات، وبعد قتله أثبتت كلمات مهدى بازرجان نفس ما قاله كلمة كلمة، ولكن لماذا بقى بازرجان فى منصبه واستمر فى وظيفته؟.

هل عمل بازرجان - ليس شبيهها بأمير عباس- فى هذا الشأن من أنه يهتم بالمصالح الوطنية، ويؤكد أنه إذا أطلق سلطاته سيغالى تابعوه فى أمرها مغالاة أكثر؟.... وهل لم يكن يتخيل أن وجوده يمكن أن يمنع كثيراً من الصدمات المدمرة؟.... من وجهة نظرى، إنه من المفيد كثيراً أن يوازن بين موقف أمير عباس وبازرجان حتى يمكن الحكم أفضل على أخى (١٥).

فى نهاية لقائى لم يكن يدور بخلدى مطلقاً أننى عندما ودعت أمير عباس لن أراه مرة أخرى.

تصاعد التوتر:

اعتدى رجال الأمن يوم ١٠ مايو ١٩٧٨ م (٢٠ أربيهشت ١٣٥٧ هـ.ش) فى قم على الحرم الأمن لمقام بعض رجال الدين ومنهم آية الله شريعتمدارى - خلال مطاردة الثائرين، مما دعا الحكومة لإذاعة بيان تعرب عن عميق أسفها لوقوع الحادثة ، وتذرع بأنه لما كان رجال الأمن ليسوا من أهل قم، ولا يعرفون أماكن المدينة، وأثناء تعقب العناصر الشائرة التى أثارت الاضطراب ضد المصالح الوطنية، دخلوا عن جهل منزل بعض السادة...". وفى نفس وقت حدوث هذا، اعتقل جمع غفير فى أنحاء المملكة أيضاً. فى يوم ١١ مايو (٢١ أربيهشت) أدى قيام مظاهرات فى طهران بتأييد من رجال الدين إلى تأجيل الشاه لبرنامج سفره إلى الخارج (بلغاريا والمجر) وظل بإيران ليحذر رجال الأمن من الاستمرار فى "حمام الدم" (١١) وعقب هذا أعلن الشاه أيضاً فى ١٦ مايو (٢٦ أربيهشت) أنه لا زال يصمم على الاستمرار فى التوجه نحو الليبرالية ولكن الجيش سيواجه بحزم "العناصر المثيرة للشغب التى لا تهدف إلا تقسيم البلاد".

يوم ٥ يونيو (١٥ خرداد ٥٧ هـ.ش) أغلق أيضاً التجار محلاتهم فى مدن طهران ومشهد وقم وتبريز.

فى نفس هذه الأيام، خلع الشاه نصيرى (*١) عن رئاسة السافاك وعينه سفيراً لإيران فى باكستان من أجل زيادة توجهه لإقرار الديمقراطية.

وخطوة الشاه هذه واحدة من خصوصيات النظام التى تتجلى فى اتخاذ قرارات مبهمة وغير مفهومة ، ذلك لأنه مثلاً أراد فى الواقع أن ينظف رجال أمنه مما يلوثهم ، كان لزاماً أن يحبس نصيرى ويحاكمه ، ولا يوفده سفيراً بباكستان ، ومع أنه فى النهاية قام بهذا العمل، ولكنه عندما صمم على اعتقال نصيرى كان قد تأخر كثيراً (فى نوفمبر ١٩٧٨ - آبان ١٣٥٧ هـ.ش).

وبعد ذلك فإن كل خطوة اتخذها الشاه وحكومته ، جاءت بنتيجة عكسية، وكان الوضع قد وصل إلى درجة يمكن القول فيها أن الشاه وأعضاء حكومته ليس لديهم إرادة فى توجيه مجريات الأحداث كما يشاءون.

مع أن الشاه عين محل نصيرى رجلاً معتدلاً اسمه الجنرال "مقدم" لرئاسة السافاك، وسعى بهذه الخطوة لتهذبة غضب الأمة، ولكن الشعب تصور أنه يقصد رجال الأمن، ويتجدد السافاك بدأت ردود فعل فظيعة ، وظهر جو من النفور، ولم يهدأوا بل تصاعدت حدة مظاهراته أكثر.

عقب ذلك فى ١٧ يونيو (٢٧ خرداد ٥٧) قامت مظاهرات فى طهران فى ذكرى ضحايا قم، والتقى انتهت دون حادثة تذكر، وخلالها لم يتعطل سوى سوق طهران وعدة محلات معدودة على مستوى المدينة، واستمرت حياة وعمل الناس بشكل عادى فى

(*١) الجنرال نعمت الله نصيرى رئيس السافاك الذى شارك فى أحداث ١٩٥٣ ضد مصدق والذى أبلغ مصدق قرار عزله، وقد اعتقله الشاه مع هويدا واعدم بحكم محكمة الثورة (ظهور وسقوط سلطنت پهلوى - جستارهای از تاریخ معاصر ایران - پیوست ویراستار- جلد دوم - چاپ دوم تهران ١٣٧٠ ص ٥٠٨-٥٠٩).

بقية الأماكن، ومنعت قوات الأمن أيضاً في ذلك اليوم تجمع الناس حول المسجد فقط. ولكن على الرغم من ذلك فإن خمينى فى النجف قد وصف فى بيان هذه المظاهرات "بأنه قد انفجرت ثورة عظيمة مزلزة" (١٦) وفى نفس الوقت صرح الشاه أيضاً فى حديث لمراسل صحيفة "أخبار أمريكا وأبناء العالم" (التي طبعت فيما بعد فى عدد ٢٦ يونيو هذا البيان) صرح: "إن هذه المظاهرات تأخذ شكل الانتقام الشخصى...".

وفى هذا الحديث الصحفى وضمن تشهيره ببعض رجال الدين انتقدهم كمعارضين لبرامج تمدن المملكة، وأدانهم بشكل سافر لأنهم أعوان الشيوعيين والمسلمين ضده، وأنصاف عندئذ ببرود "لا يقدر أحد علي قلب نظام الحكم طالما يؤيدني ٧٠٠ ألف جندي وجميع العمال وغالبية الشعب".

وكرر الشاه فى حديثه الصحفى إمكانية تشكيل حكومة ائتلافية من عدة أحزاب، وادعى كذلك أنه أطلق سراح كثير من السجناء السياسيين، وسيطلق سراح البقية بشرط أن يتوبوا.

الأمر الهام فى هذا الحديث الصحفى غرض الشاه النظر عن ادعائه المستمر فيما يتعلق بمرحلة الخمسين سنة التى يقصد أنه فى نهايتها ستتحول إيران إلى دولة صناعية متقدمة، ولكن فى المقابل قال لمراسل الصحيفة: "نأمل فى أن نتمكن خلال عشرة أعوام أن نصنع مملكة تماثل أوروبا الحديثة، مع أن هذا ليس سهلاً بهذا القدر، لكن خلال عشرين سنة قادمة نأمل أن نطور الإيرانيين جميعاً كأمة واحدة".

قوم الشاه فى حديثه هذا سياسته الليبرالية جيداً، وأعلن إحدى منجزاته أيضاً وهوتقليل العمليات الإرهابية فى البلاد (١٠-*)، ولكنه كان جاهلاً بهذه الحقيقة حيث أنه فى نفس الوقت كانت الجماعات الفدائية تستغل الفرصة المتاحة ومشغولة بتجديد قوتها ليعيدوا أنفسهم للعمليات القادمة.

(١٠-*) يقصد بها عمليات مجاهدى خلق.

- ١١٠ -

أشار الشاه إلى مثل هذه التصريحات من أنه قد فقد فترة طويلة علاقته بكثير من المشاكل المنتشرة في أنحاء البلاد، وليس له بشكل كامل معرفة ولو محدودة بالأحداث الدائرة وسوء أحوال المملكة.

ولكن كيف كان هذا الأمر؟ والرجل قد أشار مرات إلى أنه لديه حاسة قوية لمعرفة المشاكل المختلفة، كيف صار مكتوف اليدين إلى هذا الحد؟.

من وجهة نظري مامن أحد مقصر في ذلك إلا إياه، فقد سلبت الحكومة الدكتاتورية للشاه ولعدة سنوات من الشعب كل إمكانية النقد والمعارضة، حتى استفحلت المشكلة إلى هذا الحد لدرجة أن أصدقاءه وحتى رجال السافاك أيضاً كانوا يقدمون له فقط التقارير المنمقة خشية بطشه.

وعندما واجه الشاه الحقائق وبناء على نصيحة بعض مستشاريه (خاصة أخى) دفع ثمناً باهظاً، وكان قادراً على أن يقوم بثلاث خطوات أساسية لتحسين الأوضاع وهي:

أولاً : أن يحارب الفساد علنياً، ويبدأ هذه المعركة بتعقب أسرته.

ثانياً: أن يؤيد حرية الكتابة، ويبادر بحل حزب رستاخير الذى كان مفتقداً لقاعدته الشعبية تماماً.

ثالثاً: أن يفتح صفحة الحوار مع آية الله شريعتمدارى ورجال الدين الآخرين المعتدلين، حتى لا يتمكن خمينى بناء على هذا التوجه أن يرسخ زعامته بلا منازع، طالما أن رجال الدين المعتدلين لم يكونوا مطالبين بأى حال من الأحوال بإسقاط السلطنة، ولم يكن لديهم هدف إلا تنفيذ دستور ١٩٠٦ وحماية حرمة الدين على يد الدولة.

ولكن الشاه لم يقم بأى خطوة من هذه الخطوات، وبدلاً من استغلال الهدوء النسبى فى يوليو (تير ٥٧) لبدء حوار مع رجال الدين المعتدلين وتهدة المعارضين، غادر

طهران إلى شاطىء بحر الخرز ليقضى عطلة الصيف مع الملك حسين وكنستانتين.

ولكن خمينى - عكس الشاه - بدلاً من الراحة والتوجه إلى الاستجمام، ضاعف نشاطه، سعى لتقوية ومد نشاطه الذى كان قد برز بالإضافة إلى الخطب المتعددة (التي كانت مسجلة على شرائط) حتى يقوى العلاقة مع المراكز الدينية الإيرانية ومؤيديه الجدد فى خارج البلاد (يجب الإشارة إلى أنه من بين مؤيديه الجدد إبراهيم يزدى وصادق قطب زاده، وكان الأول نشطاً فى دعم الحركة الإسلامية فى أمريكا والثانى له علاقة مع منظمة التحرير الفلسطينية).

من ناحية أخرى كانت القوى غير الدينية المعارضة للنظام داخل البلاد فى حال إيجاد تنظيم، وكان المفكرون ينشطون بشكل واسع بكتابة وتكثيف المنشورات لإذاعتها بشكل سرى بين الشعب.

فى مثل هذه الأوضاع كان شباب المملكة داخل المجتمع المستهلك حيراناً لا يتعرض لأى شىء ذى قيمة، فالفساد يعم كل جوانب البلاد، ومحاربة الفساد لايجدى فى مقالات الصحف وبعض الخطب المؤثرة، وكان حزب رستاخيز قد دخل فى صراع بين جماعة معارضة، فى هذا الحزب بالإضافة إلى الجناحين الموجودين (البناء والتقدم) ظهر جناح ثالث أيضاً بزعامة هوشنگ نهاوندى تحت اسم "جماعة البحث عن مشاكل إيران". مما أدى إلى أن يتحول حزب رستاخيز من الداخل إلى ساحة صراع، ويستفيد الأمين العام للحزب (جمشيد آموزجار) أيضاً من المعركة لصالحه.

استمر هذا الوضع حتى أعلن الشاه خلال رسالته فى ٥ أغسطس ١٩٧٨ (١٤ مرداد ٥٧ هـ.ش) بمناسبة ذكرى الدستور وضمن تعهده بحرية انتخابات الربيع القادمة مائة فى المائة أنه فى هذه الانتخابات سيسمح للمرشحين ممن هم ليسوا أعضاء فى حزب رستاخيز بالمشاركة، والشيوعيين فقط ممن هم ممنوعون قانونياً لايمكنهم أن يرشحوا

لعضوية المجلس^(١٧)، ولكن قول الشاه هذا قوبل برد فعل معاكس من الشعب.

فى نفس الوقت كانت مواقف القوى المعارضة للنظام تتقارب فيما بينها يوماً بعد يوم، وكان الخلاف والفرقة يتزايدان كل لحظة بينهم وبين الطبقة الحاكمة، وتبنى المرشحون إحراز منصب رئاسة الوزارة مع إدراك أن عهد رئاسة آموزجار^(١-*) قد أوشك على الانتهاء قريباً، وأن الحكومة لاحل لها إلا الاستقالة بعد مقتل مئات الأشخاص فى يوليو (دي ٥٦ هـ.ش) وأنهم مستعدون لخلافته.

كان هوشنگ نهاوندى الذى كان متمتعاً بحماية الشاهبانو^(٢-*) يعمل بهمة عالية مع جماعة من الشبيبة، بينما كان أردشير زاهدى الذى يفكر فى رئاسة الوزراء قد أخبر رفاقه أن الوقت قد حان ليقوم على أمنيى^(٣-*) أيضاً بإعادة الاتصال مع المراكز المذهبية.

حمى سوق الشائعات لدرجة أن بعضهم تحدث حول إمكانية عودة أخى إلى كرسي رئاسة الوزارة، ولهذا السبب ولما كان يحظى بالثناء لموقفه السياسى، فإن بقية المرشحين لرئاسة الوزارة انزعجوا لدرجة أنهم اضطروا لتكوين جبهة فيما بينهم للهجوم على أمير عباس، وأشاعوا أموراً محبوبة ضده فى الصحف.

بالإضافة إلى هذا، استغل جمشيد آموزجار بعد تعيينه رئيساً للوزارة - كل موقف لتوجيه النقد لسلوك الحكومة السابقة طوال ١٤ سنة^(١٨)، وسار فى هذا

(١-*) جمشيد آموزجار كان أميناً عاماً لحزب رستاخير وتولى رئاسة الوزارة بعد أمير عباس هويدا وكان الشاه يرغب فى تعيين مسئولين جدد لإعادة الجو السياسى للبلاد (شكست شاهانه ص ٢٥٦).

(٢-*) فرح ديبا الزوجة الثالثة للشاه بعد فوزية أخت الملك فاروق وثريا إسفنديارى.
(٣-*) عيّن على أمنيى للوزارة من قبل الأمريكان فنحى الشاه عن إدارة البلاد وتولى المسئوليات الهامة، وادعى الشاه أن أمريكا قد فرضته عليه، وكان على أمنيى قد عمل سفيراً لإيران فى أمريكا وقويت علاقته بالأمريكان، وعندما حدثت اضطرابات سياسية وأزمة اقتصادية سنة ١٩٦٠ قام أمنيى بعدة إصلاحات (ظهور وسقوط سلطنت پهلوى جلد دوم ص ٢٧٣ بعد).

الطريق إلى درجة نسيانه أنه هو نفسه كان قد اشترك فترة في وزارة هويدا، وعلى الرغم من أن أحداً لم يصدقه لأنه لم يكن هناك حرية تعبير في البلاد، ولم تكن كل هذه الافتراءات وسوء الظن في أخى حالة طبيعية.

اتصلت مرة بأخى تليفونياً من خارج البلاد خلال الهجوم الذى طال أمير عباس من كل جهة وسألته ولماذا لا يحر جواباً؟ ألا يظن أن سكوته سيثير سوء الظن به أكثر؟.... إلا أنه أجابنى: "إن الشاه لاصديق له، وسوف تسحب قدم وزير بلاطه فى الصراعات الصحفية" ولكن أصدقائى أخبرونى أن الشاه شخصياً يرضى عن هذا الوضع، طالما أنه يستطيع الفرار من الهجمات الموجهة إليه، وليس هناك سبيل أفضل من أن يجعل سيل الانتقادات تنحرف صوب معاونيه.

والآن عندما أفكر فى هذه الفترة أواجه نفسى ببعض الأسئلة المؤلمة التى لأجد لها جواباً، منها: ألم يكن هذا الشاه نفسه أحد الأهداف الدعائية المثارة ضد أخى؟ ألم يكن هذا الشاه نفسه هدفاً لجمشيد آموزجار وبعض نواب المجلس وعدد من الصحف، بعد إقالة أخى من رئاسة الوزارة، حتى يجعل أخى هدفاً لاتهامات باطلة؟ ألم يستخدم هذا الشاه نفسه، أخى كدرع واقٍ لتغطية أخطائه وأعماله المشبوهة؟.

موجة جديدة من العنف:

كانت الفتنة قد أثارت جواً من التفرقة والأوضاع المضطربة حيث عمت أصفهان موجة عنف فى يوم ١١ أغسطس ١٩٧٨ (٢٠ مرداد ١٣٥٧ هـ.ش).

فى ذلك اليوم الذى كان يوافق بداية شهر رمضان (١٩) هجم مئات الأشخاص الذين كانوا فى الغالب من الشباب، عند الصبح الصادق مركز المدينة وفى أيديهم زجاجات مملوءة بالبزنين، وكانوا يصيحون أثناء إشعال النيران فى سيارات الشرطة وعدد من البنوك ودور السينما: الشاه ابن الحرام (٢٠).

- ١١٤ -

ويبدو أن سبب ما حدث فى هذا اليوم مرتبط فيما قبله حيث تجمع جامعة من الأهالى فى منزل أحد رجال الدين المعروفين فى أصفهان ليحتجوا على اعتقال واحد من رجال الدين الآخرين، وعندما هجم البوليس على الجماعة أطلق عليهم النيران، لهذا أبدى أهالى أصفهان شعورهم بالعداء صبيحة ذلك اليوم فى مركزه المدينة رداً على تصرف البوليس.

وجرت شائعات كثيرة حول هذه الحادثة، ولكن أعجبها التى انتشرت بسرعة فى كل مكان كانت شائعة تقول: إن رجال كوماندوز إسرائيليين كانوا يرتدون زى الجنود الإيرانيين ويطلقون النار على الأهالى.

وعلى التو أعلنت فى أصفهان وبأمر الشاه الأحكام العرفية، ولكن لم يهتم الأهالى قط بقرارات الحكومة العسكرية (* - ١) وحظر التجول ليلاً، بل إنهم صعدوا المظاهرات والإضراب أكثر، حتى شملت جميع مدن يزد وتيريز وشيراز وقم وطهران ومناطق أخرى.

أثناء هذه المظاهرات هاجم الشباب كل شيء يمثل النظام، وكانت عربات الشرطة والجيش، ومكاتب الشركات الأجنبية ومقار حزب رستاخيز من الأهداف التى تعرضت بصفة مستمرة للهجوم.

اتهم الأهالى أيضاً السافاك الذين دسوا عناصرهم المسلحة بين المتظاهرين بزي خاص ليقتلوا جماعة من الأهالى، وأشاعوا أيضاً أن عناصر السافاك تتصل بشكل خفى بزعماء المقاومة بالهاتف وتهددتهم.

(* - ١) أعلنت الحكومة العسكرية فى أصفهان وتابعها فى ٢٥ مرداد ١٣٥٧ هـ.ش.

وبعد حادثة أصفهان بقليل، اشتعلت النار في سينما ركس آبادان^(١-*) بعد ظهر يوم ١٩ أغسطس ١٩٧٨ و ٢٨ مرداد ١٣٥٧ هـ.ش) واحترق فيها ٣٧٧ شخصاً (طبقاً لما أعلنه المسئولون الرسميون).

وصفت الإذاعة والصحافة الحكومية هذه الحادثة بأنها "جريمة" واتهمت فيها أيضاً الجماعات المتشددة الدينية، ولكن ذكروا بعد ذلك أن عناصر عميلة للأجانب أيضاً سبب هذه الجريمة.

بعد معرفة حادثة الحريق جاشت عواطف الأهالي، وكلف جمشيد آموزجار على الفور لجنة للعمل على استبيان سبب الحادثة، ولكن المعارضين للنظام، منذ بداية انتشار خبر الحريق - اتهموا قوى الأمن والسفك بالقيام بهذه الجريمة.

تجمع آلاف من أهالي يوم الثلاثاء ٢٢ أغسطس (٣١ مرداد) لتأبين ضحايا حريق سينما ركس - حول قبورهم في مقبرة آبادان، ثم ساروا في شوارع المدينة، ورفعوا الشعارات ضد المعارضين على هذه الكارثة.

لم تسفر التحقيقات حول الحادثة عن أى تقدم، ولكن الشائعات المختلفة حول سبب حدوث الحريق كانت تزداد كل لحظة، وأهم مشكلة ظلت بلا إجابة كانت فيما يبدو تعلل إدارة مطافىء آبادان، لأن هذه الإدارة على الرغم من وجود أفضل وأحسن الوسائل للإطفاء في البلاد إلا أنه حين وقوع الحادث أتت النيران على السينما كلها.

(*)- ١) في هذه الحادثة مات ٤٧٧ شخصاً حرقاً وقد اتهمت الحكومة شخصاً وقبضت عليه في العراق وقد ذكرت أنه قد قام بهذا العمل بتحريض من آخرين، ولوحظ أن أبواب السينما كانت موصدة (باسخ به تاريخ ٣٣٤ - ٣٣٥) وقد اتهم الأهالي الحكومة بتدبير الحادث حيث كانت أبواب السينما مغلقة من الخارج والمواد المحرقة كانت مخزونة داخل السينما وموزعة باتقان وأن إدارة السينما تأخرت في إبلاغ إدارة الإطفاء عشر دقائق بالرغم من أنها لا تبعد عنها أكثر من عدة أمتار، كما أن صنابير المياه كانت خالية من المياه (الثورة الإيرانية - د. إبراهيم شتا ص ٢٧٣ - ٢٧٤).

- ١١٦ -

ويمكن الإشارة إلى ثلاثة أسباب عن أهم الشائعات التي شاعت بين الأهالي :

- إن قوى الأمن لم تخبر إدارة الإطفاء - متعمدة - ولمدة نصف ساعة من بداية الحريق عند حدوثه.

- كانت أبواب خروج السينما موصدة.

- منع المسئولون مساعدة الأهالي لإنقاذ المتفرجين المحبوسين داخل السينما.

لزمت صحف إيران الصمت فجأة وبشكل مريب بعد حملتها الأولى على الجماعات الدينية المتشددة، واعتبارها مذنبية في ارتكاب هذه الجريمة، وبعدها صمتت الحكومة تماماً كأنما لم يحدث أى شئ.

ولكن بعد مرور أسبوعين على ماحدث أعلن فجأة : أن رجال الحدود العراقيين قد قبضوا على شخص "يقال: إنه كان مسئولاً عن حادثة حريق آبادان" وقد سلموه إلى رجال الشرطة الإيرانيين، وهذا الشخص قد وُضع رهن التحقيق.

عقب إعلان هذا الخبر عم الصمت مرة أخرى، ولفت ظلال الغموض الحادثة تماماً، ولم يزل حتى يومنا، ولم يفهم أحد قط، وربما لن يفهم أحد مطلقاً، من أشعل النار، ومن كانوا محرضيه لإشعال النار؟ (٢١).

عاد الشاه بعد هذه الحادثة فوراً إلى إيران ، وظهرت أول بوادر تثبيت خوفه من المستقبل، وكرر خلال أحاديثه الصحفية التى أجراها مع الصحف الأجنبية عن تصميمه الاستمرار فى سياسته الليبرالية، وحذر خلال تصريحات معارضيه تحذيراً شديداً، وتعهد مرة أخرى أن تتم انتخابات حرة فى البلاد.

فى يوم الأربعاء ٢٣ أغسطس (أول شهر يور ٥٧) اشتعل ميدان تره بار طهران، ونسبت الصحافة وقوع هذه الحادثة "للإرهابيين" ولكن خلالها نشروا مقالات متوودة للمعارضين واقترح بمصالحتهم، ورفض هذا الاقتراح من قبل الليبراليين المعارضين

للنظام، وأدان كريم سنجابى (*-١) زعيم الجبهة الوطنية أيضاً أثناء انعقاد مؤتمر صحفى "السياسة الإرهابية" و "الوعد الجوفاء" للحكومة.

فى نفس الوقت طلب الخمينى الذى كان نجمه فى صعود - من رجال الجيش والشرطة أن يتمردوا على أوامر قوادهم ولايستسلموا لأوامر تكون سبباً فى إراقة دماء أبرياء للأهالى، وكانت تصريحات الخمينى فى دعوة الأهالى لقلب نظام الحكم قد عمت كل أنحاء المجتمع ، وأثارت دعوات آيات الله للآخرين خلال خطبهم اهتمام الأهالى وكان ضمن هذه الدعوات أن الخمينى بصدد طرح إقامة "جمهورية إسلامية" (*-٢) فى إيران للمرة الأولى (٢٣).

وكان الوضع قد وصل أواخر أغسطس (أوائل شهر يور ٥٧ إلى درجة أن أكثر طبقات الشعب لم يكن لهم هدف آخر سوى إسقاط الشاه، رجال الدين، والتجار، أفراد الطبقة المتوسطة، الجامعيون، التنظيمات الماركسية المختلفة (أكثرها مؤيد للروس أو مخالف لهم) جميعاً ينتظرون اليوم الذى يتخلصون فيه من حكم الشاه، ولكنهم بسبب وجهات نظرهم المعارضة لم يعرفوا إلى أى جهة يتحركون، واحتاجوا لقاعدة يلتفون حولها ويجتمعون فى إطارها، وكان الخمينى الشخص الذى استطاع إثارة رغبة التوجه الإسلامى فى الناس تتجمع له مثل هذه القاعدة ، وهو نفسه الذى يتصل بكل القوى المعارضة للنظام على الرغم من اختلاف وجهات نظرهم.

لبحث التغييرات التى طرأت على جبهة المعارضين للنظام، يجب أن نولى عناية لأهمية وسيطرة المذهب الشيعى فى إيران والذى كان مذهباً رسمياً للبلاد منذ القرن

(*-١) كريم سنجابى كان من زعماء الجبهة الوطنية (شكست شاهانه ص ٢٣٠).

(*-٢) الخمينى يطرح إقامة جمهورية إسلامية فى ٧ نوفمبر حيث طرح هذا المصطلح لأول مرة وأعلن أن الهدف هو طرد أسرة بهلوى (الثورة الإيرانية. د. إبراهيم شتا القاهرة ١٩٨٦ ص ٣٠٣).

السادس عشر الميلادي ^(١-*)، ويجب أن تولي هذه النقطة أيضاً أهمية وهي أن الإيرانيين على الرغم من ميولهم نحو القيم الغربية دائماً إلا أنهم ظلوا تحت تأثير الشعارات الشيعية لدرجة أن شخصاً مثل كريم سنجابی زعيم الجبهة القومية يقول في حديث صحفي له في مظاهرات ٤ سبتمبر ١٩٧٨ في طهران (٢٣ شهرير ٥٧): إننى أنا الآخر لست أنا ولعللى أكون بين الجميع ومسلم بين المسلمين.... "أو شخص مثلى، كنت أحس ولسنوات سابقة بحالة نصف عرفانية داخلى.

فى سنة ١٩٥٨ (١٣٣٧ هـ.ش) كنت مشغولاً مع صديق أجنبى فى تصوير فيلم عن مراسم التعزية فى عاشوراء فى سوق طهران بمناسبة شهادة الإمام الحسين، فجأة أحسست بشورة فى داخلى ثم أعطيت المنظار لصديقى، ودخلت الصف، وانشغلت معهم فى النواح والعزاء.... (٢٤).

إن تاريخ إيران مزوج بآداب وأصول التشيع لدرجة أنه لايمكن إطلاقاً أن يبحث أحدهما دون الآخر طوال عدة قرون.

إن وجود ٨٠ ألف مسجد (أو رقم قريب من هذا) و ١٨٠ ألف رجل دين فى أنحاء إيران، ووجود نوع من التكوين الأساسى وبنية الدولة يكون قادراً عند اللزوم بأن يوجه عموم الشعب إلى الجهة التى يريد بها رجال الدين، ولما كان الشاه طوال سنة ١٩٧٨ (١٣٥٧) أكثر من أى وقت يُعد مثالاً للفساد والضياع فى نظر المسلمين، فإنه كان من الطبيعى أن تتخذ الحركة الثورية للإيرانيين أيضاً الواجهة الدينية واجهة لها، وخاصة أن رجل تعليم مثل "على شريعتى" ^(٢-*) (أستاذ علم الاجتماع فى جامعة مشهد كان قد

(١-*) أصبح التشيع مذهباً رسمياً لإيران فى العصر الصفوى حيث اتخذ الشاه إسماعيل الصفوى مذهباً رسمياً للبلاد.

(٢-*) على شريعتى هو على بن محمد تنقى شريعتى المولود فى قرية مزيتان من قرى سبزوار فى خراسان سنة ١٩٣٣، اهتم بالقضايا الدينية، التحق بجناح الشباب فى الجبهة الوطنية ثم انضم لحركة المقاومة الوطنية التى أسسها آية الله زنجانى وآية الله طالقانى ومهدى بازرگان، حصل=

طرح المذهب الشيعى بنظرة اجتماعية جديدة، مما ساعد على أن يدرك الطلاب الإيرانيون أقوال وأفكار الحمينى إدراكاً أفضل.

مات على شريعته (٢٥) فى لندن قبل الثورة، ولكن مؤيديه اتهموا السافاك بقتله، ولهذا السبب اعتبروه شهيداً حتى تشيع أقواله بين الناس أكثر.

ويمكن بالاطلاع على دور ذى أهمية لشهادة الإمام الحسين فى ثقافة الإيرانيين ليعرف جيداً أن إطلاق اسم شهيد على الأفراد يرتقى بهم إلى درجة عالية فى نظر الشعب، وهذا نفسه هو السبب الذى لعب فى الواقع دوراً أساسياً فى أحداث الثورة، وأن إقامة ذكرى الأربعين لشهداء كل حادثة قد توالى حتى تبدلت حركة معارضة فى البداية إلى ثورة حقيقية وأصيلة فى النهاية (٢٦).

الشاه يواجه الحقائق :

مع استمرار الاضطرابات واقترب عيد الفطر (فى نهاية شهر رمضان) حيث كان من المحتمل وقوع مظاهرات أكبر، أدرك الشاه أن جمشيد آموزجار ليس هو الشخص الذى يمكن أن يواجه الأوضاع، طالما أنه منذ شهر يناير (بهمن ٥٦) عجز عن استخدام إمكانيات حزب رستاخيز للقيام بخطوات ضرورية وإجهاض التحركات الدينية بين الشعب، وطوال هذه الفترة لم يزد غضب المعارضين للنظام فحسب بل إنه كان سبباً فى إيذاء العديد من مؤيدى وأصدقاء النظام أيضاً.

= على ليسانس آداب سنة ١٩٥٨ وبعث إلى فرنسا سنة ١٩٥٩ ونال الدكتوراه فى علم الاجتماع الدينى، وأيضاً حصل على دكتوراه فى تاريخ الإسلام وعمل مدرساً بجامعة مشهد وأخذ فى الكتابة الإسلامية حتى نقل إلى وظيفة مدرس فى إحدى القرى النائية كمعلم فى المدارس الابتدائية، ثم عاد إلى جامعة طهران، وأخذ فى إلقاء المحاضرات فى "هسيه الإرشاد" وطرح آراءه المستنيرة بين الشباب حتى قبض عليه وسجن سنة ١٩٧٣ ورحل عن إيران سنة ١٩٧٧ وسافر إلى لندن حتى عثر عليه ميتاً وله عدة مؤلفات أهمها: العودة إلى الذات، وبناء الذات الثورة وهما ترجمة د. إبراهيم شتا (هازگشت به خوشتن - خود سازى انقلابى) (العودة إلى الذات - على شريعته ترجمة د. إبراهيم شتا - القاهرة ١٩٨٦ المقدمة).

وكان الوضع فى البلاد قد وصل إلى درجة أن سياسياً مجرباً (الذى يعرف ضمناً أساليب جذب رجال الدين) يمكن أن يقوم بدور أفضل من أى تكنوقراطى ولم يكن هناك أفضل فى أثناء ذلك من أمير عباس.

وتبادل الشاه وجهات النظر مع سفير أمريكا (*) (١-). كما هو عادته دائماً- فيما يتعلق بمسألة خليفة أموزجار، واتخذ قراره تحت تأثير الأوساط التى ترتبط بالأسرة (وكانت جميعها صُدمت بعنف بسبب إصرار أخى فى مقاومة الفساد) وأيضاً أشخاص مثل أردشير زاهدى (الذى كان يعادى أمير عباس عداً شخصياً) يبعد أخى عن طريقه، وفى هذا الصدد يجب أن أنقل أمراً كان سفير أمريكا قد عرضه على أحد أصدقائى كان يقول: الشاه سيظل يحسد هويدا طالما أن هويدا أحد العقول السياسية المعدودة فى البلاد..... (٢٨).

عقب هذا القرار أصدر الشاه أمره فى البداية لجمشيد أموزجار ليستقيل من رئاسة الوزارة، ثم عين جعفر شريف امامى (رئيس مجلس الشيوخ) محله لحساسية التوجهات السياسية وأعفى كثيراً من المسئولين رفيعى المستوى السابقين عن أعمالهم وكان من بينهم أخى أمير عباس (٢٨).

فى نفس اليوم قال لى أحد أصدقائى خلال توقف فى نيويورك: "أظن أن أمر الشاه قد وصل إلى النهاية" وعندما رأتى مندهشاً من قوله: تذكر أحد ضيوف عشاء سمو الأميرة فاطمة (*) (٢-) سنة ١٩٧٣ الذى سمع الشاه فى هذا المجلس وكان يخاطب (أمير عباس: "أظن أننى وأنت يجب أن تتقاعد سوياً فى وقت واحد...").

(١-*) ريتشار هولز وزوجته سينتا هولز من أشهر الشخصيات التى أثرت فى الشاه وارتبطت به بعلاقة حميمة- وقد عاد هولز إلى واشنطن سنة ١٩٧٦ وعمل رئيساً للمخابرات المركزية (شكست شاهانه ص ٢٢٨ - ٢٤١).

(٢-*) فاطمة بهلولى المولودة سنة ١٣٠٩ هـ.ش الابنة الوحيدة لرضا شاه من زوجته عصمت الملوك =

فى نظرى أن تعين شريف إمامى رئيساً للوزارة وإقالة أمير عباس من وزارة البلاط يجب أن يعد من أخطاء الشاه أواخر عهد سلطنته، على الرغم أننى لا أريد أن أقول أنه بهذا الفعل كان قد نسى سابق قوله، ولكن يمكن القول: إن مثل هذا التصرف من قبل الشاه خلق ساحة خالية حوله، ومهد لدعاياته حول مكافحة الفساد، ذلك لأن شريف إمامى على الرغم من ارتباط أسرته برجال الدين كان مسئولاً عن "مؤسسة بهلوي" فترة (وتعد هذه المؤسسة فى نظر الرأى العام موقع تحقيق مصالح غير مشروعة لأسرة الشاه) كما يعدونه أيضاً فى أغلب المحافل شخصاً فاسداً.

قام شريف إمامى بمجرد بداية توليه - وقبل تقديم الوزارة - بثلاث خطوات لاستعراض قدرته: أغلق جميع الكازينوهات ومحال القمار بعلّة أن الإسلام يحرم القمار، أعاد التاريخ الهجرى مرة ثانية (*-١)؛ وكان قد مر قرابة عام واحد فقط على السنة الشاهنشاهية التى أقرها الشاه، وأعلن حل وزارة "النساء" التى كانت قد تشكلت بأمر أخت الشاه (٢٩).

وسمح شريف إمامى للصحافة أيضاً مع مثل هذه الخطوات بطبع صورة خمينى، وبالتدريج تمسك بالمانورات التى كانت تظهر أنه مثل الشاه جاهل بالأصول الحقيقية للأزمة، ولما لم يأخذ الشعب تصرفاته بالجدية ولم يطلب منه خمينى أن يعزل الشاه ويقر الجمهورية الإسلامية فى البلاد كف يده.

خلال ذلك أصر رجال الدين المعتدلون على وجهة نظرهم الأصلية وهى تنفيذ

= دولتشاهى، درست فى إيران وأمريكا، تزوجت من خسروخان قشقايى فى سن الثامنة عشرة وبعدها تزوجت من أمريكى يدعى وينست هيلر بعد منحه الجنسية الإيرانية واعتناقه الإسلام باسم على، ثم تزوجت من أردشير زاهدى ثم من محمد خاتمى الطيار الشخصى للشاه (زندگى پرماجرأى رضا شاه ص ٧٣ - ٧٥).

(١-*) كان الشاه قد استخدم تقريباً شاهنشاهياً وأهبط التقرير الهجرى فى أول إسفند سنة ١٣٥٥ هـ.ش.

دستور ١٩٠٦ (*١) وكان هذا الدستور يمنح خمسة أعضاء حق الرفض للقوانين المخالفة للإسلام) وطالب المثقفون أيضاً مع قرابة ١٨ حزب سياسى (الذين كانوا قد استعرضوا أنفسهم) طالبوا بالحرية الكاملة فى البلاد.

كانت بعض الأوساط فى طهران تنتظر فقط أن ترى أمريكا- التى لم تكن حتى هذا الوقت قد أظهرت موقفاً محدداً من حوادث إيران- ماذا ستبدي من رد فعل؟ وهل كانت هى السبب فى تحريك اللواء زاهدى للثورة سنة ١٩٥٣ ضد مصدق؟ وهل ستعمل مرة أخرى لحماية الشاه أو لا؟.

أخذت الشائعات المتعلقة باحتمال تدخل أمريكا تقوى لدرجة أن أردشير زاهدى (ابن اللواء زاهدى وسفير إيران فى أمريكا) بدأ فجأة نشاطه فى المجال السياسى، وأشار فى بداية عمله أيضاً أنه كان شخصياً عامل أساسى لتغيير الحكومة، وأوضح للذين صدقوا كلامه أنه عين بنفسه عدة وزراء فى وزارة شريف إمامى، ومنهم أمير خسرو أفشار وزير الخارجية.

فى ذلك الحين وعندما رفض الليبراليون المعارضون للنظام دعوة الشاه لاستئناف الحوار معه، اضطر إلى التوجه إلى جماعة من الليبراليين القدامى - الذين كان قد عزلهم منذ سنة ١٩٦٣، واستشار أشخاصاً مثل على أمينى وعبد الله انتظام.

وبهذه الخطوة قطع الشاه علاقاته كلياً مع هؤلاء الذين كانوا فى خدمته لخمس عشرة سنة، وعوض ذلك بمضاعفة اتصاله بسفراء المجلترة وأمريكا، واستدعى قواد جيشه سراً للتباحث فى القصر.

وطبقاً للمعلومات التى وصلت إلى سراً، وأدركت أن الشاه فى ذلك الوقت فى

(*١) دستور ١٩٠٦ صدر هذا الدستور فى عهد مظفر شاه القاجارى سنة ١٣٢٤ هـ. ش - تاريخ بيدارى إيرانى - ناظم الإسلام كرماني به اهتمام على أكبر سعيدي سیرجاني طهران ١٣٦٢ چاپ چهارم جلد سوم ص ٤٧٦).

مفترق طريقين، ولا يدري في أيهما يسير لأنهما كانا نقيض بعضهما، في أحدهما يقر المؤيدون استرضاء رجال الدين ومنحهم المميزات، وكان منهم شريف إمامي وجماعة الليبراليين القدامى (أمثال أمينى وانتظام) وفي الطرف الثانى قواد من الجيش كانوا يؤيدون العنف وإعمال القوة، وحقيقة كان هناك طريق ثالث اقترحه الليبراليون المعارضون (الجبهة القومية - المثقفون وآخرون) والذي لم يكن الشاه مستعداً لقبوله،، ومطلب هذه الجماعة هو خروج الشاه من المملكة والعودة إلى حكومة دستورية.

خلال الشهور التالية ظل الشاه متردداً في اختيار أحد الاقتراحين وجذبتة الضغوط الناجمة عن ظهور حوادث مختلفة إلى درجة أنه أخذ يفقد ثقته بنفسه يوماً بعد يوم، وصار وجهة أكثر شحوباً وعيناه أكثر انكساراً وصوته أكثر لاجاة، لدرجة أن "مايكل بلومنتال" وزير خزانة أمريكا قد صرح بعد عودته من زيارة إيران ولقائه مع الشاه في قصره: "أنه كان عاجزاً تماماً" (نقل لى قول بلومنتال هذا أحد أصدقائه) وفي نظرى أيضاً أن الخطأ الجسيم الذى ارتكبه الشاه هو استدعاء شريف إمامي لتشكيل الوزارة، وهذا رأى أثبتت صحته سير الحوادث التالية.

ولكن ماذا حدث فى الواقع لكل هذا التردد والشك تجاه الأزمة المتزايدة؟ الحقيقة هى إنه كان قد بدا عليه احساس بالضعف عقب استمرار الاضطرابات خلال عدة شهور بعد بقاء الامتيازات التى كان قد منحها لشريف امامي دون نتيجة، واضطرب أمره، وكان فقط يسعى لقاعدة محكمة للاعتماد عليها وكسب الحماية حتى يتمكن من المواجهة الجديدة مع الأزمنة، واتجه صوب أصدقائه الغربيين بناء على هذا الخاطر لإيجاد قاعدة أفضل.

كان هذا التخيل هو الذى حدا بالشاه لأن يجرى عملية جراحية فوراً، وأن يعتمد فقط على الإسعافات الأولية بالإضافة إلى سرعة تأمين نفسه من مطالب الليبراليين المعارضين وقواد جيشه، ويشير الخلاف والفرقة بينهم.

فى نظرى وفى مثل هذا الوضع فإن الطريق الوحيد لإنقاذ الشاه كان فى أن يتنازل عن كبريائه وغروره ويتصنع التواضع ليتجاوز انتقاد أعماله وسلوكه القديم.

لو أنه إستطاع أن يعترف بأخطائه للرأى العام، ويتعلل بالأعذار على الملأ، ويختار وزراء الوزارة من وجوه شعبية ، لينقذ نفسه من حصار المنافقين والممالقين واللصوص والحمقى، ومن البديهي أنه كان قادراً على أن يبقى فى مكانه، ولكن غرور وتكبر الشاه الذى زاد عن الحد لم يسمح له بأن يفعل هذا.

تجدد العنف :

إن اختيار شريف إمامى لرئاسة الوزارة لم يهدىء من ثورة الأهالى كما كان ينتظر الشاه بل إنه أوصلها إلى درجة الغليان.

وفى يوم الاثنين فى سبتمبر ١٩٧٨ (١٣ شهر يور ٥٧) مع حلول عيد الفطر - فى نهاية شهر رمضان - عندما تهيأ الموقف للمظاهرات فى طهران، تجمع الناس فى البداية لأداء الصلاة فى مرتفعات قيطريه ، وبعدها تدفقوا كالسيل فى شوارع طهران ، ورفعوا خلال المسيرة الشعارات ضد الشاه (*-١) .

فى هذه المظاهرات التى كان الليبراليون المعارضون قد التحقوا أيضاً بصفوف المسلمين كان الناس يهتفون لأول مرة بهتاف "عاش الخميني" وكلما اصطدموا بحاملات جنود قوات الأمن قذفوا الجنود بأغصان الورد ويقولون: "أخي الجندي لماذا تقتل أخاك؟ (*-٢)" وهذا التصرف أثر إلى درجة كبيرة لدرجة أن البكاء غلب على بعض الجنود أحياناً.

(*-١) كان المصلون بإمامة آية الله مفتح، وقد نظمت أول مظاهرة كبيرة ضد نظام الشاه (باسخ به تاريخ ص ٤٥٨).

(*-٢) وبما رفعوه من شعارات الله أكبر...خميني رهبر، رهبر ما خميني است.... مذهب ما حسينى است، حزب فقط حزب الله، رهبر فقط روح الله، وروح الله هو خميني.....(الثورة الإيرانية ص ٣١٧).

- ١٢٥ -

وتدفق الناس مرة أخرى فى الشوارع يوم ٧ سبتمبر (١٦ شهر يور) دون اهتمام بالتدابير الأمنية من النظام، وساروا فى مظاهرات رافعين شعارات أعنف من السابقة ضد الشاه، وكانت أكثر الشعارات (*) (١-) التى سُمعت من الناس فى ذلك اليوم على النحو التالى:

- يحيا الخميني - الموت للشاه.

- سنقتلك أيها الشاه.

- خمسون سنة من الحكم - خمسون سنة من الخيانة.

- ثورتنا حسينية وزعيمنا خميني (٣٠) .

فى نظرى أن المعجزة فقط- فى هذه المسيرة التى تمت بشكل هائل هى التى حالت دون إراقة دماء ومجزرة خلال صدام قوات الأمن والشعب وبدأ خلالها أن خمينى خلال شهرى يوليو وأغسطس (تيرومرداد) كان يمكنه بحق أن يثبت زعامته، ووضع أن قوته فى المنفى أقوى من قوة آيات الله الموجودين فى إيران..... وحقيقة أنه منذ ذلك الحين وفيما بعد عُرف خمينى كزعيم منفرد وبلا منازع لحركة بدأها منذ تسعة أشهر سابقة.

ضغط القادة العسكريون- بعد مشاهدة هذه المسيرة - على الشاه لكى يعلن بأسرع ما يمكن حكومة عسكرية فى طهران وتذرعوا بمطلبهم أيضاً بأنه " يمكن للجمع الغفير فى مسيرة اليوم أن يستولى بسهولة على مبنى المجلس ومبانى الإذاعة والتليفزيون ، وصمم الشاه؛ بعد عدة ساعات من التردد والحيرة علي أن يتبادل وجهات النظر مع سفراء المجلترة وأمريكا؛ أن يأخذ بوجهة نظر قادة الجيش.

كان الشاه يدرك من ناحية أن السياسة الليبرالية من وجهة نظره مفسدة ، وكان قادته من ناحية أخرى مستائين وقلقين من تنفيذ مثل هذه السياسة، وكانوا خلال ذلك

ينتقدون في محافلهم الخاصة الوضع الناجم عن الجو السياسى، وكان بعضهم يعتقد بعد مشاهدة هذه المظاهرات ومسيرات هذا اليوم أن السياسة الليبرالية للشاه وإصرار كارتر على إقرار حقوق البشر في إيران سيؤدى إلى إسقاط النظام فى آخر الأمر.

وصفت الحكومة مظاهرات ذلك اليوم صبيحة غده (الجمعة ٨ سبتمبر ١٩٧٨) (١٧ شهر يور ٥٧) بنشر بيان إذاعى أنه تصرف معارض لتوجهات رجال الدين ومغاير للمصالح القومية والدستور، واعتبرتها مؤامرة دبرتها عناصر أجنبية وزودتها بالمال، وأعلن البيان أيضاً أنه" من اليوم ولسته أشهر تقرر وجود حكومة عسكرية فى طهران و ١٢ مدينة أخرى" (١-*) .

وعقب هذا البيان عُين الجنرال أوىسى (*) (٢-) القائد السابق للحرس الملكى والمشهور بقسوته حاكماً عسكرياً بطهران.

ولكن كثيراً من الأهالى كانوا قد قرروا من اليوم السابق أن يتجمعوا يوم الجمعة صباحاً لعقد مراسم تأبين قتلى أول سبتمبر (١٠ شهر يور) (الذين كانوا هدفاً لرصاص قوات الأمن بعد خروجهم من مسجد فاطمة أثناء هتافهم) فى ميدان جاله (ژاله)، وأغلب هؤلاء لم يتمكنوا من سماع بيان إقرار الحكومة العسكرية من الراديو (أعلن الجنرال جعفرى نائب الشرطة أيضاً فيما بعد أنه فى صباح ذلك اليوم لم يكن يعرف مطلقاً إعلان الحكومة العسكرية فى طهران).

بعد بداية مظاهرات الأهالى فى ميدان جاله (ژاله) أطلق رجال الحكومة العسكرية النار من رشاشاتهم صوب الأهالى، وكما قيل: إنهم سلكوا طريق الإبادة لأن الشباب كانوا يشكلون أكثر قتلاهم.

(١-*) والمدن التى أعلنت فيها الحكومة العسكرية هى تبريز ومشهد وأصفهان وشيراز وعبادان والأهواز وقزوین وكازرون وجهرم والكرج، ولم يكن هناك حكومة عسكرية إلا فى مدينة واحدة فقط.

(٢-*) ولد فى قم وعمل بالجيش حتى وصل إلى منصب الحاكم العسكرى لطهران أثناء قيام الثورة الإسلامية- وقد خرج من إيران بحجة العلاج ولم يرجع وقد قتل فى باريس على يد مجهولين (ظهر وسقوط سلطنت پهلوى جلد دوم ص ٤٤٦).

وأعلنت الحكومة عدد قتلى هذه الحادثة بـ ٥٨١ شخص، ولكن بناء على قول مصادر معارضة للنظام أن عدد القتلى بلغ ٥٠٠٠ شخص (*١-).

بالإشارة إلى "الجمعة الأسود" (*٢-) في طهران، فإنه يجب أن يُعد هذا اليوم منعطفاً في عمر نظام الشاه، حيث شاعت شائعات كثيرة على الألسنة، من أهم ما تناقله الناس، إحداها كانت أنه في اليوم السابق وصلت طهران ثلاث طائرات مملوكة بالكوماندوز الإسرائيليين، ليقوموا بالمهمة التي امتنع الجنود الإيرانيون عن القيام بها. بعد هذه الحادثة سيطر غضب شديد على الأوساط المختلفة المعارضة للنظام، بينما كان الأمر غير قابل للتصديق، أعطت الحكومة الأمريكية الضوء الأخضر للشاه بسبب سياستها لحقوق الإنسان فيما يتعلق بمجزرة الجمعة الأسود وحبسوا عدداً من زعماء المعارضة، وقبضوا على عدد آخر، منهم عدة أشخاص من رجال الدين.

وفى نفس الوقت صرح "شاهبور بختيار" الذي كان بمثابة النائب لرئاسة الجبهة القومية، خلال حديث صحفي مع مراسل صحيفة "لوموند" لا يمكن بأي حال من الأحوال التعايش مع نظام الشاه بعد الحادثة التي وقعت". ولكنه بعد عدة شهور قبل أن يُعين رئيساً للوزارة من قبل الشاه (*٣-).

(*١-) اختلقت الإحصائيات حول عدد القتلى وذكر شاهبور بختيار أنهم ٢٤٥٠ شخصاً بينما تضم مقبرة بهشت زهرا ٤٢٠٠ شخصاً ولكن عدداً كبيراً لم يدفن في الجبابة العامة بهشت زهرا. (الثورة الإيرانية - د. إبراهيم الدسوقي شتا - القاهرة ١٩٨٦ ص ٢٨٤).

(*٢-) الجمعة الأسود هو يوم ١٧ شهر ربيع الأول ١٣٥٧ هـ. ش حيث أعلنت الحكومة العسكرية في طهران وتبريز ومشهد وأصفهان وشيراز وعبادان والأهواز وقزوین وكازرون وجهرم والكرج الأحكام العرفية ومنعت التجمهر إلا أن الشعب خرج بأكمله من الشباب والشيخ والأطفال والنساء وأطلق الجنود الرصاص على المتظاهرين فقتلوا قرابة خمسة آلاف - بينما ذكرت المصادر الحكومة أن عددهم ٩٥ شخصاً وذكر شاهبور بختيار في حديث صحفي له لوكالة الأنباء الفرنسية أن عدد القتلى ٢٤٥٠ شخصاً (پاسخ به تاریخ - حاشيته ٢٤٦).

(*٣-) شاهبور بختيار - آخر رؤساء الوزارات في عهد الشاه، عند وداعه للشاه في ١٦ يناير ١٩٧٩ في مطار مهرآباد، انحنى أمام الشاه وقبل يده مما أثار سخط الشعب وزاد من نفوره من حكومته (شكست شاهانه ١١٨).

وفى اليوم التالى لحادثة الجمعة الأسود، حرض خمينى؛ خلال رسالة؛ الشعب^(١-*) بالمقاومة ضد الشاه المجرم" وطالب أيضاً القوات العسكرية بأن تهب ضد الشاه، وفى المقابل صرح الشاه فى حديث صحفى مع مجلة "تايم" لو لم يكن هناك حكومة عسكرية فى طهران، فقد كان من الممكن للقوى المعارضة أن تجعل المملكة تحت سيطرتها.

يوم الأحد ١٠ سبتمبر (١٩ شهر يور)، بينما كان شريف إمامى يقدم أعضاء وزارته إلى المجلس، كانت جميع أطراف المجلس محاصرة بالدبابات. قال خلال بيانه مخاطباً نواب المجلس: إن سياسة التوجه إلى الليبرالية ستستمر، وسيسعى شخصياً لخلق جو هادئ، لعقد انتخابات حرة ودفع الفساد عن البلاد. فى نفس الوقت الذى كان شريف إمامى يدلى ببيانه فى المجلس كانت الأسر المكلومة مشغولة بدفن جثث قتلى حادثة الجمعة الأسود فى مقبرة بهشت زهرا^(٢-*) فى الخفاء.

فى ذلك اليوم طلب شريف إسمامى من أفراد الأسرة الحاكمة أن يوقفوا نشاط مكاتبهم التجارية، ولكن الشاه فى نفس الوقت كان قد أقام حفل ضيافة على شرف الذكرى الخمسين لتأسيس البنك الوطنى "بنك ملي" حيث دعا إليه ١٢٠ من رجال البنوك المعروفين ورجال الاقتصاد فى العالم.

فى نفس اليوم فكر أردشير زاهدى الذى كان مستاءً من أحداث إيران أن يقوم بعمل عظيم، وطلب خلال محادثة هاتفية مع "برجينسكي" فى كامب ديفيد أن يعرض بأى شكل أثناء المحادثات مع أنور السادات وبيجين^(٣-*) مسألة إيران على الرئيس

(١-*) وجه خمينى رسالته إلى الشعب ورجال الدين لمواصلة الكفاح والجهاد.

(٢-*) بهشت زهرا وتعنى جنة الزهراء وهى مقبرة بالقرب من طهران دفن فيها الإمام الخمينى.

(٣-*) وهى المحادثات التى أسفرت عن عقد معاهدة كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل بحضور السادات وبيجين وكارتر.

كارتر ويطلب منه بإصرار أن يحدث الشاه هاتفياً ويطمئنه فيما يتعلق بحمايته.
قام كارتر بهذا الأمر.....ولكن مثل بقية الأقوال والتصريحات خلال الشهور
التالية فإن الحديث بالهاتف مع الشاه أيضاً لم يكن كافياً لمساعدته بل إنه رفع درجة
غضب الشعب ومذلة الشاه أكثر.

فى نفس الوقت شرح على أمينى (الذى كان قد استأنف نشاطه السياسى) خلال
حديث صحفى مع مراسل "لوموند" الوضع الذى يحدث فى البلاد، قال خلاله:
".....كنت دائماً أؤيد النظام، وقد قمت بكل المساعى لرأب الصدع بين جلالته
ومعارضيه، ولكن الحقيقة أنهم لم يتقدموا خطوة قط فى سبيل تذليل
المساعى.....وفى الوقت الحاضر أيضاً لما كان جلالته متمسكاً بالحكم ولأكثر، فإننى
شخصياً مستعد لأن أشكل وزارة ائتلاف وطنية وأعقد انتخابات حرة فى البلاد.....".

دار البحث حول "طريق حل أمينى" خلال شهر سبتمبر وما بعده (شهر بور ومهر
٥٧) فى المجالس والمحافل فى طهران، ولكننى لم أستطع مطلقاً أن أحل هذا اللغز ماذا
أراد أمينى بالحل الذى رآه، أعنى منع الندين الرئيسيين أحدهما وجود الخمينى والآخر
الجماعات اليمينية؟ بالإضافة إلى أن شخص أمينى كان بسبب اشتهاره بأنه أهل الثقة
لأمريكا كان من المحال أن يشير الشعور المعادى لأمريكا والذى كان يتزايد يوماً بعد
يوم فى البلاد.

ويجب أن أضيف أيضاً فيما يتعلق بوجهة النظر التى كنت قد ذكرتها عن أمينى
أنه عندما وصل الشاه إلى أمريكا فى نوفمبر ١٩٧٧، عقد "آرنو دوبرش جراد" مراسل
مجلة نيوزويك معه حديثاً صحفياً، سأل الشاه فيه: ".....كانت حكومة إيران قد
أعلنت منذ أسبوعين أن الرئيس كيندى كان قد قدم مساعدة أمريكية لإيران سنة
١٩٦١ بمبلغ ٣٥ مليون دولار لتعيين دكتور على أمينى رئيساً للوزارة، هل تؤيد زعم
الحكومة هذا؟" أجاب الشاه على المراسل "هذه مسألة قديمة ولكن حقيقة".

وكانت حكومة شريف إمامى (*) (١-*) خلال الأيام التالية قد صرحت بأنها بدأت محاربة الفساد، ولكن الحقيقة أنها خلال محاربتها لتعقب المفسدين الحقيقيين الذين كانوا جزءاً من عائلة وحاشية الشاه، ولترك الأثر المطلوب على رأى العام أشارت لعدة أشخاص من العناصر الثانوية، وعلى سبيل المثال السعى للقبض على وزير الصحة السابق (دكتور شيخ الإسلام زاده) ليستخدموه كدرع آمن لخططهم الأصلية، وبذلك يضع علامة على المفسدين رفيعى الشأن حتى لايتأخروا ولايخرجوا من البلاد ويفروا.

خلال ذلك أجرى الشاه أحاديث صحفية متتالية للصحف الأجنبية، وطالب فى كل منها أنه كان من الممكن أن يستخدم كل الأسلحة صوب معارضيه، ولم أستطع قط أن أفهم ما الداعى لما قاله الشاه من ثرثرة وهذيان فى أحاديثه مع وسائل الإعلام الأجنبية؟.

تحدث الشاه فى هذه الأحاديث الصحفية بلهجة عنيفة، ووقف أمام عدسات التلفزيون فى صورة الأمر كما اتفق قول جميع المراسلين وقالوا: إن سلوك الشاه، وسوء قوله وصل فى حديثه لدرجة أنه كأنما يواجه أسوأ أعدائه، وخلال الأحاديث الصحفية انتهز كل فرصة لإلقاء اللوم فى كل مشاكل المملكة على عاتق "الشيوعيين" أو "الفوضويين".

قضى شريف امامى السنين وكأنه مازال فى العقدين السادس والسابع (١٣٣٠ - ١٣٤٠) ولم يكن هناك دليل على تقليل الضغط سوى التعهد ومنح الامتياز، وكان يظن أنه باستعمال سياسة "العصا والجزرة" سيتمكن من تفريق المعارضين.

أشار شريف إمامى بعد إطلاق سراح مجموعة من المتهمين الضالعين فى حادثة

(١-*) ولد فى طهران سنة ١٢٩١ هـ. ش لأب من رجال الدين، وقد تقلد عدة مناصب آخرها رئاسة الوزارة، متهم بأنه ماسونى، ومتهم بالفساد المالى، وقد أقيـل فى ١٣٥٧/٨/١٤ هـ. ش (ظهور وسقوط سلطنت پهلوى جلد دوم ص ص ٣٩٩- ببعد).

"الجمعة الأسود" من السجن والتحفظ على البقية الذين كانوا فى حالة قتال أنه أصلاً لم يحدد أسباب الاضطرابات، وعقب ذلك دخلت السياسات حالة اعتمدت على قدرته، وسيرته هذا الحوادث يئنة وسرة.

فى ذلك الحين سارت الأوضاع من سوء إلى أسوأ، فجأة حدث زلزال مدمر فى خراسان. وأهمية هذه الحادثة كان من الممكن أن تقلل من شدة الأزمة السياسية فى البلاد، ولكن لم يحدث خلاف المنتظر.

فى ذلك الوقت كنت مع رفاقى فى نيويورك نستمتع لما حدث من راديو إيران، وسمعنا فى برنامج الأخبار فجأة بعد بدايتها أن: ".....جلالة الملكة عينت اليوم عليه خانم فريدة ديبا كمعاونة لعمليات الإنقاذ وتقديم المساعدات إلى متضررى زلزال طبرستان.. (١-*)".

هز أحد رفاقى كتفيه عند سماع الخبر وقال: ".....ثانية نفس الكلمات المكررة نفس القصة القديمة أنهم لا يريدون أن يفهموا، وليسوا مستعدين أن يغيروا نظرتهم....".

حقيقة، إن أخبار الراديو كانت دائماً تثير غضب المستمعين، ما من مكان قط وفى بداية هذه الأخبار إلا وذكرت أعمال الأسرة الحاكمة، ووصلت المبالغة فى ذلك إلى درجة أنه حتى عشرات الأخبار الهامة والضرورية التى تبثها أجهزة التلكس تأتى عقب برامج الأخبار الخاصة بالأسرة الحاكمة.

(١-*) وقع الزلزال فى ١٦ سبتمبر (٢٥ شهرير).

الإضرابات :

بعد استقرار الحكومة العسكرية التى تولت منع المظاهرات والسيطرة الكاملة للجيش- أخذ الصراع مع النظام شكلاً جديداً.

أغلقت السوق والمحلات الصغيرة فى أنحاء المدينة الأيام التى صادفت أيام التعزية، واستخدم العمال أيضاً سلاح الإضراب تعبيراً عن تضامنهم فى محاربة النظام.

أقلقت مسألة إضراب العمال الشاه، ولم يستطع أن يصدق أن الأشخاص الذين كانوا قد أعلنوا فى يناير ١٩٧٦ (دى ١٣٥٤) عند تسلمهم المستندات الخاصة بالاشتراك فى أرباح المصانع "شكرهم اللا محدود للذات الملكية المباركة"، الآن يضربون ضده (٣١).

فى بداية الأمر عندما كان للإضرابات تأثير اقتصادى، بدأت حكومة شريف إمامى مناقشات علنية مع المضربين من ناحية، وتعهدت بزيادة الأجور، حتى وصلت أحياناً قرابة ٤٠ فى المائة- حتى تمنع استمرار الإضرابات، وطلبت من أصحاب الصناعات الخاصة أيضاً خلال توددها لهم بأن يسلكوا نفس المسلك لزيادة أجور العمال فى نفس وقت اتخاذ هذه الخطوات واستمرار مباحثات نواب الحكومة مع العراقيين لكى يحد المسئولون العراقيون من نشاط الخمينى - الذى كان يقضى عدة سنوات فى منفاه بالعراق.

كانت حكومة العراق تعتبر آية الله لاجىء سياسى وبسبب أوامره التى كان يصدرها لإثارة الشعب الإيرانى ضد الحكومة مما يعد مخالفاً لقوانين اللجوء، لذا بدأت فى اتخاذ خطوات ضد الخمينى لمنع أى اتصال بينه وبين الإيرانيين الذين كانوا ينفذون لزيارته.

تحديد إقامة خمينى على يد الحكومة العراقية (*) أدى عكس ماكان متصوراً إلى تقوية تيارات المعارضة للنظام فى إيران، وأعلنت الجماعات المتصارعة يوم الأحد الأول من أكتوبر ١٩٧٩ (٩ مهر ٥٧) يوم إضراب عام تعبيراً عن معارضتهم لهذه الخطوة، وعلى الرغم من أن الإضراب قد شمل كل طهران وكثيراً من عواصم المحافظات إلا أنه فى نفس الوقت أجرى وزير خارجية إيران الذي كان قد سافر إلى نيويورك للاشتراك فى الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة-مع نظيره العراقى مباحثات بهدف طرد خمينى من العراق.

فى نفس الوقت أعلنت حكومة شريف إمامى وموقفاً مسالماً يقضى بأن جميع الإيرانيين المقيمين فى الخارج يمكنهم العودة إلى البلاد فقط إذا احترموا الدستور، وكان الهدف من نشر هذا البيان ليس إلا عفواً عاماً للطلاب الذين كانوا قد نشطوا لعدة سنوات ضد النظام فى خارج البلاد.

عقب ذلك اتخذ مسئولو حزب رستاخيز الذى كان محظوراً على يد أعضائه، وكانوا قد فقدوا المساعدات المالية الحكومية، اتخذوا قراراً بحله، وعلى الرغم من أن هذه الحركة لم تكن أكثر من خطوة استعراضية، ولكنه كان يطنطن فى الواقع لسياسات الشاه الإفلاسية، ويبين أن ثمرة "الحضارة العظمى" للملكية و "اتحاد الشعب فى ظل الملكية" لايعادلهما شىء قط (٣٢).

بعد اتفاق حكومتى إيران والعراق، رحل آية الله المقيم فى النجف مضطراً، ولما لم يستطع أن يأخذ تصريح دخول فى الحدود الكويتية إلى الكويت (**)، اضطر للعودة، وسافر من بغداد إلى باريس (***) .

(*) تم ذلك عقب توقيع معاهدة ١٩٧٥ بين الشاه وصادق حسين فى الجزائر.

(**) كان ذلك فى ١٠/٣/١٩٧٨ (١١ مهر ١٣٥٧ هـ.ش).

(***) فى ١٠/٦/١٩٧٨ (عبرات وعبارات - المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية - بيروت ١٩٩٠ ص ٩).

- ١٣٤ -

محصلة هذه الخطوات لم تكن الأهالي عن الاستمرار فى الصراع الذى أخذ شكل الإضراب، بل زادت آثاره حتى عم أكثر المؤسسات العامة بعد فترة وجيزة، ولحق أيضاً بصف المضربين الجامعات والمستشفيات.

ومنذ هذه الفترة وما بعدها أخذت مطالب العمال المضربين لونها السياسى مع مرور الوقت، وأضافوا إلى مطالبهم بإطلاق سراح العمال المعتقلين مسألة إطلاق سراح المسجونين السياسيين أيضاً.

وفي يوم ٩ أكتوبر (١٧ مهر) قام الطلاب فى عدة مدن بمظاهرات تأييداً للمضربين، ووقعت صدامات عنيفة بينهم وبين قوات الأمن (٣٣).

ويوم ١٦ أكتوبر (٢٤ مهر) أصدر الشاه أمراً بإطلاق سراح جماعة من المسجونين السياسيين لتخفيف حدة الاضطرابات، ولكن هذه الخطوة لم تدع أى أثر لها إلا كما تدع القطرة فى ماء المحيط، واستمر الصدام بين الجنود والمتظاهرين يقل ويتزايد فى كل أنحاء المملكة.

وكان آلاف من الأشخاص من أهالى طهران قد تجمعوا فى مقبرة بهشت زهرا لإقامة مأتم لضحايا حادثة "الجمعة الأسود" ولما كانت هذه المراسم عادة ما تتحول إلى مظاهرات سياسية معادية للشاه ، لذا استغل الأهالى بسرعة أهمية مراسم التعزية فى مذهب الشيعة وامتناع رجال الأمن عن التدخل فيها، وجعلوا هذه المقبرة الواقعة جنوب طهران أفضل مكان مناسب للقيام بمظاهرات سياسية والتهاتف ضد الشاه.

هبت مظاهرات عظيمة فى همدان فى ٢٢ أكتوبر (٣٠ مهر) جاب الأهالى شوارع المدينة فى عشر ساعات وهاجموا خلالها ضد نظام الشاه، ولما لم تتمكن عناصر الشرطة من تفريقهم نزلت القوات العسكرية وقتلت إثر إطلاق الرصاص على الأهالى عدد كبير.

وتكرر الأمر نفسه فى صباح ذلك اليوم فى مدينتى مشهد وقم ، وعندما حلت النوبة بكرمان وأحرق مسجدها الجامع (*) على يد عناصر مجهولة، أشاع الناس أن السافاك له يد فى حرق المسجد الجامع بكرمان (٣٤) .

وخلال هذه الأحداث أوردت صحف البلاد التى كانت قد مُنحت حرية التعبير على يد شريف إمامى هجوم قوات الأمن حتى منع الرقيب نشر بيانات خمينى فى الصحف، و عقب ذلك عندما أُضرب جميع العاملين بالصحف وافقت الحكومة بعد ثلاثة أيام من المباحثات مع ممثليهم على مطالبهم فيما يتعلق بإلغاء الرقابة، ولكن اشتدت الإضرابات الأخرى أكثر، وامتدت المظاهرات والاضطرابات المتفرقة فى أماكن مختلفة من البلاد كل يوم.

دسياسة رجال النظام ضد شريف إمامى

خلال فترة رئاسة الوزارة لشريف امامى، سكنت كثير من الخلافات الداخلية للهيئة الحاكمة وهدأت معارك القوى بين أعضاء الوزارة، وتحكم فى أعمال وأمر الحكومة.

كوّن هوشنگ نهاوندى الذى كان قد أسس من قبل الجناح الثالث لحزب رستاخير تشكيلاته الجديدة من أوائل سبتمبر (أواسط شهر يور ٥٧) تحت عنوان "حزب المجتمع الجديد" (٣٥) وأشار إلى ذلك المضمون فى بيان نشره فى الخامس من سبتمبر من أن : الشعب الإيرانى لن يسمح بأن يشكك فى النظام الشاهنشاهى وثورة الشاه والشعب.

وهذا القول يعد بالتأكيد تعبيراً عن وجهة نظر الشاه، عندما التقيت بالشاه فى آخر لقاء أوائل ١٩٧٨ (أرديبهست ٥٧) سمعت منه أمراً لا يختلف عن نص بيان هوشنگ نهاوندى.

(*) كان ذلك فى ٢٤ مهر (١٦ أكتوبر ١٩٧٨) - پاسخ به تاريخ ٤٥٩.

قال الشاه فى هذا اللقاء مشيراً للإجراءات المتخذة: "لقد أعطيت الشعب كل شىء... فى هذه الظروف هل يمكن أن يتمكن خمينى أو أشخاص أمثال سنجابى أن يقوموا بعمل ضدى؟...." ولكن من وجهة نظرى أن الأوهام والظنون التى نسجها الشاه حول "الحضارة العظمى" وصلت إلى درجة أنه ظن أن كل أمر كتبه فى أوامره الملكية حتماً سيحدث حتى لو كان بلا أساس وعارٍ عن الصحة.

لم يستطع الحزب المبتدع هوشنگ نهاوندى أن يخدع أحداً أو يجذبه، ولما كان الأهالى يعرفون سوابقه كاملة وما حدث خلال فترة رياسته للمكتب الخاص للملكة فرح وخاصة الكبت الذى حدث فترة رياسته للجامعة، لم يستطيعوا أن ينسوا، وكان هوشنگ نهاوندى يحظى بتأييد البعض داخل وزارة شريف امامى وينفر منه البعض الآخر (٣٦).

لقد أصابت الصراعات الموجودة بين أعضاء الوزارة الحكومة بالشلل من ناحية، ومن ناحية أخرى أثارت الامتيازات التى كان شريف امامى قد قدمها للمعارضين استياء قادة الجيش.

وضع القادة المتشددون فى الجيش المنتقدون للحكومة الشاه تحت تأثيرهم وطالبوه أن يعين بأسرع ما يمكن شخصاً مثل أوسى (الحاكم العسكرى ل طهران) على رئاسة الحكومة.

من ناحية أخرى ظهرت جماعة ليبرالية قديمة كانت قد رشحت على أمينى لرئاسة الوزارة، وكانت دائماً تكرر قوله: "إننى أستطيع أن أنقذ الشاه ولكن بشرط أن يملك ويدع لى أن أحكم".

أثناء ذلك تجمع عدد منشق من حزب رستاخير، ورأوا أن يبحشوا فى تشكيل وزارة ائتلافية مكونة من عسكريين ومدنيين، وكانوا يقولون: مثل هذه الوزارة فقط تستطيع أن تنفذ السياسة الليبرالية وتغلق فم المعارضين.

فى ذلك الوقت وصل اردشير زاهدى يوم ١٢ سبتمبر (٢١ شهرپور ٥٧) إلى طهران، وأشيع أنه يحمل معه رسالة هامة للشاه.

قال جماعة: جاء أردشير زاهدى إلى طهران لينصح الشاه بالألا يتفق مع على أمنيى واعتقد آخرون أن سفره إلى طهران من المحتمل مرتبط بمنصب رئاسة الوزارة. ولكن أخطأت الجماعتان، وعندما صح أن الشاه كان يسعى بأن وسيلة ليحل الأزمة، ولكنه كان مطلعاً تماماً على حدود فكر صهره السابق وقد استمع إليه مرات أيضاً وكان قد شبه عقل أردشير في أوساط الخاصة بأنه "عقل عصفور".

الحقيقة هي أن سفر أردشير زاهدى كان مرتبطاً بتسليم رسالة كان قد كتبها الأمريكيون للشاه (*)، ومضمون هذه الرسالة الذى استطعت فيما بعد أن أعرفه عن طريق أصدقاء أمريكيين كان على النحو الآتى شرحه: "إن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تتخلى عن وجهة نظرها السابقة التى كانت حائلة ضد أعمال قوة الشاه، وتمنح الشاه مطلق الحرية فى اتخاذ القرار الذى يراه مناسباً ليحل المشاكل".

بعد تسلم مثل هذه الرسالة عقدت حاشية الشاه الأمل فيما يتعلق بهذه المسألة وهى أن الضوء الأخضر لواشنطن يمكن على الأقل أن ينقل الشاه من التردد والحذر، ولكن شريف إمامى دون أن يهتم بالدسائس التى كانت تجري بين أعضاء الهيئة الحاكمة لإسقاطه، طمأن المطالبين بخلافته ضمناً فى إظهار هذا الأمر بقوله: "...قد منحنى المجلس الثقة ويمكن للمجلس فقط أن يسحب ثقته منى ويقلبنى من منصب رئاسة الوزارة"، وأنه لايمكن أن يدع كرسى رئاسة الوزارة بهذه السرعة.

كان الشعب خارج حدود البلاط والحكومة، مشغولاً بأمره، وكان يواصل دون اهتمام بصراع الهيئة الحاكمة بالصراع مع النظام حتى كان يوم ٢٦ أكتوبر (٤ آبان ٥٧) عيد ميلاد الشاه.

(*) كان الشاه معتمداً على أمريكا لإنقاذ حكمه كما فعل سنة ١٩٥٣ (انظر: شكست شاهانه ٤١١ وما بعدها).

فعلى الرغم من إطلاق سراح قرابة ألف سجين سياسى والسيطرة الكاملة للقوات العسكرية- قام الطلاب فى ساحة الجامعة بمظاهرات واسعة النطاق ضد الشاه ومؤيديه للخمينى (*).

لم يترك البرنامج الهزيل الذى كان قد بدأه شريف إمامى لمحاربة الفساد أى أثر على رأى العام، واعتبر الأهالى أن اعتقال عدة أشخاص من الوزراء السابقين هو انتقام شخصى على يد شريف إمامى، واعتقدوا أنه استغل منصبه ومركزه لتأديب الأشخاص الذين كانوا يقومون بأعمال تخريبية أثناء رياسته لمجلس الأعيان، وإلا فإنه من وجهة نظر الأهالى- جميع المفاسد كانت آتية من البلاط وكان يجب على الحكومة أن تهتم بهذه الحقيقة لأن أعضاء الأسرة الحاكمة كانوا خلال هذا الوقت يخرجون واحداً تلو الآخر من البلاد، وقد أثارت نفس المسألة ظن وريبة الأهالى فيما يتعلق ببرنامج مكافحة الفساد من أنه لن يقلل الفساد بأى حال من الأحوال.

فى ذلك الحين أخبرنى أمير عباس أنه بناء على القرار الذى اتخذته الشاه بأن يبعد أعضاء أسرته إلى الخارج حتى لا يتمكنوا من التدخل فى الشئون الداخلية للبلاد بعد ذلك، وكان سؤالى هو، لماذا لم يعلن الشاه قراره هذا صراحة على الشعب؟ ولذلك فإن أى خطوة يتخذها ضد أسرته غير هذا التصرف يكون بلا فائدة، وسوف يقيد نفسه أكثر، ولن يكون تحليل وتفسير الشعب لتصرف الشاه سوى أن أسرة الشاه قد سرقت أموال الأمة أثناء فرارها من البلاد ولن يدخل قانون "تحييد نشاط الأسرة الملكية" أذن أحد.

فى نفس الوقت أخبرنى أحد الأصدقاء الأمريكان أن أردشير زاهدى مشغول فى طهران بالدسياسة ضد أمير عباس، وبعدها اتصلت هاتفياً مع أحد أصدقائى الإيرانيين فأكد الخبر أيضاً.

كان زاهدى يسعى فى طهران ويحفز الشاه وقادة الجيش لاعتقال جماعة كان لأخى مكانة عندهم ولم يكن هدفه من هذا العمل إلا أنه ربما يصب الماء على نار غضب الشعب.

وكان يدلل على قبول وجهة نظره من أنه لما كان الشاه فى نظر الدستور غير مسئول فإنه إذا ما حبس جماعة من الوزراء السابقين فإنه يستريح لأنه كشف المسئولين عن جميع المساوىء ، وينقذ تاجه وعرشه من الخطر، وبالنظر فى مثل هذه الأدلة الطفولية يفهم ماينتجه عقل شخص جاهل وأحمق مثل سفير الشاه فى واشنطن الذى كان قد أعمى الحقد عقله.

إن أردشير زاهدى شخص اعترف أمامى مرات أنه لم يقرأ قط كتاباً طوال عمره، وتعود عداوته السابقة لأخى منذ سنة ١٩٧١ (١٣٥٠) حين ضرب بالعصا فى أيام توليه منصب وزارة الخارجية فى وزارة أمير عباس ذات يوم رئيس الوزراء، وتوجه أخى إلى الشاه للاستقالة، ولكن الشاه بدلاً من قبول استقالة رئيس الوزراء أقال أردشير من وزارة الخارجية.

ولكن خلال ذلك كان شعب إيران غير مهتم بالأمر الذى تجرى فى الحكومة والبلاط ومشغول بالثورة ولم يكونوا يفكرون مطلقاً فى قرارات شخص مثل أردشير زاهدى، وتصوروا أن الامتيازات الممنوحة من شريف إمامى للمعارضين هى نوع من انتصارهم نتيجة لاستمرار نضالهم.

الجو السياسى للبلاد فى أواخر شهر أكتوبر (أوائل آبان ٥٧)

بعد حادثة "الجمعة الأسود" فى طهران مال الصراع مع النظام أكثر إلى الراديكالية (٣٧).

بعض آيات الله أمثال شريعتمدارى (*) أو رجال غير دينيين أمثال سنجابى الذين كانوا قد قبلوا منذ شهر بإقامة نظام ملكى دستورى مع الحكم بموجب الدستور

(*) آية الله كاظم شريعتمدارى من رجال الدين البارزين الذين أسسوا عدداً من المنظمات الإسلامية التى قامت بدور بارز فى إنجاح الثورة (شكست شاهانه ٩).

(مع وجود الشاه أو خروجه من البلاد) الآن خلال ارتفاع أمواج الثورة كانوا مضطرين لمرافقة الآخرين، طالما أن أيادى الشاه الملوثة بالدماء ورئيس وزرائه قد أغلقوا كل السبل التى يمكن أن تؤدى إلى التعايش مع النظام.

لم يعد أحد يصدق وعود إقرار اللبرالية، وكان الخداع واضحاً فيما يتعلق بمكافحة الفساد بعد فرار المفسدين الحقيقيين، وكانت الاعتقالات الواسعة معروف أنها مازالت تخنق البلاد، وكان لاختفاء كثير من زعماء المقاومة دلالة على عدم وجود حرية سياسية.

اليوم وأنا أعود إلى مذكراتى أرى سنجابى وقد صرح فى ذلك الوقت لمراسل: "فى بداية سنة ١٩٧٨ (شتاء ١٣٥٦) كان الهجوم على الشاه شهامة كبرى، ولكن الآن الدفاع عنه يتطلب جرأة...". الحقيقة هى أنه فى مثل هذه الأوضاع كان أكثر زعماء المقاومة لا يخشون المستقبل، ويعيشون بلامبالاة، وكان أكثرهم يعبر عن استنكاره فى الأوساط الخاصة على أنه يجب أن تتم مسألة عزل الشاه مع مرور الأيام خطوة خطوة، وكانوا فى الواقع قلقين من سرعة انتشار الاضطرابات وخلالها لم يتمكنوا من معرفة دور القوى العظمى، وكانوا يفكرون أيضاً فى هذا الأمر من أن تدخل الجيش لسحق الاضطرابات لم يكن ممكناً قط دون موافقة الأمريكان، على الرغم من أنه حتى ذلك الحين كانت الحكومة السوفيتية تبنى عدم اهتمامها بهذه الأمور، ولكن أكثر زعماء المقاومة كانوا يعتقدون أنه طالما أن الروس لم يتقدموا خطوة للاستفادة من الجو السائد فى إيران، ويسعون دوماً ليببقوا مجرد متفرجين للتحويلات فى البلاد، فهل سيستمر مثل هذا السلوك بعد إقامة حكومة إسلامية فى إيران؟ وهل سيتحمل الأوضاع التى ستحدث بجوار حدوده من قبل عدد من المشايخ الجاهلين بالمسائل السياسية؟. وعند إقامة مثل هذه الحكومة فما هو رد الفعل الذى ستبديه أمريكا؟ هل يكون شبيهاً بما تم فى سنة ١٩٥٣ (١٣٣٢) ولن تعمل أمريكا لإسقاط حكومة إسلامية بانقلاب

عسكري؟ هذه هي المسائل التي جرت في ذهن كثير من زعماء المقاومة، وحركتهم لقبول حقيقة أنه يجب لإنجاح الثورة القيام بإجراءات منطقية، والابتعاد عن إثارة الاضطراب والمشاكل (٣٨).

ولهذا السبب دعا عدد من رجال الدين الشعب الاعتدال في الكفاح والامتناع عن العنف، وحث آية الله شريعتمداري أيضاً الشعب في خطاب له قائلاً: "يجب ألا تتعد سلوكياتنا أكثر عن إطار الدستور".

ولكن على الرغم من هذه التوصيات إلا أن الأهالي استمعوا فقط لأوامر خميني وصعدوا الصراع تحت تأثير أقواله، ولم تمر عدة شهور من بداية الاضطرابات حتى كان هو الزعيم الأصلي والحقيقي للشعب.

لم يرض العجوز الذي اختار الإقامة في "نوفل لوشاتو" (*) بأقل من إسقاط الشاه، وكان كل يوم يمر يتزايد عزمه للوصول إلى هدفه الراسخ وسيطرة نفوذه وكلامه على الشعب.

ولكن في نفس الوقت كان الشاه في طهران قد رأى نفسه محاصراً من كل ناحية، وكان يتحسر لماذا استيقظ من نوم الغفلة متأخراً، ولم يهتم من قبل بالواقع، وكان في حيرة لماذا أصبح الناس جاحدين له؟.

يروى مرافقوه أن الشاه كان يدرك في مثل هذه الظروف أكثر من ذي قبل مدى ضعفه وهوانه وحيرته وأن حالة كان كمن أفل نجمه، ولكن نجم خميني سرعان ما ارتفع في سماء إيران.

وصاحب هذا الوضع الذي سيطر على البلاد شائعات كثيرة شاعت بين الناس كان بعضها في الواقع لا أساس له.

(*) الحى الذى أقام فيه آية الله خمينى فى باريس.

على سبيل المثال كان مضمون إحدى الشائعات أن المسئولين الغربيين المرتبطين بجهاز السى آى إيه C.I.A وجواسيس إسرائيل السريين قد قرروا أن يكفوا عن حماية الشاه.

ولكن إدراك مثل هذا الفعل ضد شخص حام لمصالح الغرب فهو أمر لا يعقل، والمسألة تفسر على نحو أن الغرب كان يدرك انتهاء أمر الشاه.

مثل هذه الشائعات على الرغم من أنها أصلاً لا مجال لقبولها من الشعب، لكنها شاعت فى كل مكان ولكن القوى المعارضة- دون سماع مثل هذه الشائعات كانت تحس بالضعف والخور، وكان تصاعد كفاحها قد وصل إلى درجة أن الإيرانيين الأغنياء سيطر عليهم إحساس بقرب نهاية الأمر وكانوا يسارعون لنقل أموالهم إلى البنوك السويسرية، وتحويل أكثرهم أمواله إلى خارج البلاد دون أن ينتظروا الحوادث.

وفى هذا الصدد حيكت نكتة نقلتها أغلب الأوساط الخاصة فى طهران، وكانوا يقولون: ذات يوم أبدت الملكة فرح تعجبها لماذا لا يتظاهر الأشخاص المدعومين من الشاه؟ وقالت لواحد من رجال البلاط "فى سنة ١٩٦٨ فى فرنسا رتب مؤيدو الجنرال ديغول مسيرة كبيرة لتأييده فى شوارع شانزليزيه بباريس، فلماذا لا يقوم مؤيدونا اليوم بمثل هذا العمل؟" وأجابها رجل البلاط: "يجب أن أخبر جلالتك أنهم جميعاً مستعدون لإقامة المسيرة فى الشانزليزيه.....".

ذات يوم فى أواخر أكتوبر دخل على فى مكتبى فى نيويورك أحمد ميرفندرسكى (الذى كان قد عين فى وزارة الخارجية لفترة قصيرة بوزارة شاهورختيار) وهو فى حيرة واضطراب وسألنى بلهجة قلقة: "هل قرأت الحديث الصحفى الأخير لخمينى؟". "لا لم أقرأه، لعله قال قولاً جديداً؟". "نعم..... لهجة حديثة متغيرة تماماً، الرجل الذى تحدث فى المسائل الدينية أكثر وله آراؤه الخطيرة، وضع فى هذا الحديث برنامجاً جدياً لتشكيل الحكومة، وهذا يوضح أن أمر النظام انتهى". (٣٩).

وأطلعنى فى نفس اليوم أحد أصدقائى الأمريكان أن أردشير زاهدى قد نجح فى
النهاية أن يقنع الشاه وقادة الجيش لاعتقال أمير عباس.
بعد سماع هذا الخبر اتصلت فوراً بأخى فى طهران وطلبت منه أن يغادر إيران
فى الحال ، ولكنه قال لى بلهجة معتدلة جداً: "لا ، مطلقاً، الفرار من شيمة الجبناء".
والآن عندما أعيد ذكرياتى الماضية أرى أنه كان قد قدر أن يبقى أمير عباس
فى طهران ويتقرر مصيره على هذا النحو.

الحواشي

حاشية المقدمة:

١ - توجه الإمام الخميني إلى باريس يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٨ (١٤ مهر ٥٧ هـ.ش) وليس في ٣ أكتوبر م.

٢ - كما تم التوضيح من قبل، وكان يوم وصول الإمام الخميني إلى باريس السادس من أكتوبر ١٩٧٨ (١٤ مهر ٥٧) وليس الثالث من أكتوبر م.

٣ - كان على أميني رئيساً للوزارة في مرحلة الإصلاح الزراعي، وليس هناك شك أهدأ في فرضه من قبل الأمريكان - باعتراف الشاه نفسه- فهل يمكن قبول الادعاء السابق من مؤلف الكتاب؟ وغير ذلك يجب السؤال: هل شخص مثل فريدون هويدا جاهل إلى هذا الحد بالمسائل السياسية للنظام السابق ولا يعرف أن الإصلاح الزراعي للشاه كان في الوقت نفس خطة "الاتحاد من أجل التقدم". لجون كنيدي (للحيلولة دون ثورة الشعوب في العالم الثالث ضد أمريكا) والذي كان ينفذ في إيران على شكل إصلاح زراعي وثورة الشاه البيضاء، وبعدها في شيلي تحت عنوان "الاتحاد من أجل الحرية" (لمنع نجاح سلفادور النيدى في انتخابات سنة ١٩٦٤)؟.

كانت خطة كنيدي في الواقع نوعاً من رد الفعل الدفاعي السريع لأمريكا بعد هزيمتها النكراء في هجومها على خليج الخنازير في كوبا، والذي حدث يوم ١٧ إبريل ١٩٦١ الموافق ٢٨ فروردين ١٣٤٠، وبعده بتسعة عشر يوماً على وجه الدقة، تولت حكومة "علي أميني" في إيران (١٦ أريدهشت ١٣٤٠) تنفيذ خطة "الاتحاد من أجل التقدم" في شكل إصلاح زراعي م.

٤ - للأسف يجب القول: أن فريدون هويدا فيما يتعلق بالحوادث التاريخية إما جاهل بها لا يبالي كثيراً في نقلها (واحتمالاً مغرض)، ولعل أقل إنسان يعرف أن الإمام الخميني قد اعتقل يومين قبل انتفاضة ١٥ خرداد ٤٢ وليس بعدها، ولم يكن سبب قيام هذه الانتفاضة سوى كفاح الشعب مع ديكتاتورية الشاه بسبب سجن الإمام وإعلان تأييدها لبيانات الإمام في مجال تحذير الشاه..... عن الإجراءات المضادة للإسلام والامتناع عن الارتباط بأمريكا وإسرائيل، ولكن يريد المؤلف أن يربط معارضة الإمام الخميني لنظام الشاه بمسألة الإصلاح الزراعي يجب إدراك أيضاً أن هذا الأمر ليس إلا إثارة الهوى لأنه ليس لديه سبب آخر، وهكذا فإن الاعتراض على السياسات المضادة للإسلام والشعب وميول الشاه للأجانب قد شكلت أساساً لمعارضة الإمام.

٥ - تم نفى الإمام الخميني بسبب أحاديثه الثورية وبيانه في ٤ آبان ١٣٤٣ ضد الموافقة على معاهدة الصداقة وامتيازات المستشارين الأمريكيين.

٦ - حدث أنه عندما أجرى أنور السادات استفتاءً في مصر حول مسألة رئاسته للجمهورية مدى الحياة، وافق أكثر من ٩٥٪، ولكن بعدها عرف أن عدد الآراء الموافقة لم تكن أكثر من ٩٥٠ ألف، ولما كانوا قد حددوا أن عدد المشتركين في الاستفتاء قرابة مليون شخص، لكي نعرف كيف كان الأمر في استفتاء ٦ بهمن ١٣٤١؟ من الأفضل أن ننظر في الإحصاء الرسمي لحكومة الشاه الذي ذكر أن عدد الآراء الرافضة (أى ٥٪ من المشتركين) فقط ٤٥٠٠ صوتاً، بناءً على ذلك إذا كان ٤٥٠٠ صوتاً يشكلون ٥٪ من المشتركين في الاستفتاء. فالمطلوب إذن تحديد عدد ٩٥٪ من المشتركين؟ م.

٧ - كم كان جميلاً لو أوضح المؤلف ما منظوره "لتحديث البلاد؟" وبأى دليل حدد أن موافقة الشعب على الجمهورية الإسلامية يعقبه معنى المعارضة مع تحديث البلاد-م.

الحواشي

هاشية المقدمة:

١ - توجه الإمام الخميني إلى باريس يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٨ (١٤ مهر ٥٧ هـ.ش) وليس في ٣ أكتوبر م.

٢ - كما تم التوضيح من قبل، وكان يوم وصول الإمام الخميني إلى باريس السادس من أكتوبر ١٩٧٨ (١٤ مهر ٥٧) وليس الثالث من أكتوبر م.

٣ - كان علي أميني رئيساً للوزارة في مرحلة الإصلاح الزراعي، وليس هناك شك أبداً في فرضه من قبل الأمريكان - باعتراف الشاه نفسه - فهل يمكن قبول الادعاء السابق من مؤلف الكتاب؟ وغير ذلك يجب السؤال: هل شخص مثل فريدون هريدا جاهل إلى هذا الحد بالمسائل السياسية للنظام السابق ولا يعرف أن الإصلاح الزراعي للشاه كان في الوقت نفس خطة "الاتحاد من أجل التقدم". لجون كنيدي (للحيلولة دون ثورة الشعوب في العالم الثالث ضد أمريكا) والذي كان ينفذ في إيران على شكل إصلاح زراعي وثورة الشاه البيضاء، وبعدها في شيلي تحت عنوان "الاتحاد من أجل الحرية" (لمنع نجاح سلفادور النيدى في انتخابات سنة ١٩٦٤)؟.

كانت خطة كنيدي في الواقع نوعاً من رد الفعل الدفاعي السريع لأمريكا بعد هزيمتها النكراء في هجومها على خليج الخنازير في كوبا، والذي حدث يوم ١٧ إبريل ١٩٦١ الموافق ٢٨ فروردین ١٣٤٠، وبعده بتسعة عشر يوماً على وجه الدقة، تولت حكومة "علي أميني" في إيران (١٦ أوردیهشت ١٣٤٠) تنفيذ خطة "الاتحاد من أجل التقدم" في شكل إصلاح زراعي م.

٤ - للأسف يجب القول: أن فريدون هويدا فيما يتعلق بالحوادث التاريخية إما جاهل بها لا يبالي كثيراً في نقلها (واحتمالاً مغرض)، ولعل أقل إنسان يعرف أن الإمام الخميني قد اعتقل يومين قبل انتفاضة ١٥ خرداد ٤٢ وليس بعدها، ولم يكن سبب قيام هذه الانتفاضة سوى كفاح الشعب مع ديكتاتورية الشاه بسبب سجن الإمام وإعلان تأييدها لبيانات الإمام في مجال تحذير الشاه..... عن الإجراءات المضادة للإسلام والامتناع عن الارتباط بأمريكا وإسرائيل، ولكن يريد المؤلف أن يربط معارضة الإمام الخميني لنظام الشاه بمسألة الإصلاح الزراعي يجب إدراك أيضاً أن هذا الأمر ليس إلا إثارة الهوى لأنه ليس لديه سبب آخر، وهكذا فإن الاعتراض على السياسات المضادة للإسلام والشعب وميول الشاه للأجانب قد شكلت أساساً لمعارضة الإمام..م

٥ - تم نفي الإمام الخميني بسبب أحاديثه الثورية وبيانه في ٤ آبان ١٣٤٣ ضد الموافقة على معاهدة الصداقة وامتيازات المستشارين الأمريكيين..م

٦ - حدث أنه عندما أجرى أنور السادات استفتاءً في مصر حول مسألة رئاسته للجمهورية مدى الحياة، وافق أكثر من ٩٥٪، ولكن بعدها عرف أن عدد الآراء الموافقة لم تكن أكثر من ٩٥٠ ألف، ولما كانوا قد حددوا أن عدد المشتركين في الاستفتاء قرابة مليون شخص، لكي نعرف كيف كان الأمر في استفتاء ٦ بهمن ١٣٤١؟ من الأفضل أن ننظر في الإحصاء الرسمي لحكومة الشاه الذي ذكر أن عدد الآراء الراضية (أى ٥٪ من المشتركين) فقط ٤٥٠٠ صوتاً، بناء على ذلك إذا كان ٤٥٠٠ صوتاً يشكلون ٥٪ من المشتركين في الاستفتاء. فالمطلوب إذن تحديد عدد ٩٥٪ من المشتركين؟ م.

٧ - كم كان جميلاً لو أوضح المؤلف ما منظوره "لتحديث البلاد"؟ وبأى دليل حدد أن موافقة الشعب على الجمهورية الإسلامية يعقبه معنى المعارضة مع تحديث البلاد-م.

حاشية الفصل الأول

١ - خص "إستانسفيلد ترنر" رئيس جهاز السى آى إيه فى عهد كارتر فى مذكراته هذه المسألة بفصل ، وأبدى أموراً مثيرة خاصة بأسباب جهل السى آى إيه وبقيّة المسئولين الأمريكان بمسائل الثورة الإيرانية.

٢ - السبب الحقيقى لاختلاف موقف الدول مثل الروس والإنجليز والألمان وآخرين كان عدم معرفتهم بقوة زعامة والنفوذ المعنوى للإمام الخمينى، وليس جهلاً بفساد جهاز وقوى المعارضة لنظام الشاه، ولما كان فى كثير من الدول حكومات أكثر فساداً من الشاه، وكانت أيضاً تصدم بقوى أقوى من المعارضين السياسيين، ولكن نرى أن أغلبهم لا يخضون الماء بالماء.

بعد قيام المسيرة العظيمة والمثيرة فى تاسوعاء وعاشوراء سنة ٥٧ (١٩ - ٢٠ آذار) والتي أظهرت فى الحقيقة بوضوح المذهب كأقوى قوى معارضة للشاه أمام العالم، توجهت من جديد دول مثل الروس والإنجليز و.....نحو أهمية ودور زعامة الإمام وقوة المذهب فى إيران، وتراجعت واحدة تلو الأخرى عن مواقفهم السابقة، لأنهم أدركوا صحة التقارير والأخبار المنشورة فى ذلك الوقت عن هذه المسألة. م

٣ - المقصود من "ثوريو ذاك الوقت" هو وقوع مظاهرات المعلمين والطلاب ضد حكومة شريف إمامى التى أدى قتل معلم يدعى "دكتور خانعللى" إلى سقوط حكومته وقيام حكومة "على أمينى" ببعض الإصلاحات الشكلية، وبعدها عمل الشاه بمقولاته وجعل نفسه ثورياً من أجل طلاب الثورة وتحت أمرهم. م

٤ - سعى الكاتب فى كتابه دائماً على أن يطرح مسألة لأساس لها، تصور عداوة شخصية للإمام الخمينى مع الشاه، وهذه المسألة فى الوقت الحاضر بعد مرور سنوات من قلب نظام الحكم قد فقدت رونقها وتبدل فرض أمر الجميع يعرف

بطلانه ، ولكن لما كان هذا الكتاب قد طبع فى سنة ١٣٥٨ بعد انتصار الثورة الإسلامية بفترة قصيرة فمن الطبيعى أن يتأثر بالشائعات المنتشرة ضد الثورة ويتبع هذه الشائعات للتقليل من قداسة الثورة الإسلامية، ليظهر المسألة على أنها ليست حركة شاملة لتحطيم الطاغوت بل على أنها تصفية لحساب خاص.

٥ - هذا الادعاء أكثر خواء من أن يكون إجابة ولكن كان ومازال المشايخ الأغراب يأخذون الحقوق من شعوبهم الذين أخذوا الحقوق حتى من الإنجليز والأمريكان والروس والحكومات العميلة بهم، وهؤلاء يشكلون نفس وعاظ السلاطين الذين لا هدف لهم إلا التفرقة بين الأمة الإسلامية وعرقلة وحدة المسلمين وإشاعة فصل الدين عن السياسة. م

٦ - بينما يعمل كل مؤلف على الأقل أن يحفظ الأمانة عند نقل مضمون أقوال وكتابات الآخرين حتى ولو كان يحمل عداوة قديمة للمتحدث أو الكاتب ولا يلعب فى الجمل والأرقام التى استخدمها، كان فريدون هويدا يزور ويحرف فى نقل بيانات الإمام الخميني بشكل يثير الدهشة، فهو الذى كان قد أقام ادعاه على عداوة الإمام مع الشاه، ولم يعتقد أن كتابه من الممكن أن يترجم يوماً ما فى إيران، ويأخذ المترجم بعقاله، فقد اكتفى من بين حديث إحدى عشر صفحة للإمام (كان قد أورده فى ٦ خرداد ١٣٥٠ فى النجف) نقل فقط عدة جمل (محرفة أيضاً) مثلاً يشير إلى أن الإمام يعادى فقط شخص الشاه فلو نظرنا إلى ما قاله الإمام حول الاحتفالات الشاهنشاهيه يتضح تماماً أن الإمام فى حديثه لم يفضح فقط محمد رضا بل فضح أيضاً جميع ملوك وسلاطين إيران... فقد قال:

"..... الملكية الإيرانية منذ ولدت فى البداية حتى الآن قد سودت وجه التاريخ..... (بأمرها) أبادوا وقطعوا رؤوس الأهالى وبعدها جعلوا للملوك برجاً.. نحن أمة الإسلام يجب أن نعرف لأى سلاطين نحتفل؟ لأى سلاطين يسعد الشعب؟ أنحتفل

لاقا محمد خان قاجار؟ ونحتفل بالأشخاص الذين أعملوا القتل فى المسلمين فى مسجد جوهر شاد؟ أو نحتفل بـ ١٥ خرداد حيث قال لى أحد علماء قم: إنه قد قتل فى قم ٢٠٠ شخص ويقال: أنهم قتلوا ١٥ ألف من الشعب؟ أحد هؤلاء الذين يحاسبونه جزاء محاسنه (ناصر الدين شاه) لأنه ذات وقت تجرأ فريق من الجوعى على عربته (المانطور) فى طريق حضرة عبد العظيم - جماعة من الجباع تطالب بالخبز ألقت حجراً واحداً نحو عربته، يقال إنه علق الجميع فى حبل.. هذه محاسنهم، ويلوهم أعم مصيبة..".

والنقطة الهامة التى أهملها هذا الجزء هو تحريف الأرقام على يد المؤلف الذى بدل عدد قتلى قم (خلاف قول الإمام) من ٤٠٠ إلى ١٠٠ وذكر ١٥٠٠ فقط بدلاً من ١٥ ألف شخص. م

٧ - لم يكن سبب نشر المقالة المهينة الخاصة بالإمام الخمينى لأى سبب والتى أشار إليها المؤلف، ولهذه المسألة حديث مفصل يجب أن يذكر فى مكانه، ولكن هنا يجب أن يتضح فقط أن المقال المذكور كان منشوراً فى عدد السبت ١٧ دى ١٣٥٦ بصحيفة إطلاعات وليس فى ١٨ دى. م

٨ - المظاهرات التى كانت فى تبريز لتأييد الشاه، وكانت فى يوم ٨ إبريل ١٩٧٨ الموافق ١٩ فروردين ١٣٥٧، وليس الثانى من أبريل، وفيما يتعلق بسبب هذه المظاهرات التى أبدى بشأن إقامتها فى ذلك الوقت رأياً عجيباً، يجب التوضيح:

إن خدعة السافاك والحيلة التى تمت بسحب الأهالى خاصة فلاحى الأرياف إلى تبريز لإيجاد تجمع فى وسط المدينة كانت على هذا النحو: منذ عدة أيام سابقة سارت عناصر السافاك ورستاخيز فى المدينة والقرى وأشاعوا فى كل مكان أنه فى يوم ١٩ فروردين سيأتى جمشيد آموزجار (رئيس الوزارة) مع السيد سيد كاظم شريعتمدارى (الذى كان محل ثقة أهالى آذربايجان فى ذلك الوقت) إلى تبريز، ليتحدثا فى جموع الأهالى، ويوضحا لهم أسباب ما حدث ٢٩ بهمن ٥٦، حقيقة من الواضح أن سماع

خبر حضور شريعتمدارى فى تبريز استطاع أن يجمع الأهالى إلى محل الاجتماع، وتم تثبيت عدسات المراسلين على الجمع الغفير كمؤيدين للشاه، وليس لزاماً ذكر أنه فى اليوم المحدد حضر جمع من عناصر رستاخيز أمام الأهالى ورفعوا الشعارات لصالح الشاه، وصفقوا ووقف فى أقصى الساحة شيخ من رجال البلاط بجوار جمشيد آموزجار وجعفرىان ليوهم الأهالى من بعيد أنه نفسه شريعتمدارى.

الأذربايجانيون الغيرون الذين عرفوا فى نهاية هذ المراسم بمؤامرة الشاه واستغلال دعايات النظام لهم أسوأ استغلال والاستفادة من معتقداتهم المذهبية من أجل مطامع الشاه، ولذا غضبوا لدرجة أنهم عقدوا العزم ألا يهدأوا حتى يقضوا على هذا العنصر الفاسد المحتال. م

٩ - لترجمة الأجزاء التى نقلها المؤلف من حديث الشاه، أستعين مباشرة بأصل الحديث الصحفى المذكور الذى نشر فى صحيفة كيهان المؤرخة فى ٨ ايان ١٣٥٥ م-.

١٠ - تم الاستعانة بالأصل فى ترجمة الأجزاء التى ذكرها المؤلف فى كتاب "نحو الحضارة العظمى"-م.

١١ - بعد المطابقة عُرِف أن المؤلف قد اختار أمثله المذكورة من صفحات ٨٥-٩١-١٧١ - ٣١٥ من كتاب "نحو الحضارة العظمى" ونُقلت فى الترجمة فقط نفس الأمثلة التى أوردها المؤلف فى المتن الإنجليزى. م

١٢ - خوان كارلوس (ملك أسبانيا الفعلى) الذى تقلد زمام الأمور فى سنة ١٩٧٥ بعد موت الجنرال فرانكو (ديكتاتور أسبانيا)، ولكنه منذ بداية الأمر أعلن أنه يعتبر نفسه فقط ملكاً ولن يتدخل لأى سبب فى أمور الحكومة. م

١٣ - كان الشاه فى حديثه مع "أوليويه وارن" (الصحفى الفرنسى) الذى نشر ترجمتها الفارسية فى كتاب تحت عنوان "الشمس والأسد" فى سنة ١٣٥٦ قد اعترف بنفس المضمون (صفحة ٢١٤). م

١٤ - بمبى من المدن العتيقة فى روما القديمة التى انهدمت تماماً إثر بركان. م

١٥ - عندما كتب فريدون هويدا هذا الكتاب أوائل سنة ١٣٥٨ وفى وقت كان مهندس بازرجان لا يزال يتولى رئاسة الحكومة المؤقتة، لذا علق أفعال ذلك الوقت به، وفيما يتعلق بوجهة نظر المؤلف والذى طبق وضع أخيه مع المهندس بازرجان، ومثلاً أراد بهذا الخداع أن يبرئه من جرائمه وفساده ١٣ سنة فى التعاون مع الطاغوت، يجب القول: هذا قياس مع الفارق فليس هناك أى تشابه بين بازرجان وهويدا بل إن الاختلاف بين عمليهما أيضاً هو فارق بين الأرض والسماء.

أولاً : بازرجان رجل مؤمن، مقدس وظاهر ليس لديه روح الثورة ويسبب أفكاره المسألة وسلوكه غير الثورى لم يستطع أن يستمر فى حكومة ثورية، ولكن هويدا.....

ثانياً: هويدا لم يستقل مطلقاً، وعزله الشاه فى مرداد ٥٦ ولو لم يكن راضياً لترك كرسى الرئاسة.

ثالثاً: مهندس بازرجان بعد استقالته من رئاسة الحكومة انتُخب نائباً بالمجلس والآن يحضر فى كل مكان بحرية وكل مايريده يقوله ولكن الشاه أخذ هويدا وألقاه فى السجن ليصبح درع بلاء له ولم يتمكن من أن يفشى فسق وفجور النظام. م

١٩ - خلافاً لادعاء المؤلف لم تقم مظاهرات قط يوم ٢٧ خرداد ٥٧ لا فى طهران ولا فى أى مدينة كبرى أو صغرى، ويلاحظ خلال فصول هذا الكتاب دائماً أن فريدون هويدا يخطئ فى تاريخ الوقائع المختلفة، لذا يمكن أن يحسب ما سبق ذكره أحد أخطائه، ويعفى من ذلك، ولكن المسألة هنا ليست تعمدته للاستفادة من هذا الخطأ فى التقليل من أهمية بيانات الإمام خمينى بأى وجه من الوجوه، ويجب التوضيح فى هذا الشأن أنه: صدر بيانان فقط من قبل الإمام طوال شهر خرداد ٥٧ (الأول فى تاريخ ١٠ خرداد وكان يتضمن بياناً له بمناسبة ذكرى ١٥ خرداد ، والثانى

رسالة له فى يوم ٢٠ خرداد بمناسبة الأربعين لشهداء حادثة ١٠ أوردبيهشت فى قم) وخلافاً لادعاء المؤلف لم يرد ذكر "الثورة المزلزلة" و "الانفجار العظيم" فيها، ولكن منذ شهرين ونيف قبل ذلك (يعنى فى الرابع من فروردين ٥٧) أشار الإمام فى قسم من رسالته الخاصة بوجوب إقامة الأربعين لشهداء تبريز بل استند إليه فريدون هويدا، وقال حول مذبحة الأهالى فى تبريز فى يوم ٢٩ بهمن ٥٦: "...إن المذبحة الجماعية لأهالى تبريز قد هزت أمة إيران الغيرة لدرجة أنها على وشك الانفجار، انفجار بعون الله تعالى لقطع يد الأجنب، انفجار ينتقم للمظلومين من الشاه، ويحو أسرة بهلوى الكالحة من تاريخ إيران، ويمحق العار عن صفحتها....".

واستمراراً لهذا الأمر يجب التوضيح أنه قد أقيمت مظاهرتان فقط فى إيران طوال شهر خرداد ٥٧، الأولى كانت بمناسبة ذكرى ثورة ١٥ خرداد، وخلالها أغلقت الأسواق والمحلات فى أغلب المدن، وقامت المظاهرات، والثانية كانت فى ذكرى تجليل شهادة دكتور شريعتى التى أقيمت مظاهرات وتجمعات للأهالى فى المسجد ومجالس تأبين خلال أيام ٢٨ و ٢٩ خرداد، والمسألة التى ذكرها فريدون هويدا بصورة "منع تجمع الأهالى حول المساجد علي يد قوات الأمن" كان متعلقاً بمجلس التأبين فى مسجد أرك طهران بمناسبة تجليل مقام دكتور شريعتى، الذى ظل هذا المسجد فقط فى محاصرة قوات الأمن طوال المراسم، وليست جميع المساجد. م

١٧ - يجب تذكر أن الشاه لم يعلن فى رسالته يوم ١٤ مرداد ٥٧ مسألة مطلقاً بهذه الصراحة لأن أقواله السابقة لم تكن مقبولة لدرجة أن أحد الإيرانيين لم يكن عضواً فى حزب رستاخيز ولهذا السبب طرح الأمر على النحو التالى: فى هذه الانتخابات حتى الأشخاص الذين يخالفون توجه إيران "نحو الحضارة العظمى" يستطيعون أن يشاركوا. م

١٨ - ١٤ سنة ليس صحيحاً، لأن هويدا كان رئيساً للوزارة ١٢ سنة و ٧ أشهر. م

١٩ - كان شهر رمضان سنة ٥٧ قد بدأ يوم ١٥ مرداد ١٣٥٧. م

٢٠ - أورد المؤلف هذا الشعار عينه بنفس الشكل، وتعمد أحياناً أن يوضح أن كفاح الثوار في أصفهان مع نظام الشاه كان أكثر فحشاً وبذاءة ولم يكن أصيلاً. م

٢١ - على الرغم من أنه فيما بعد في عهد حكم الجمهورية الإسلامية حوكم المذنبون درجة ٣،٢ في الحادثة المروعة لسينما ركس في عبادان وحكم عليهم، ولكن لمعرفة المحرض الحقيقي على هذه الجريمة المروعة أفضل طريق هو مراجعة متن رسالة الإمام الخميني في تاريخ ٣١ مرداد ١٣٥٧ (٣ أيام بعد وقوع الحادثة) والذي بين للأمة المقصر الحقيقي والمحرض الأصلي، بذكر نقطتين من كلام الشاه السابق؛

قول الشاه إنه " يتوعد المتظاهرين ضده بالوعيد" وكرر هذا بعد الحادثة أن " هذا ما كان قد وعد به"، والشاهد الثاني على المؤامرة، أليس الشاه فيه متنبئاً كبيراً؟ حديث الشاه السابق الذي يقول "سأبيد إيران مع الأمة" دليل أيضاً على هذا الادعاء، وإظهار الأسف والندم في أبوقة الدعايات من قبل أشخاص كانوا يغمسون أيديهم كل يوم حتى المرافق في دماء مواطنيهم، شاهد كبير على دور الشاه الشيطاني ورفاقه... فهل استفاد من هذه الجريمة إنسان سوى الشاه والمقربين له؟.

وأيضاً في غد يوم إحراق سينما ركس عبادان، استطاع نظام الشاه، مستفيداً من الهلع الذي كان قد ظهر ليوافق المجلس بكل هدوء على لائحة إقرار الحكومة العسكرية في أصفهان. م

٢٢ - لم يخرج الشاه بعد زيارة قام بها أواخر أوردبهبشت ٥٧ إلى المجر إلى أى دولة أخرى، ولذا قول المؤلف إن "الشاه بعد حادثة عبادان عاد مسرعاً إلى إيران" ليس صحيحاً. م

٢٣ - أعلن الإمام الخميني لأول مرة في حديث صحفي مع صحيفة "فيجارو" في باريس (٢٢ مهر ٥٧) شكل حكومة المستقبل في إيران "الجمهورية الإسلامية". م

٢٤ - خص المؤلف هنا قرابة صفحة في كتابه لوصف تاريخ التشيع، ولما كان قد كتبه فقط لاطلاع الأجانب، فالأمر ليس جديداً للقراء الإيرانيين، لذا صُرف النظر عن ترجمته. م

٢٥ - كان مكان وفاة دكتور شريعتي في مدينة "ساوث همبتون" جنوب إنجلترا وليس في لندن (٢٩ خرداد ١٣٥٦). م

٢٦ - من المثير أن فريدون هويدا في بداية كتابه كان قد اعتبر أن الحركة الشورية للشعب الإيراني فقط قد نشأت من الخلاف والخصومة الشخصية للإمام الخميني مع الشاه، ولكن هنا يقدمها على الرغم من فرضيته السابقة- "كثورة حقيقية وأصيلة". م

٢٧ - مع أن مؤلف الكتاب هو أخو أمير عباس هويدا، بالطبع لا يجب أن نستبعد إطرأاته وامتداحه لأخيه، ولكن للوقوف على مهارات هذا "العقل السياسي" من الأفضل العودة إلى دفاع هويدا في محكمة الثورة، وكيف أنه اعتبر نفسه جزءاً من "النظام" ولا بد أن يتبع "النظام" وعلى هذا الأساس أظهر مفهوم كونه "عقلاً سياسياً". م

٢٨ - كان السبب الأساسي لعزل جمشيد آموزجار عن رئاسة الوزارة النتائج المترتبة على حريق سينما ركس عبادان، والتي أسفرت عن فضيحة خلاف ما كان ينتظر النظام، وتسببت في أن الشاه لم يكذب أسبوع واحد على هذه الحادثة المروعة حتى تم تغيير الوزارة ليبعد الأذهان عن التفكير في مسألة سينما عبادان ويلقى جميع الاتهامات التي كانت مصوبة نحوه ضمناً في رقبة حكومة آموزجار. م

٢٩ - لا يوجد في إيران وزارة "النساء"، ولكن كان قد وجد منصب "وزير دولة لشئون النساء" في وزارة جمشيد آموزجار والذي كان في الحقيقة خلفاً لنفس "جمعية نساء إيران" الخاصة بأشرف بهلوى. م

٣٠ - لقد جاء هذا الشعار في المتن الأصلي للكتاب "ديننا حسيني - وملكنا خميني" وليس معلوماً هل أورده المؤلف بهذا الشكل عن جهل أو حرفة متعمداً؟ م

٣١ - في هذه المراسم وأشباهاها مثل توزيع سندات ملكية الأرض على الفلاحين من قبل الشاه - كان عادة يشترك فيها أفراد كممثلين عن العمال أو الفلاحين الذين كانوا يعدون من عناصر النظام من قبل تحت التدريب حتى يعلنوا من موقعهم "شكرهم العميم". م

٣٢ - د. جواد سعيد (الأمين العام لحزب رستاخيز) بعد أن أعلن أن "رستاخيز ليس حزباً موجهاً" استقال من منصبه يوم ٩ مهر ٥٧، وبعدها انحل حزب رستاخيز رسمياً أيضاً بعد عقد آخر جلسة لهيئته التنفيذية يوم ١١ مهر. م

٣٣ - منذ يوم ١٧ مهر ٥٧ لم يعمل أى فصل دراسي على الرغم من بداية السنة الدراسية بالجامعة. م

٣٤ - احترق المسجد الجامع في كرمان يوم ٢٤ مهر ٥٧، وأوضحت التحقيقات فيما بعد أن هذا العمل قد تم على يد رجال النظام ومساعدة المأجورين. م

٣٥ - ذكر فريدون هويدا خطأ مجلة كانت قد انتشرت تحت عنوان "المجتمع الجديد من قبل هوشنگ نهاوندی ورفاقه كنشرة ناطقة باسم الجناح الثالث لرستاخيز (جماعة بحث مسائل إيران في ضوء ثورة الشاه والشعب)، على أنها "حزب المجتمع الجديد". م

٣٦ - عين هوشنگ نهاوندى كوزير للعلوم والتعليم العالى فى وزارة شريف إمامى، ولكن بعد قرابة شهر ونصف اضطر للاستقالة بسبب اختلاف وجهة نظره مع بعض أعضاء الوزارة (٢٤ مهر ٥٧) ويجب معرفة أنه بين وزراء حكومة شريف إمامى كان هناك ستة أشخاص مرتبطين بجناح هوشنگ نهاوندى فى رستاخيز (جماعة بحث مسائل.....). م

٣٧ - استخدم المترجم متعمداً كلمة "راديكال" ليصل مفهوم الجملة أفضل، مع أنه فى اللغة الفارسية يمكن أن تعنى "راديكال": أصلى - عميق - أساسى، ولكن يجب إدراك أنه أى منها لا يمكن أن يدل على المفهوم الواقعى لراديكال. م

٣٨ - حقيقة لم تستطع "الخطوات المنطقية" فى نظر السادة - إلا أن يتحقق تقدم الكفاح على الأقل بجلب تأييد إحدى القوتين العظميين (ترجيحاً أمريكياً) والاستفادة من إرشادات المخططين السياسيين، وإذا قصد تشكيل حكومة إسلامية وسط، فمن المؤكد أن تكون على شاكلة الحكومات الإسلامية التى تتبنى وجه نظر الغرب أو الشرق حتى لا تسبب غضب السادة وتفتح مجال الصراع والهجوم العسكرى والانقلاب.

٣٩ - فى رأى أحمد ميرفندرسكى حول بيانات الإمام الخمينى أنه لا يعرف قبلها مطلقاً كلام وبيانات الإمام، ولم يعرف أنهم يحددون دائماً وجهات نظره السياسية والاجتماعية دون إبهام وبشكل واضح تماماً وأظهروا رأيهم فى الأحاديث العامة والرسائل والبيانات الخاصة بالمسائل السياسية حتى المسائل الدينية، مع أنه ما من شخص يستطيع أن يحكم على الإمام كما هو منتظر إلا عندما علم بنهاية أمر نظام الشاه، وظل بمنصب بوزير الخارجية لشهرين بعدها فى حكومة بخيار.

- ١٥٧ -

الفصل الثانى جذور الأزمّة

الفصل الثانى جذور الأزمة

.....إنه لا أكرر أخطاء الغرب أبداً

(من حديث الشاه لجاكلىن جراين صحيفة لوموند ٧ مارس ١٩٧٦)

لفتت سرعة تداعى الأحداث والمشاكل التى حدثت فى إيران طوال سنة ١٩٧٨ (١٣٥٧) أنظار العالم، وكان الجميع يتساءل كيف غير هذا الشخص أوضاع إيران فجأة بهذا الشكل.

الحقيقة هى أن دلائل الأزمة كانت قد ظهرت منذ فترة، ولكن لم يهتم بها أحد، وفى هذا الصدد يمكن أن ينطبق على ما حدث القصة المعروفة لـ "أدجار آلان بو" التى كان فيها الجميع يبحثون عن رسالة، وقد بحثوا فى كل مكان حتى تحت الفراش. فى فتحات الجدار وأماكن خفية لإيجادها لكن الرسالة؛ مجال البحث؛ كانت على شكل برواز على الجدار أمام أعين الجميع.

فى سنة ١٩٦٠ (١٣٣٩) كان الميدان مهيباً لإيجاد اتحاد بين طبقات الشعب المختلفة فى إيران من اليمين واليسار والعمال والموظفين حتى من التجار وأصحاب رءوس الأموال ورجال الدين وغير رجال الدين، ولكن الكبت- الناجم عن أعمال السافاك وإثارة جو الهلع بين الشعب قضى على إمكانية وجود مثل هذا الاتحاد، وظهر فقط جو من السكون والهدوء السطحي والظاهرى فى المجتمع ليبهرن أن إيران دولة آمنة (*) ومستقرة وسط منطقة الشرق الأوسط المضطربة.

(*) وصف كارتر إيران فى أثناء زيارته لها فى ١٧ دى ١٣٥٦ هـ، ش "بجزيرة الأمان" (پاسخ به تاريخ ٤٥٨).

عقب ذلك، عندما استطاع الشاه سنة ١٩٦٣ (١٣١٤) بإعلانه برامجه الثورية أن يحيى الآمال لإيجاد إصلاحات (*)، ويظهر بهذا التصرف أنه يسير إلى الأمام فى الطريق الصحيح، ومال كثير من المثقفين والتكنوقراطيين أيضاً للاشتراك فى برامج التمدن إلى جانب الشاه.

فى ذلك الوقت أدركت مع عدد من الأصدقاء -كنا قد شكلنا جماعة- أنه إذا كان الهدف من برامج الشاه أن يوجد تطوراً اقتصادياً مطلوباً فإنه يجب عقب ذلك أن تشيع الديمقراطية، ولذلك أحسبنا بأنه يجب أن نصل فوراً إلى التوحد الاقتصادى (لكوموتيو) الذى بدأت حركته، ونريد من سرعته نحو التنمية الاقتصادية والتوجه صوب الديمقراطية.

لما كنا قد تصورنا أن الشاه قد أدرك فى النهاية أنه لا يمكن أن يحكم المجتمع مطلقاً بالسيطرة وإصدار القرارات المختلفة، ووصل الأمر فى نظرنا إلى أنه يعرف أنه طالما لا تتغير الظروف الاجتماعية فإن الشعب لن يستجيب أبداً لأوامره.

كان أصدقاؤى يعتقدون أن سقوط نظام الإقطاع الحاكم كفى بتقدم المجتمع، وكانوا ينظرون إلى تنفيذ برنامج الإصلاح الزراعى بنظرة إيجابية، وكانوا يعتبرونها خطوة ضرورية لدرجة أنهم لم يعنهم قط أن يقوم الشاه بالإصلاحات أو تقوم بها حكومة ثورية. وقد أثارت انتباهى أكثر الإجراءات التى كان الشاه بصدد القيام بها، وقد تذكرتها عند قدومى إلى إيران بعد انتهاء دراستى واطلعت على الأوضاع المؤسفة المسيطرة على البلاد والحياة الصعبة للفلاحين، وكان ذلك أواخر سنة ١٩٤٤ (١٣٢٣) وخلال الحرب العالمية الثانية وعند الاقتراب من نهايتها.

(*) يقصد به "إقلا ب سفيد - الثورة البيضاء" التى أعلنها الشاه فى ١٧ دى ١٣١٤ هـ.ش، وقد أعلن الشاه أن أهداف الثورة البيضاء - الخبز والمسكن والملبس والصحة والتعليم للجميع (باسم به تاريخ ١٦٦).

إيران - ديسمبر ١٩٤٤ (آذر ١٣٢٣ هـ.ش)

لن أستطيع أن أمحو من ذاكرتى أبداً خاطرة اليوم الذى وصلت فيه إلى الوطن مرة ثانية بعد ١٥ سنة من الغيبة.

فى نقطة معبر خرمشهر (*) كان رجل الجمرى شاحب الوجه مجعد الملامح فى فمه عقب سيجارة مشغول بالبحث عن حقائقى، وعندما نفذ صبرى من سماجته، احتججت عليه لماذا تعطلوننى كل هذا؟ أجبنى على الفور: اهدأ! ألا تدري أنه يجب اتباع القانون؟.

عند ذلك همس الحمال الذى كان يقف بجوارى بلباسه البالى، فى أذنى: "أعطه نقوداً ليخلصك سريعاً" ولما كان مالى من نقود يجب أن أستأجر بها للسفر إلى طهران، اضطررت أن أعطيه نصف كيلو يرتقال كنت قد اشتريته قبل عبور النهر من مدينة البصرة وتخلصت من قبضته.

ركبت سيارة قديمة ذات نوافذ خشبية فى طريق ملء بالمطبات، ووصلت إلى محطة سكك حديد الأهواز، وكان مكتوب أمام شبك التذاكر: "نفذت التذاكر"، ولم يكن معروفاً لعدة أيام أخرى هل سيكون هناك تذاكر، اشتد هطول المطر، وفى خارج ساحة المحطة كان هناك كاسحة طين للجيش الأمريكى مشغولة بتنظيف ساحة الشارع.

بينما كنت أتجول فى حيرة وقلق نثرت الكاسحة كمية من الطين والوسخ على رأسى ووجهى، ولما لم يكن لدى طاقة للتحمل بسبب تعب السفر ومرارة الإهمال نظرت إلى حالى وانخرطت فى البكاء.

ترجل سائق الكاسحة فوراً عند مشاهدة ما حدث، وقام بالمساعدة حتى أصلحت

(*) هى مدينة المحمرة عاصمة عريستان (خوزستان) الواقعة على مصب نهر كارون فى شط العرب.

حالى، وعلم بأمر قلقى، فسلمنى لملازم كان مسئولاً عن شئون حمل ونقل الجيش الأمريكى (*) فحجز لى مكاناً على الفور فى قطار كان يحمل جنوداً أمريكان إلى طهران.

استطعت أن أنام فترة أثناء الطريق بسبب التعب المفرط- على الرغم من كثرة الجنود الأمريكان الذين كانت رائحة التبغ والبيرة تفوح منهم، وعندما وصل القطار إلى أنديمشك فى الصباح الباكر لاحظت تواجد مئات الرجال والنساء والأطفال حفاة فى المحطة ينتفضون من شدة البرد بلباسهم المهلهل وكانت عيونهم تنظر إلى.

فى ناحية من ساحة المحطة كان نواب مركز التعيينات للجيش الأمريكى يوزعون الافطار على الجنود الأمريكيين راكبي القطار، وكان على هيئة شطائر ملفوفة فى ورق ومعها فاكهة وفنجان من القهوة، وعندما أكل هؤلاء الجنود إفطارهم فى هذا المكان، وقبل ركوب القطار جمعوا ما تبقى داخل براميل وألقوها بجوار الحائط.

عندئذ هجم فجأة جموع من الإيرانيين الحفاة الذى كانوا ينتظرون فى المحطة على البراميل، وتلقفوا كل ما وجدوه من قطع الخبز أو البرتقال أو قشر الموز مما تبقى من غذاء الأمريكان، ودسوه فى أفواههم على الفور وبلعوه.

وصلت إلى منزل ابن عمى فى طهران، ولما كان المكان غير كاف، كنا ننام الليالى أربعة أشخاص سوياً فى غرفة صغيرة.

كان الفقر والشقاء والمرض يعم طهران كلها، كانت الشوارع مملوءة بالمتسولين لدرجة أنه فى كل شارع نسير فيه يتعقبنا على الأقل عشرة أشخاص، ويستعطفوننا ليأخذوا نقوداً، وكانت تشاهد أمام باب دخول نوادى اللهو لجنود الحلفاء لافتة مكتوب عليها "ممنوع دخول الإيراني و كلب المعصرة".

فى ربيع سنة ١٩٤٥ (١٣٢٤) ذهبت برفقة عدد من الأصدقاء إلى أملاكهم

(*) كانت إيران فى نهاية الحرب العالمية الثانية تحت سيطرة الحلفاء.

التي كانت قرب سارى على شاطئ بحر الخزر، لنقضى عطلة السنة الإيرانية الجديدة هناك، كان القرويون الذين يعيشون فى تلك النواحي يعيشون فى أكواخ من الطين، كانوا لا يأكلون أكثر من مرتين فى اليوم لا يتعدى ما يأكلونه الخبز الجاف واللبن الرائب، كان الملاك يأخذون كل محصول أرز القرويين ورجال الحكومة يراقبونهم عن كسب حتى إذا امتنع أيهم عن دفع حق مالكيه يؤدبونه.

إن مجلس الشورى الوطنى؛ على الرغم من إجراء انتخابات حرة، لم يزل تحت سيطرة الملاك وأصحاب رؤوس الأموال وكان الوضع العام فى إيران كأنما تمطر شؤماً وأسى من كل جانب، ولا يمكن التخيل قط أن أوضاع البلاد يمكن أن تتحسن فى يوم من الأيام.

غادر إيران إلى البلدان الغربية أغلب أصدقائي، الذين كانوا قد عادوا إليها بعد انتهاء دراستهم، عندما شاهدوا الوضع المسيطر على البلاد بعد توقف قصير نظراً لتحسن سبل الاتصال فى نهاية الحرب.

استمرت الظروف المسيطرة على البلاد حتى بدأ الشاه إصلاحاته بعد إجراء الاستفتاء، وبدأ إثر ذلك ظهور آمال كثيرة لنا برغبتنا فى تحسن أوضاع البلاد.

ومنذ ذلك الوقت وما بعده أيضاً، مع أن الشاه قد دحر تمرد سنة ١٩٦٣^(١)، وواصلت حكومته برنامجه، ولكن منذ بداية ١٩٦٥ وما بعدها (بهمن ١٣٤٣) ظهر تطور فى البلاد خاصة فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية، والتي إذا أردنا أن نحكم عليها من خطة النظام خلال السنتين الأخيرتين لحكم الشاه، فهي ظالمة^(٢).

خلال المرحلة التى بدأت منذ عام ١٩٦٥ ابتعد الشاه قليلاً عن الغرب فى مجال السياسة الخارجية وتقارب إلى حد مامع جارة إيران القوية، وبناء على ما أسماه "بالسياسة الوطنية المستقلة" ووقع عدة اتفاقيات تجارية وثقافية مع السويد وقال خلالها أيضاً الروس؛ إننا لن نسمح لأى دولة أجنبية بإقامة قواعد عسكرية فى

إيران^[١].

كان الشاه وزعماء السوفيت قد ضربوا المثل في أحاديثهم دائماً عن العلاقات بين الدولتين كأفضل نموذج لعلاقة الجوار، وبعدها وفي سنة ١٩٦٦ (١٣٤٥) عقدت اتفاقية إنشاء مصنع صهر الحديد في أصفهان بين إيران والسوفييت وقد شاهدت شخصياً الشاه وكان يصفق إظهاراً لسعادته لمثل هذه الخطوة.

وكان تعيين أخى رئيساً للوزارة (*) قادراً على أن يوقف حركات الجماعات السياسية في المملكة، ويصل بالنمو الاقتصادي إلى رقم ما بين ٩ و ١٢ في المائة وتزايد الدخل السنوى ببطء ، ولكن بشكل مطمئن.

في ذلك الوقت كان وضع البلاد مصدر سعادة للشاه الذى قال ذات مرة في جلسة الحلف المركزى "لدين راسك" (وزير خارجية أمريكا في ذلك الوقت)؛ لاحظ؛ أن وضعنا جيد لدرجة أن رئيس الوزراء الرجل المتواضع مع أخيه؛ وهو مثقف يسارى؛ يعملان سوياً في خدمة الشعب.....".

في سنة ١٩٧٧ عندما قرر الشاه تنحية أخى بعد قرابة ١٢ سنة من رئاسة الوزارة، وكان أكثر من ٦٥٪ من الشعب أصحاب منازل (١) إرتفع الدخل الكلى في السنة من ٣٠٠ دولار سنة ١٩٦٥ إلى ٢٢٠٠ دولار، انخفض تعداد الأميين من ٨٥٪ إلى ٥٥٪^[١] والدخل القومى الذى كان يعتمد في سنوات الخمسينات بنسبة ٩٠٪ على بيع البترول اعتمد فقط على ٣٥٪ على البترول (١) (٣).

من الانتقادات الحقيقية للنظام في إيران في فترة رئاسة أخى للوزارة هي أنه حصر الصناعة في البلاد فقط في "إعادة التركيب" وكان يقول دائماً عن الزراعة؛ على الرغم من أن هناك فاصل بين وضع الزراعة في إيران والحد المطلوب فعلاً، لكن يجب

(*) تولى رئاسة الوزارة في ٧ بهمن ١٣٤٣ وأقيل منها في ١٦ مرداد ١٣٥٦ هـ.ش.

تقدير التطورات الملموسة (١).

ومعروف أنه في عهد الانقلاب على الرغم من توقف توريد المواد الغذائية للبلاد فإن المحاصيل الزراعية المنتجة في الداخل كانت كافية لدرجة أنه لم يكن هناك أى نقص في طهران أو في أى مدينة من مدن البلاد (تضاعف خلالها الإنفاق السنوى أربع مرات في الفترة من ١٩٧٢ حتى ١٩٧٧) (٤).

لقد اتخذت خطوات مؤثرة في مجال الاتصالات والتأمين الاجتماعي والصحة والتربية والتعليم..... ولم يكن هناك فقط سوى التضخم الذى كان حالة مقبولة حتى سنة ١٩٧٥، ولكن بعد ذلك أخذ يتزايد بسرعة حتى أنه في اعتقاد الجميع لم يكن إلا نتيجة للتدفق المفاجىء للدخل المتزايد للبترو.

وقد أسهم تحسن الظروف المادية في إيران خلال سنوات ١٩٧٠ حتى ١٩٧٢ في التحرك صوب الديمقراطية، ولكن الشاه أضعاف فرصة الاستفادة من الظروف المثالية التي تجمعت لديه، وجرّ الأوضاع السياسية للبلاد أيضاً بارتكابه أخطاء كثيرة نحو الفساد وبقدر المستطاع، ولم يستمع الشاه لجرس الخطر الذى كان قد يدق في واقعة سياهكل(*)، ولم يتنبه عند مشاهدة حركة الفدائية التي كانت تظهر بمقياس صغير (٥).

في العاشر من إبريل ١٩٧١ (٢١ فروردين ١٣٥٠) هاجمت جماعة فدائية كانت تتخفى في هيئة السافاك، بشكل مفاجىء على مخفر قرب قرية سياهكل (٦)، وفضّل رجال الأمن بدلاً من البحث عن أسباب وأصول الحادثة بعد أن تمكنوا من

(*) في فبراير ١٩٧١ (١٩ بهمن ١٣٤٩) هاجمت جماعة مسلحة أحد المخافر في سياهكل قرب بحر الخزر، وعلى الرغم من أن رجال الدرك قد أجبروهم على الانسحاب، ولكن قُتل عدد من الجانبين، وقد فر المهاجمون واحتموا بالغابات، وقبض السافاك على كثير من زملائهم في طهران وسجنوهم وأعدموا بعضهم (شكست شاهانه ١٣٧).

القبض على سبعة "إرهابيين" بمساعدة الفلاحين- أن يعتبروها قضية مجردة ويصفونها كحادث لا علاقة له بمشاكل البلاد.

وبعدما حدث فإن الفدائيين عندما لم يجدوا سوقاً لشعاراتهم بين الفلاحين غيروا تكتيك العمليات وبدأوا جهوداً داخل المدينة.

في خريف ١٩٧١ (١٣٥٠) اغتالوا اللواء فرسيو المدعى العام في المحاكم العسكرية في طهران، ونفذوا عقب ذلك عدة هجمات مختلفة من هذا القبيل على الفور.

خلال مثل هذه الصدامات وبدلاً من أن يتوجه الشاه إلى ضرورة إقرار الحريات السياسية أمر السافاك بتشديد الضغط أكثر من ذلك، ونتيجة لتلك الخطوات التي اتخذها فإن سيطرة الشاه زادت أكثر وجعلت الشاه المثقف (١) حاكماً مستهدفاً وظالماً.

وكان قد طرأ تغيير على نفسية الشاه تقريباً أواخر سنة ١٩٧٠ (١٣٤٩) في ذلك الوقت، قال لى أخى ذات مرة بعد عودته من لقائه الأسبوعي مع الشاه: "لأعرف ماذا حدث، إنه لا يسمع أصلاً أى كلام ولا يأتى التباحث معه، لعصبيته؛ إلا بنتيجة عكسية...".

لماذا حدث مثل هذا التغيير في نفسية الشاه... هل إعلان خروج القوات الإنجليزية من الخليج (الفارسي) (*) وملء فراغ الوجود الإنجليزي بواسطة إيران،

(*) يقصد به انسحاب القوات الإنجليزية من إمارات الساحل المهادن - أبوظبى وقطر البحرين ودبى والشارقة وأم القيوين ورأس الخيمة وعجمان وذلك في سنة ١٩٧١.

(**) كان أردشير زاهدی زوجاً لشهناز ابنة الشاه وعمل وزيراً للخارجية وكان سليط اللسان (پشت

پرده" تخت طاووس- مينر صميمي- ترجمة" دکتر حسين أبو ترابيان - چاپ سوم ١٣٦٩ ص ٥٧).

- ١٦٧ -

كان من الممكن أن يؤدي إلى استعلاء وغرور الشاه حتى يخرج عن طاقة تحمله؟ أم هل وصول صديقه - ريتشارد نيكسون - إلى البيت الأبيض كان قد بعث في نفسه الإحساس بالقوة؟ أم هل تغيرت أفكاره بسبب مخالطته لأردشير زاهدي (***)؟ إن عرقاً من عروق عقله قد انفجر.

يمكن أن نخمن أن التاريخ الدقيق لتحول نفسية الشاه. كان قد ظهر بشكل أوضح أثناء زيارة نيكسون لتهران سنة ١٩٧٢ وكذلك نشير إلى مسألة ظهور هنري كيسنجر على ساحة السياسة الأمريكية أيضاً.

الثلاثاء ٣٠ مايو ١٩٧٢ (٩ خرداد ١٣٥١) طهران:

اختار الرئيس نيكسون (*) بعد زيارته لروسيا (التي وقع خلالها عدة اتفاقيات هامة مع برجنييف) طريقاً طويلاً لسفره إلى بولندا ليرى الشاه في طهران.

كانت زيارة نيكسون لتهران تبين مسألة حساسة جداً مع الإشارة إلى الطريق الطويل الذي كان من المفترض أن يقطعه مابين موسكو وارسو عن طريق طهران، خاصة أنه في السنة الماضية كان الرئيس نيكسون قد توقف في طهران خلال سفره إلى بكين وتباحث مع الشاه خلالها مباحثات طويلة.

من وجهة نظر المطلعين أن نيكسون قصد من زيارته لتهران أن يصيب هدفين بسهم واحد، الأول هو أنه يريد أن يعتذر للشاه عن عدم اشتراكه في احتفالات الذكرى ٢٥٠٠ للملكية وإيفادته لنائبه "إسبيرو إجينو" بدلاً منه قد يعتبره الشاه نوعاً من الإهانة، والثاني؛ أنه أراد أن يظهر للشاه مسألة أهمية إيران بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، ويعرب له أنه يعتبر الشاه أكثر أهمية وينظر إليه بعين الرعاية.

(*) كان ذلك بصحبة وزير خارجيته هنري كيسنجر والذي وعده بأن يبيعه أي نوع من السلاح ما عدا الذرى (شكست شاهانه ص ١٣).

الصدد؛ إن الروس كان لهم موقع خاص حيث بدأوا هجمات شديدة عن طريق إذاعتهم غير الرسمية" رسول إيران (بيك إيران)" التي كانت تقع في إحدى دول أوروبا الشرقية" (٨).

ولكن الشاه كان سعيداً بالمكانة التي وصل إليها، وعمل على تنفيذ برامج استعلاء في شئون التسليح، وواصل هذا الأمر لدرجة الإفراط (*) حتى صارت بعد مدة تلتهم الميزانية الاقتصادية والسياسية للبلاد، ولم يدرك أن الطريق الذي اختاره سيكون نقطة الضعف الحقيقية للنظام لأنه يجعل المملكة تحت حكم شخص واحد، وعندما يدرك الأمر سيفقد كل ما ورثه وسيعم الوضع السيء البلاد.

ولما كانت الاتفاقية السرية بين إيران وأمريكا فيما يتعلق بالحفاظ على أمن الخليج (الفارسي) والمحيط الهندي قد جعلت الشاه ينحرف عن طريقه الطبيعي لأنه تعجل تذوق ثمرة الفاكهة الفجة قبل الوصول إلى شجرتها، ولإظهار القدرة التي تحققت له اقتحم الميدان فوراً دون وزن العواقب، وواصل طيرانه لدرجة أنه حفر قبره بنفسه.

بعد زيارة نيكسون لتهران، حدثت حادثتان كان هو سببهما، وأظهرتا مدى ضعف موقف الشاه، واقتراه أكثر من حافة السقوط، إحداها حدثت عند ارتفاع قيمة النفط سنة ١٩٧٣، والأخرى حدثت سنة ١٩٧٧ بعد اختيار جمشيد أموزجار رئيساً للوزارة.

ديسمبر ١٩٧٣ (آذر ١٣٥٢) قصر نياوران - طهران

كان الشاه يفرك يديه سعيداً عندما كان ينتظر بداية حديثه الصحفي المثير مع مندوبي الصحافة الأجنبية.

وكان يريد أن يخبر الجميع خلال حديث صحفي تضاعف الدخل الناتج عن نفط إيران إلى أربعة أضعاف، وينبه شعب إيران أيضاً دخوله ساحة السياسة العالمية (*)

(*) أراد الشاه أن تكون إيران القوة الخامسة في العالم (باسخ به تاريخ ٢٢).

التي يجب دائماً أن يكونوا مدينين له بالفضل.

وعلى حد زعم الشاه فإنه بهذه الخطوات- خلافاً لمصدق الذي أمم النفط فقط بالاسم- قد قلب الأمور داخل البلاد بالأموال الوفيرة من حصيلة بيع البترول، وبالمليارات التي حصل عليها يمكن أن يحقق النمو والتقدم للبلاد بسرعة ليشهد في حياته تحويل إيران إلى "خامس قوة صناعية وعسكرية في العالم" (١) وكان في تصوره أنه بمثل هذا العمل فإن الجميع سيعتبرونه سياسياً كبيراً، لأنه استطاع أن يجعل "أخوات البترول السبعة" يرکعن، ويفرض مطالبه على الشركات البترولية العظمى التي لها اليد الطولى على القوى العظمى في العالم أيضاً (١) (٩).

وسعى أخى ووزيران من وزرائه (هوشنگ أنصاري وعبد المجيد مجيدي) بمساع غير مجدية لكي يجعلوا الشاه يستفيد من الطفرة المفاجئة للدخل الإضافي للبترول في سوق البلاد، وكانت مقترحاتهم هي أنه من الأفضل أن يدخل السوق في البداية بـ ٥٠٪ فقط من هذه الأموال والباقي يصل إلى يد الشعب بالتدريج سنة بعد أخرى، ولكن الشاه لم يكن لديه أذن صاغية لقبول اقتراحهم، فقد قرر في جلسة المجلس الأعلى للاقتصاد والتي عقدت بعد عدة أيام برئاسته أن يعيد النظر في برنامج الخطة الخمسية الخامسة (التي لم يكن قد مر عليها أكثر من سنة) ويمنح الأولوية للصناعات الثقيلة وشراء الأسلحة.

قال لي أمير عباس فيما بعد إنه ألح عدة مرات في أوقات مختلفة سواء في جلسات المجلس الأعلى للاقتصاد أو غيرها على الشاه أنه من الأفضل أن يقلل من نفقات التسليح وبدلاً منها ينفق دخل البترول في المجالات الاجتماعية وأن يمتنع أيضاً عن الاستمرار في البرامج المسماة اصطلاحاً "الوجهة" ولا يسمح لأسرته ورجال البلاط أن يمارسوا الوساطات أكثر من هذا.

(*) كان التضخم قد وصل إلى ٤٠٪ في سنة ١٩٧٥ باعتراف الشاه نفسه (پاسخ به تاريخ ٢٤٠).

كان الشاه طبقاً لما قاله أمير عباس واقعاً تحت تأثير الطفرة المفاجئة للاقتصاد في ذلك الحين لدرجة أنه كان يؤمن أكثر من أى وقت آخر بميزة تكديس الأموال وزيادة القدرة الشرائية، وجميع الأفكار التي سيطرت عليه واعتقد فيها أنه "يمكن إنهاء كل أمر بالمال" ولكنه خلال ذلك لم يكن يفكر في القوانين الاقتصادية ولم يهتم بعواقب الزيادة المفاجئة في القدرة الشرائية في المجتمع، وخلال عدة سنوات أوصل ميزانية الدولة من ٢ مليار دولار إلى ٥٠ مليار دولار، وبعدها حدث أيضاً تضخم (*) كان من غير الممكن اجتنابه في الواقع (١٠).

مع تدفق الأموال على إيران تدفق سيل المتعاملين والتجار الدوليين أيضاً على إيران كهجوم الذهب على الحلوى وتحلقوا حول عدد من الإيرانيين وحول البلاط ورجاله لعلهم يلبسونهم قبعة من هذا اللباد.

نمت الوسطة كالسرطان، وتبدلت الأموال الكثيرة في هذا الصدد حتى استطاع الأجانب الجاهلين بأمور إيران من الاتصال بمسؤولين رفيعي المستوى كانوا يقومون بتنفيذ برامج الوجهة للشاه، وخلال ذلك تردد أعضاء الأسر الملكية الأوروبية المعزولة على بلاط الشاه، واستطاعوا أن يتوسطوا لعقد بعض الاتفاقيات المشبوهة بين حكومة إيران والشركات الأوروبية.

ظاهراً كانت السعادة ترفرف على الإيرانيين، ولكن ما من أحد يعرف أن المظالم والتفرقة والفساد بمختلف أنواعه في الطريق خلف هذا كله.

وبعد فترة امتلأت الخزانات الاحتياطية للدول الغربية من البترول إثر زيادة استخراجها للاستفادة من أمواله، وعلى الرغم من تنبؤات الشاه المتفائلة لم ترتفع صادرات البترول عن حد معين، في نفس الوقت كانت نفقات البرامج الطموحة وشراء الأسلحة قد زادت إلى درجة أنها بلعت جميع الأموال الناتجة عن زيادة دخل البترول

- ١٧٣ -

كلية، ولذا عمل الشاه على توفير نفقات جميع برامج المملكة برفع صادرات النفط، ولكن لما امتلأت الخزانات ولم يبد المشترون رغبة فى شراء المزيد، اضطر مرة ثانية أن يعيد النظر فى الخطة الخمسية للبلاد.

استطاع أخى على الرغم من ذلك أن يوفر فى فترة رئاسته للوزارة ١٢ مليار دولار عملة صعبة للبلاد، بالإضافة إلى الكميات التى تقرر وضعها كقرض تحت تصرف البنك الدولى ودول العالم الأخرى التى استفاد منها النظام بالفعل فى إيران ونفس هذه القروض التى استطاعت حتى الآن أن توقف البلاد على أقدامها (١١).

فى ذلك الوقت على الرغم من إصرار أمير عباس، لم يخفض الشاه من نفقات التسليح، وفى المقابل جرى ترشيد الإنفاق فى النفقات العامة بأمره، ولم يكن لهذا الأمر تفسير إلا أن عاش الشاه فى سراب الأمانى، وضل طريقه.

فى صيف ١٩٧٥ (١٣٥٤) خلال لقائي بالشاه، طرحت لزوم حفظ مكانة إيران بين دول العالم الثالث، ولكنه قاطع كلامى بحدة وقال: "ألا نعتبر أنفسنا إلا جزءاً من الدول النامية....." كان أسلوب حديثه يوحى إنه يتصور من وجهة نظرة أن زيادة سعر البترول، على الرغم من تناوّل مستوى صادراته-سوف يجبر عجز الميزانية الذى ظهر بسبب نقص دخل البترول - سريعاً.

ولكن لما كان الشاه لا يرى الحقيقة، فإنه فى أواخر سنة ١٩٧٦ اضطر أن يغير موقفه، وأجبر بسبب ضغط المشاكل العديدة أن يرفع شعار "الثروة للجميع" وفى شهر أكتوبر ١٩٧٦ (٨ آبان ١٣٥٥) اتخذ خطوة خلال حديث صحفى مع صحيفة كيهان، أشار فيه أنه يجب على الشعب أن يتحمل الصعاب أكثر حتى يعيش الحياة فى الظروف الواقعة بالفعل وقال:

".....حان الوقت الذى نواجه فيه الحقائق بشجاعة... قبل كل شىء يجب أن نعتبر أننا الآن نعيش وضعاً استثنائياً، فى كل المجالات والمتطلبات (إثر تطور

المملكة) الاستثنائية كثيرة، والمعروض قليل، المطالب كثيرة، ولا حدود لمواد الاستهلاك والغذاء والبناء والوحدات السكنية، سمعت أن الأسمنت وصل في الوقت الحاضر عشرة أضعاف سعره الرسمي، هذا دليل على عدم التوازن بين العرض والطلب ويجب أن أقول إذا لم نعد النظر في برامجنا سننتهي.

هذا التحذير في هذا الوقت سيوصل الأمر إلى درجة أن نأخذ على يد الشعب، وكان سبب ظهور مثل هذا الوضع أننا لدينا مال، ولكننا لانستطيع أن ننفقه... لا يجب أن نفلس بطوننا بالصابون ولنندع من يجمعون الجيف ويطرحونها للدخل الإضافي، فعل فلان كما يفعل علان.

عندما لم يكن لدينا أسمنت ولا طوب ولا حوض ولا عامل، ولا طرق كافية ولا قدرة جذب اقتصادي، من البديهي ألا نكرر أخطاء الماضي، مرت فترة قصيرة، والآن إذا كان لدينا دخل إضافي فعلينا أن نعوض (ولا عجز الميزانية، وثانياً نقوم بالأعمال مثلما فعلنا في الأسبوع الماضي، اشترينا ٢٥٪ من أسهم مجموعة كروب (الألمانية)، أؤكد أن كل قدر إضافي لدينا من المال يجب أن ننفقه ثانية، وننفق جميع ما زاد؟ فهل إنفاق المال عبثاً؟... انتهى ذلك الوقت، من الآن وبعد، سيكون الإنفاق محدداً والإمكانات واقعية، يجب أن ندخر كل مال إضافي لمستقبل المملكة، مثلاً في أشياء مثل كروب.. وحزب (رستاخير) أيضاً مؤسس لإيجاد هذه الروح، الحزب هو لتعليم شعبنا الأصول الاجتماعية والسياسية وحتى الفلسفة- ألبته فلسفة الثوري ولا شيء آخر.. " (١٢).

ولكن أقوال الشاه في هذا الحديث الصحفي لم تتمكن في الواقع من أن تعبر بصديق، لأن النظام كان يستميل حماية الشعب.

(*) أقيل أمير عباس هويدا في ١٦ مرداد ١٣٥٦ هـ، ش (پاسخ به تاریخ ٤٥٨) (أغسطس ١٩٧٧ شكست شاهانه ١٧٩).

٥ أغسطس ١٩٧٧ (١٤ مرداد ١٣٥٦) (*)، نوشهر

كان الشاه يرتدى قميصاً بنصف ياقة عندما استدعى أخى للحضور فى صالة الاستقبال بقصر نوشهر، وفى المجلس أطلع أمير عباس أنه لما كان يريد أن يولى جمشيد آموزجار رئاسة الوزارة بدلاً منه فمن الأصلح أن يقبل شغل وزارة البلاط بعده، واطلع أمير عباس أيضاً أنه قد عمل أعمالاً جلييلة خلال منصب وزير البلاط، وسوف يتمكن من أن يساهم كثيراً فى الأمور الداخلية وأيضاً فى السياسة الخارجية.

حقيقة لم يكن أخى بالشخص الذى يخادع، ولم يدرك أن الشاه يقصد بهذه الحيلة أن يبعده عن الساحة، معرفته أيضاً أن وزير البلاط عادة يختار من بين أفراد أهل ثقة، لذا لم يشغل نفسه بحقيقة ما حدث، ولكن عندما دخلت الشاهبانو فرح الصالون واطلع الشاه وزوجته على القرار الذى اتخذه وقال لها: ".....سيصبح السيد هويدا جزء منا فيما بعد وأنا مطمئن أنه يمكن أن يسيّر وزارة البلاط طبقاً لرغباتنا"، فى المقابل ابتسمت أيضاً وقالت: "حسن جداً ولكن بشرط ينظف بالجاروف الذى يمسكه بيده البلاط من الأفراد الفاسدين الذين عششوا فيه"....أحس أمير عباس عند سماع هذا القول بالراحة وقبل المهمة الجديدة.

كان مستاءً من استمراره فى رئاسة الوزارة لدرجة أنه كان قد قال لأحد أصدقائه منذ عدة شهور سابقة: "كل ليلة أذهب فيها إلى الفراش أطلب من الله أن يقبض روحى أثناء النوم ويخلصنى من كل هذا الهم، وكلما أضغط على نفسى، حَمَل الشاه سفينة الحكومة فوق طاقتها، ويريد منى أن أتقدم بها، ولكن هذا الأمر ثقيل ومرهق لدرجة تفوق طاقتى".

ولكن جمشيد آموزجار من الناحية النفسية والسلوك، كان يستقر فى الحقيقة فى مواجهة أمير عباس، كان سريع الملل، حاد الطباع، عصبى المزاج، غير منسجم (مع الناس ورفاقه) حيث لم يستطع خلافاً لأخى أن يساير هذا وذاك حتى يوازن

ويهدىء بين القوى المختلفة الموجودة فى البلاد.

اعتبر آموزجار الاقتصاد مقدماً على السياسة ولهذا السبب عندما فرق السياسيين المجريين من حوله وأحل محلهم التكنوقراطيين الشباب حديثى العهد، لذا اتخذ منذ البداية عدة قرارات غير مدروسة وارتكب أخطاء كثيرة.

ولكن مع كل هذا اعتبر آموزجار خطأً، وألقى جميع الأخطاء فى عنقه، وعندما قرر الشاه أن يغير أسلوب الحكومة عزل أخى الذى كان منحازاً للقوى المعارضة.

كان أمير عباس يسعى دائماً للارتباط بالجماعات المعارضة للنظام بواسطة بعض أصدقائه مثل "غلا محسين مصدق" (ابن رئيس الوزراء الأسبق) أو شخص آخر كان له اتصال بالأوساط الدينية (امتنع عن ذكر اسمه للمصلحة) وكان يوصى الشاه عدة مرات أنه من الأفضل أن يفتح باب الحوار مع معارضيه.

كان إصرار أخى على مكافحة فساد المسؤولين رفيعى المستوى بالبلاد من المسائل التى كانت تؤذى الشاه دائماً، وأوصل الوضع إلى درجة أن الشاه كان قد قال لأمير عباس قبل تغيير الوزارة بشهر: "الصدق فقط ليس كافياً".

كان الشاه يهدف من عزل أمير عباس أن يسلك مسلكاً عنيفاً فى إدارة أمور البلاد، وكلام جمشيد آموزجار فى جلسة المكتب السياسى للحزب (رستاخيز) أيضاً بعد المظاهرات التى قامت فى ١٩ يناير فى قم (١٩ دى ٥٦) (*) يؤيد هذه النظرة، على الرغم من أنه يحب معرفة أن الشاه قد ضاق ذرعاً منه لما يفعله، وكانت القرارات التى أصدرها فى مجال الشئون الاقتصادية التى كانت أكثر مغالاة وغير عملية على سبيل المثال كان مطلبه أن يصل التضخم إلى الصفر.

وقد حدد آموزجار عقب قرار الشاه - ميزان الاعتماد، وخفض كثيراً من

(*) قامت هذه المظاهرات إثر نشر مقال إهانة الإمام الخمينى فى صحيفة إطلاعات.

المصروفات العامة، ولكنه لم يستطع أن يتقدم خطوة نحو تخفيض نفقات التسليح التي كانت محصورة في يد الشاه.

تركت خطوات آموزجار آثاراً سلبية كثيرة بين أصحاب الصناعات الصغيرة وتجار التجزئة خاصة التجار الذين كانوا يواجهون قطع اعتماداتهم القليلة الفائدة.

ولم تؤثر القرارات الموضوعة من قبل الحكومة للتخفيض الاجبارى لقيمة تأجير المنازل على أصحاب المال الذين كان لديهم موارد كثيرة، (طالما أنهم كانوا يستطيعون أن يستفيدوا من ثرواتهم في مكان آخر ويستريحون تماماً من تأجير منازلهم للأشخاص) ولكن أتت هذه الخطوة بأثر سلبي على الطبقة المتوسطة والأفراد الذين كان لديهم وحدتين سكنيتين (إحداهما للإقامة الشخصية والأخرى للإيجار والاستفادة من نقودها لدراسة الأبناء في الخارج) لدرجة أن هؤلاء الجماعة اضطروا لتأمين نفقاتهم بالتوجه إلى النزلاء ليقترضوا منهم الأموال اللازمة، للاستفادة منها.

وأدى ضغط الدولة في مسألة الأرض إلى آثار سيئة، ومع توقف نشاط البناء، أصابت الصناعات المرتبطة بالإسكان بخسارة فادحة.

وقطع آموزجار - ضمن تنفيذ برامجه الشديدة- الميزانية التي كان أخى قد أمر بها للإنفاق على الأمور الدينية، وكانت تبلغ ١١ مليون دولار سنوياً.

هذا المبلغ الذى وفره من الميزانية السرية لرئيس الوزارة لتأمين نفقات الحفاظ على المساجد في كل أنحاء البلاد والمدارس الدينية وبخص مصاريف ثرية في هذا المجال، وسعى أخى عن طريقها ضمناً أن يعوض رجال الدين عن الخسارة التي لحقت بهم من جراء تنفيذ الإصلاح الزراعى الذى كان قد أدى إلى خروج إدارة شئون بعض الأراضي من أيديهم^(١٣).

عقب ذلك أعلن آموزجار مايلى : تنظر الحكومة لتخفيض ضغط المرور في طهران في خطة يتم بمقتضاها إنشاء شارع من شمال إلى جنوب المدينة عن طريق سوق

طهران، وعلى الفور شاع بين التجار أن الشاه يريد أن يخرب السوق ويحرم التجار من أعمالهم ومكاسبهم.

كان قد ظهر نفور واسع بين المؤسسات الدينية والطبقة المتوسطة والتجار من أعمال آموزجار، وكان أحياناً يقوم بالأعمال بفرعنة وغرور حتى جعل مؤيدى النظام فى صف المعارضين ورأى الأغلبية أنه بعد اتخاذ القرار، الأمر يرجع للحكومة، لكنه كان ينفذ القرار قبل الموافقة على اللائحة المتعلقة بالمجلس.

بعد أحداث اضطرابات تبريز (فى ١٩ بهمن ١٣٥٦) عندما سأل "نبي احمد" نائب تبريز فى المجلس آموزجار، بدلاً من أن يجيب عليه هو، هاجمه (غلام رضا كيانپور) وزير عدله، ووصل الأمر إلى حد أن أهين كثير من نواب المجلس.

لم يكن لجمشيد آموزجار داخل حزب رستاخيز من شىء سوى الشجار مع رؤساء الأجنحة الثلاثة للحزب، وأنهم دائماً يشيرون الاضطراب والتلفيق ضد الحكومة، وكان دائماً فى حالة عراك مع المنضمين إلى أى من الأجنحة الثلاثة.

بعد عدة شهور من رئاسة آموزجار للوزارة بدأت مظاهرات ضد النظام واتسع نشاطتها، وواجه رجال الأمن الشعب مواجهة مسلحة، ونجم عنها خسائر فادحة.

هذا كله فى الوقت الذى لا يعرف أحد مطلقاً سبب تغيير الوزارة ويدرك بصدق علة مجيء آموزجار، حتى لو كان الشاه قد قصد تخفيض تزايد المعارضين السياسيين، فإنه كان يجب أن يعين شخصاً رئيساً للوزارة يتمتع على الأقل بقبول شعبى، ولا يدع مقام الصدارة لشخص توزر ١٦ سنة فى وزارات مختلفة منها وزارة أخى، وإذا كان هناك خطأ قد حدث فى هذه الوزارات فهو كان أيضاً شريك جرم بها، ولما كان فى مقام النقد للحكومات السابقة فلن يكون مطلقاً أهلاً لكسب الثقة.

لم تنجح السياسة الجديدة التى كان الشاه قد اتبعها فى أى مجال أبداً، وبعد سنة من بداية رئاسة الوزارة لآموزجار وصل الوضع الاقتصادى للبلاد درجة أن توقفت

الأمر التجاري، وتضاءلت رموس الأمور بشكل مفاجع وظهرت مشاكل اجتماعية وخيمة.

وبعد ذلك عندما قدموا أمير عباس لمحكمة الثورة، خاطب قاضي المحكمة الذي كان النقاب على وجهه وقال : "هل سألتكم لماذا أقالني الشاه في سنة ١٩٧٧ عن رئاسة الوزارة وبعد ذلك أيضاً عزلني سنة ١٩٧٨ من وزارة البلاط؟" وكان يقصد من سؤاله أن يشرح القضية ولكنه عندئذ مُنع من الاستمرار في كلامه (١٤).

وضع لي أخي في فترة إقامته بالبيت أن السبب الرئيسي لعزله من رئاسة الوزارة كان عدم اتفاقه مع الشاه في عدة قضايا كان أهمها: إصراره على وجوب مكافحة الفساد على مستويات عليا في البلاد خاصة في الأسرة المالكة وحاشية الشاه وأيضاً الحوار مع المعارضين.

قال أمير عباس فيما يتعلق بسبب إقالته من وزارة البلاط أيضاً: كانت الإقالة بسبب اظهار المعارضة لأمر الشاه الخاص بإطلاق الرصاص على الناس في أوائل سبتمبر ١٩٧٨ (١٧ شهر يور ٥٧ (*) (١٥).

الشاه الديكتاتور

يمكن أن نعتبر الحوادث الثلاث التي شرحتها (زيارة نيكسون ل طهران سنة ١٩٧٢، زيادة سعر البترول سنة ١٩٧٣، تغيير الوزارة في سنة ١٩٧٧) أسباب تسارع الأزمة، ولكن السبب الأصلي للأزمة يجب أن يوجه نحو الطابع الديكتاتوري لنظام الشاه.

(*) تظاهر الأهالي في ميدان جاله (ژاله) (الشهداء) فأطلق رجال الحرس النار عليهم وقتلوا عدة آلاف، وقامت مظاهرة دعا إليها آية الله نوري (دائرة المعارف تلاش اطلاعات عمومی - چاپ جديد- تهيه وتدوين: تقى كاغذجي- تبريز ٥٥٢).

كان أسلوب حكم الشاه نوع من الحكم يتخذ أكثر القرارات بنفسه ولهذا السبب خلق جواً لا يسمح لأحد قط حتى المقربين من مستشاريه أن يجروا على انتقاده، وظل أيضاً وزراء الحكومة فى أمان من غضب الشاه وفضلوا فى مواقف متعددة أن يخبروه مقدماً بكل أمر مهما كان صغيراً وحقيقياً لدرجة أن وزير الصحة فى ذلك الوقت فى سنة ١٩٧٧ (١٣٥٦) قال لى: "عندما زاد عدد الكلاب الضالة فى طهران زيادة كبيرة، قدمت تقريراً للشاه لاستأذنه فى قتل هذه الكلاب، وعندما صدر الإذن وأراد أن يعد للأمر عدته، فجأة استدعاه الشاه إلى قصره، وقال: "حقيقة عليك بالحدرا لما كانت أختى (شمس) تحب الحيوانات كثيراً، وإذا علمت بهذا الأمر ستصدعنى من الأفضل أن تصبر فترة فهى تسافر إلى أوروبا الشهر القادم وبعدها ابدأ عملك".

من وجهة نظر الشاه، كان الأمر طبيعياً جداً أن يتشاور وزراء الحكومة معه فى أمور جزئية وتافهة، وينفذوا قراره بعد أخذ أوامره السامية.

ابتعدت أفكار الشاه عن ماهية النظام الملكى فى الماضى، واتضح هذا فى كتابه "نحو المدنية العظمى" واعتقد بأن: ".....الوضع الخاص للملكية فى إيران يوجب المقولة المشهورة لكريستن سن: الملك الحقيقى فى هذه البلاد، ليس فقط رئيس الدولة بل هو فى نفس الوقت مرشد ومعلم قوميتها..." (١٦).

وتأصلت هذه المسألة فى ذهنه لدرجة أنه قال ذات مرة خلال إحدى صحفى مع مراسل فرنسى (أوليويه وارن) "...فى الواقع الشاه فى بلدنا رئيس السلطات الثلاثة التنفيذية والتشريعية والقضائية" (١٧) وبعبارة أفنضل، كان الشاه يكرر مقولة لويس الرابع عشر منذ ثلاثة قرون من أن "الدولة يعنى أنا".

سمعت ذات يوم من الشاه أنه قال فى جماعة من رجال البلاط "سلطة تعيين

(*) كان أسد الله علم وزيراً للبلاط فى عهد رئاسة هويدا للوزارة ما بين سنة ١٩٦٥ إلى ١٩٧٧ (١٣٤٤ - ١٣٥٦ هـ.ش) وكان من أصدقاء الشاه فى فترة الطفولة وكان أكثر الناس قرباً للشاه وظل مرتبطاً به حتى مات بسرطان الدم (شكست شاهانه ٨ - ٤١ - ٤٣).

وعزل جميع الموظفين معي" وبعدها جرى من اعتقال لأمير عباس سنة ١٩٨٨، سنحت الفرصة أن أجرب قول الشاه شخصياً عندما صممت أن أستقيل من عملي (ممثل إيران في منظمة الأمم المتحدة) بسبب القلق الناجم عن اعتقال أخى، وزارنى ذات يوم شخص (كنت أعرفه من قبل ولكن لم أكن أعرف أنه يعمل لصالح السافاك) وحذرني: "أنت تتكلم كثيراً! أحذرك! فطالما أخوك، فى السجن الآن، يجب أن تفكر في أسرتك وأولادك..".

دولة داخل الدولة

الواقع أنه لم يكن هناك دولة واحدة فقط فى نظام الشاه، كانت شئون البلاد تدار بواسطة عدة قوى كانت جميعها تحت إشراف الشاه مباشرة، ورؤساء كل منها أيضاً يرتبطون بالشاه بعلاقات مباشرة.

أمير أسد الله علم (*) الذى تولى وزارة البلاط حتى أغسطس ١٩٧٧، (مرداد ١٣٥٦) اتخذ عدة قرارات كانت جميعها خارج نطاق وظيفته، ولكن بعد أخذ موافقة الشاه كان يقوم بتنفيذها.

وعمل منوچهر إقبال (*) نفس العمل وقت رئاسته لشركة البترول، وكان الجيش مستقلاً إلى درجة كبيرة فى أعماله، والسافاك على الرغم من أنه كان ظاهراً ملحقاً بمكتب رئيس الوزراء، لكنه كان يأخذ الأوامر من الشاه مباشرة.

فى مثل هذه الظروف، من الطبيعى ألا يوجد تعاون مطلقاً بين الوزارات المختلفة فى البلاد، وكل نظام حكومى أيضاً يُدار على نحو كأنما يسيطر عليه نوع مثل ملوك الطوائف.

كان أخى وقت رئاسته للوزارة دائماً يسعى للاستفادة من أصدقاء يشاركونه

(*) كان منوچهر إقبال من المقربين للشاه وقد شكل حزباً أسماه حزب مليون (شكست شاهانه ٤٣٤).

الهم فى الوضع الذى يجعل سفينة الحكومة تتقدم بهدوء فى هذا البحر المتلاطم، ولكن سلوك الشاه كان كأنما يسير يوماً بعد يوم أكثر من ذى قبل صوب الإهمال وعدم رعاية نصائح الآخرين، على الرغم من أنه قد صكت مسامعى أحياناً شكواى أخى، ولكن كان فى المقابل انتقادات وشكواى الآخرين كرد فعل لما يبدو منه من حدة وخشونة، لدرجة أنه فى سنة ١٩٧١ (١٣٥٠) أقال المشير جم من قيادة أركان الجيش فقط بسبب ما سمعه من انتقادات منسوبة لبعض خططه التكتيكية.

المبادرات العظيمة:

كانت أكثر خطط وبرامج الشاة ملهمة من مباحثات كان قد أجراها مع جنسيات وأشخاص أجانب.

على سبيل المثال التقى به ذات مرة أحد الإيرانيين الأمريكان، وعدد له مزايا تأسيس هيئات زراعية وصناعية، وعلى الفور قرر الشاه أن ينفذ رأيه حتى تتمكن إيران من أن تدخل سلك مصدري المواد الغذائية، وأمر عقب هذا القرار بأن يخصص الأراضي ناحية السد العظيم جنوب البلاد للزراعة والصناعة (١٨).

الفلاحون الذين كانوا يعملون فى المنطقة، وتسلموا عقود الملكية حديثاً واعتبروا أنفسهم ملاكاً لأراضيهم، فجأة واجهوا وضعاً بموجبه سحب العقود من أيديهم، ومنحهم بدلا منها سهماً "زراعي صناعي"، وسجلهم ضمنياً كعمال أجراء فى برنامج الزراعة الواسعة.

لم يكن سهلاً هضم هذا التوجه الجديد للفلاحين الذين كانوا قد تخلصوا حديثاً من مساوئ عهد الإقطاع السوداء، واعتبروا أن سند الملكية أجر ملموس، ولم يعتبروا السهم "الزراعي الصناعي". مطلقاً أكثر من ورقة كبيرة، بالإضافة إلى ذلك أحس الفلاحون أن هذا كان ارتداداً إلى نقطة البداية مرة أخرى بعد الإصلاح الزراعى،

- ١٨٣ -

بدلاً من أن يرفعى المالك ملكه يجب أن يرفعوا الهيئة التى أصلاً لا يعرفون لها وجهاً.
كان الوضع بالنسبة للفلاحين الذين اضطروا للخدمة فى هيئات تعاونية ريفية يرون أنفسهم كمن سُلِبَت حريته، واضطروا من أجل الإيفاء بسهمهم فى برنامج تحديث البلاد أن يهجروا الأرياف ويتوجهوا إلى المدينة.

وعلى هذا النحو واجهت برامج الشاه الزراعية بسرعة جداً مشاكل كثيرة، ولم يستطع مستوى الإنتاج الزراعى أن يحقق الحد الأدنى للمستهدف منه.

فى نطاق الصناعة حدث وضع مشابه وظهرت مشاكل كثيرة واحدة تلو الأخرى بسبب عدم صبر الشاه وبرامج وجاهته، وتطلب إقامة مراكز للصناعات الثقيلة، البتروكيمياوية والطاقة الذرية، خبراء، ولما لم يكن بين الإيرانيين أمثال هؤلاء المعدودين، استقدم الشاه سيلاً من الخبراء الأجانب إلى داخل البلاد لتحقيق أهدافه الطموحة.

فى الشهور الأخيرة من عمر النظام وصل إلى أذنه هذا الكلام الكاذب من أن برامج تمدن الدولة على يد الشاه تعادل تاجه وعرشه، ولكن من وجهة نظرى أنه فى الواقع لم تتجمع للشاه قط علة لسقوطه سوى أخطائه الأساسية.

الفساد المالى :

رفعت كل حكومات إيران خلال خمسين سنة على رأس برنامجها "مكافحة الفساد".

ولكن الفساد الذى ظهر فى إيران بعد ارتفاع سعر النفط سنة ١٩٧٤ كان مسألة أكبر من الجميع وفاقت جميع المعايير المقبولة.

تذكرت أننى سألت أخى خلال لقاء به فى شهر أغسطس ١٩٧٦، (مرداد ١٣٥٥) لماذا لا يساعد التجار ورجال الصناعة فى إيران بأى مساعدة مالية لتنمية

النشاط الفنى والثقافى؟ فأجابنى أمير عباس بلهجة تنم عن غضب: "لسنا فى حاجة إلى أموالهم، إنهم إن أرادوا أن يساعدوا يكفى فقط أن يكفوا عن السرقة.."، وعند سماع هذه الإجابة طرحت مسألة بديهية جداً، سألته: "إذا كان كذلك لماذا لا تحاكمونهم؟" نظر إلىّ أخى نظرة تبين اليأس والضعف ثم قال: "لماذا تظن إننى لن أحاكمهم؟ هل يمكن عمل شىء آخر غير المحاكمة؟، لكن ما الفائدة؟ طالما أن الماء ملوث على سطح العين، وإذا أردت الصراع مع المفسدين يجب أن تبدأ من أعلى، وأولها جميعاً أن يحاكم الشاه وأسرته وحاشيته، وكل عمل آخر إذا عمل لا نتيجة له وعلى كل حال طالما فرت سمكة الشاه من الشبكة فمن العيب أن نصطاد السمك الصغير....".

الفساد الذى ظهر فى بلاط الشاه كان فى الواقع قد أخذ أبعاداً مؤسفة، كان إخوة وأخوات الشاه يتقاضون عمالات كبيرة للتوسط لعقد الاتفاق بين حكومة إيران والشركات التى كانوا هم أنفسهم مؤسسين رئيسيين فيها، ولكن المصيبة الحقيقية فى هذه القضية ليست مسألة الرشوة أو الحصول على العمولة من قبل أسرة الشاه ولكن تصرفاتهم دفعت الآخرين لتقليدهم، وأخذ الأمر شكلاً لوث المجتمع على كل المستويات.

تدفق الثروات الكثيرة فى جيب هذا وذاك من جراء عقد الاتفاقات أحياناً كان يودى إلى فضائح منها أنه ذات مرة أعلنت لجنة تحقيق من مجلس الشيوخ الأمريكى أنه خلال أحد المعاملات مع الشركات الأمريكية تلقى عدد كبير للرشوة، منهم: زوج

(*) المشير خاتمی قائد القوات الجوية هو الزوج الرابع لفاطمة بهلوى وكان طياراً خاصاً للشاه تزوجها سنة ١٣٣٨ هـ.ش وقد قتل فى حادثة مشكوك فيها فوق بحيرة سد دز (زندگى پرماجراى رضا شاه ج ١ ص ٧٤).

(**) شهرام ابن الأميرة أشرف بهلوى من زوجها الأول على قوام ابن قوام الملك، وكان شهرام يعمل نائباً لقائد القوات البحرية (زندگى پرماجراى رضا شاه ج ١ ص ٣٦).

أخت الشاه وقائد القوات الجوية الإيرانية (المشير خاتمي) (*) بالاتفاق مع الابن الأكبر للأميرة أشرف (شهرام) (**) وأعلن أيضاً في موقف آخر أن ضابط البحرية "رمزي عطائي"، قائد القوات البحرية قد تلقى رشوة بمقدار ثلاثة ملايين دولار عمولة تسليح.

في سنة ١٩٧٧ قال لي أحد وكلاء وزارة الصحة إن الطبيب الخاص للشاه (سپهبد أيادی) كان له يد طويلة في أمور الدولة فقد طلب منه بشكل سرى أن يعهد إليه مسئولية كل مايتعلق باستيراد وتوزيع الدواء في البلاد، وذات مرة أمر الشاه بتأسيس بنك لتأمين الاعتمادات الخاصة بإنشاء مستشفيات في كل أنحاء البلاد، وفوراً واجه نفوذ أفراد الأسرة الحاكمة الذين كان كل منهم مسئولاً عن جزء من العمل، وكانوا يوقعون بناء على موافقتهم على اتفاقيات بالعمولة.

في سنة ١٩٧٧ تقرر بأمر الشاه أن يتم توزيع الغذاء المجاني على التلاميذ بإشراف "فريده ديبا" أم الملكة؛ واستغلت هذا أسوأ استغلال لدرجة أن أحد أصدقائي قال لي: إنه في أحد المدن الساحلية لبحر الخزر رأى بعينه شاحنات حاملة للمواد الغذائية لمدارس هذه المدينة، كانوا يبيعون حمولاتها في السوق.

قرر الشاه في سنة ١٩٧٦ ليقفل من الانتشار السريع للفساد، أن يتعقب عدة أشخاص من التجار الكبار وأصحاب الصناعات، ولكن هذا الأمر على الرغم أنه لم يدين بعضهم في المحكمة لكنه قلل سوء ظن الشعب فيما يفعله النظام، ولما كان الشعب لم ينس الأعمال السابقة، وكان يتذكر أنه في سنة ١٩٧١ (١٣٥٠) وعقب حادثة الاغتيال الفاشلة لشاه مراكش، قرر الشاه (بناء على طلب أخي) أن يحاسب الأسرة المالكة، وعقب ذلك نفى أحد أبناء إخوته إلى خارج البلاد، ولكن لم تستمر هذه الخطوة أكثر من عدة أشهر، وعاد ابن الأخ المنفى مرة ثانية إلى إيران، واستأنف نفس العمل والنشاط السابق.

وشكل بعد فترة برئاسة أخى لجنة تحقيق لتبحث أمر العملات غير القانونية من قبل الشركات الأجنبية للمسؤولين رفيعى المستوى فى البلاد، فى نفس الوقت كان قد وصل إلى طهران أحد الأشخاص رفيعى المستوى لشركة أجنبية له سوابق كثيرة فى تقديم الرشوة للمسؤولين الإيرانيين، وفوراً أرسلوا له استدعاء ولذلك لم يستطع أن يهرب من إيران، ووضعوا اسمه أيضاً على قائمة الأفراد ممنوعين من الخروج، ولكن هذا الشخص لم يهتم بالاستدعاء واستطاع أن يخرج بسهولة من إيران، وعلم أخى بعد تحقيق أنهم أوصلوه عند الخروج من البلاد بسيارة خاصة بالبلاط إلى سلم طائرة كانت جاهزة للطيران، وقيل: إن أعضاء أسرة الشاه لم يمرؤا عند الخروج من البلاد مطلقاً بنقطة الجمرک ومسئولى جوازات المطار.

لقد أثارت أمور مثل فساد ورشوة مسئولى المملكة حساسية المجتمع، وطبيعى أن يختلط الباطل بالصحيح أيضاً، وسواء سعى المرء بسوء نية أو حسن نية فإنهم يشيعون عنه، ويوضع اسمه فى القائمة لذا فإنه بعد فترة أصبح من العسير تحديد المذنبين والأبرياء ووصل بالأمر درجة أنه لا يمكن مكافحة الفساد مرة أخرى بسهولة، لهذا كتب مراسل "لوموند" فى العدد المؤرخ ٣ أكتوبر ١٩٧٨ من الصحيفة مشيراً إلى أحداث مكافحة الفساد فى إيران: "ويبدو هذا الأمر غير ممكن تقريباً طالماً للجميع يد بأى شكل كان".

ولكن على كل حال لما كان بعض أفراد الأسرة الحاكمة والمسئولون رفيعو المستوى فى المملكة لهم يد فى أخذ الرشوة، كان للمجتمع حق أن ينظر نظرة شك وريبة لصدق الشاه أيضاً، ويعتبرون على الأقل وجود "مؤسسة بهلوى" (*) شهادة

(*) بنياد بهلوى.

على وجهة نظرهم، وكان أحد الخبراء الأمريكيين قد أشار في عدد يناير ١٩٧٩ من مجلة "القوات المسلحة" الأمريكية (آرمد فورسز جورنال (**)) - صحيفة القوات المسلحة): "..... إن مؤسسة بهنلوي كانت وسيلة قانونية لزيادة ثروة الأسرة الحاكمة في إيران.....".

خلال ذلك لما كان الشاه يسعى دائماً لتوجيه الأمر إلى نحو ما، لذا كان يبدو أحياناً بمظهر مضحك وعجيب وغريب، وقد نقلت قوله إلى أخى فيما يتعلق بالفساد الموجود في المملكة من قبل، ويجب هنا أن أشير إلى الحديث الذي أجراه الشاه في هذا الصدد مع "أولويه وارن" المراسل الفرنسي.

سأل المراسل الفرنسي الشاه: "يقال: إن الفساد لن يدع جماعة من حاشيتك في أمان" أجابه الشاه: "..... كل شيء ممكن، ولكن يجب أن أقول في هذا الصدد إنه ليس فساداً، ولكنه مثل بقية أساليب العمل (١) يعنى مثل الأشخاص الذين لهم حق العمل والتعامل، وبعبارة أخرى حاشيتي لها الحق أن تعمل قانونياً في ظروف مشابهة مع الآخرين، وتعمل من أجل تدبير أمور الحياة.... (١) - (١٩).

الكبت:

قلت من قبل: إن السافاك (*) كانوا فقط اسماً تابعين لرئيس الوزارة، ولكنهم يعملون مستقلين، يأخذون أوامرهم من الشاه مباشرة.

كان السافاك (**) يقومون بكل أعمالهم بشكل سرى وخفى ليثيروا الخوف بين الجميع، وبذلك العمل سيطر جو مسموم في المجتمع كله من الصدر إلى العجز

(*) سازمان امنیت واطلاعات كشور ويعنى جهاز أمن واستخبارات الدولة وهو يماثل جهاز ك.ج.ب. الروس والسى آى إيه الأمريكى وجهاز الاستخبارات ومكافحة التجسس الفرنسى SDECE.
(**) تأسيس جهاز السافاك عقب مقتل مصدق سنة ١٩٥٣ وتولي إدارته الجنرال بختيار وتدريب رجال السافاك على يد المخابرات المركزية الأمريكية (پاسخ به تاريخ ٣٣٨).

لدرجة أنه لم يجرؤ أحد قط أن يتحدث في حضور آخرين بكلام حتى إذا طلب أحد أصدقائي عرض أمر حملني في العادة إلى زاوية خالية في حديقة المنزل، وتحدث هناك بصوت خفيض.

وتصادف أنني توسلت إلى أخى عند معرفتى باعتقال بعض معارضى النظام على يد السافاك أن يمكنني بوساطته عند الشاه لأنقذ أرواح كثيرين من الموت (٢٠) وأيضاً عندما نشرت منظمة العفو الدولية والمنظمات العالمية الأخرى عدد المعتقلات غير القانونية ومعتقلات التعذيب في إيران، استطعت عن طريق أخى أن ألتقى بممثلى هذه المنظمات، وبعد ذلك هيأت زيارة لممثلى العفو الدولية والصليب الأحمر العالمية واللجنة الدولية للمعوقين، للمسجونين الإيرانيين، وأدت نتائج تقاريرهم أيضاً إلى تخفيف التعذيب وتقليل الاعتقالات التعسفية من قبل السافاك.

وصلت سيطرة رقيب السافاك إلى درجة أنه أحياناً يمنع نشر الكتب التى طبعت من قبل عدة مرات.

ويقال: إنه منع نشر مسرحيات مثل "هملت" أو "مكبث" فقط لأن فيها قتل الشاه أو الأمير.

كان السافاك يخضعون الأفلام لميولهم الشخصية وذات مرة منعوا عرض فيلم أنتجه أحد أصدقائي يدعى "إبراهيم جلستان" كان يطرح قصة رجل اغتنى حديثاً، وفي نظر السافاك أن هذا الذى حدث يمكن أن يستدعى ذهن المشاهد حول قضية الشاه بعد ارتفاع سعر البترول.

وفى موقف آخر سجن السافاك مؤلفاً عدة أيام فى السجن بحجة أنه لماذا نقل فى كتابه عبارة مكتوبة من كتب أحد معارضى النظام؟.

فى النهاية حل يوم أصدر فيه الشاه قراراً ظاهره إنهاء تعذيب المسجونين ، ولكن هذا الأمر لم يستطع أن يخفض من سوء الظن العام فيه، خاصة أن الشاه قد رد على سؤال خلال حديث صحفى مع مايك والاس "أذيع يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٦ من

تليفزيونات أمريكا" يقول: "إذا أدركت أنه يلزم استعمال التعذيب، هل ستعمل ذلك؟
"أجاب"..... حقيقة إننا لم نقم مطلقاً بالتعذيب بكسر اليد أو أعمال مثل ذلك منذ
زمن، ويوجد في الوقت الحاضر أساليب أكثر تعقلاً لدفع السجين للاعتراف...."١.

كان إعلان إعدام المعارضين للنظام يعلن فقط عندما ينفذ، وفيما يتعلق
بالفدائيين المعارضين للنظام الذين يسجنهم الشاه دائماً بدلاً من السجين السياسي
"الإرهابي" وكان القانون يسمح بإعدام مهربي المواد المخدرة دون تأخير، وكان منع
إقامة مراسم العزاء من قبل أسرهم قد أدى إلى إثارة بغض ومقت عظيمين ضده بين
الناس.

كان ظلم الشاه يتزايد يوماً بعد يوم، وكان سلوكه مع المعارضين قد أخذ شكلاً
وصفه لى أواخر سنة ١٩٧٦ أحد زملائي في وزارة الخارجية خلال زيارته لى فى
نيويورك بقوله "الشاه تزداد قسوته كل يوم".

المواد المخدرة:

من المسائل المحيرة بالنسبة لشعب إيران كان تدخلات بلاط الشاه فى الأمور
المتعلقة بالمراد المخدرة.

كان قد سمح لمحمود رضا (*) أحد أخوة الشاه بممارسة نشاط زراعة الأفيون
وبيع محصوله، ولذلك ذكر أهل طهران أن محمود رضا كان يستولى كل سنة على
مقدار كبير من الأفيون المصادر، بسبب عدم جودة المحصول، وبعد ذلك يعرضه فى
السوق السوداء للبيع بأسعار باهظة.

والأهالى أيضاً لا ينسون فضيحة سنة ١٩٧٢ (١٣٥١) التى حدثت فى

(*) محمود رضا بهلوى، ولد سنة ١٩٢٦ (١٣٠٥ هـ.ش) درس فى جامعة كاليفورنيا وميتشجان،
رافق أباه فى المنفى، تزوج من مهري زنكنه ثم من مريم إقبال ابنة منوچهر إقبال رئيس الوزراء
الأسبق ورئيس مجلس إدارة شركة النفط البريطانية الإيرانية.

عودة إلى "أمير هوشنگ دولو" أيضاً، يُقال: إنه أخفاه عدة شهور عن الأنظار ولكن عاد إلى الظهور فى البلاط مرة أخرى، واستأنف عمله السابق.

كان الأفيون يقل ويكثر بين حاشية الأسرة المالكة ، ولكن عندما انتشر تناول الأفيون بين عدة أشخاص فى البلاط أقلق الشاه بعض الوقت ، واضطروا إلى نقل برنامجهم إلى مكان آخر، حتى يقللوا غضب الشاه ويستطيعوا أن يدوا مرة ثانية بساط دخانهم وأنفاسهم.

الفساد الأخلاقى:

أغلب أفراد الأسرة الحاكمة والمسئولين والكبار فى البلاد كانوا يعيشون حياة على شاكلة يمكن على الأقل أن يقال عنها: إنها حياة لا تتناسب مع قواعد المذهب الرسمى للبلاد ولا تتوافق مع الأصول الأخلاقية.

أمر الشاه بتحريض أمير أسد الله علم (وزير البلاط) والمتحلقين الذين كانوا يلتفون حول علم بإنشاء عدة كازينوهات قمار وأماكن للهو فى إيران، والسبب الذى تدفع به أن مثل هذه الأماكن لازمة لجذب الشيوخ الأغنياء للخليج (الفارسى) وأن لإقامتها أسباب سياسية واقتصادية أكثر.

عقب هذا الأمر ظهر العديد من صالات القمار فى المدن المختلفة للبلاد ، وشارك فيها أيضاً أفراد من أسرة الشاه، وبعد فترة حُوت جزيرة كيش (*) إلى مقر للهو بإنفاق مبالغ طائلة واختلاس أموال من خزانة المملكة، ليتمكن أصحاب المليارات من الاستفادة منها لقضاء عطلاتهم، وهكذا شاع أن شركة طيران "إيرفوانس" تستقدم خلال الرحلات التى ترد إلى الجزيرة بطائرة كنكورد من باريس دائماً عدداً من النساء الجميلات من عند "مدام كلود" المشهورة.

(*) جزيرة صغيرة فى مدخل الخليج العربى ، وهى فى الأصل جزيرة قيس.

السبب الأصلي لإقامة منشآت باهظة التكاليف فى جزيرة كيش كان "جلب السياح" ولكن عُلِمَ فيما بعد أن نفقات هذا الأمر تجاوز المتوقع ، بينما الأهداف المتوقعة لم تتحقق، واتخذت خطوات حتى تباع منشآت الجزيرة بواسطة شركة البترول الوطنية الإيرانية وشركة الطيران الوطنية.

وقال لى أحد معارفى الذى كان قد حضر الجلسات الخاصة بالمباحثات المتعلقة بكيفية بيع منشآت كيش، فيما بعد خلال حديثه عن هذا الأمر: إنه عند ما كان رئيس الطيران الوطنى يرى أنه من الأفضل قبل دفع النقود أن نقيم فوائد رأس المال من قبل الخبراء، تلقى توبيخاً وتحقيراً من الشاه.

ومع أن الإسلام قد حرم التبذير ولعب القمار، فمن الطبيعى أن التهليل لخطوات مثل إنشاء صالات القمار وأماكن اللهو مثل كيش كان من الممكن أن يأتى بصفحات كثيرة على وجه الشاه والأسرة الحاكمة، وجرت فى هذا الصدد شائعة على الألسنة من أن الاميرة أشرف (*) قد خسرت مبالغ طائلة فى أحد الكازينوهات الأجنبية وقال البعض أيضاً : إن الأميرة شمس قد ارتدت عن الإسلام واعتنقت المذهب الكاثوليكي.

كانت عاصمة إيران فى الحقيقة مقسمة إلى مدينتين، إحداها فى القسم الشمالى وهى مدينة الأغنياء التى كان يعيش فيها سكانها فى "فلل لوكس" على النمط الأوروبى، فكانت تعج بالمطاعم وصالات الديسكو والكباريهات، والأخرى فى القسم الجنوبى للعاصمة بها أماكن سكنى الفقراء الحارات الضيقة والهواء الملوث والسكان المساكين.

هجوم التقنية الأجنبية- المدنية والعسكرية- على إيران قد قاد المدن الكبرى بأسرع ما يمكن نحو التغريب، وقد ظهر تغلغل الثقافة الغربية وبدت آثارها فى جميع الشئون الاجتماعية.

(*) تعيش أشرف بهلوى الآن فى شقة فخمة فى نيويورك وتبلغ من العمر ٧٢ سنة، وهى امرأة نموذج للفساد الخلقى (زندكى پرماجراى رضا شاه ج ١ ص ٣٥).

أنفقت ملايين الدولارات من قبل الحكومة فقط لإعداد خطط خرائط "شهبستان بهلوي" التي كان بناؤها على هيئة مدينة صغيرة حديثة تبنى في قلب طهران بناطحات سحاب حتى ٦٠ طابقاً، ولكن حدث خلال تنفيذها اختلاس وسوء استغلال لدرجة أنهم اضطروا لصرف النظر عن تنفيذها.

وامتد نطاق تقليد السلوكيات الأمريكية لدرجة أنه ترك آثاراً حتى في إدارة حكومة الشاه، ويقال في هذا الشأن أنه في سنة ١٩٧٨ بعد عزل نصيري عن رئاسة السافاك أرسله الشاه كسفير للبلاد في باكستان، وفي هذا الخطوة قلد نيكسون، الذي كان قد عين أيضاً "ريتشارد هولمز" رئيس جهاز السي آى إيه، بعد عزله، كسفير لأمريكا في إيران.

الإفراط في شراء الأسلحة:

لم يتجاوز مجمل ما اشترته إيران من أسلحة من أمريكا مليار دولار في خلال عشرين سنة (من ١٩٥٠ إلى ١٩٧١) ولكن خلال ثماني سنوات فقط من ١٩٧١ إلى ١٩٧٨ (*) آخر فترة حكم الشاه تزايد مستوى شراء الأسلحة من أمريكا سرعة لدرجة أنه بلغ رقماً فلكياً ١٩ مليار دولار، وكان قد خصص خلال سنة ١٩٧٨ (١٣٥٧) قرابة ٦٥٪ من مجمل ميزانية الدولة في أمور التسليح وصناعة الحديد والمفاعل النووي وصناعة البتروكيماويات.

الحقيقة أن عين الروس لم تغفل قط الحجم الكبير لشراء الأسلحة من أمريكا، ولم يسمح الشاه للأمريكان بإنشاء شبكة تصنت إلكترونية على الحدود الشمالية لإيران (لمعرفة تجارب الصواريخ الروسية) ليرعى للروس موقفهم.

(*) عام ١٩٧٢ - ١٩٧٣ أنفق ٢.٩٦ مليون دولار

عام ١٩٧٣ - ١٩٧٤ أنفق ٥٥٥٠ مليون دولار

عام ١٩٧٤ - ١٩٧٥ أنفق ٨٨٠٠ مليون دولار

عام ١٩٧٥ - ١٩٧٦ أنفق ٩٥٠٠ مليون دولار

(الشرة الاستراتيجية - مركز العالم الثالث للدراسات والنشر في لندن العدد ٢٣ لسنة ١٩٨٠).

فى سنة ١٩٧٦ (١٣٥٥) أثناء عودة أخى من زيارته لمنغوليا توقف لفترة قصيرة فى موسكو للقاء "الكسي كوسيجن" (*) والتي خلالها انتقد رئيس وزراء روسيا بشدة تكديس الأسلحة الأمريكية فى إيران.

قبل هذا قام الشاه بزيارة خاصة إلى موسكو بناء على دعوة برجنيف، وفى هذا الصدد أخبرنى أحد أعضاء الوفد المرافق للشاه فيما بعد أن الروس طالبوا خلال مباحثاتهم السرية من الشاه أن ينهى بأسرع مايمكن مبيعاته للأسلحة من أمريكا، ولكن لما كان الشاه غير قادر لقبول هذا المطلب فإن مباحثاتهما وصلت إلى طريق مسدود وانتهت بدون نتيجة.

وفى سبتمبر من نفس السنة قال: "جروميكو" (وزير الخارجية الروسى آنذاك) خلال لقائه مع وزير خارجية إيران فى نيويورك بلهجة صارمة: "كل هذه الأسلحة التى تكسدونها فى إيران قد أثارت تفكيرنا" وعندما رد عليه وزير خارجية إيران "إن هذا الأمر له أهمية للدفاع عن إيران، ويجب أن تعلم أننا لن نتقدم خطوة ضد جيراننا فى الشمال، وطالما تعرفون هذا الأمر فإن قواتنا لن تتجه نحوكم مطلقاً.."رد عليه جروميكو على الفور: "طبعاً وتعجبنا أيضاً هو أنكم تحتاجون كل هذه الأسلحة لمواجهة أى دولة؟ ضد العراق؟ (وهى دولة صغيرة ولم تصل إلى مستواكم) ضد شيوخ العرب؟ (الذين ليس لديهم من الناحية العسكرية أية قوة) ضد العربية السعودية (التي لا تستطيع بأى حال من الأحوال أن تهدد إيران)... ثم ضد من؟" وفى مقابل قول جروميكو ولما لم يقدم وزيرنا إجابة مقنعة اضطر لتعديل موضوع البحث.

فى السنة التالية قال لى أحد الدبلوماسيين الروس الكبار أثناء انعقاد جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة: "إنكم لعدة سنوات سابقة كنتم توازنون فى سياستكم حتى كان لها الأثر المطلوب لتوطيد العلاقات ، وطالما أدركننا موقفكم لمنح امتيازات

(*) رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى.

للولايات المتحدة الأمريكية وقد اعتبرنا أن خط سياستكم ممكن، ولكن في هذه السنوات بدت شهيتكم مفتوحة للحصول على أسلحة متقدمة والتي تظهر أنكم تريدون نقض هذا التوازن.....".

بصرف النظر عن مسألة نقض التوازن، أصلاً يجب القول إن نفقات التسليح غير المدروسة للشاه قد بلغت أموالاً طائلة من دخل بترول البلاد وجلبت مخاطر كثيرة لاقتصاد البلاد.

تشير محاضر جلسات المجلس الأعلى للاقتصاد الذي تشكل برئاسة الشاه شخصياً أن أخى وعدداً من وزرائه كانوا يسعون دائماً خلال هذه الجلسات لتعديل الرغبة المحمومة للشاه لشراء الأسلحة، ولكنه كان قد غرق في أفكاره ورؤيته لتحويل إيران إلى قوة عسكرية لدرجة أنه أصلاً لم يهتم بنصائحهم.

بالأردمن مؤلف كتاب "سقوط ٧٩" قال أخيراً خلال حديث صحفي مع مجلة "بنتي هاوس" (العدد يونيو ١٩٧٩) رافضاً النظرية التي ترى أن تسارع الشاه في تنفيذ برنامج تحديث البلاد هو سبب سقوطه، ذاكراً الأسباب الحقيقية لسقوط الشاه قال: إذا لم يتلف الشاه مصادر ثروة البلاد في شراء كل هذه الأسلحة؛ وإذا لم يستول الشاه على مليار دولار لنفسه، ويعنى مليار لقواده، واستغل بقية دخل البترول الإيراني في تطوير وتنمية البلاد، كان من الممكن حتماً أن يجلس ابنه بعده على عرش السلطنة!".

ونحن بدون قبول نظرية "أردمن" نستطيع أن نقبل هذه الحقيقة غير القابلة للإنكار وهي أن النفقات الباهظة للتسليح كانت واحدة من الأسباب الأساسية لظهور المشكلات الاقتصادية، ولا يمكن أن يكون هناك سبب لسرعة سقوط نظام الشاه إلا هذا (٢٢).

في صيف ١٩٧٧ (١٣٥٦) حيث تحدثت مع أخى حول الأمور الخاصة بمبيعات أسلحة الشاه. قال لي أمير عباس "نح هذا الأمر عن ذهنك تماماً لأن رئيس الوزراء في إيران يرى كل شيء ويطلع على كل الأمور..... في هذه البلاد أمور مثل السافاك

والجيش وهي مقتصرة على الشاه، ومن المعتاد أنه بعد الاتفاقيات العسكرية التي يأمرني بها الشاه وبأمر الحكومة بأن تحدد الميزانية لفلان ليؤمن الإنفاق على اتفائه الجديد، على سبيل المثال بالإشارة إلى التدخل العسكري الإيراني في ظفار (*)، علمت فقط بالأمر حين سمعت أن قواتنا تقاتل هناك.

كان أمير عباس ينتظر رد فعل مني، وعندما رأي صامتاً، وأنا أستمع لكلامه، استمر في حديثه: "...إنني أصلاً لا أعتبر نفسي مقصراً في الأحداث التي تجري، وطالما لم أكون ثروة خلال فترة رئاسة الوزارة ولم أصدر أمراً بقتل أحد، ولم تتلوث يدي بدماء، فإن كل جهودى كانت لخدمة وطنى بأى شكل (١) وظللت أؤدى هذه المهمة على الرغم من جميع الظروف الطاحنة" (٢٣).

التدهور الاقتصادي:

فى موازاة سيل أموال النفط على إيران، توجه جماعة من الإيرانيين فى مجموعات إلى الدول الأجنبية للتمتع والاستجمام، خلال هذه التوجه الذى ضم أيضاً كثيراً من أفراد الطبقة المتوسطة من غير الأغنياء تم شراء عقارات كثيرة فى أوربا وأمريكا لصالح الإيرانيين، وما حدث قد اتسع لدرجة أنه فى سنة ١٩٧٦ عند مشاهدة مدينة "نيس" (فى جنوب فرنسا) وعندما رأيت كثرة الإيرانيين اقترحت أنه من الأفضل أن يسموا شارع "متنزه الإنجليز" (٢٤) فى نيس "متنزه الإيرانيين".

ولكن فى نفس الوقت لم يستمع الشاه لتوصيات أخى ومستشاريه الاقتصاديين الذين حثوه على منع خروج ثروة الشعب من البلاد، وكان دائماً يذكر هذه النقطة لأمير عباس: الناس أصحاب أموال، دعهم يعملوا بأموالهم ما يريدون! حقيقة عندما اشترى الشاه أملاكاً فى سويسرا كان لأفراد أسرته أيضاً أملاك واسعة فى أوربا وأمريكا، وطبعى ألا يمنع الناس مطلقاً من السير على نهجه.

(*) أرسل الشاه قواته لمساندة عمان فى حربها ضد القبائل الثائرة فى إقليم ظفار المتاخم لليمن الجنوبي.

وبناء على هذا فإن زيادة نفقات المعيشة، الحصول على منافع ضخمة، شيوع سوء استغلال المال، زاد يوماً بعد يوم من فقر وحرمان الطبقات الدنيا للشعب، وفى المقابل منح ثروة أكبر للطبقة المتوسطة "الجديدة".

خلال المناقشات التجارية بين إيران وأمريكا والتي عقدت فى مايو ١٩٧٧ (خرداد ٥٦) فى نيويورك باشتراك" ويليام ساليوان" (سفير أمريكا الجديد فى طهران) انتهت المباحثات إلى نتيجة أنه طالما أن برامج التسليح والصناعة خالية تماماً من أى نوع من حماية الشعب ، لذا فالفرصة ضئيلة جداً فى أن تتمكن إيران من أن تتحول من دولة ذات اقتصاد قائم على قاعدة واحدة (قائم على بيع النفط) إلى دولة صناعية متقدمة، وجاء حينئذ فى صحيفة نيويورك تايمز المؤرخة ٣٠ مايو ١٩٧٧ (٩ خرداد ٥٦)؛ فى ختام هذه الحلقة اقترح أيضاً "ساليوان" أنه من الأفضل أن يعرض نتيجة المناقشة على الشاه دون تعمية، ليتم هذا الأمر بأى ثمن حتى اعتبره الشاه "عنصراً غير مرغوب فيه" (٢٥).

ولكن كانت كل هذه الأمور فى الوقت الذى كان فيه المواطنون الإيرانيون العاديون يشاهدون تدهور اقتصاد البلاد ويدركونه عند مشاهدة الانقطاع المتكرر للكهرباء ونقص المواد الغذائية ونمو السوق السوداء، كما أن مرحلة النمو الاقتصادى قد انتهت.

نظام الحزب الواحد:

الأمر الذى أدى إلى الوضع المتردى للاقتصاد والثورة الجماعية ضد النظام كان منع الشاه مشاركة الشعب فى تخطيط أمور المملكة.

ولما لم يكن لأى طبقة من المجتمع وشئون الشعب المعيشية تحت سيطرة الشاه، لذا لم يكن هناك من وجهة نظر الأشخاص أى نجاح لمطالبهم، طالما كان ظل الشاه يخيم على كل البلاد، ولم يثمر هذا الوضع إلا إثارة حالة من الاغتراب.

ألاحظ عند مراجعة مذكراتي أننى فى ٩ يناير ١٩٧٥ (٢٠ بهمن ١٣٥٢) قد كتبت فى هذا الصدد.... "لقد وصل إهمال وعدم رغبة الشعب للمشاركة فى الأعمال درجة أنهم اجتثوا أفكار الولاء وظهر وضع القلق لدرجة أنه لم يثر أى رغبة فى الاستمرار فى الخدمة..... كل أمور المملكة بها الكذب والتصنع، بدا الشعب كأشباح تتلوى على خشبة مسرح غير واقعى وأظن أننى أوصلت نفسى إلى مرحلة الدوران وأدرك أننا جميعاً لسنا إلا جماعة من الممثلين لمسرحية هزلية محزنة".

إن حل جميع الأحزاب السياسية وإيجاد "رستاجيز" كحزب سياسى وحيد فى البلاد سنة ١٩٧٥ (*) يعد آخر مشهد من هذا العرض المحزن، ومع أن كثيراً من الأشخاص كانوا يؤمنون أن الشاه بهذه الخطوة قد ارتكب خطأ فاحشاً، ولكن جبروت الشاه لم يسمح لأحد أن يظهر رأيه فى مواجهة رغبته.

فى نظر الشاه أن حزب رستاخيز قد فتح الباب للإعراب عن الرأى وانتقادات العناصر الرافضة واستطاع بث عناصر لسماع أقوالهم من قبيل الأمن- والحقيقة تحت رعاية الشاه وكذلك كان يعتقد أن الحزب يستطيع أن يُستخدم كوسيلة للتربية السياسية للمجتمع (٢٦).

ولكن لما كان حزب رستاخيز قد تشكل من أعلى لذا لم يستطع أبداً أن يكون له قاعدة شعبية، وقام الإيرانيون فقط بتنفيذ الأمر الذي صدر لهم بأن يسجلوا أسماءهم فى الحزب، ولما كانوا يخشون أن يشار إليهم كمعارضين للنظام ويصدعون أنفسهم (٢٧).

وعندما وصل برنامج الحزب من قبل وزارة الخارجية إلى مكتب تمثيل إيران فى منظمة الأمم، أرسلت بدورى ورقة إلى جميع موظفى المكتب، وطلبت منهم أن يكتب كل من له رغبة اسمه كعضو فى حزب رستاخيز ويجب أن أقول : انه على الرغم من أن

(*) تم تأسيس حزب رستاخيز فى الرابع من مارس ١٩٧٤ (١٣ أسفند ١٣٥٢ هـ.ش) پاسخ به تاریخ ٣٠٥).

جميع أعضاء الوفد قد وقعوا الورقة ولكن كان معلوماً تماماً أنهم يقومون بهذا العمل عن كره، حيث أخبروني فيما بعد وبالتدريج بشكل خاص عن عدم رغبتهم فى الالتحاق إجبارياً بالحزب.

من المسلم به أننا لو نظرنا إلى المسألة من وجهة نظر الشاه فإن تصويره لم يكن إلا أن تأسيس حزب رستاخير سيقرر الديمقراطية الموجهة فى البلاد، ولكن هل إعداد الشعب إجبارياً وتهيته لمجرى الحدث السياسى الذى أراد ألا يتدخلوا في إيجاداه هل أثمر بالثمرة المرجوة؟!

ما ارتآه الشاه للشعب أن يكون البحث والمناصرة حول "ثورته" محدوداً ولم يكن هدفه أبداً تعقب المسائل والمشاكل الموجودة فى مملكته التى تثير اهتمام الشعب، أو أنه فى الحقيقة كان هدفه مشاركة الشعب فى شئون البلاد ولكن دون حضورهم!

أشار جمشيد آموزجار - الذى اختير مرتين أميناً عاماً لحزب رستاخير- فى حديث صحفى مع صحيفة "ول ستريت جورنال" (بتاريخ ٤٠ نوفمبر ١٩٧٧) أن العدد الحقيقى لسكان إيران ٣٤ مليون سيتضاعف خلال ٢٥ إلى ٣٠ سنة قادمة، وقال حول سبب وجود حزب رستاخير: "..... رأى الشاهنشاه أنه طالما لن يكون لأحد بمفرده فى المستقبل قدرة أن يحكم قرابة ٦٠ مليون شخص إيرانى لذا يجب أن يعرف الشعب كيف يشارك فى شئون الحكم...." وعندما سأل المراسل: "لماذا لا يسمح فى نفس الوقت للشعب أن يسير فى هذا الاتجاه؟" أجاب آموزجار: "الواقع أن ٥٥٪ من الشعب جاهل، ولوأعطيت المسئولية لهذا العدد الكبير من الجهلاء الذين لا يعرفون شيئاً تقريباً عن أمر الحكم، فمن الطبيعى ألا يكون نتيجة هذا الأمر إلا الفوضى...." (٢٨).

حقيقة كان طبيعياً أن يثير سماع هذا الكلام الميّن من قم نخبه نظام الشاه، غضب الطبقات الدنيا للشعب ضد الأشخاص الذين ظنوا أنهم أسمى منهم.

ولكن قريب من هذا الأمر، كان الاهتمام بأقوال الشاه- الذى جعل بعد أقواله وقراراته الخاصة بحرية الرأى- داخل حزب "منحصر في شخصه" فجأة تتخذ شكلاً آخر، قال: "لا ينبغي بأى حال من الأحوال أن يسمع من أى شخص داخل الحزب كلاماً معارضاً، وبناء على هذا التناقض فى أقواله فقد أضعف التشكيلات التى لم تكن أصلاً لها قاعدة بين الشعب أكثر من المتوقع.

على الرغم من مثل هذه الأوضاع يقال تقريباً: لا يوجد فى أى قسم من أقسام المجتمع دلائل لا يظهر القلق والاضطراب فيه، وجميع الأجانب الذين كانوا يأتون لزيارة إيران ضمن اهتمامهم بالتقدم المادى للبلاد، كانوا دائماً تحيرهم هذه المسألة، لماذا يكون أهل إيران بلامبالاة واهتمام بأوضاع البلاد والمشاركة فى أمورها؟.

كان من أخطاء نظام الشاه الغفلة عن الاهتمام بالثقفيين فى وقت كانوا لم يزالوا غير غاضبين، وكان النظام يشير فى المجتمع الرغبة أكثر للاعوجاج والفلتان.

سلكت وزارة الثقافة والفنون التى كانت تحت مسئولية زوج أخت الشاه (مهرداد بهلبند) (*) سلوكاً مع المثقفين لم يكن له من نتيجة سوى الاستخفاف بالأفكار الأخلاقية، وكان المكتب الخاص للملكة فرح أيضاً يستخدم المثقفين فى الأنشطة الثقافية بشكل لم يترك أثراً بيناً على عموم الشعب.

ولكن الاستخفاف بالكتاب وأعمال الرقابة كانا سبباً فى حرص أكثر أبناء المجتمع على تتبع آثار هؤلاء الكتاب، وقاد المفكرين..... أيضاً مع مرور الأيام إلى الناحية التى فى النهاية فى صف معارضى النظام (٢٩).

فى سنة ١٩٧٧ حين بدأ متحف الفنون المعاصرة أعماله بمساعى الشهبانو، انتقد أحد الفرنسيين ويدعى "أندرو فرميجيه" فى مقال له فى صحيفة لوموند بتاريخ ٢٧

(*) مهرداد بهلبند هو الزوج الثانى لشمس بهلوى ، وكان اسمه عزت الله مين باشيان (زندگى پرماجرای رضا شاه ج ١ ص ٢٢).

- ٢٠٠ -

أكتوبر ١٩٧٧ الهدف من تأسيس مثل هذا المتحف الذى لم يكن إلا نشرًا للفنون الغربية المعاصرة فى إيران، وكتب: "..... كان من الأفضل بدلاً من السير على نهج الغرب الذين لا أمل فى مستقبل ثقافتهم، وقد لخصوا كل مميزاتهم فى عروض كروت البوستال لآثار الماضى، وقد سقطت بعض الدول فى فكرة الاستفادة من ميراث فنها، وقبل الاقدام على تقليد الآخرين؛ كان عليهم أن يبحثوا ليعرفوا ما لديهم فى جعلتهم من آثار فنية.. حقيقة لاشك أنه لو أن الدول المصدرة للنقط تصبح مستوردة لآثار الغرب الفنية، فإن دهايز أوربا ستتمتع بجمال باهر، والنقاشون الغربيون الإيرانيون من الطبيعي ألا يتمكنوا من الوصول إلى مستواهم.

الاضطرابات المذهبية:

بينما كنت أسير ذات يوم من أيام ربيع ١٩٧١ (١٣٥٠) فى سوق يزد لفت نظري كارت صغير كتب عليه "ظهور امام الزمان قريب" دق جرس الخطر فى أذني عند رؤيته ، ولكن كنت ادرك أن الشاه غارق فى عالم مجهول لدرجة انه لا يعير اهتماما لمثل هذه التحذيرات، بل لا يسعى بالتوجه نحو المسجد مثل أنور السادات (*) ويؤدي الصلاة إلى جوار المسلمين.

لم يكن لرجال الدين أيضا فى أي وقت علاقة حميمة مع النظام ، وكان هذا الأمر قد وصله منذ عهد سلطنة والد الشاه.

لم يهتم رضا شاه فى وقت بالتشكيلات المذهبية للدولة، لدرجة أنه ذات مرة دخل حرم (السيدة) فاطمه (ع) فى قم بالحذاء، وعندما تجرأ الشيخ وانتقد فعلته، ظهر علي وجهه فورا انفعال شديد (٣٠).

(*) اعتاد الرئيس أنور السادات أن يظهر كل يوم جمعة وهو يصلى فى المسجد خاصة فى مسجد قريته بميت أبر الكوم.

وكف محمد رضا شاه يده كثيرا عن سيطرة رجال الدين ، وعرض -حول هذا الأمر خلال حديث صحفي مع "اوليفيه وارن" (المراسل الفرنسي) -الأسباب التي كانت تبين أسلوب تفكيره في هذا الشأن:

المراسل: هل تتضايق الآن من الشيوخ ؟

الشاه : اليوم لا أظن أنه يمكن التحدث عن ضيق من الشيوخ ، ربما يهمسون أحيانا ، ولكن لا يؤثر هذا التصرف مطلقا فينا .

المراسل : فيما يتعلق بآية الله خميني الذي يقضي وقته في العراق ماذا يكون الأمر ؟

الشاه : لقد أبعدهنا علي وجه الخصوص .

المراسل : ألا تعتقد أن هناك جماعة من رجال الدين الإيرانيين يسرون خلفه ؟

الشاه : لا (١) لا شأن لأحد هنا به ، إلا "الإرهابيون" (١) أو أشخاص يسمونهم أحيانا باصطلاح "الماركسية الإسلامية" (١) فقط .

المراسل : بصرف النظر عن هذا الأمر ، هل علاقتكم بجماعة رجال الدين الشيعة في إيران طيبة ؟

الشاه : أتريد الحقيقة ، بنظرة شاملة هنا لا وجود لمجتمع رجال الدين الشيعة والجماعات المذهبية (١) هنا فقط عدد من رجال الدين ، هم أنفسهم !.. وعلاقتي برجال الدين حقيقة ، طيبة جدا (١) وعددهم في إيران كثير جداً وأحيانا كان الشيوخ يخصصون أنفسهم بالعلم ليقوموا بسيطرتهم ، والآن تلاشت كلياً ، وما بقي ليس إلا هاجس (٢١) .

علي الرغم من أن حديث الشاه في ذلك اليوم يثير الحيرة ولكن يجب أن نعي هذه الحقيقة أيضاً أنه في نفس الوقت - علي الرغم من ادعاء الشاه - فإن الأوساط الدينية في المساجد والمدارس كانت تنتقد النظام انتقادات كثيرة ، واستمر خميني في منغاه في النجف بنشاط دؤوب -لتعليم الناس .

قوي نفوذ خميني داخل البلاد علي يد طلاب، كانوا يذهبون لزيارته سرا، وعند العودة إلي إيران كانوا يحضرون معهم أوامره ومنشوراته ليوزعوها داخل البلاد بين الشعب.

أخذ الانفصال عن الحوزات المرتبطة برجال الدين تتزايد أكثر يوما بعد يوم لصالح الاتجاهات الإسلامية في إيران منذ أواسط العقد ١٩٦٠ (١٣٤٥ وما بعدها)، وخلال ذلك لا يجب نسيان دور "علي شريعتي" استاذ الاجتماع بجامعة مشهد الذي استطاع أن يمنح الأفكار الشيعية لونا جديدا، للاستفادة منها في تحقيق أهداف الثورة ومكافحة الإمبريالية، ويخلق موجة من الوعي المذهبي بين الطلاب في أنحاء البلاد.

الحقيقة هي أنه بعد حوادث سنة ١٩٦٣ (١٥ خرداد ١٥٤٢) اهتم أكثر الناس المعارضين للنظام بالحوزات الدينية، وتوجه هؤلاء الذين أرادوا اقتلاع النظام، إلي آيات الله للمشورة في أعمالهم .

ولهذا السبب توجه تيمور بختيار(*) إلي العراق سنة ١٩٦٧ (١٣٤٦) للاتصال بخميني، والحقيقة أنه لكي يحقق هدفه استفاد من مساعدة المسؤولين العراقيين الذين كانوا يرتبطون بعلاقات عداة مع الشاه في ذلك الوقت ، ولكن عناصر السافاك في العراق استطاعت فيما بعد أن يقضوا على تيمور بختيار (٣٢).

علي كل حال فإن هذا الأمر غير قابل للكتمان ؛ لأنه كان سببا لاستمرار الاضطرابات المذهبية، التي دقت ناقوس الموت لنظام الشاه ، واستطاع الشعب خلال هذه الأحداث التجمع تحت لواء التشيع، وتكاتفوا من أجل اقتلاع أحد أقوى الحكومات الدكتاتورية في التاريخ ، ولم يكن المذهب فقط كافيا للشعب لكي يحرر مسيرة حياته العادية و يضرب عدة شهور ويتحمل مصاعب جمة .

(*) كان تيمور بختيار مرتبطاً بحميد رضا بهلوي ابن رضا شاه وقد تأمر ضد الشاه فطردهما الشاه من البلاد (زندگي پرماجراي رضا شاه ج ١/٧٢).

ومع قبولنا لأهمية المذهب فإنه يجب أن نحسب حساباً لكثرة عدد الشباب في إيران كجزء من الأسباب الرئيسية، والذي تسبب في رفع موجة الثورة في شهور الخريف والشتاء الي درجة عالية .

طبقاً لإحصاء سنة ١٩٧٧ (١٣٥٦) فإن الأشخاص أقل من ١٦ سنة كانوا يشكلون قرابة نصف عدد السكان، وقرابة ثلثي الشعب تحت ٣٠ سنة .

ويعتبر هؤلاء الشباب العمود الفقري لجميع المظاهرات والمسيرات وكانوا أنفسهم هم الأشخاص الذين استطاعوا أن يقفوا في مواجهة القوي العسكرية المجهزة للنظام بيد خالية . بالنظر إلي الامتزاج الذي حدث بين المذهب والشباب في إيران فإنه يكشف السر الحقيقي لسقوط الشاه ، وإذا أدرك الإنسان أهمية دور "الشهادة " في مذهب الشيعة أيضاً ، فمن المؤكد أن يعرف جيداً أنه في هذا المذهب إذا قُتل شخص فإن قدرته تفوق الشخص الذي قتله ولذا كتب "آندرو جلوكمان" الفيلسوف الفرنسي المعاصر في هذا الصدد مقالة في مجلة "نوفل ابزفاتور" (بتاريخ ١١ يونيو ١٩٧٩) : " خلافاً للاعتقاد العام فإن القدرة لا تطاول طول ماسورة البندقية ولكنها القدرة التي تخص الشخص المستعد لأن يقتل"

وللوقوف أكثر علي هذه المسألة يكفي أن ننظر في إطار امتداد الثورة في إيران، كيف كانت تقوم المظاهرات كل مرة بسبب الأربعين لجماعة من القتلي بعد حادثة يناير ١٩٧٨ (١٩ دى ٥٦ قم) واستمر هذا الحدث يتجدد حتي انتهى بثورة عارمة ضد النظام.

السياسة الخارجية:

كانت شئون السياسة الخارجية لإيران منحصرة في يد الشاه، وكان مستاءً ومتضرراً من الروس أكثر من أى شيء آخر، وقلق أكثر عندما تقارب الهند والروس سنة ١٩٧٠ ، وبعد ذلك تمخضت الحرب بين الهند وباكستان ١٩٧١ عن تأسيس دولة بنجلاديش، ولم يعد لديه شك من أن الجار الشمالي يستعد لهجوم واسع ضد إيران.

هذه المسألة التي كانت تشغل فكر وذهن الشاه طوال سنة ١٩٧٢ جعلته بحق يوجه جل اهتمامه لشراء الأسلحة وتحويل إيران إلى قوة عسكرية، ويتضح أيضاً أنه لماذا لم يكن الشاه يستمع إلى وصايا مستشاريه الذين كانوا يرغبونه في اتخاذ سبل معتدلة (٣٣).

وحقيقة يجب القول: عندما تعرضت إيران لنوع من التهديد من القوى الأجنبية، وخضع شمال إيران آنذاك لضغط دائم من الحكومات العنصرية الروسية، وبعدها حتى الحرب العالمية الثانية دخلت البلاد بأجمعها كمنطقة نفوذ للإنجليز، وخلال الحرب العالمية أيضاً احتل الروس والإنجليز إيران بالاتفاق، لينقلوا عن طريقها مساعدات الحلفاء الحربية للجيش الأحمر.

كنت في ذلك الوقت طالباً بالجامعة الفرنسية ببيروت، وجاء عدة أشخاص من أولاد رضا شاه بعد نفيهم من البلاد إلى بيروت، ليستمروا في دراستهم هناك، وقال أحدهم (أحمد رضا) (*) فيما يتعلق برد فعل رضا شاه: إن الإنجليز كانوا قد وعدوا أباه أنه يستطيع أن يقيم في الهند بعد خروجه من إيران، ولكن عندما وصلت السفينة التي أقلها وعائلته ميناء بمباي منعه من دخول الهند وأخبروه أنه يجب أن يسافر إلى جنوب أفريقيا، وسب رضا شاه الذي كانت غاضباً جداً عند مشاهدة هذا الوضع، وصاح: "...إنني أعرف من البداية أنه لا يجب الاطمئنان للإنجليز" (١) (٣٤).

لقد وصل تأثير نفوذ القوى الأجنبية في إيران خلال عهد النظام البهلوي درجة أنه حتى الآن لا يصدق بعض الإيرانيين أن سقوط نظام الشاه قد تم دون مساعدة

(*) أحمد رضا بهلوي، ولد في طهران ١٣٠٤ هـ.ش وتلقى تعليم الابتدائي والإعدادي في طهران، ورافق والده في جزيرة موريشيوس وجوها نسبرج، وواصل تعليمه في كاليفورنيا، تزوج سيمين بهرامى سنة ١٩٤٤ وأنجب ولداً وبناتاً ثم تزوج من روزا بزرگ نيا سنة ١٩٥٨ (زندگى پرماجراى رضا شاه ج ١ ص ٦٥ - ٦٧).

الأجانب، ويرى هؤلاء أن ما حدث لانقلاب ١٩٥٣ بزعماء جهاز السى آى إليه أدى إلى سقوط حكومة مصدق.

ولكن فى نظرى أن هؤلاء المحللين لا نتيجة لتحليلهم سوى الابتعاد عن الواقع ولا يمكن لهذه المسألة البعيدة عن الذهن لن تكون موضع قبول إلا بتأمر أحد أو عدة قوى أجنبية لإسقاط الشاه.

ولا يمكن إنكار أن كل واحدة من القوى الأجنبية لها تأثير وسيطرة على بعض العناصر الغاضبة فى الداخل سواء من اليمين أو اليسار، ولكن الحقيقة هى أن مساعيهم لم تكن موجهة مطلقاً لإسقاط الشاه (٣٥).

على الرغم من أن سياسة حقوق الإنسان المعلنة من قبل كارتر استطاعت أن تخرج بعض المعارضين من الخفاء، أو أن جيران الشاه خاصة الروس كانوا قلقين من الشراء السفيه للشاه للأسلحة، أو أن بعض الأحاديث المتسرعة والانتقادات المتعالية للشاه للغرب كانت تؤذى الزعماء الغربيين، أو أن أسلوب هجوم الشاه فى منظمة الأوبك (*) قد سبب قلق الشركات البترولية الكبرى (٣٦)، ولكن مع ذلك لا يمكن قبول هذا الفرض بأى حال من الأحوال لأن القوى الأجنبية كانت تريد أن يكون لها وضع إثر وقوع انقلاب فى إيران لتحقيق الاستقرار فى المنطقة بأسرها، ولا يصدق أبداً أن المستشارين المقربين من الشاه وبينهم أهم المهمين - سفير أمريكا - كانوا يقودونه عمداً إلى جهة يرتكب فيها أخطاءً فادحة، وفى نظرى أن الشاه ارتكب كثيراً من الأخطاء ولدرجة أنه لم يكن هناك حاجة لارتكاب أخطاء أكثر لإسقاطه.

وقد أشرت من قبل أن اتباع الشاه سياسة وطنية مستقلة قد أدى إلى حالة موازنة نسبية فى السياسة الخارجية لإيران من وجهة نظر القوى العظمى، ومن هذا المر

(*) منظمة الدول المصدرة للبترول وتضم إيران والكويت والسعودية وقطر والإمارات العربية المتحدة وعمان والبحرين والعراق والجزائر وليبيا وفنزويلا وإندونيسيا ونيجيريا.

تمسك الشاه بموقف الوسطية بين القوى العظمى، على الرغم من أنه بعد الاعتراف بحكومة جمهورية الصين الشعبية وإقامة علاقات مع كوبا وألمانيا الشرقية فى سنة ١٩٧١ قد أدى إلى أن يعتقد الشاه أنه يعمل على تنفيذ سياسته الإبداعية، ولكن فى أواسط عقد السبعينات فى مواجهة التغييرات التى واجهته، اختلط التوازن الموجود فى السياسة الخارجية الإيرانية أيضاً.

كان الشاه فى ذلك الوقت طبقاً للمعتاد، يسير حتى بين المقربين له دون دليل وبلا دوافع، فجأة اتخذ قراراً بأن يوسع منطقة دفاعه، وعقب ذلك أعلن خلال إعلان ارسال قوات للحرب ضد ثوار ظفار أنه سيتولى الدفاع عن الصومال فى مواجهة التهديدات الروسية (٣٧).

من إجراءات الشاه فى ذلك الوقت يجب الإشارة إلى توطيد وتطوير علاقته بجنوب إفريقيا، وكان تنفيذها مصادفاً بالتحديد وقت التواجد لإفريقيا السوداء فى ساحة السياسة الدولية لمحاربة نظام جنوب إفريقيا والتى كنت أسعى جاهداً عدة مرات سواء بإرسال التقارير أو فى حضور اللقاءات للفت نظر الشاه إلى سوء عاقبة تقوية العلاقات مع جنوب إفريقيا ضد إفريقيا السوداء، ولكن لم يعر ماكتبته وقلته أدنى اهتمام.

وكان سلوك الشاه فى الدول العربية أيضاً شبيهاً بالدول السوداء، بمنتهى التكبر والغرور، لدرجة أنه استاء منه الجميع، ولما كنت قد قضيت كل سنوات شبابه فى الدول العربية لم أستطع أن أفهم سبب مواقف الشاه ضد العرب، بالإضافة إلى إننى لم أر مطلقاً اختلافاً بينه وبين العرب، وكنت أدرك دائماً أننى مرتبط بهم بعلاقات مشتركة وأواصر ثقافية متينة.

ذات مرة فى سنة ١٩٧٧ جرت على لسانى كلمة مرتبطة بمنظمة العفو الدولية فى حضور الشاه، فجأة واجهت غضباً شديداً منه، لأنه كان يطلق على أعضائها "حفنة

من الشيوعيين"، وبعدها جرى قبل عام عندما أمر الشاه بإطلاق الرصاص صوب الأهالي العزل، وعرضت مرة ثانية منظمة العفو الدولية، ونجحت هذه المرة بمساعدة أخی من فتح الطريق لأنشطة "مارتين انالز" (سكرتير عام منظمة العفو الدولية) في إيران (٣٨).

في سنة ١٩٧٦ عندما حدث انتقادات صحفية- لما فعله أردشير زاهدي في أمريكا- من إفراط في أعداد موائد الضيافة، قال لي الشاه عند لقائي به "...إنني حقيقة لا أعرف أن عقد مثل هذه المجالس ضروري أم لا؟ ولكن على الأقل أدرك أن جميع أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكيان مثل شمع رقيق في يد أردشير" حقيقة فضلت أن ألتزم الصمت تجاه رأي الشاه ولم أحر جواباً.

اتخذ الشاه في السنوات الأخيرة لحكمة خطرة كان يهدف من ورائها إثارة غضب الروس، ولهذا أذاع يوم ٧ إبريل ١٩٧٨ (١٨ فروردین ١٣٥٧) بشكل مشير: وأنه قد قضى على شبكة تجسس خاصة للجار الشمالي، وبعد عدة أسابيع أعدم أحد جنرالات الجيش (اللواء مقربی) رمياً بالرصاص بجرمة عضوية هذه الشبكة.

وعندما تفاقم الوضع الداخلي في البلاد يوماً بعد يوم، أثار تمسك الشاه بمثل هذه السياسة التساؤل، ولكن إلى حد ما ظن أن وقوع انقلاب يساري في أفغانستان (٧ أرييهشت ١٣٥٧ على يد نور محمد تره كي) قد أعاد الشاه مرة أخرى إلى الكابوس القديم للخوف من الروس.

وسمعت فيما بعد من شخص مطلع جداً، أن الشاه كان قد أعد مسرحية التجسس هذه، للضغط على الكنجرس الأمريكي، ليظهر لأعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي أن الرغمة من معارضتهم لبيع طائرات الأواكس لإيران- خشية استيلاء الروس عليها- فإن أجهزة مكافحة التجسس الإيرانية قادرة على القيام بهذا العمل وكشف كل جاسوس روسي بسرعة (٣٩).

ولا يمكن الشك في أن القوى الأجنبية كانت تسعى دائماً لإشاعة الدعايات المختلفة لتستفيد من المعارضين داخل البلاد لصالحهم، بالإضافة إلى دور الأجهزة

السرية، وقد ظهرت أسباب عديدة يمكن الإشارة إلى الحملات الليبية ومنظمة التحرير الفلسطينية ضد الشاه، وانتقادات الإذاعة الشيوعية "بيك إيران" لسياسة الشاه الخارجية، وأيضاً انتقادات بعض الصحف الغربية والمنظمات الدولية للكبت الموجود داخل البلاد.

ولكن فى نفس الوقت لا يمكن أن يظهر دخان بدون نار، لم يكن ممكناً لأزمة إيران ألا يكون لها مورد فى داخل البلاد، وهذا ما أدركناه فى بحث مختصر للسنوات الأخيرة لحكم الشاه، فقد كانت الأسباب الموجبة لإسقاط حكم الشاه قد ترعرعت فى الداخل أيضاً، وتلاحمت على الرغم من أنه كان من المفروض أن يكون سقوط الشاه فى الواقع فى سنة ١٩٥٣ (١٣٣٢) ولكن الانقلاب - قد تأجل تاريخ وقوعه عدة سنوات على يد جهاز السى آى إيه.

دعا أمير عباس عدداً من أصدقائي ذات ليلة فى شهر يوليو ١٩٧٦ (تير ١٣٥٦) قبل عدة أيام من إقالة أمير عباس من رئاسة الوزارة على العشاء وعرفوه أثناء تناول العشاء، وأخبروا أمير عباس أن الحرس الشاهنشاهى قد اعتقل شريك أجنبى لإحدى أخوات الشاه فى بناء الشقق بأمر منه، وكان سبب ذلك أن أخت الشاه عندما أحسست أن شريكها قد ترك القبة على رأسه، ودون النظر فى الناحية القانونية للعمل أمر بنفسه الحرس الشاهنشاهى ليعتقل هذا الشخص وبعد أن أحالوه إلى رجال الشرطة، قرروا أن يدفع مليون دولار لسموها لإطلاق سراحه.

قال أصدقائي: إن أمير عباس فى تلك الليلة بعد أن اتصل تليفونياً بهنا وهناك، عاد إلى مائدة الطعام مضطرباً، واسترخى على الكرسي، وهمهم: "إن النظام يفسد من الداخل".

نعم كان نظام الشاه فى الواقع محكوم عليه بالفناء، ومعرفة أسباب سرعة سلوكه طريق التقهقر، يستوجب بحث التغييرات التى طرأت فى شخصية الشاه، وبداية معرفتنا الكثير عنه هو الإطار الحقيقى لسقوط نظامه.

حاشية الفصل الثامن

- ١ - المقصود الثورة التاريخية لشعب إيران المسلم فى يوم ١٥ خرداد ١٣٤٢ - م
- ٢ - يجب التنبيه إلى أن فريدون هويدا هنا قد برأ بمهارة بالغة فقط حكومة أمير عباس هويدا من أى نوع للفساد والضياع، واعتبر الفاصل الزمنى بهمن ١٣٤٢ إلى سنتين قبل نهاية عمر نظام الشاه- حيث كان هويدا رئيساً للوزارة، عصر تقدم وتطور إيران، فى نظر المؤلف أن عمل حكومة إيران فى عهد رئاسة أخيه كان خالياً من الفساد إلى درجة أنه أظهر محاسن حكومة الشاه على الرغم من كل الانتقادات التى وُجّهت إليه- طوال هذه الفترة الزمنية، وفصل ١٢ سنة ونيف من رئاسة أخيه هويدا للوزارة كلية عما قام به الشاه قبل وبعد هويدا، ولتحقيق هذا الهدف ذكر بياناً بحقائق الأوضاع المؤسفة والمخزنة لإيران قبل رئاسة هويدا وبعد إقالته، حتى يستطيع أن يصل إلى نتيجة تؤكد وجهة نظره من أنه لم يكن هناك إلا خطوات إيجابية فى عهد رئاسة أخيه للوزارة، بينما كان من الأفضل أن ينقل كلام أمير عباس هويدا فى محكمة الثورة أيضاً حتى لا يعلق أيّاً من القرارات فى عهد رئاسته للوزارة، ولا يعتبر نفسه جزءاً من "نظام" هو نظام مقصر، وفى الحقيقة لم تأت أى افتخارات مما عددها فى هذا الكتاب لأخيه بفائدة- م
- ٣ - أكثر هذه الإحصائيات مخالفة للواقع، وتوضح أن المؤلف فى بحثه عن فترة رئاسة وزارة هويدا بدلاً من ذكر الحقيقة يتمسك بأرقام وأحصائيات لا تنطبق مع الواقع أصلاً إلا فيما يتعلق بما ادعاه من أن الدخل السنوى ٢٢٠٠ دولار، وواضح أنه كان بسبب الدخل الناجم عن بيع النفط، وليس لتطور الإنتاج الداخلى، ولكن فى بقية الموضوعات خاصة مسألة كون ملاك البيوت ٦٥٪ من الأهالى أو اعتماد ٣٥٪ من الدخل القومى غير الخالص على أموال النفط (الذى كان أكثر من ٩٠٪) أو انخفاض عدد الأميين إلى ٥٥٪ فإن موضوعات فريدون هويدا أكثر إثارة للضحك حتى إعلان الأرقام- م

٤ - طوال فترة الكفاح الثورى لم يظهر نقص في واردات المواد الغذائية فى البلاد مطلقاً إلا فى فترة قصيرة، ولعدة أيام بسبب إضراب الحمالين فى الموانئ (الذى ألغى بسرعة بعد صدور أمر الإمام للجميع بعدم الإضراب فى مراكز تأمين المواد الغذائية) (ولعلها تقريباً بعد سنة من انتصار الثورة بسبب المقاطعة الاقتصادية لأمريكا بعد حدوث الحرب المفروضة) وغير هذا يجب سؤال مؤلف الكتاب: إذا كان أمر الزراعة متقدماً هكذا فى عهد حكومة أخيه، لأن البلاد بعد الشلل الذى إدعاه فى مجال الواردات لم تواجه النقص.

لماذا لم تتولى وزارة هويدا فى ذلك الوقت واردات المواد الغذائية حتى تظهر التقدم الملحوظ والبارز للنظام فى أمر الزراعة؟ (من الأفضل لإظهار صحة رأى المؤلف - انظر رأيه فى وضع الزراعة فى إيران فى ص ٨٩) - م

٥ - عندما قدم فريدون هويدا نفسه "كمثقف يساري" لذا كان لابد ألا يرى إلا القيمة الحقيقية لما حدث فى سياهكل والثورة الحقيقية المزلزلة ١٥ خرداد ١٣٤٢ - أنها كانت جرس إنذار حقيقى لنظام الشاه، ويصفها فقط بالتمرد الذى أخمد بسهولة على يد الشاه! - م

٦ - تم هجوم هذه الجماعة الفدائية يوم ١٩ بهمن ١٣٤٩، وليس ٢١ فروردين ١٩٥٠، ويجب التوضيح أنهم هاجموا إدارة الأمن فى سياهكل وليس مركز شرطة! - م

٧ - لم تكن نظرية "نيكسون" التى كونها فى الظاهر "لترغيب وجذب الدول الصديقة والمتحالفة مع أمريكا للدفاع عن نفسها"، لم تكن إلا إرسال أسلحة ومعدات إلى مقر القوات العسكرية الأمريكية بالدول المختلفة فى العالم، وعلى هذا الأساس استطاع نيكسون أن يعطى للاقتصاد الأمريكى رونقاً، ويعوض عجز ميزانية سنة ١٩٧١، ويجعل القوة العسكرية الأمريكية فى الخليج الفارسى وريشة للإنجليز، ويتحاشى خسائر الجنود الأمريكين من أجل الحفاظ على المصالح الأمريكية فى المناطق الغنية بالبترول (التي كانت تحظى فى ذلك الوقت بموجة معارضة فى

الرأى العام لأمريكا شبيهة بفيتنام) عقب هذا البرنامج حلت مسألة نقص السيولة النقدية لشراء المعدات الحربية الأمريكية مع زيادة قيمة النفط بسهولة، وأدت نظرية "نيكسون" إلى حصول أمريكا على بترول دول الخليج الفارسي هدية، واستولت ثانية على الأموال الناجمة عن شرائها، وزادت بذلك ازدهار إنتاجها وتجارتها، وجعلت جميع رؤساء الدول الغنية بالبترول يوماً بعد يوم أكثر ارتباطاً بأمريكا- م

٨ - يجب التنبيه إلى أن سفر نيكسون إلى طهران قد تم عقب زيارته للروس ومباحثاته وعقد اتفاقيات مختلفة مع برجنيف، وطبعاً كان الروس قد اتخذوا قرارهم أثناء تنفيذ "نظرية نكسون" لذا فإن ادعاء الكاتب فيما يتعلق بمعارضة الروس للشاه غير جدير بالقبول، خاصة أن الشاه فى لقاءه يوم الأحد ٥ شهر يور ٥١ مع وفد اقتصادى يابانى قال حول علاقاته بالروس: "...علاقتنا بالاتحاد السوفيتى ممتازة جداً، وفى الحقيقة نحن نطلق على حدودنا مع الروس حدود الصداقة والتعاون والسلام..." بعد ذلك أيضاً وخلال سفر الشاه لدولة بلغاريا أنهى ترتيبات إذاعة "بيك إيران" أيضاً من هذه الدولة، وبشكل عام بدت علاقات حسنة جداً بين الشاه والدول الشيوعية التى أعقبها تطور الوضع إلى درجة أفضل، عقب سفر الكسى كوسيجن فى إسفند ٥١ إلى طهران وسفر هويدا فى مرداد إلى روسيا، واستمر الأمر كذلك حتى أواسط آذار سنة ١٣٥٧- م

٩ - على الرغم من أن الشاه قد أعلن خلال حديثه الصحفى قيمة برميل النفط ١١,٦٥ (كانت ضعف السعر السابق ٤ مرات) وأثارت هذه الخطوة معركة دعائية لإبراز أهميته، ولكن بعد ذلك علم أن أمور زيادة سعر النفط كان فى الحقيقة طرْحاً أمريكياً، حتى توفر بهذه الوسيلة أموالاً كافية للدول الغنية بالبترول لشراء الأسلحة، ولإيجاد عوامل جذب كافية لعمليات اكتشاف

واستخراج البترول داخل أمريكا، ويغير بالأرباح الباهظة الشركات البترولية الكبيرة داخل أمريكا حتى يمكن عن هذا الطريق تحسين الاقتصاد الأمريكي المتأزم قليلاً (يقال في هذا الصدد : انه بعد رفع سعر البترول بسنة، زادت الأرباح الخالصة لشركة "إكسون" بمقدار ٨٠٪ والأرباح الخاصة لشركة "جالف" بمقدار ٩١٪).

مع هذه الزيادة في سعر البترول ليس هناك سبب قط إلا طلب أمريكا، ولكن أمريكا سعت في مواجهة الرأي العام للدول المستهلكة للبترول أن تبرز أنها ضحية لزيادة سعر البترول، وبينما كانت أمريكا معروفة لمنظمة أوبك باعتبارها المذبذبة الحقيقية لزيادة السعر، كانت تحافظ أمريكا على وجودها خلف هذه المنظمة سراً.

ولمعرفة أكثر حول هذه المسألة يمكن مراجعة الكتاب القيم "النفط - الفرصة الوحيدة والأخيرة للشرق الأوسط" مؤلفه "ليقولا سركيس" (خبير بترولى للدول العربية) ترجمة "دكتور أرسلان ثابت سعيدي" منشورات أمير كبير (١٣٦٣) صفحات ٥٢ - ٥٦ - ٥٩ - ٨١.

١٠ - لو كان أمير عباس هويدا في عهد رئاسته للوزارة قد عرض مثل هذه الأمور على الشاه في الواقع (احتمال ضعيف جداً) فيجب اعتباره شخصاً منافقاً أيضاً ونلاحظ عند مراجعة حديثه في إسفند ٥٥ أثناء الدفاع عن ميزانية ٥٦ في المجلس أنه لم يعارض قط أفكار الشاه، بل اعتبر أن دفاعه عن برامج الوجهة والتخريب الشاهنشاهية فرض عليه، وقال هويدا في هذا الحديث: "...نحن لا نخشى المصاعب والمشاكل وسنقضى عليها ولا ينبغي وضع القرارات أمام مبادرات الشعب (أى شعب؟) .. وسر بقاء إيران في قيادتها ومساعي شعبها (أى شعب؟) ... "وسُمع أيضاً خلال أحاديث صحفية لتلفزيونية لهويدا منه أنه قال: "...مع أن الأهالي ينفقون أكثر، يزدهر الاقتصاد أكثر"- م

١١ - لما كان فريدون هويدا قد كتب هذا الكتاب فى أوائل سنة ١٣٥٨، لذا تصور أن استرداد قروض نظام الشاه للدول مثل المجلترا وفرنسا وإسرائيل ومصر والأردن وجنوب إفريقيا و.... هى أحد المصادر الهامة لتأمين دخل الحكومة الإسلامية، وبينما كان نظام الشاه دائناً إلى هذا الحد فقد كان مديناً لدول أخرى لأن الجمهورية الإسلامية كانت تدفع قروض إيران إلى الآخرين بانتظام ولكن أكثر الدول المدينة امتنعت عن دفع قروضها إلى إيران بحجج مختلفة، والآن بينما إيران دائنة بعدة مليارات لآخرين ليس عليها سنت واحد دين خارجى - م

١٢ - لترجمة حديث الشاه أستعين بالنص الأسمى الذى كان قد نُشر فى العدد المؤرخ بـ ٨ آبان ١٣٥٥ بصحيفة كيهان، ولما كان فريدون هويدا قد سعى فى نقل حديث الشاه بتحفظ شديد وأسقط نقاطاً مهمة، لذا فقد أُضيف إلى النص بعض المسائل المطروحة من قبل الشاه أيضاً كى يستطيع إظهار حقائق كثيرة فى مجال تعقد أمر النظام بالقياس إلى تصريحات السنتين السابقتين، حتى يقف القراء الأعزاء على هذه الحقيقة المرة ومعرفة أكثر بالشخص الذى صاح قبل سنتين من إتمام هذا الحديث "ستصبح إيران غنية إلى درجة أنها ستعمل فقط أربعة أيام أسبوعياً، وتقضى بقية الأيام فى سرور ومرح" لأن الشاه على الرغم من اعترافه بنقص وقلة الأموال والنفقات "غير المرشدة" يدفع أموالاً كثيرة لشراء ٢٥٪ من أسهم شركة "كروپ" المفلسة، وفى نفس الوقت يتحدث عن إلغاء النفقات الزائدة - م

١٣ - منح هويدا جماعة من المعممين حقوقاً وأرزاقاً مستفيداً من ميزانية الأوقاف حتي جعلهم فى عداد الشاكرين للشاه، أو علي الأقل منع انضمامهم لصف مؤيدي الإمام الخميني، وتسبب كشف قائمة بأسماء هذه الجماعة بعد انتصار الثورة الإسلامية إلي أن خلع كثير منهم لباسهم وانزوي عدد منهم أيضاً ولزم

الصمت لإدراك عدم سوء نيتهم ولم يجدوا سبيلاً آخر للدخول في مجتمع رجال الدين - م

١٤ - ولكن المؤلف في الفصل الأول من كتابه في قسم تحت عنوان "آخر لقاء بأخي" عرض الأمر علي هذا النحو أن: أخاه خلال محاكمته كرر أموراً حول أسباب عزله من قبل الشاه مرات ومرات في محكمة الثورة... والآن غير معلوم كيف نسي ما كتبه من قبل، ويظهر هنا أن أمير عباس هويدا منع من مواصلة الحديث في محكمة الثورة - م

١٥ - المؤلف يناقض نفسه مرة أخرى فبينما كتب من قبل "...بعد تعيين الشاه لجعفر شريف إمامي مكان آموزجار ولاثبات أن هناك تغييراً في التوجهات السياسية عزل كثير من المسئولين من مناصبهم وكان من بينهم أخي أمير عباس..." (صفحة ٤٥) وهنا طرح أمراً نقلاً عن أخيه ليوضح الأمر من أن أمير عباس هويدا عندما كان مستاءً من قتل الأهالي يوم الجمعة السوداء، لذا استقال من وزارة البلاط، ولكن نسي قوله الذي كان قد قاله من قبل: "في نظري يجب أن يعتبر تعيين شريف إمامي رئيساً للوزارة وعزل أمير عباس عن وزارة البلاط من عداد أخطاء الشاه في أواخر عهد حكمه..." (صفحة ٤٥) - م

١٦ - الترجمة مستقاة من النص الأصلي (به سوي تمدن يزركه صفحة ١٧) - م

١٧ - أصلح الشاه في نفس حديثه الصحفي جملته علي الفور وقال: "...ولكن بموجب الدستور- يصبح الشاه رئيساً للسلطة التنفيذية..." (الترجمة الفارسية لكتاب "شيروخورشيد" (الأسد والشمس) تأليف "أوليويه وارن" منشورات أمير كبير ١٣٥٦ - صفحة ١٣٢) - م

١٨ - يدعي هذا الشخص "هاشم نراقى" الذي كان من التجار الإيرانيين ذوي الجنسية الأمريكية، وعلم فيما بعد أنه لا هم له إلا ملء جيبه من أموال البترول، ولما كان

بعد فترة نشاط وقبل ذلك طبقاً لزعمة وإدعاء الشاه: "أن يحول خوزستان إلى كاليفورنيا" - فر من إيران، وعندما وصلوا إلي حسابه عرف أنه قد أودع ملايين التومانات وديعة في البنوك الإيرانية ثم أخذ أمواله وفر، في ذلك الوقت قال الناس عن هاشم نراقي: حصد المواد الغذائية المنتجة في مزارعه ومصانعه وطبخها وأكلها وهضمها و...١- م

١٩ - مستفيداً من نص الترجمة الفارسية لمحادثة الشاه مع "أوليويه وارن" التي كانت قد طبعت في كتاب بعنوان "الأسد والشمس-شيوخورشيد"(طبعاً بعد موافقة رجال الرقابة في وقتها)(منشورات أمير كبير ١٣٥٦-صفحة ٢١٤) - م

٢٠ - بناء علي الاعتراف السابق للمؤلف: وساطة هويدا لإطلاق سراح معارضي النظام من قيد السافاك كان يشمل في الأساس العناصر اليسارية (صفحة ٣١)- م

٢١ - مسألة إقالة هويدا في سنة ١٣٥١ بسبب أحداث "امير هوشنگ دولو" في سويسرا غير مقبول، وعند فحص جميع أقوال وأحداث ولقاءات أمير عباس هويدا الصحفية التي قام بها سنة ١٣٥١، لا يري أبداً نقطة تظهر عدم رضائه ورفضه لسلوك الشاه بل العكس من ذلك، لقد بالغ هويدا خلال سنة ١٣٥١ بسلوك وعمل وقول الشاه درجة لم يكن له مثيل من قبل، مضافاً إلي ذلك أن أمير عباس هويدا نفسه منذ ٢٥ سنة قبل ما حدث (يناير ١٩٤٧-يهمن ١٣٢٥) عندما كان سكرتير أول بسفارة إيران في فرنسا وتصادف وقبض علي جماعة منهم حسن علي منصور ومحمد حجازي والمقدم غلا محسين اسفندياري (الياور الخاص للشاه) وكنجه اي (مدير صحيفة بابا شمل) وهاب زاده وصالحي و....بجريمة التهريب فإنه أنقذهم فوراً من الموت بوساطة الشاه ، ولهذا السبب فإنه بعيد جداً أن يكون هويدا بمثل هذا التصرف قد ضايق الشاه في إنقاذ "أمير هوشنگ دولو" لكي يتخذ قرار إقالته (يمكن مشاهدة الوثائق الخاصة بتهريب

هویدا ورفاقه فی فرنسا فی صحیفة کیهان أعداد ١٤ ، ١٩ بهمن ١٣٢٥ ؛ مجله خواندنیها السنة السابعة العدد ٤٩ صفحات ٢ ، ٦ مجلة مرد امروز السنة الخامسة العدد ٩٣ صفحة ٢ والعدد ٩٤ صفحة ٣) .

٢٢ - طالما قدم فريدون هویدا نفسه فی هذا الكتاب بأنه "مشف يساري" فإن تحليلاته بالطبع ليس بالضرورة أن تكون أقرب لإطار "مفكر يساري" فهو يحلل التحولات الاجتماعية دون النظر فی "الاقتصاد كأساس للبناء" ولا يشكل أساس بناء حركة شعب إيران الثورية إلا المسائل المذهبية والمعنوية والأخلاقية والثقافية، وطبقاً لما كان مطروحاً من مسائل اقتصادية فهي فقط حالة فرعية- م

٢٣ - أمير عباس هویدا - الذى كما قالوا من أهل المعرفة - لا بد أنه قرأ سيرة الرائد "كيسلينج" كيف أنه تعاون من أجل خدمة الوطن (١) طوال فترة احتلال النرويج على يد الغازين- معهم، وعلى الرغم من الظروف المهلكة (١) لم يكف عن تأييد المعتدين والمحتلين، ولكن بعد نهاية عهد الاحتلال، مع أن كيسلينج لم يضع نقوداً فى جيبه، ولم يقتل أحداً ومع هذا حُكم عليه بالموت من- قبل محكمة الشعب، وتذوق عقاب خيانة الوطن (الذى كان بزعمه فى خدمة الوطن (١)- م

٢٤ - Peromenades Anglais

٢٥ - بالإشارة إلى هذا الأمر البديهي من أن أمريكا لا تهتم أبداً بحماية الشعب من الأنظمة فى الدول التى تحت سيطرتها، وأصلاً لا تتبع هدفاً إلا السيطرة على اقتصاد مثل هذه الأنظمة، من الطبيعى ألا تتجاوز توصياتها فى اللقاءات (إذا كانت حقيقية) مرحلة الكلام، والدليل على هذا الادعاء أيضاً السفر ستة أشهر بعد جيمى كارتر إلى إيران (١٠ دى ٥٦) الذى بدلاً من عرض الحقائق على الشاه على العكس مدح قراراته أكثر، وليرغبه أكثر لقب إيران "بجزيرة الاستقرار"- م

٢٦ - وهكذا كما جاء أن الشاه قد قال فى حديثه مع محرر صحيفة كيهان أنه "لا يجب أن يتجاوز التعليم الأساسى والاجتماعى والفلسفى على يد حزب رستاخيز إطار فلسفة "الثورة البيضاء" (صفحة ٨٠) - م

٢٧ - ما عدا عدد من المنافقين المحترفين الذين تجمعوا للمراعاة والنفاق فى حزب رستاخيز فقد سجل بقية الأعضاء غالباً أنفسهم مضطرين فى الحزب، وأسماء الأشخاص الذين فشلوا فى هذا الأمر لأسباب مختلفة قد وضعوا فى لائحة أعضاء رستاخيز دون موافقتهم ومن قبل رؤسائهم - م

٢٨ - قول جمشيد آموزجار هذا يشابه نمط تفكير، "ناصر الملك" (وزير المالية ورئيس الوزراء) (صدر أعظم) ونائب السلطنة فى العصر القاجارى) والذى خلال ثورة الشعب للمطالبة بالدستور فى رسالة للسيد "سيد محمد طباطبائي" اعتبر أن تشكيل بيت العدالة والمجلس لأمة أمية وليست آدمية أمر مضر للغاية، ووصف "الحرية" للإيرانيين بأنها "أساس للاضطراب والخراب والمذلة وعدم الأمن وآلاف المفاسد الأخرى، وفى اعتقاد "ناصر الملك" أن طلب مجلس المبعوثين والإصرار على إيجاد قانون المساواة والكلام عن الحرية والعدالة فى إيران كأنما تقدم فخذ جمل نصف مطهى لفم مريض، لأنه "بسبب طول المرض وعدم الغذاء جفت أمعاءوه وأحشاءوه" (تاريخ مشروطه إيران- أحمد كسروى - الطبعة التاسعة ٩١) - م

٢٩ - حقيقة هذه الجماعة من "المفكرين النخبة" عندما التحقوا بصف المعارضين كانت فقط مهمتهم الطعن والشكوى فى المحافل الدولية، وسلكوا بعدها سياسة حقوق الإنسان "كارتير" ولم يقوموا بأمر آخر غير الكلام والبيانات المتفرقة فى مجال مزايا حقوق الإنسان ووجوب إجراء الدستور - م

٣ - كان ما حدث على النحو التالي أن رضا شاه طبقاً للمعتاد قد أرسل، متظاهراً بتأييد المذهب؛ أسرته إلى قم عند تحويل السنة ١٣٠٦ شمسي، ولما لم ترع تاج الملوك (زوجته وأم محمد رضا) الحجاب في الحرم المطهر، ذكرها أحد رجال الدين ويدعى " الشيخ محمد تقي بافقي" بأن ترعى حرمة هذا المكان المقدس، ولكن لم تهتم الملكة، فهب الشيخ معترضاً، ونتج عن ذلك أن خرجت الملكة من الحرم بعصبية، وأخبرت رضا شاه هاتفياً بما حدث وعلى الفور (ولابد مع شيء من الكذب) عند سماع هذا الخبر، لم يكن قد مر أكثر من سنة وثلاثة أشهر من بداية حكمه، فتوجه مسرعاً بسرية من الجيش إلى قم، وعند الدخول في بداية الصحن جرح عدة طلاب بالكز ثم دخل الحرم بالحداء، ووجد هذا العالم المجاهد، فضربه بالعصا، وأرسله في حراسة إلى طهران ليسجن، ورفع ما حدث النقاب عن وجه رضا شاه، وأظهر للجميع ما هي صفته الحقيقية وكان كل شيء حتى هذا الوقت يتم بناء على رغبة المذهب، ما عدا الكذب والخداع- م

٣١ - ترجمة الحديث الصحفى مستقاة من نصها الفارسي - المندرج في كتاب "شيوخورشيده" (صفحات ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١) - م

٣٢ - سعى تيمور بهختيار في العراق مؤيداً من المسئولين البعثيين - مساعي كثيرة ليتقرب من الإمام، ويستطيع عن طريق التظاهر بجلب تأييدهم أن يهيء مجالاً لأهدافه في إيران.

٣٣ - ولكن الإمام كان يعرف معرفة تامة الطينة السيئة لتيمور بهختيار، ولم يسمح له بأى حال أن يدخل منزله حتى أنه قال ذات مرة: "لو أن (تيمور) بهختيار تملك زمام الأمور يوماً في إيران، فإن مهمة جميع المسلمين هي أن تحاربه وتقنعه من الوصول إلى السلطة....".

كان تيمور بهختيار قد استطاع فقط مرة واحدة ودون معرفة مسبقة ودون تقديم نفسه أن يدخل منزل الإمام في تاريخ ١٠ آذر ١٣٤٨ مع رفاق محافظ كربلاء،

ولكن لم يتحدث الإمام خلال هذه الزيارة مع بختيار بأى كلمة، ولم يجب على أسئلته، وأمر الإمام بعدما حدث أحد مسئولى مكتبه: "من أجل ألا يسوء آخر استغلال مثل هذا الموقف، فى نظرى، فى كل وقت يطلب محافظ كربلاء لقائى اشترط عليه ألا يرافقه أشخاص غير عراقيين.....".

وفي يوم ٢١ خرداد ١٣٤٨ حُمل الحاج السيد مصطفى خمينى على يد رئيس الأمن وحاكم النجف إلى بغداد ليلتقى مع أحمد حسن البكر وهناك شاهد تيمور بختيار بجوار رئيس جمهورية العراق آنذاك ، ولكن كلما أراد حسن البكر فى هذا اللقاء أن يجعل ابن الإمام يقبل التعاون مع النظام العراقى وتيمور بختيار للكفاح ضد الشاه لم يرضخ لهم (الأمور المنقولة من كتاب "نهضت أمام خمينى" المجلد الثانى - تأليف سيد حميد روحانى - مستخرجة من صفحات ٤٢٠ - ٤٢٩ - ٤٣٠) - م

٣٣ - كان خوف الشاه من الروس وحرصه على التسليح دافعاً له للتوجه نحو الأمريكان، وطالما يكون من اتباع القوى العظمى من أجل النفوذ وبيع الأسلحة لدول العالم فإن الخوف يكون من القوى العظمى الأخرى، وسوف يمتد هذا الأمر حتى إذا زالت إحدى القوتين - أمريكا أو روسيا، فالأخرى ستواجه ضعفاً بسبب فقدان مجال النفوذ وبيع الأسلحة وستلحق بالأولى، وفى هذه الحالة - حتى بين البلدان المجاورة - عندما ترغب فى التغذية بالسلاح من هما - من أمريكا أو روسيا (أى منهما بقى) فإنه سيظهر احتمال ضعيف لحرب شاملة - م

٣٤ - للاطلاع أكثر على المشاكل التى وجهها رضا خان وأسرته عند دخول ميناء بمباى وحملهم إلى جنوب إفريقيا، يراجع كتاب "شترها بايد برونند" (يجب أن ترحل الإبل) نشر نو - الطبعة الثالثة ١٣٦٤ - م

٣٥ - عملت العناصر المعارضة تحت سيطرة القوى الخارجية فى إيران أكثر كجماعات ضغط، ومن هنا اختلطت على الصحافة والمنظمات مثل العفو الدولية، لأنها

كانت عندما تنتقد الشاه تأخذ منه الإتاوة أو تحصل على منافع أكثر لحكوماتها
فى إيران بتهديد وإرهاب النظام-

٣٦ - حول المسألة التى ذكر المؤلف خطأ "دور الشاه الهجومى فى أوليك وكراهية الشركات البترولية له، سبق التوضيح (صفحة ٧٦) أن هذه الشائعة كذب فى الحقيقة وكانت من صنع الأمريكان ليتمكنوا من الاستفادة منها، ويخفوا دورهم فى رفع سعر بترول أوليك عن رأى العام للدول المستهلكة، وتقديم أوليك كمتهمم حقيقى، ويخفون وجودهم خلف الشاه وأوليك.

٣٧ - خلافاً لادعاء المؤلف، لم تكن هذه الخطوة فقط سبب بعثرة الموازنة بل تعد نوعاً من إقرار الموازنة السياسية للقوتين العظميين فى المنطقة أيضاً، وبهذا السبب سمح الشاه فى نفس الوقت للطائرات العسكرية الروسية أن تعبر أجواء إيران وتوصل سيل الأسلحة والعتاد لتثبت الوجود الروسى فى أثيوبيا وأوجادين، وعندما اتفقت القوتان العظميان فى ذلك الحين سوياً أن تسيطر روسيا على أثيوبيا وتجعل أمريكا الصومال عوضاً عنها، ويتم القضاء على ثوار ظفار دون خوف من رد فعل معارض لروسيا.

٣٨ - فيما يتعلق بعلاقات الشاه مع منظمة العفو الدولية وكيفية سكوت هذه المنظمة عن جرائم نظام الشاه، جاءت أمور مفصلة وجامعة فى كتاب خواطر پرويز راجى "خدمتکزار تخت طاووس" (من منشورات مؤسسة إطلاعات ١٣٦٤).

٣٩ - خلافاً لادعاء المؤلف، وقع إعدام اللواء مقرى بجريمة التجسس لصالح الروس فى ٤ دى ١٣٥٦ وكان هذا الأمر قرابة ٤ أشهر قبل وقوع الانقلاب اليسارى فى أفغانستان، ولكن يمكن قبول الأمر الذى سمعه فريدون هويدا من ذلك "الشخص المطلع جداً" وطالما يطابق ٤ دى ٥٦ مع يوم ١٠ دى الذى كان موافقاً لسفر كارتر إلى إيران فإنه يدل على صحة قوله.

- ٢٢١ -

الفصل الثالث المتغيرات التي طرأت على الشاه

الفصل الثالث

المتغيرات التي طرأت على الشاه

« .. قوته سواء من وجهة نظر القانون أو المقربين هو الروح الخاصة التي لديه
صح الأمة (!) في اسمه درجة يمكن أن تبدو بها هذه الدولة ».

محمد رضا بهلوي
كتاب نحو الحضارة العظمى

الجمعة ١٥ أكتوبر ١٩٧١ (٢٣ مهر ١٣٥٠) تخت جمشيد (*)

بينما كانت أعمدة تخت جمشيد تتلألأ بلون ذهبي تحت أشعة الشمس في نهاية
الخريف، ويتألق الحراس الملكيون في عظمة، وقد اصطفوا في زي جنود العهد
الهخامنشي (***) علي مسرح عريض بحرابهم التي كانت تبرق في أشعة الشمس، وكان
الشاه والشاهبانو يجلسان بين الملوك ورؤساء الجمهوريات ورؤساء وزارات العالم كله،
على مكان معد علي مقربة من أطلال تخت جمشيد.

عندما وصلت فرقة خيالة - كانت قد تحركت من طهران قبل يوم - مقابل هذا
المكان، نزل قائدها عن فرسه ليقدم متن مبايعة، كرسالة الأمة للشاه، وقال الشاه الذي
كان يرتدي زياً عسكرياً بصوت أجش، عندما كان يلقي كلمته عبر مكبر الصوت -
قال في رده على هذه الرسالة : « ... وفي هذا اليوم التاريخي أشهد التاريخ بصفتي
امبراطوراً لإيران أننا ورثة ميراث كوروش (***) خلال هذه الحقبة الطويلة وبقينا أوفياء

(*) تخت. جمشيد في برسبوليس

(**) (**) أسس كوروش العظيم الدولة الهخامنشية أو الأكمنية، وقد أقام دولته على العدل والمساواة
بين الأديان ورعاية حقوق البشر، وقد خلفه ملوك آخرون منهم دارا وخشيارشا وكمبوجيه
(قمبيز) وقد قامت هذه الدولة في القرن السادس والخامس قبل الميلاد. (دائرة المعارف -
إطلاعات عمومي - مهرداد ومهرين ص ١٤١).

(***) كوروش هو مؤسس الامبراطورية الهخامنشية.

لرسالته المعنوية ولن ننسى مطلقاً العهد (*) الذي قطعه للبشرية منذ ٢٥٠٠ سنة من قبل» وبعدها قدم برنامجاً يتشابه كثيراً مع عرض فيلم من آثار "سيسيل ب دوميل" وخلال العرض نماذج من جنود العصور المختلفة في تاريخ إيران أمام الحاضرين.

وعند انتهاء هذه المراسم توجه الضيوف المشاهير في الاحتفال خلف ضيفهم إلي خيامهم الفخمة المصنوعة والمطرزة على يد الفرنسيين، وكان قد أنفق مبالغ هائلة بلغت مئات ملايين الدولارات لإعداد مكان إقامة رؤساء الدول وشخصيات عالمية.

وكان الشاه في اليوم السابق أيضاً في بازركد (**) قد قال خلال خطابه علي قبر كوروش الخالي " كوروش ! لقد اجتمعنا اليوم أمام ضريحك الأبدى لنقول لك: نم مستريحاً، لأننا يقظون وسنظل يقظين دائماً لحراسة ميراثك العظيم" (١).

ولكن في نفس الوقت الذي يحدث فيه هذه البرامج في تحت جمشيد وخارج نطاق حاشية الشاه والمتملقين الذين يحيطون به، كانت الانتقادات تنهمر عليه في إيران حول مثل هذه الاستعراضات.

ومراعاة للسلامة سعى الناس فقط لطرح الانتقادات في المنازل والمحافل الخاصة، ولكن بعض المطبوعات الأجنبية صرحت بلا خوف لماذا تنفق دولة نامية ما هو بخزائنها بدلا من تحسين ظروف معيشة شعبها في إقامة مثل هذه الضيافات المكلفة والعروض المتنوعة؟ (وبعد سبع سنوات أقام بوكاسا (***) أول امبراطور في شرق أفريقيا حفل تتويج، ونشرت الصحف بشأنه مثل هذه الانتقادات).

(*) وهو حرية العبادة واحترام حقوق وقوانين وعقائد البشر.

(**) بازركد مدينة قديمة إطلالها في إقليم فارس.

(***) جان بودل بوكاسا امبراطور جمهورية أفريقيا الوسطى.

ورد الشاه على مطالب الصحف الأجنبية الناقدة : أن نفقات إقامة احتفالات ٢٥٠٠ سنة لم تكن كما هو متصور زائدة وغير ضرورية مثيلها مثل تنفيذ بعض الخطط العمرانية. بناء مدرسة، توصيل الكهرباء إلي القرى، تعبيد الطرق، تطوير الاتصالات، وستستخدم الخيام المنصوبة في تخت خمشيد أيضا لإقامة مراسم مختلفة في المستقبل^(١) والأهم من كل هذا أن إقامة مثل هذه الاحتفالات قد زاد أيضا من مكانة إيران (١) كما تحول تخت خمشيد خلال ثلاثة أيام إلى مجتمع عالمي استطاع أن يجمع فيه رؤساء الدول وحكومات العالم، ليستعرضوا قضاياهم فيما بينهم.

موعد مع التاريخ

كان الشاه لديه إصرار عجيب فرضه علي جميع المدعويين في احتفالات ٢٥٠٠ سنة، وهو أن إقامة هذه المراسم لا يفهم منه بعث حياة إيران بل حراسة الميراث الامبراطوري لعهد الهخامنشيين، وكان أحيانا خلال ذلك يقول للمحيطين به : "ثورتنا البيضاء ليست فقط مستمدة من عهد سلطنة كوروش بل فتحت لنا الطريق لنستطيع أن نتحرك مباشرة صوب برامج كوروش" !.

كان الشاه في نفس الوقت يسعى لإبراز احتفالات ٢٥٠٠ سنة أمام شعب إيران كموعود مع التاريخ. كان راغباً أكثر أن يعتبره الشعب علامة عن مولد ثان للبلاد، ولكن يقال : إن الشعب أصلا لم يحضر هذه الاحتفالات ؛ لأن قوات الشرطة والجيش كانت قد التفت حول تخت خمشيد لحراسته لدرجة أنه لم يسمح لأحد بالاقتراب، خاصة أن هدف الشاه من هذه الاحتفالات والعودة إلى إيران القديمة لم يكن مقبولا عند رجال الدين الذين يعتقدون فقط في تعاليم النبي ﷺ .

قال الشاه في حديثه الصحفي مع "كارنجيه" (مراسل صحفي هندی) وكان مفتونا إلي درجة كبيرة بإيران القديمة : "اليوم تأسس على أرض إيران القديمة أم الحضارات أول امبراطورية في العالم، وهي شاهدة على مولد حضارتها الزاهرة ثانية، وثورتنا البيضاء

لها أصل في هذه الثورة التي حدثت قبل ٢٥٠٠ سنة على يد كوروش (١) وعلى أساسها استطاع كوروش أن يحول امبراطوريته فقط خلال جيل واحد إلى هذه القوة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية لتصبح نبراساً للحياة وقيماً للبشرية وأخلاقاً اجتماعية للعالم".

بعد سنة ١٩٧١ زادت مساعي الشاه للتأكيد على "آرية" إيران والأهمية خاصة للجنس الإيراني، ووصل الإفراط في هذا الشأن درجة أنه طرح هذا الأمر في آخر كتبه "نحو الحضارة العظمى" على النحو التالي :

".... الحضارة الإيرانية - هي "الحضارة العظمى" التي سيكون بريقها غداً أبهى، تعبر تعبيراً كاملاً عن الحضارة الآرية العظمى، سير تطور هذه الحضارة صوب الكمال لن يتوقف أبداً ولن يجد الفتور إليها سبيلاً (١) إذا كان الجنس الآري دائماً يقفز في سبيل تقدمه صواب الكمال في حضارته الآرية، إن لأساس هذه الحضارة جذور راسخة لمفكري وأذكيا هذا الجنس وعندما وضع دارا العظيم علي حجره المشهور، وقراه "آرى ابن آرى - إيراني ابن إيراني" ليتباهى في الواقع بكل القيم التي لا تحصى والتي تعبر عنها صفتا آرى وإيراني تعبيراً كاملاً، الحضارة الآرية - في مفهومها الحقيقي - هي الحضارة التي وضعت أساساً للحياة والخلقة (٢).

بالاطلاع على العبارات التي استخدمها الشاه في هذا الكتاب لا يشك أحد قط أن هذه الكلمات لاتعبر إلا عن ديكتاتور على وشك السقوط، وبما أثار الحيرة أيضاً أن الشاه كان يصر إصراراً على نفس ارتباط الشعب الإيراني ارتباطاً شديداً بالإسلام والمعتقدات المذهبية.

دقت الإشارات المتكررة للشاه لعصور ما قبل الإسلام في إيران - في السنوات الأخيرة لحكمه - ناقوس الخطر لرجال الدين، وعندما أدركوا هذا الخطر كان الشاه قد

أصدر أمره بتغيير تقويم إيران الذي كان قائماً منذ زمن هجرة الرسول من مكة إلي المدينة إلي تقويم (*) كانت بدايته تتويج كوروش (٣).

الابن النجيب

مع أن الشاه كان يؤمن في الواقع بأمجاد وقيم الأصل الآري، ولكن لاشك أنه من وجهة نظر علم النفس أن تأكيدات المتكررة على هذه المسألة قد أظهرت مفهوم "العنصرية" وضمناً من المسلم أنه كان يريد أن يعطي لحكمه صفة الوراثة الشرعية عن طريق مد جسر بينه وبين ملوك إيران القدامى، وكان أبوه قد أبدى في الحقيقة قبول هذا التصرف باختيار اسم العائلة "بهلوي" ليصل سلسلته بسلسلة الملوك على طول التاريخ.

ومنذ أوائل عقد الستينات كان هذا الفكر قد شغل رأس الشاه لدرجة أنه لكي يربط أصوله بسلاطين ما قبل الإسلام تتطلب هذا عقد مراسم فخمة وبعدها أقام احتفالات ٢٥٠٠ سنة في تخت خمشيد، أحس أنه يعمل هذه المراسم ليتمكن من أن يثبت لرؤساء العالم استمرار الملك طول تاريخ إيران، بينما لا يصل جميع الملوك ورؤساء الجمهوريات وحكام العالم بحكوماتهم اليوم مطلقاً إلي العصور القديمة، ويؤكد أن محمد رضا شاه بعد ٢٥٠٠ سنة وارث لحق كوروش مؤسس الملكية الإيرانية.

ويكفي لمعرفة سبب التعطش الشديد للشاه لإثبات هذه القضية أن ننظر إلي وضع أسرته ونعرف أن أباه - رضاخان - عندما لم يزد عن سبع سنوات وضع على رأسه التاج ونسبه لم يكن يصل إلي أى من ملوك إيران (لدرجة أنه يقال : إن رضاخان كان في أوائل أمره يعمل علافاً للخيول (**)) وبناء علي هذا فمن الطبيعي جداً أن يشغل ذهنه تماماً البحث عن أصل ونسب عظيم حتي قبل أن يفكر في اتصاله بكوروش،

(*) عام ١٩٧٩م هو عام ٢٥٠٨ شاهنشاهی.

(**) أهملت كثير من المصادر وظيفه رضا شاه وذكرت التحاقه بفرقة القزاق.

ويذكر أن أسرته جزء من طائفة باوند (*) التي تعد من طوائف مازندران الأصلية والقدية، ويقولون أن جده وجد جده كانا يعملان أيضا كضباط في "جيش إيران القديم". ولكن الحقيقة أن الشاه لم يسع قط لتوضيح الغموض الذي يكتنف أصل ونسب أسرته، ويبين خاصة حياة أبيه قبل التحاقه "بفرقة القزاق".

ترقى رضا خان بعد ذلك في سنة ١٩١٦ إلى رتبة ملازم، وتزوج من ابنة أحد الملوك (***)، وعندما نال المقام والجاء منح آخر ملوك القاجار له لزوجته تاج الملوك (****).

كانت تاج الملوك في سنة ١٩٦٨ تقول عن رضا خان لمراسل مجلة "كنفيدانس" (طبعة باريس العدد ١٠٩٤). كان والداه من الرعايا العاديين، وهو نفسه لم يكن أصلاً متعلماً، ولكنه بسبب قوة مشابرة استطاع أن يلتحق بقوة القزاق ليصعد على سلم الترقى درجة درجة - علي الرغم من أميته - حتي وصل إلي رتبة مقدم.

عندما هاجم رضا خان في سنة ١٩٢١ (الثالث من اسفند ١٢٩٩) طهران كان في منصب قائد حامية قزوین، وبسبب عزله رئيس الوزراء نال درجة مقدم، ولكن عقب ذلك مباشرة منحه أحمد شاه (****) رتبة عميد ولقب "سردار سپه" (قائد الجيش).

(*) أراد رضا شاه اختيار لقب يربطه بالساسان فأختار له فروغی اسم بهلوي الذي ورد ذكره كثيراً في الشاهنامه فاطلق مرسوماً بأن يدع من يحمل لقب بهلوی هذا اللقب (زندگی پرماجرای رضا شاه ج ١ حاشية ص ١٦)

(**) زوجته الأولى كانت تدعى صفیه وهي من همدان وقد تزوجها أثناء عمله في آتریاد همدان وطلقها بعد عام واحد.

(***) زوجته الثانية هي تاج الملوك أم محمد رضا وهي من إحدى الأسر المهاجرة من آذربایجان بعد الانقلاب الشيوعي في روسيا واحتلال آذربایجان، أبوها تیمورخان تزوجها سنة ١٢٩٤ هـ ش وأنجب منها شمس ومحمد رضا وأشرف وعلي رضا. (زندگی پرماجرای رضا شاه ج ١ ص ١٨)

(****) أحمد شاه قاجار آخر سلسلة آل قاجار.

استولي رضا خان الذي جلس علي عرش السلطنة فيما بعد على أملاك كثيرة من الأهالي، وأدخلها في ملكيته حتي صار أكبر ملاك إيران.

ولما كان معيار الشرف في إيران في ذلك الوقت مرتبط بمساحة الأرض، لذلك فإن رضا خان قصد من هذه الخطوة أن يدخل في سلك الأشراف ويجعل سلطته مشروعة، ولكن الحقيقة أن صفة الجندي كانت سببا في أنه علي الرغم من امتلاكه لأملاك كثيرة أن يكون بخيلا ومسكاً جداً^(٤).

بينما كان محمد رضا عكس أبيه، ولما لم يستطع الإشراف علي الأملاك والأخذ بزمام الإشراف بنفسه، وقنع بتقسيم أملاك رضا خان بين الفلاحين أو الإنفاق وإقامة احتفالات الضيافة.

احتفل سنة ١٩٦٠ احتفالاً عظيماً بالذكرى الخامسة والعشرين لحكمه (التي فيها تقلد من مجلس إيران أيضاً لقب "آريامهر"^(*)) وفي سنة ١٩٦٧ أقام مراسم باهظة التكاليف للتتويج، وأقام في سنة ١٩٦٩ احتفالاً بالذكرى الثلاثين للحكم وفي سنة ١٩٧١ مراسم ٢٥٠٠ سنة للملكية، وفي سنة ١٩٧٦ ذكرى الخمسين للحكم البهلوي، خاصة أنه استطاع خلال أحداث احتفالات تخت جمشيد أن يقدم نفسه لرؤساء دول العالم كوراث لعرش إيران؛ بعد سنوات من الانتظار لينجح في توطيد مشروعية سلطنته بشكل يفهم منه الجميع أن استمرار تاريخ إيران قد تجلى في وجوده؛ ولكثيرين اعتقاد بأن شخصية الشاه قد طرأ عليها بعد إقامة احتفالات تخت جمشيد تغيير عميق، ورافق هذا إفراط في الأبهة والعظمة، ولكن الأمر المحير في الحقيقة وكنت قد طرحته في أوساط مختلفة، هو أنه حاجة الشاه لإقامة مثل هذه المراسم والاحتفالات المكلفة حتى يحقق عن طريقها الاعتبار والحيثية؟ ... ألم يستطع أن يحقق لنفسه الاعتبار والحيثية من تنفيذ البرامج العمرانية وتخفيض الفقر وإقامة المصانع وترك الأراضي للمزارعين، وتقليل البطالة وزيادة الدخل القومي؟

(*) آريامهر : شمس الآريين.

إنني شخصياً أقبل رأي الشاه فيما يتعلق بسبب تأخير تنويجه ٢٦ سنة والذي قال : إنه قد صبر هذه المدة ليتم تنويجه بعد تحسين وضع معيشة الشعب.

ولكن أتساءل بعد ذلك هل هذا التحسن الذي كان قد بدا في وضع الشعب بزعمه لا يمكن أن يمنحه الشخصية والاعتبار ؟.

للأسف لقد بدا غروره وتكبره خلال مراسم التنويج حتي أنه بدلاً من أن يضع علي رأسه التاج يمثل من قبل الشعب، رفع هو التاج ووضع علي رأسه، وكان من الممكن - بذلك العمل - علي الأقل أن يظهر في أبسط حال أنه بالإضافة إلى مقام الإرث فهو أيضاً اختيار الأمة^(٥).

في أوائل عقد السبعينات (١٩٧٠) حيث كانت المملكة تتهيأ للتوجه صوب الليبرالية. وبدلاً من إبراز التشكيلات الديمقراطية وجه كل همه نحو إقامة احتفالات عظيمة في تخت جمشيد، وبدلاً من تقوية علاقته مع الشعب علي العكس من ذلك قطعها، وإثر ارتباطه بالماضي البعيد غفل تماماً عن التوجه إلي واقع الأحوال.

لقائى الأول مع الشاه

كان أول لقاء لي مع الشاه في سنة ١٩٤٨ (١٣٢٧) خلال زيارته إلي دولة فرنسا.

عند لقائى بالشاه - الذي كان لا يزال شاباً يافعاً - أتذكر أنني رأيت ذات مرة في بيروت قبل سنوات أيضاً في ١٩٣٨ (١٣١٧) وبدا في نظري شاب خجول، وكان قد توقف في بيروت في طريقه من طهران إلي القاهرة للزواج من فوزية^(*) (أخت الملك فاروق).

(*) فوزية هي الزوجة الأولى لمحمد رضا شاه والتي تزوجها في اسفند ١٣١٧ هـ. س وطلقها بعد ست سنوات ولم ينجب منها سوي ابنة واحدة، وقد غادرت طهران ولم تعد إليها احتجاجاً علي نزواته (شكست شاهانه ٢٤/٢٢)

وعندما قدم الشاه إلي باريس وكنت أعمل في سفارة إيران كمستشار، ولما كنت أعرف اللغة الفرنسية جيداً لذا كنت أتولي مهام مختلفة بالإضافة إلي عملي مثل مرافقة الإيرانيين في المطار، المباحثات التجارية مع وزارة الخارجية الفرنسية، تحرير مكاتبات السفارة - الاتصالات التليفونية (أكثرها دعوات للغداء) وأعمال أخرى من هذا القبيل التي كان أكثرها وقت الفراغ ودون أجر.

استدعاني علي سهيلي سفير إيران في فرنسا (رئيس الوزراء الأسبق - وصاحب سياسة القمع) قبل وصول الشاه بأسبوع إلي مكتبه، وقال : "..... إن الشاه مثل أبيه لديه حساسية مفرطة من كتابات الصحافة ويجب ألا ننسى أن مقالين انتقاديين في "لوس آموال" و "كانار آئشنه" ^(٦) كانا سبباً لقطع علاقات إيران وفرنسا، ولهذا السبب مهمتك أن تبلغ جميع الصحف وتطلب منهم ألا يكتبوا حول زيارة الشاه إلي فرنسا مايسئ إليه ..."

وبدأت فور أمر السفير في العمل، وحقيقة يجب أن أقول : إنه لم يكن في ذلك الوقت "سافاك" ولم تكن أمور إيران تجذب انتباه الصحف إليها، لذا لم يكن العمل الموكول إليّ في هذا الشأن صعباً، بالإضافة إلي أنني لدى أصدقاء في أغلب الصحف الفرنسية، وأعلم ضمناً أنه لا يستاء من الشاه إلا الصحف اليسارية ؛ لأنه بعد سقوط الحكومة المؤقتة "لجمهورية آذربايجان" (التي كانت قد تشكلت في سنة ١٩٤٥ قبل مغادرة القوات الروسية شمال إيران) قامت حكومة الشاه بتصفية جميع الجماعات السياسية اليسارية في البلاد ^(٧).

ولكن لما كنت لا أعرف أحداً في إدارة مجلة "كانار آئشنه" عرضت الأمر مضطراً علي أحد أصدقائي في وزارة الخارجية الفرنسية وأخذت وعداً منه بالمساعدة وبعد صدور هذه المجلة رأيت أنها فقط قد كتبت عدة أسطر لا ضرر منها حول زيارة الشاه مضمونها تقريباً كان على هذه الشاكلة (نظراً لأنني ليس بين يدي النص (المكتوب):

.....دق جرس الهاتف وحذرنا أحد المسئولين المعتمدين ألا نكتب شيئاً عن ضيف الدولة...وعندما اعترضنا واعتبرنا أن مثل هذا الأمر مغاير لحرية التعبير، أجاب: "لماذا لا تركبون سياراتكم ولا تذهبون إلى مكان ما لقضاء عطلة آخر الأسبوع؟" ثم قال: "عندما تريدون أن تكتبوا شيئاً عن إيران حتماً يجب أن تتذكروا أن إيران لديها بترول".

وفى الختام نصحننا نصيحة أبوية لنفكر إلى أى حد تحتاج فرنسا للبترول (فى ذلك الوقت كانت المحروقات فى فرنسا بالكويون).

عند زيارته لفرنسا بدأ الشاه وكأنه لا يثق بنفسه كثيراً، وكان مرافقه يذكرونه ما يجب أن يقول، ومع أن السفير سعى ليهتم بالتشريفات لكن سلوكه معه كأنما يهتم بطفل.

أدركت عند مشاهدة سلوك وقول الشاه : إنه يجب أن يكون شخصاً خجولاً لأنه يستمع إلى أحاديث الآخرين بدقة، ولكن عند الإجابة كان أكثر تردداً وكان يتفحص وجهه معارفه.

وخلال زيارته لباريس زار خلال يومين عصراً فى وقت فراغه عدة ملاهى ليلية، وقضى فترة فى التحدث إلى البنات المعروفات لأصدقائه ومنحهن هدايا قيمة أيضاً.

وبعد عدة أيام تناولت الغداء فى مجلس ضيافة مع واحدة من هؤلاء البنات اللاتي قضين وقتاً مع الشاه، وأظهرت لى بكل فخر خاتماً من الماس كان الشاه قد أهدها إليها.

عندما جلس الشاه على عرش الحكم فى سنة ١٩٤١ استأنف السياسيون ورجال الدين نشاطهم، وبدأ كل منهم توجهه إلى الشاه.

فى ذلك الوقت على الرغم من إقامة انتخابات حرة شغل أكثرية المجلس الإقطاع وأتباعهم الذين قصرُوا جهودهم على أن تسيّر أمور البلاد تبعاً لهواهم، ومع ذلك كان

الشاه فى بداية حكمه غير راض تماماً عن هذا الوضع، مع هذا كان يدرك أنه لن يخرج الأمر من يده أبداً، ولما كانت إدارة شئون البلاد فى الواقع فى يد الإنجليز، وكان المال القليل الذى يقدمونه للحكومة مقابل امتياز استخراج البترول لم يكن كافياً مطلقاً لمحو الفقر والفاقة من المملكة.

إثر احتلال إيران - الشمال على يد الروس- والجنوب على يد الإنجليز - ظهرت ظروف لم تكن مختلفة عن أوضاع البلاد قبل وقوع الحرب العالمية الأولى. ومع أن المجلس قد أكد ثقته فى الوزراء، إلا أن أكثرهم كان له علاقة مع إحدى القوى العظمى، ليعمل الشاه مضطراً تحت نظرهم، وأدخلوه تحت سيطرتهم كأنما يواجه إخفاقاً. كان هذا الوضع لا يمكن للشاه تحمله، وانتظر الفرصة المناسبة ليعتمد على نفسه ويستطيع أن يوضح للشعب أن هذه الفرصة قد سنحت له فيما حدث فى آذربايجان.

كان النظام المستقل قد استقر فى آذربايجان بحماية الروس الذين اضطروا لإخلاء المناطق التى تحت نفوذهم من الجيش الروسى بعد ضغط من قبل الأمريكان، وعقب ذلك أمر الشاه قيادة القوات العسكرية لإعادة تسخير آذربايجان، واستطاع فى سنة ١٩٤٧ أن يبرز لأول مرة نفسه (٨).

من اغتيال الشاه لسقوط مصدق:

استطاع الشاه فى سنة ١٩٤٩ (١٥ بهمن ١٣٢٧) أن ينجر من حادثة اغتيال (*)، ونجح فى القيام بمناورات ليحمي نفسه من طلقات قاتلة أطلقت عليه من مصور صحفى فى مراسم افتتاح الجامعة، وترك فقط جروحاً طفيفة فى أذنه وكتفه وعضده.

(*) أطلقت خمس طلقات من مسدس صوب الشاه، أطلقها طالب جامعى يدعى فخر آرابى، وذلك أثناء الاشتراك فى مراسم تأسيس جامعة طهران، وقد نجا منها (باسخ به تاريخ ٨٦ - ١١٤) وكان ذلك فى فبراير ١٩٤٩ الموافق ١٥ بهمن ١٩٢٧. (الثورة الإيرانية د. إبراهيم شتا ص ١٧٩).

وبعد عدة سنوات أيضاً فى ١٩٦٥ (*) (٢١ فروردين ١٣٤٤) لهما مرة أخرى من الموت بالصدفة عندما أطلق أحد جنود الحرس الرشاش صوب الشاه، هاتان الحادثتان كانتا سبباً فى أن يعتقد الشاه فى أن الله حاميه (١) وأن لديه شجاعة نادرة (١).

كان بين حاشية الشاه أشخاص يعتقدون أن مجلساً قادراً بأكثرية قوية فى مواجهة حكومات ضعيفة يمكنه فقط أن يفتح الطريق أمام تسلسل الشيوعيين، واستطاع عدد منهم الاستفادة من حادثة اغتيال الشاه سنة ١٩٤٩، ويجعلونه يقبل بأنه يجب أن يقتل والده، ويعمل على زياده قدرته الشخصية، ولما كانت الأحزاب اليسارية مقصورة فى حادثة الاغتيال، لذا استفاد الشاه من هذا الفرصة وعمل على القضاء وإلغاء شرعية أحزاب اليسار.

كان الإقطاع أحد الأسباب الرئيسية المحرصة للشاه للقضاء على أحزاب اليسار، وفى نفس الوقت سارعت أيضاً الحكومة الإنجليزية لمساعدة الشاه عن طريق "شركة نفط إنجلترا وإيران" واعتبروها بمثابة ورقة رابحة حتى يستفيدوا من وجوده لمد امتياز النفط دون مشاكل (وكان على وشك الانتهاء) (٩).

عندما حدثت مباحثات الحكومة مع شركة النفط الإنجليزية برزت مشاكل عدة منها عدم الاتفاق حول قيمة السهم الإيراني.

عندئذ نهض جماعة من النواب الوطنيين فى المجلس بزعامة الدكتور محمد مصدق لمعارضة تهاون الحكومة فى مباحثاتها مع شركة النفط الإنجليزية، وأعلنوا بأنه يجب تأمين صناعة البترول فى إيران.

عقب هذا الأمر، أثار مصدق (**) المعارضة ضد عقد اتفاقية جديدة مع الإنجليز - بين الشعب وخاصة التجار- بإعلان بنود الحكومة فى مباحثات البترول

(*) فى ١٠ أبريل ١٩٦٤ هجم جندي يدعى شمس آبادى على الشاه وجرح اثنين من حراس الشاه وأصاب اثنين آخرين من حراس الحديقة، وقيل انه كان من اليساريين، وتم هذا فى قصر المرمر فى ٢١ فروردين سنة ١٣٤٤ هـ.ش (باسخ به تاريخ ٣٢٧).

(**) انظر رأى الشاه فى پاسخ به تاريخ ص ١٢٣ - ١٢٤.

ومؤامرات الإنجليز، ونهض رجال الدين أيضاً حتى لا يتكرر سيطرة الإنجليز على الأوضاع مرة ثانية كما كان في عهد رضا شاه، لتأييد تأمين النفط^(١٠).

استطاع الشاه عندئذ أن يسيطر تماماً على قوة الجيش، ولتهدئة الأوضاع أمر أحد ضباط الجيش الأقوياء ويدعى اللواء رزم آرا لتشكيل الوزارة، ولم يمر وقت لرئاسة رزم آرا للوزارة حتى اغتيل أثناء اشتراكه في مجلس عزاء في مسجد شاه.

واختار الشاه بعد قتل رزم آرا في البداية أحد أتباعه ويدعى حسين علاء لرئاسة الوزارة، ولكن أحس فيما بعد أن الاضطرابات كل لحظة تأخذ أبعاداً خطيرة واضطر للرضوخ للضغوط التي تعرض لها من كل جانب من أن يستدعى الدكتور مصدق على الرغم من أنه كان في الواقع مستاءً منه- ليشكل الوزارة (شدة استياء الشاه من مصدق وصلت إلى درجة أنني سمعت الشاه عدة مرات في مواقف مختلفة يصفه بأنه "مسخرة آكل حق الإنجليز").

أجبر مصدق المجلس ليوافق بإجماع الآراء على قانون "تأمين النفط" (*) وبعدها آثار موجة من الفرح بين الشعب بإجبار الشاه بتوقيع هذا القانون^(١١).

إن سلوك مصدق المتتوي مع استمرار أعمال الغش المتوالية، وقد كان من عادته الظهور وقت الراحة في حجرة النوم، ولبس "البهجة" عند استقبال الشخصيات الهامة، وكان إدوارد هريو يقول عنه "مصدق مريض- صحيح تماماً"^(١٢).

حقيقة أن بعض الإيرانيين أثناء تأمين النفط قد نظروا نظرة شك لاعتقادهم أن القوى العظمى تمسك بطرف خيط الأمور في يدها، وكانوا يقولون: إن الشركات البترولية القوية غير الإنجليزية قد حركت إيران لفسخ اتفاقية بترول الجنوب- للسيطرة

(*) وافق المجلس الوطني على التأمين في ٢٩ (سفند ١٣٢٩ هـ.ش) (پاسخ به تاريخ ٤٥٤) يوافق ٢٠ مايو ١٩٥١.

لى سوق النفط، وليس هذا مستبعداً لأنه عندما وصلت اضطرابات مصدق غايتها، توجهت الطبقة الحاكمة وبعض القوى الأجنبية إلى الشاه لإنهاء ما حدث (١٣).

لتحقيق هذا الهدف فإن السى آى إيه دخل الحلبة لتدبير انقلاب، وفى بداية الأمر جاء "كرميت روزفلت" إلى طهران من قبل السى آى إيه لبحث الإمكانيات المتوفرة، ويجد الشخص المطلوب لخلافة مصدق.

بدأ روزفلت بعد تهيئة اللواء زاهدى كشخص أهل للثقة، وإعداد مؤامرة يتم خلالها خروج الشاه من البلاد بعد توقيع أمر برئاسة الوزراء لزاهدى، بتوزيع الأموال على أشخاص مثل "شعبان بي مخ" ليهيئ جماعة من الأهالى العاديين لمصاحبة الجيش للقيام بالانقلاب.

لم تطل عمليات الانقلاب أكثر من يوم واحد وبعدها عاد الشاه إلى إيران عودة الفاتحين، وأسرع نفس الأشخاص لاستقباله فى المطار واصطفوا لتقبيل حذاءه ؛ لأنهم كانوا حتى آخر لحظة يؤيدون مصدق! (١٤).

بعد ذلك ودون مراعاة للحقائق، على الرغم من إعلان الأمريكان أن الانقلاب قام على يده، أعلن أن "ثورة وطنية" قد حدثت، وبعد ذلك ليس هناك شاه بالوراثة بل بانتخاب الأمة.

عقب ذلك اتسعت دعايات الشاه حول هذا الأمر لدرجة أنه صدق نفسه، وبناء على ذلك ازدادت الرغبة للهروب من الحقائق التى تثور فى نفسه كل لحظة، وابتعد أكثر عن الواقع الموجود فى المملكة.

نحو الديكتاتورية:

ولكن نجاح انقلاب ١٩٥٣ (*) (٢٨ مرداد ٣٢) لم يحقق كل آمال الشاه المرجوة وعلى هذا لم تسر الأمور وفق مراده.

استولى المرض على اللواء زاهدى، وطغى الفساد مرة أخرى على كل مكان، وبلغ الضغط خاصة على الشيوعيين بين حزب توده إلى درجة لاتصدق (١٥) وأمسك الشاه بزمام الحكومة ليتخلص من شر زاهدى، ولكن الحقيقة أنه فى ذلك الوقت كان "لأردشير" ابن اللواء زاهدى دور فعال فى مجال تنفيذ الانقلاب، وكان عاشقاً لـ "شهناز" (***) ابنة الشاه، وعرض بلطف عن طريق والده الزواج منها، وعقب ذلك أرسل الشاه صهره للاستفادة منه بدلاً من "علي أميني" فى سفارة إيران فى واشنطن (١٦).

وبعد ذلك وعندما داهم مرض قلبى اللواء زاهدى طلب منه الشاه أن يستقيل من منصبه، واختار مكانه أحد خدام البلاط اسمه دكتور إقبال كرئيس للوزارة (١٧).

كان دكتور إقبال شخصاً يذيل رسائله الموجهة للشاه دائماً بـ "العبد المخلص" وكان الشعب قد لقبه بهذه المناسبة بلقب "العبد- حلقة فى الأذن".

أرسل الشاه اللواء زاهدى بعد إقالته كمندوب دائم لإيران فى المركز الأوروبى لمنظمة الأمم المتحدة فى جنيف ولم يبد زاهدى أبداً عدم رضاه لمنصبه الجديد، ولما كان له علاقة وطيدة بصالات القمار الموجودة فى جنيف، فقد اشترى أيضاً منزلاً بأموال الشاه هناك له واختيار موقعاً مناسباً له، ليجمع حوله أصدقاءه ليل نهار، ولم يتوجه مرة واحدة إلى مقر عمله فى "قصر الأمم" فى جنيف.

(*) انقلاب ١٩٧٣ يقصد به الانقلاب الذى قام به جهاز المخابرات المركزية الأمريكية للقضاء على مصدق وإعادة الشاه إلى الحكم.
(**) شهناز هى ابنة الملكة فوزية.

لقد دخل زاهدى مرة واحدة طوال فترة مهمته إلى "قصر الأمم" كان سببها فقط تقديم أوراق اعتماده إلى أمانة المركز الأوروبي لمنظمة الأمم، وعلى هذا ذكر عمله بأن تصدى بعض المسؤولين الرسميين بواسطة الأفراد لا معنى له إلا إذا أراد النظام أن يبعدهم عن البلاد أو يمنحهم جائزة لخدماتهم.

ولكن عزل اللواء زاهدى عن رئاسة الوزارة قد أساء إساءة بالغة لأردشير، ذكر أحد أصدقائي - يرفض ذكر اسمه - أن أردشير بعد معرفة إقالة أبيه شرب كثيراً وأساء للشاه في حضور جماعة وهو في حالة سكر، وأسماء "جاهل بحق الملح" وقال: لدى وثائق ضد الشاه لو نشرت ستمحو كرامته، وقد أودعت هذه الوثائق أيضاً بنك سويسرى أمانة لاستخدامها عند الفرصة المناسبة (١٨).

على الرغم من إقالة زاهدى ساءت الأوضاع الاقتصادية للبلاد أكثر يوماً بعد يوم، على الرغم من أنه بعد سقوط مصدق تولى مسئولية استغلال نفط إيران مؤسسة مكونة من شركات غربية، لم يتعد دخل إيران من بيع البترول (بتسليم نصيب ٥٠٪) أكثر من المعدل السابق، ولكن بسبب الفساد الواسع وتعطل شئون البلاد ذهب كل دخل البترول هباءً، وأوشكت البلاد مرة أخرى على الإفلاس.

وكان ظهور استئجار العقارات والأراضي، قد أضر الاقتصاد، واستعرضت الطبقة الجديدة التي كانت قد أثرت عن هذا الطريق قوتها في مواجهة قوة الإقطاع، كانت ميزانية الدولة تعتمد على المساعدات المالية الأمريكية، وكان أصحاب الأعمال الحرة يتلافون نقص العملة الحرة بالاقتراض من تجار السوق بفوائد باهظة، وتزايدت البطالة، وعقب ذلك تزايدت أيضاً الاضطرابات السياسية والاجتماعية، في ذلك الوقت عين الشاه تحت ضغط الأمريكان وعلى أمل الحصول على مساعدات أكثر منهم - على أمنيى رئيساً للوزارة، بدأ أمنيى الذى لم يستطع مشاهدة تمرکز السلطة في يد الشاه - التوجه نحو الإصلاحات، ولكن بمجرد أن خطا "إرسنجاني" وزير الزراعة بوزارة أمنيى)

خطوات نحو إصلاح الأراضي أثار عمداً الملاك الكبار والمستفيدين من الأرض، لذا لم يستطع أميني أن يستمر طويلاً، واختار الشاه بدلاً منه أحد مؤيديه الطائعين واسمه "أسد الله علم" لرئاسة الوزارة (١٩).

أظهر الشاه منذ ذلك الوقت وما بعده أسلوبه الديكتاتوري، وخلالها قبض بنفسه على مهمة عزل وتعيين الأشخاص في المناصب الهامة للملكة، وبدأ جهوداً لتنفيذ برامج الإصلاح أيضاً- التي تم إقرارها بالفعل على أساس الدراسات المقدمة من وزارة أميني.

في ذلك الحين على الرغم من أن بعض الرجال القدامى كانوا ضمن أعضاء الوزارة وحاشية الشاه، وحذروه من الاندفاع، ولكن الشاه نحاهم عن طريقه، وأحالههم للتقاعد، واستمر هكذا في طريقه حتى ثار رجال الدين والتجار معاً ضد إصلاح الأراضي سنة ١٩٦٣ (١٥ خرداد ١٣٤٢) (*) وبعد أن سحق الشاه هذه الثورة بقسوة، سجن خميني الذي كان المحرك الأصلي لها، ثم نفاه (٢٠).

وبعد فترة سحق تمرد عشائر القشقائي أيضاً على يد الجيش ونفى زعماءهم، ونال الشاه تأييد الشعب خلال الاستفتاء بأغلبية ٩٥٪ على برامج الإصلاحية وهو مستريح البال (٢١). وعقب ذلك أيضاً ولكي يسد الطريق أمام نفوذ الرجال القدامى سلم الحكومة لجماعة من الشباب التكنوقراط على رأسهم "حسن علي منصور".

وأخضع الشاه خلال فترة رئاسة حسن علي منصور الوزارة لجميع الجماعات السياسية والاجتماعية التي تواجهه، ومثله مثل جميع الديكتاتوريين اعتمد أصلاً على جيش مطيع، وجهاز أمن عنيف، وجماعة من الرجال السياسيين والمطيعين له وسلط منهجه التكنوقراطي على جميع الأمور الإدارية في البلاد.

(*) ١٥ خرداد ١٣١٢ - تظاهر أعداد غفيرة من أهالي طهران وقم ورامين لاعتقال الإمام خميني وهتفوا ضد الشاه (باسخ به تاريخ ٤٥٧).

رافق تنفيذ هذا الأسلوب أن الشاه كان يفكر فى نظرة أخرى لا اختلاف فيها وذلك بالتفكير فى الرقابة بجميع مستوياتها على المشفقين والسياسيين والصحف ونواب المجلس وأخيراً على كل شعب.

كان الشاه لديه فرصة لاستمرار سيطرته بلا منازع وهى بأن يمسك بزمام تنفيذ البرامج الإصلاحية، واستطاع- دون كسب تأييد الشعب أن يبرىء على الأقل نفسه فى نظر الأمة بسبب جميع قراراته، فى بداية الأمر يبدو أنه يستفيد من سيطرته وسطوته فى الطريق الصحيح، لذا على الرغم من إنه فى الظاهر مستبد ، ولكن فى الباطن هو ملك مثقف (٢٢) (١).

اللقاء الثانى والثالث مع الشاه:

خلال التغييرات التى ظهرت على الشاه بعد الانقلاب التقيت بالشاه مرة ثانية فى فرنسا.

اللقاء الأول (الذى كان فى الوقت ثانى لقاء لى بالشاه) كان خلال زيارته لباريس فى سنة ١٩٥٩ (١٣٣٨) والتى تمت بناء على دعوة الجنرال ديغول. فى ذلك الوقت على الرغم من مرور عدة سنوات على استقالتي من طاقم وزارة الخارجية، عملت بمنظمة اليونسكو، مع هذا التقيت بالشاه فى باريس لسببين، أحدهما بناء على طلب "نصر الله إنتظام" (سفير إيران فى فرنسا) لأعد له مسودة كلمة الشاه باللغة الفرنسية، وثانيهما كان لابد أن أحضر بصفتى نائب "الجمعية الإيرانية الفرنسية" وأشارك فى الاحتفالات الرسمية.

ذات مرة ذهبت مع فرنسيين أعضاء باللجنة التنفيذية "للجمعية" للتعرف على الشاه، ولما لم يكن يعرفنى ومثل الجميع عند المصافحة تكلم بالفرنسية ، لذا فضلت ألا يعرفنى، بعدها تحدث الشاه بعده كلمات حول أهمية العلاقات الشفافية بين إيران وفرنسا، وعندما انتهى اللقاء، كنت مستعداً للخروج من صالة الاجتماع، رأيت الشاه

ينظر إلى نصر الله إنتظام، وقال باللغة الفارسية بلهجة المعجب بنفسه: "أترى كيف أذهلتهم بحديثي حول الأمور الثقافية؟".

كان اللقاء الثالث مع الشاه في سنة ١٩٦٢ خلال زيارته لباريس مع الملكة فرح (*) لافتتاح معرض "سبعة آلاف سنة للفن الإيراني" والتي خلالها قدمنى المدير العام لليونسكو للشاه كموظف إيراني بالمنظمة بالإضافة إلى إعدادى لكلمة الشاه بالفرنسية، ثم اشتركت مرة في حفل عشاء كان قد أعد من قبل الشاه على شرف الجنرال ديغول وحرمه، ولكن لم تسنح الفرصة لى خلالها للتحدث مع الشاه.

هذه المرة أحسست عند رؤية الشاه أنه أكثر ثقة بنفسه بالقياس للزيارتين السابقتين لفرنسا، ولماكنت فى ذلك الوقت قد ابتعدت عن إيران فترة وبالطبع لم أستطع أن أعرف أمور المملكة عن كثب لذا لم أهتم بما لدى الشاه من استعداد لتنفيذ برامج الإصلاحية، وأنه على وشك السيطرة على الدولة والحكومة، ولكن اتضح فى زيارته الأخيرة لفرنسا من خلال سلوكه أن تغييرات كثيرة قد طرأت على شخصيته.

بعد ذلك عندما التحقت بطاقم وزارة الخارجية مرة ثانية، كنت أرى الشاه كثيراً سواء فى لقاءات خاصة أو مراسم رسمية، وخلال هذه اللقاءات أدركت أنه على الرغم من موقعه كحاكم بلا منازع لم يزل يستمع لآراء الآخرين وأحياناً لا يتضايق من تدليل حاشيته، ولكن منذ بداية عقد السبعينات ١٩٧٠ (١٣٥٠) طرأ تغيير على شخصية الشاه حتى لم ير منه فى نهاية عهد سلطنته إلا استبداد الرأى والغرور.

اوضاع البلاط فى سنة ١٩٦٥

فى سنة ١٩٦٥ (١٣٤٤) التقيت بالشاه بعد عدة أيام من عودتى من إيران وخلال هذا اللقاء الذى تم فى فيلا الأميرة أشرف (***)، تحدث معى الشاه عن مزايا ثورته البيضاء.

(*) الملكة فرح ديبا الزوجة الثالثة والأخيرة للشاه.

(**) أخت الشاه التوأم.

بينما كان يجلس على مائدة من الممر وضع يديه تحت ركبته ولف قدميه على بعضهما وقال لى: "..... يجب أن ننسى سوء الظنون السابقة ونضع أيدينا فى يد بعض لئنقلد الملكة من التخلف.." ثم أضاف: "عندما أصمم على أن أسير فى الطريق الذى كنت قد حددته بأسرع من اليساريين، بناء على هذا كله يجب أن ترافقونى جميعاً وتعرفوا أن الاقتصاد والسياسة القائمان على الإقطاع قد وصلا للنهاية وبعدها يجب أن يجنى كل شخص ثمرة عمله (١)".

وعندما ترك الشاه إلى المنضدة ليلحق برفاقه فى لعبة البلياردو نظر إلى وقال كأنما هو مشغول بالحديث مع زعيم شيوعى: "يجب على جميع الشباب أن يقوموا بدور فى تنفيذ هذا العمل العظيم".

فى نفس تلك الأيام كانت الأميرة أشرف أيضاً قد بدأت نشاطات لجذب العناصر اليسارية، ولتطويع هؤلاء الذين أحسوا أن إبعادهم عن الساحة أمر باطل ومرفوض، خاصة أنهم مثل الآخرين قبلوا استمرار النظام ، وكانوا يرون أن على الشاه أن يهتم بالمعسكر الشرقى بالإضافة إلى توجهه نحو الغرب، ولهذا السبب لا يرون سبيلاً آخر سوى الارتباط بالنظام، وعلى الأقل يأملون أنه ربما عن هذا الطريق يستطيعون أن يهيئوا المجال لإقرار الديمقراطية من داخل النظام (٢٤).

فى سنة ١٩٦٥ كانت أوضاع البلاط لم تنزل قابلة للتحمل، وكان من الممكن مشاهدة نعيم الحياة عادة على الأشراف.

كانت الليالى التى يعقدها أغنياء إيران والدول الأخرى لإخوة وأخوات (*) الشاه لا تختلف كثيراً عن بعضها، وعادة ما كان الضيوف خلالها يقوم بعضهم بعد تناول العشاء يلعب الورق والبقية ينشغلون بمشاهدة الأفلام.

(*) إخوة محمد رضا هم : غلام رضا وعلى رضا وعبد الرضا وأحمد رضا ومحمود رضا وحמיד رضا ، والأخوات هن: همد السلطنة وأشرف وشمس وفاطمة.

ولكننى كنت سابقاً انتقد الأعمال السينمائية، ودائماً كنت متحيراً من مزاج الشاه فى مشاهدته لأفلام العنف والرعب وأعمال "لويس دوفونس".

ذات ليلة كانوا يعرضون فيلم "زد" (عن قصة لثورة القادة فى اليونان) من أعمال "كوستا-جاروس" فى استراحة الأميرة فاطمة (*) ولم تكدمر نصف ساعة من بداية الفيلم، الذى أثار عصبية الشاه عند رؤيته ، وأمر بإيقاف عرض الفيلم، ولهذا السبب منع مستورد فيلم "زد" أيضاً فيما بعد من عرضه فى دور عرض طهران حتى لاتأخذ نتائج عرضه بخناقة.

فى أحداث تلك الليلة كان مسئولو المملكة جميعاً مستعدين وتحت إبط كل منهم ملفاً، ومنتظرين الفرصة ليستطيع أن يعرض خلال عدة دقائق مطالبه على الشاه، ويأخذ أوامره فيما يعترضه من أمور، وعند مشاهدتى الوضع الذى اختاره الشاه لإدارة شئون البلاد، أصابتنى الحيرة.

على الرغم من أن الاتحاد والتضامن الظاهريين كانا ملاحظان بين أخوة وأخوات الشاه ، لكنه لاوجود لأى نوع من المحبة بينهم وبين بعضهم، لأنهم كانوا من أمهات مختلفات (***) وكان أكثرهم يذم الآخر فى جلساته الخاصة علانية وأنا شاهد على مثل هذه المواقف، وكنت أظن فى بداية الأمر أن المسألة نوع من المزاح ، ولكن بعد ذلك أدركت بقلق شديد أن عواقب هذا الاختلاف بين أفراد أسرة الشاه سيترك آثاراً سيئة على أوضاع البلاد.

(*) ابنة عصمت الملوك دولتشاهى وآخر بنات رضا شاه تلقت دراستها فى إيران وأمريكا وتزوجت من خسروخان قشقائى ولم ينتج هذا الزواج فتزوجت من أمريكى أسلم وسمى على هيلر ثم انفصلا وتزوجت من محمد خاتمی (زندگى پرماجراى رضا شاه ج ١ ص ٧٣-٧٤-٧٥).

(**) تزوج رضا شاه من صفية وتاج الملوك وتوران أمير سليمانى وعصمت الملوك.

- ٢٤٤ -

كان لكل واحد من أمراء بهلوى تشكيباً بمشابة بلاط صغير فيه خدم وحشم كثيرون ، وكان أتباعهم يتحلقون بهم، وكانوا لا يكفون عن السعى لإشاعة أحاسيس الكراهية ضد أفراد الأسرة الحاكمة الآخرين.

فى البداية لم تكن أسرة الشاه تتدخل مباشرة فى الأمور التجارية والمعاملات إلى هذا الحد، ولكنهم كانوا متعاونون فقط مع أفراد فى جانب خاص، ودخلوا عن هذا الطريق، وكان الشاه أيضاً فى العادة مطلعاً على أمورهم.

ولكن مع مرور الوقت- وبشكل خفى- تغير هذا الوضع، حين تزايد سعر النفط وضعف تحكم الشاه على أسرته، فجأة ارتفع نهم الأمراء البهلويين للحصول على الثروة أيضاً كأنما لن يشبع أبداً، وعقب ذلك عندما أثارت تصرفات الأسرة الحاكمة الطبقات المختلفة، وصل الأمر إلى إنه منذ سنة ١٩٧٧ وما بعدها جعلوا إيران مثل قطعة لحم بين قطيع من الكلاب الجوعى.

نقاط ضعف الشاه:

بينما كنت مشغولاً بتنظيم مذكراتى لفت نظرى وجود نقاط ضعف كثيرة عند الشاه، التى يجب أن يعد أهمها إحساسه بالحسد.

فى سنة ١٩٦١ (١٣٤٠) كان على أمينى أهلاً لبغض وحسد الشاه، بسبب علاقته مع جماعات سياسية مختلفة داخل وخارج البلاد، وبعدها فى سنة ١٩٦٧ شاعت شائعة تنامى قدرة على أمينى ثانية فى طهران، وقد شاهدت هذا الأمر على الشاه فى أحد لقاءاتى، ولكنه هون منها بلا مبالاة وقال: "أمينى ليس سياسياً حقيقياً"، وعندما عينته على رئاسة الوزارة كان أول كلامه للشعب إعلان إفلاس المملكة، بينما السياسى لا يجب أن يتكلم كى لا يقلق الناس دون جدوى..." وأضاف مقطباً الجبين: "الأسوأ من كل هذا أنهم عندما أراهم فى أمريكا يسألوننى فى كل مكان أصل إليه أولاً عن حال وأحوال رئيس الوزراء، وكأنما لا يحسبون لمعاملاتهم حساباً".

ومن نقاط ضعف الشاه الأخرى، إعطائه أهمية للأمور الفرعية جداً والتافهة لدرجة أنه كان يتصورها أحياناً كارثة.

فى سنة ١٩٦٨ عندما كنت منهمكاً فى الحديث مع الشاه ، وكنا نبحث خطة عقد مؤتمر حقوق الإنسان لمنظمة الأمم المتحدة- الذى سيعقد فى شهر مايو من نفس السنة فى طهران- فى البداية هز الشاه كتفه وقال: "لم لا؟" ولكن بعد لحظات من الصمت قال ثانية : "الحقيقة يجب أن تعرف هذا الظلم لأن الناس لا يعرفون دورهم جيداً، ففى سنة ١٩٥٠ وقت رئاسة نصر الله انتظام للجمعية العامة للأمم المتحدة، ذهبت إلى هناك، سلك معى سلوكاً كأنما رفعه منصب رئاسته وأبعده ولم يعد يؤدى مهمته ويقبل يدى...".

إنه كان يعتقد أن إثنين من رؤساء أمريكا يستوجب انتقادهما، أحدهما "فرانكلين روزفلت" الذى أجبر الشاه فى زيارته لإيران سنة ١٩٤٣ أن يذهب للقائه (بينما كان ستالين فى نفس الوقت يتجشم الصعاب للقاء الشاه؛ والثانى "جون كنيدي" لأنه لم يكن يصف الشاه فى أى وقت بأنه شخصية هامة.

وكان الشاه مستاءً من جمال عبد الناصر أيضاً لأنه كان يهاجمه فى خطبه، وإذا جرى اسم عبد الناصر على لسان أحد فى مقابلته بدا عليه حالة عصبية على الفور.

فى عهد نظام الشاه كانت إيران الدولة الوحيدة التى كان لديها "وزارة حرب" (*) بدلاً من وزارة دفاع، وسبب ذلك ليس إلا لبغض الشاه لمصدق، لأنه كان فى عهد رئاسته للوزارة قد غير اسم هذه الوزارة إلى "وزارة الدفاع" ولم يستطع الشاه أن يتقبل الاسم الذى اختاره لمصدق.

لم يكن لدى الشاه عيناً ليرى إنساناً يحبه الناس، وقد أغضب حب الناس لمصدق نجاحه فى تأميم بترول إيران الشاه، وأيضاً فيما يتعلق بحسن على منصور فقد

(*) لم تكن إيران فقط هى التى لديها وزارة حرب بل كان هناك العديد من الدول ، ومنهم مصر وظلت وزارة الحرب قائمة حتى عقد اتفاقية السلام مع إسرائيل.

ورد فى بعض الأوساط أن قتله بقدر ما سبب للشاه قلقاً أراحه ، لأن سلوك وأقوال منصور كانت من الممكن أن تجذب الكثيرين حوله.

وكانت حاسة الحسد عند الشاه قد بلغت حدّاً أنه كان يحسد زوجته أيضاً وأحياناً فيما تفعله، ومن الأفضل أن أشير إلى ما حدث، وعلمته أنا شخصياً؛

فى سنة ١٩٧٣ انتقدت الشهبانو (*) خلال كلمة - كانت تذاع بالراديو والتلفاز- المتلقين والمنافقين، وأشارت إلى ضرورة إقرار حرية التعبير، ولكن الشاه استدعى أخى على الفور بعد هذا، وأمره: "قل للشهبانو فوراً: لا يجب أن تتحدث مرة أخرى بمثل هذا الكلام" وقال لى أمير عباس قبل أن يتخذ أى خطوة: " قل لى ماذا أفعل؟ وكيف أسمح لنفسى بالتدخل فى أمور لا تخصنى؟ طالما الشاه لا يجد فى نفسه جرأة للفعل، وعندما يرى شخصاً آخر قادراً على فعل هذا الأمر لا يستريح".

بالإضافة إلى ما ذكرته، فى شخصية الشاه، يلاحظ تناقضات كثيرة سببها أن كثيرين ينظرون إليها نظرات مختلفة عن الآخرين ، دين راسك (وزير خارجية أمريكا الأسبق) يعتبر الشاه أحد الرجال الأكثر معرفة فى العالم بعد رؤساء أمريكا، هنرى كيسنجر يعتبره ملكاً مستبداً ولكن "مثقفاً"، وليم سايون (وزير خزانة أمريكا الأسبق) كان يعتقد أن الشاه أحمق، وطبقاً لما قالته: "سينثيا هولمز" (زوجة ريتشارد هولمز رئيس السى آى إيه وسفير أمريكا فى طهران): تتكون شخصية الشاه من عدة متناقضات (نيويورك تايمز بتاريخ ١٧ يناير ١٩٧٩) وأسباب أخرى من هذا القبيل...مع أنها أكثر مما قيل ، ولكن الحقيقة هى أن العيوب الموجودة فى شخصية الشاه وحتى أواخر عهد حكمه- وخاصة فى الشهور الثمانية الأخيرة، كان يجب ألا يسقط عنها الحجاب (٢٥).

عندما أنظر إلى الماضى، أدرك أنه يجب بحث واحدة من أهم نقاط ضعف الشاه وهى فى علاقته بأسرته وأصدقائه وأيضاً ، يجب الاهتمام بأن سلوك وأعمال أفراد

(*) فرح ديبا.

الأسرة الحاكمة وأصدقاء وأتباع الشاه لم يكن له تأثير فى تخريب قوائم سلطنته، وعندما كان هؤلاء يميلون لعمل شيء يقومون به وكان الشاه دون تفكير فى عواقب أعمالهم دائماً يغض الطرف عن أخطائهم.

بالإضافة إلى ذلك أنه كان ينظر إلى جميع أفراد الأسرة، وحاشيته ورجال الدولة وقواد الجيش أيضاً نظرة تأفف، وإذا أراد أن يذكرهم كان يحيل فى العادة هذه المهمة إلى آخرين، ذات مرة أثناء إجراء مناورة عسكرية استاء الشاه عند مشاهدة الشارب الكثيف لغللامرضا (*) (أخوه) وبدلاً من أن يعرض الأمر مباشرة عليه نظر لوزير بلاطه "علم" وطلب منه أن يقول لغللامرضا: إما أن تحلق شاربك أو تستقيل من الجيش.

فى موقف آخر، عندما أخبروا الشاه، أن رئيس التشريفات الملكية قد نال أموالاً طائلة لتلقيه هدايا غالية عند تسليم الميداليات والنياشين للأفراد فأصدر أمراً على الفور بعزل وحبس رئيس التشريفات، ولكن لما توسطت أم الشاه (***) ألغى الشاه أمره وقال: عند إطلاق سراح رئيس التشريفات للاستمرار فى أعماله، فقط هذه الجملة الكافية أنه: "من الأفضل ألا تقع عينيه عليه مرة أخرى (٢٦)".

عمى الذى التحق فيما بعد بالبلاط كان مرافقاً للشاه عند زيارته لإحدى المستشفيات الحديثة البناء منذ عدة سنوات، وعرف أنه فى هذه المستشفى جميع الأسرة مشغولة بالمرضى، وكان الأطباء والمرضات يعملون بجهد، وبعد زيارة الشاه، كان عمى قد ترك قبعته فى المستشفى فاضطر للعودة ليأخذها من مكان الملابس، ولكن اندهش كثيراً لأن جميع الأسرة خالية وهؤلاء الذين كانوا يمددون على الأسرة كمرضى قد اختفوا. قال عمى: عندما علم الشاه بما حدث هز كتفه بلا مبالاة تماماً وقال: لا تهتم كثيراً، إننى لا أقلق من هذه الأشياء ا".

(*) كان غلام رضا شخصاً لا يحب التسلط وكان مثقفاً وقد عهد إليه بولاية العهد قبل إنجابه لولى عهده، وقد شغل عدة مناصب فى الجيش (زندكى پرماجراى رضا شاه ج ١ ص ٥٣-٥٤).
 (***) تاج الملوك.

فى حين لم يكن والد الشاه - على عكسه - لايهتم بمثل هذه الأمور، وفى هذا الصدد يذكرون: أن رضا شاه عندما جعل جميع المحافظين يعملون للزراعة فى أماكن محدودة لمحافظاتهم، توجه ذات مرة إلى نواحى عبادان بسيارة ليرى بعينه مزرعة نخيل جديدة قد تم زراعتها على جانب الطريق، أمر بالتوقف ومشى عدة خطوات بحجة دفع التعب حتى وقف بجوار إحدى النخلات واتكأ عليها بيده، ولما لم تتحمل النخلة وسقطت، فهم الجميع أن محافظ خوزستان لكى يسعد رضا شاه اقتلع عدداً من النخل من مكان آخر وغرسها فى الرمال بجوار الطريق.

لكن لا يوجد اختلافات كثيرة بين الأب والابن فى أمور أخرى، وكلاهما متشابهان فى جوانب كثيرة.

التشابه بين الأب والابن:

سعى الأب والابن لجعل المؤسسة العسكرية الموجودة تحت سيطرتهم، مع أن كلامهما أحياناً كان يمنح الأوسمة ويصدر أوامر العفو عن المسجونين أيضاً، لكن لم يكن سلوكهما فى كثير من أعمالهما إلا تعبيراً عن القسوة والعنف، مثلما سجن الشاه عدداً من مساعديه السابقين وقتلهم بعد ذلك، ونفى أيضاً جماعة من معارضيه، ومات بعضهم فى المنفى.

ويشابه محمد رضا بهلوى (*) أباه فى هذه الناحية، ولكن الإعدامات التى حدثت فى عهد حكمه فاقت ما كان فى عهد رضا شاه، ويجب إضافة إعدام بعض معاونيه بعد الثورة أيضاً فى حسابه، لأنه قبض عليهم وسجنهم وبعد ذلك لجأ بنفسه وتركهم.

(*) يقول محمد رضا فى كتابه مأمورية براى وطنم ص ٧٠: إن أبى كان خلاناً لما يظن، رجلاً طيباً ورقيق القلب.

كان محمد رضا انطوائياً أكثر من أبيه (*) على الرغم من أن سنوات حكمه طالت، وكان يبتعد عن محادثة الآخرين - حتى عائلته، ولكن عوضاً عن ذلك كان يرغب أكثر في محادثة الأجانب، ولهذا الأمر أدى إلى أن يزيد أكثر في مراسم البلاط ويضفى عليها حالة من السرية.

كان لرضا في آن واحد ثلاث زوجات (***)، وتزوج محمد رضا شاه أيضاً ثلاث (***)، ولكن تزوج كل واحدة بعد طلاق الأخرى.

سمعت فيما يتعلق بزوجتي الشاه الأولى والثانية (فوزية وثرثا) أنهن كن يشتكين من خيانتته وغدره، ويذكرون أن فوزية كانت أكثر إيذاء من الشاه، والدليل على ذلك أنها رأت ذات مرة في سنة ١٩٤٤ في خلوة مع امرأة أخرى، ولهذا السبب عندما سافرت فوزية في ربيع سنة ١٩٤٥ (١٣٢٤) لزيارة أسرتها في مصر، لم ترجع إلى إيران ثانية، حتى صدر بيان رسمي من البلاط بطلاق الشاه من فوزية.

ويجب أن أذكر ما يتعلق بزواج الشاه من ثرثا، ففي سنة ١٩٤٩ (١٣٢٨) عندما كنت أعمل في سفارة إيران في فرنسا، وذهبت ذات يوم إلى المطار لاستقبال الأميرة شمس وزوجها اللذين كانا قد وصلا مع عدد من الكلاب إلى باريس (يجب أن أضيف حول ذلك أيضاً أنه طبقاً لما كتبتته الصحف أنه في كل مكان سافرت إليه الأميرة شمس بالطائرة، كانت عادة تحجز كرسيين لتأمين راحة الكلاب التي برفقتها) رأيت في مطار باريس مع مرافقي الأميرة فتاة جميلة خجولة وطبقاً لما هو معمول كانت

(*) تقول زوجته الثانية ثرثا : إن رضا شاه كان شخصية قوية، وكنا جميعاً نخافه، وكان كافياً أن ينظر إلى أحدنا، كنا نخشاه كثيراً ومضطرين لإطاعته واحترامه حتى لو لم يكن لديه حق. (خاطرات ثرثا ص ٦٣-٦٤).

(**) تاج الملوك وتوران وعصمت الملوك.

(***) فوزية وثرثا إسفنديارى وفرح ديبا.

مستولية استقبالهم منوطة بى، ظل اسمها الذى كان مكتوباً فى جواز سفرها، ثريا إسفندبارى بختيار عالفاً فى ذهنى، وبعدها أخبرنى سفير إيران أن ثريا ستكون زوجة الشاه القادمة.

قال السفير أيضاً : طالما أن أم ثريا ألمانية فإنها تعتبر أيضاً ألمانية، ويجب أن أشتري عدة قصص باللغة الألمانية وأرسلها لها إلى طهران، واخترت لها مع عدة كتب مؤلفات "توماس مان" أيضاً وأرسلتها إلى طهران، ولكن استدعانى السفير بعد فترة، وقال لى بلهجة قلقة مضطربة "لماذا كانت بعض الكتب التى أرسلتها لكتاب شيوعيين؟" وحقيقة لم يكن هناك من فائدة لإخبار السفير بالأسباب، طالما أن رجال إيران فى ذلك الوقت كان أغلبهم يجهلون الأعمال الأدبية العالمية.

أحيث مراسم زواج الشاه وثرى فى قصر الجلستان أساطير "ألف ليلة وليلة" فى الذكريات، ولكن حين غادرت ثريا إيران فى سنة ١٩٥٨ (١٣٣٧) جرت الشائعات حول سبب انفصالها عن الشاه على الألسنة.

الشائعة التى انتشرت من قبل البلاط تذكر أنه لما كانت ثريا عقيماً ويريد الشاه أن يتزوج من أخرى لينجب ابناً لخلافته، ولكن البعض الآخر كانوا يعتقدون أن علاقات الشاه بالنساء الأخريات قد أدى أيضاً إلى فضيحة، ولما كنت فى ذلك الوقت لا أعرف شيئاً عن الحياة الخاصة بالشاه لم أهتم كثيراً بمثل هذه الشائعات.

بعد ذلك سمعت كثيراً عن نزوات الشاه من هذا وذاك، وأخبرنى عدد من معاونى أن أردشير زاهدى وأسد الله علم مسئولان عن إعداد مجالس اللهو له، ولكن مع هذا لم أستطع أن أصدق هذا الأمر فى ذلك الحين، حتى التقيت فى سنة ١٩٥٩ فى نيويورك مع امرأة أمريكية كانت تدرس الإنجليزية لسنوات فى طهران، وسمعت منها أنها خلال فترة إقامتها فى طهران دعاها علم ذات ليلة للاشتراك فى ضيافته فى منزله، وهناك أحسن استقبالها وتكريمها وقادها إلى غرفة استقبال لم يكن فيها أحد، وبمجرد أن خرج علم من الغرفة فتح باب آخر ودخل الشاه، ولكن لما لم يستطع الشاه بعد مدة أن يهدئها، غادر الغرفة وذهب.

ثروة أسرة بهلوي:

كان رضا خان محباً جداً لجمع المال، وكما ذكرت من قبل أنه استولى طوال فترة حكمه على أملاك كثيرة من الشعب، وضمها إلى أملاكه، ولكن ما قدر ثروة محمد رضا؟ يجب أن أقول أنه فيما يتعلق بمقدار ثروته فقد نشرت الصحف أرقاماً فلكية.

على سبيل المثال، ادعت صحيفة نيويورك تايمز في عددها المؤرخ في ١٠ يناير ١٩٧٩ استناداً إلى مآلاته مصادر بنكية عالمية أن: "...الأوراق المالية الخاصة بالشاه فقط تقدر بمليار دولار، وقد نُقل أيضاً مبلغ ما بين ٢ إلى ٤ مليار دولار فقط خلال السنتين الأخيرتين على يد الأسرة الحاكمة من إيران إلى أمريكا....".

طبقاً للشائعات المنتشرة أن "مؤسسة بهلوي" كانت تشكل أهم جزء من ثروة الشاه لأن هذه المؤسسة كانت كلها في إقطاعاته، وقد أشار التقرير الذي نشره معارضو النظام في خريف سنة ١٩٧٨ (١٣٥٧) أن مؤسسة بهلوي وأسرة الشاه من المساهمين الرئيسيين لأكثر المؤسسات والشركات الموجودة في إيران:

وفي هذا التقرير، ليس في مقدوري أن أؤكد كل ما جاء فيه، وقد أشار الفهرس بارتفاع رؤوس أموال أسرة بهلوي لدرجة أن ما يتعلق بمؤسسة بهلوي وأفراد أسرة الشاه على النحو التالي: الأسهم الرئيسية لـ ١٧ بنك وشركة تأمين، ٢٥ مصنع، ٨ شركات استخراج المعادن، ١٠ مصانع لمستلزمات البناء، ٤٥ شركة مقاولات للطرق والبناء، وكثير من المؤسسات الأخرى في إيران.

وأورد التقرير أمراء بهلوي القائمين بالدلالة والوساطة أو الشراكة من أجل العمولة من الشركات المختلفة، وقد نشر هذا القسم من التقرير في طهران في أواخر ديسمبر ١٩٧٨ (آذر ١٣٥٧).

استطاعت الأميرة أشرف عن طريق ابنها الأكبر (شهرام) (*) أن تحصل على عملات ضخمة نظير عقد اتفاق مقاولات مع عدد من الشركات العالمية الكبرى، ومبيعات شركة "داسو" الفرنسية لإيران، ومشروع محطة الطاقة الحرارية ببناء شركة "براون باوري" السويسرية، ومقاولات منشآت ميناء چاه بهار على يد شركة "براون أندروث" ولجحت الأميرة شمس من استعمال نفوذها لتعدل خط سير طريق طهران - كرج حتى يمر وسط أملاكها لتتمكن من أن تباع أراضيها بسعر مضاعف عما هو معمول به لشترين معروفين، كما كانت تحصل على نفقات سفرياتها الباهظة أيضاً من ميزانية "منظمة الشمس والأسد الحمراء" (الهلال الأحمر).

وفى هذا القسم الذى أفشى مسائل كثيرة، جاء فيه: أن محمود رضا على الرغم من حصوله على امتياز زراعة الأفيون، كان يبيع إنتاج أملاكه فى السوق السوداء، وفى جنوب مدينة طهران كان غلام رضا يعمل فى بناء الشقق وبيعها للناس، وتلقى الأمير عبد الرضا (***) رشوة من الشركات اليابانية ليهيئ لهم فى إيران تسهيلات تجارية، كما تلقى أيضاً عمولات فى تأسيس مصنع لصناعة الورق ومترو طهران.

وقبل ذلك كان قد أشيع فى أوائل سنة ١٩٧٥ (١٣٥٤) فى كل أنحاء المملكة أن أسرة الشاه لها مصالح بشكل مباشر أو غير مباشر فى أكثر من نصف الأنشطة الاقتصادية للبلاد.

(*) شهرام بهلوى نيا ابن على قوام وكان يعمل فى القوات البحرية، وعمل نائباً لقائد القوات الجوية وفر إلى باريس بعد قيام الثورة الإسلامية حيث تم اغتياله.

(**) عبد الرضا ابن عصمت الملوك - وصفته التقارير السرية للسفارة الأمريكية فى طهران أنه أفضل آل بهلوى ثقافة وفكراً وكان هذا سبباً فى حسد الشاه له، (زندگى پرماجرای رضا شاه ج ١ ص ٦٤).

فى ذلك الحين على الرغم من أنه يبدو وجود رقم مبالغ فيه أكثر فيما يتعلق بمصالح أسرة بهلوى، الحقيقة أنه لم يكن متوفراً وسائل إدراك صحة أو خطأ هذا الرقم، ومع هذا اتضح أن رجال البلاط لا يمكنهم مطلقاً أن ينفقوا بدخول معتادة بمثل هذا البذخ.

أرأى أخى فى سنة ١٩٧٧ (١٣٥٩) وثائق تثبت أن أفراد أسرة الشاه يشتركون فى معاملات غير قانونية، حقيقة فى نظرى أن عدم قانونية أنشطتهم كان متعارضاً مع الأمر الصادر من قبل الشاه سنة ١٩٥٩، والذي على أساسه لا يحق لأى من موظفى الدولة وأفراد الأسرة الحاكمة حق الاشتراك فى المعاملات الحكومية.

قال أمير عباس: فى سنة ١٩٧١ (١٣٥٠) عرض هذه المسألة على الشاه وعلى الرغم من أن يده كانت مغلولة تماماً أمر بأن يوقف رئيس الوزراء نشاط عدة مؤسسات لبيع العقارات التى تتعلق بالأمراء وأعضاء البلاط ولكنهم استطاعوا بعد فترة قصيرة أن يستأنفوا عملهم ثانية وأدى نتيجة هذا إلى أن ناصب جميع الأفراد والتابعون للبلاط العداء، لأمير عباس.

بعد تعيين أخى وزيراً للبلاط، اهتم بالوضع الذى كان يسود كازينوهات إيران وصمم على أن يتدخل فى شئونها، وبعدها سمعت منه أنه كان يهدف فى الواقع أن يمنع استمرار عمل الكازينوهات.

وبدا أمير عباس فى أغسطس ١٩٧٨ (أواخر مرداد ٥٧) خطواته بشأن الكازينو الذى كانت الأميرة أشرف شريكة فيه، وقبل عزله من وزارة البلاط بعدة أسابيع سلم صورة لقرار مرتبط بإدارة أمور صالة القمار- لبحثه عن طريق الخبراء لبحث النقاط المتعارضة مع القانون فى نص قرار عمل الكازينو- ليجد طريقه للإغلاق، ولما كان أخى يؤمن بأن لعب القمار مخالف لقانون الإسلام (١) وأن استمرار عمل صالات القمار استطاع أن يلحق الضرر بالشاه والمملكة (١) ولكن بعزله عن وزارة البلاط تم إهمال هذه القضية (٢٧).

على كل حال لم يكن هناك سر خفى لكى تضرب أسره الشاه، بتدخلها فى شئون التجارة والسيطرة على المعاملات المختلفة، عرض الحائط، ومع أن جميع الشعب الإيراني تقريباً كان يعرف ما يحدث، ولكن رجال البلاط كان فى تصورهم أن مثل هذه الأمور لا يمكن أن تصيب مكانة الشاه بأقل أذى.

فى نفس هذا الوقت سمعت خلال لقاء لى مع تاجر هندى فى منزل أحد أصدقائي الأمريكان- أن لديه معلومات كثيرة عن أحوال إيران وهى أن: "أسرة الشاه بسيطرتها وحصر المعاملات ذات الفائدة فى إيران لصالحها، قد أبعدت جماعة من مساعديهم كأعداء لهم، وعندما يسعى شخص منفرداً للاستفادة من المعاملة، يتدخل أمراء بهلوى فوراً فى الأمر، ويحرمونه المنفعة.....".

ويشبه التاجر الهندى ما يحدث فى بلاط إيران بمعاملات "سنجاي غاندى" (*) فى الهند.

الأبوة :

كانت حالة الأبوة من الخصوصيات الأخرى البارزة فى شخصية الشاه التى رأيت آثارها خلال زيارة الشاه لنيويورك فى خريف سنة ١٩٦٩ (١٣٤٨) رأى العين. فى ذلك الوقت كنت أعمل ضمن أعضاء وفد إيران فى منظمة الأمم المتحدة وكان أردشير زاهدى أيضاً قد جاء إلى نيويورك بصفته وزيراً للخارجية مع الشاه.

خلال لقائى الذى تم فى مطعم برج فندق "الدورف آستوريا" مع أردشير زاهدى تحدث معى معرباً عن سعادته البالغة من استضافة الشاه الخاصة على شرف "أوثانت" (الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة آنذاك) قال لى: "...أتعرف كم كان مهماً عقد مثل هذه الضيافة، حتى يقوم جلالته بإظهار الرضا السامى ليشملنا برعايته، ولكن يجب

(*) ابن انديرا غاندى وكان طياراً، وقد سقطت به طائرته ومات.

أن أعترف أنه على الرغم من عدم تقديم الحلوى ، لكن الأشياء الأخرى كانت نور على نور، عندما رأيت أنه بعد الغذاء قدمت الحلوى مع العلم أن جلالته لا يحب الحلوى ويفضل الحليب المجمد، لذا نبهت هما (زوجة مهدي وكيل - سفير إيران في منظمة الأمم) إلى هذا الأمر بإعطائها ورقة على الفور، ولكن بعدها تعجبت تماماً لأن الخدم قدموا الحليب المجمد لجلالته فقط، وكان السيد أوثانت شاهداً لذلك، ومع ذلك تظاهر بعدم الاهتمام، حقيقة في نهاية الضيافة قلت للخدم لماذا أحضرتم الحليب المجمد فقط لجلالته وأهملت أوثانت؟... ويجب إن أقول أن غير هذا الأمر صار كل شيء حسناً وطيباً ، وسر جلالته من هذه الضيافة، ولكن فيما بعد يجب أن أهتم بالخدم الملمين بالآداب والأكثر خبرة....".

عندما انتهى أردشير زاهدي من وصف ما حدث في الضيافة، سألته عن مباحثات الشاه وأوثانت على مائدة الغذاء، ولكنه لم يستطع أن يعطي جواباً سليماً، ووجه إلى فقط هذا الكلام من أنه : طالما كانت كل حواسه موجهة نحو الحفاوة فلم يعلق بذهنه شيء حول مباحثاتهما.

وفي نظري لم يكن أردشير زاهدي في الواقع على استعداد لفهم الأمور السياسية، ولو اختار وظيفة تقديم الخدمات كان من المؤكد أن يترقى أكثر، ولا أنسى في يناير ١٩٧٠ أنه عندما كنا معه ومع عدة أشخاص آخرين لبحث مسألة البحرين^(*) في حضور الشاه، أبدى أردشير زاهدي وجهات نظر رد عليها الشاه بلهجة قاسية وقال: أنت لا تعرف شيئاً كم أنت تشبه دون كيشوت؟" وبعد أن انتهينا من هذه الجلسة نظر إلى أردشير وسأل باستنكار " حقيقة ماذا يعنى جلالته من تشبيهى بدون كيشوت؟ هل كان دون كيشوت رجلاً ظالماً؟".

في ذلك اليوم الذى تحدثت فيه مع أردشير زاهدي فى مطعم فندق "الدورف

(*) كان الشاه يعتبر البحرين جزءاً من إيران.

آستوريا" أبلغنا "مهدي وكيل" (سفير إيران فى منظمة الأمم) بنفسه، وقال لنا والبسمة فوق الشفاه: "ألا تعلمون أن جلالتكم كم أكرمنى وأبدى رضاه من أفعالى؟" وبعد لحظة لحق بنا قنصل إيران فى نيويورك، فقال بسرورجم "أتظنون لماذا أنا سعيد إلى هذا الحد، أتعلمون أن جلالتكم مسرور من مشاهدة أعمالنا فى القنصلية لدرجة أنه باركنى وأبدى سعادته من أفعالى.....".

كانت هذه الحركات حقيقة مثل حركات الأطفال الصغار، لأنه إذا مسح الأب يده عطفاً على رؤوسهم، فإنهم من شدة السعادة لا يعرفون الرأس من القدم، مستعدين أن يعملوا بأى شكل ليستمتعوا إلى كلمة عطف من الأب.

كان الدخول إلى البلاط شبيهاً جداً بالعودة إلى مرحلة الطفولة، وكانت حالة أبوة الشاه قد أظهرت هناك حالة لدرجة أن كل شخص عمل عملاً لا يهدف منه إلا جذب نظر الشاه وكسب رضاه، وكانت هذه المسألة قد امتدت بالإضافة إلى البلاط، وعمت أيضاً المجتمع، وبدأ أكثر الناس وكأنما يؤدون الأعمال فقط لإرضاء من هم فوق.

وكانت ثورة الشباب الإيراني ضد الشاه أيضاً -وفى الحقيقة- ثورة ضد نفس هذه العلاقة.

التغيير الكبير:

حاولت فى هذا الفصل إلى حد ما أن أحلل شخصية الشاه استناداً إلى بعض الأمور والخواطر، وما توفر لدى، وأيضاً رسم صورة له مركبة من التناقضات والقسوة ونقاط الضعف التى ظهرت فى ذلك الحين فى سلوكه وأفكاره، ومنها ما يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار أن الشاه أيضاً له طبع مثل باقى الناس، وطبعاً فى مسيرة حياته مثل الآخرين يمكن أن تظهر جوانب ضعف وقوة.

ولكن المشكلة هنا هى أنه فى بحث سلوك وشخصية الشاه على الأقل حتى بداية عقد السبعينات ١٩٧٠ (١٣٥٠) علينا ألا نهمل الأسباب التى هى علامة ضعفه

المفرط فى حل المشكلات المحيطة به، وبينما كان الشاه منذ بداية حكمه حتى ذلك الوقت مثل جميع البشر كان يغير مواقفه وأفكاره مرات، وبسبب موقعه الخاص فإن هذه التغييرات كانت تترك أثراً على شئون الحكومة والبلاد، وهذه المسألة كانت أمراً بديهياً بالنسبة له قياساً مع حكام العالم، لكن اختيار العزلة والابتعاد عن المقربين والانفصال عن الناس أيضاً كانت من الخصائص غير القابلة للاجتناب من شخص فى موقع الشاه.

ولكن فيما يخص الشاه كان واضحاً على وجه الخصوص أن شخصيته بعد إقامة مراسم الاحتفال بذكرى ٢٥٠٠ سنة فى تخت جمشيد قد تغيرت تماماً، ولا يمكن تحديد تاريخ دقيق لهذا التغيير النفسى، لكن على الأقل يمكن أن تعتبر زيارة نيكسون لإيران فى سنة ١٩٧٢ نقطة تحول له، كما تعتبر الأحداث المنتهية بمضاعفة سعر البترول إلى أربعة أضعاف فى سنوات ١٩٧٣ و ١٩٧٤ أيضاً كسبب آخر لتسريع تغيير الشاه.

وقبل ظهور مثل هذا التغييرات فقد هيات بعض الأسباب الواضحة أيضاً فى سلوك الشاه مجال تغييره فيما بعد وإذا أردت أن أصرف نظرى شخصياً عن الحكم، يجب أن أقول : إن بعض المصاعب، وعدم الاهتمام بالواقع واللامبالاه بالرأى العام كان لها دخل فى هذا الأمر، هذه العوامل الثلاثة أيضاً هى البلاء الذى يأخذ عادة بخناق الديكتاتوريين، أو بطول عهد سيطرة السياسيين.

بالإشارة إلى الأحاديث الصحفية التى أدلى بها الشاه بعد سنة ١٩٧٤ (١٣٥٣) كان هذا السؤال مطروحاً هل كان يعانى من جنون السلطة، أم أنه كان أسيراً قبيل تصلب شرايين المخ؟ لست واثقاً من أيهما؛ ولكن إذا لم يكن مثل هذا، فكيف أمكنه أن يقول : هل نحن فى إيران بدلنا المتاعب البدنية بالمتاعب النفسية؟ أو يهاجم الغرب ويتهممهم بالجهل؟ أو يجرى على لسانه كلاماً بديناً ضد النساء ورجال الدين؟ أو يتهم مصدق بأنه "عميل الإنجليز"؟ أو يبذرى آراء فجأة لا يمكن سماعها وتصديقها على لسان رئيس مملكة؟

كان الشاه يقلل قدر المستطاع من تعاطفه واهتمامه بأقوال الشعب والرأى العام، ويتعمق أكثر في دنيا الأوهام والخيال التى يصنعها لنفسه، والأشخاص المشابهون لذلك يعانون من داء العظمة أو الشيزوفرنيا.

إننى هنا لأقصد أن أشخص نوع مرض الشاه ، ولكن لأعرف تحليل حالاته النفسية للوقوف على أسباب التغيير فى شخصيته، وطبقاً لما أراه فى كراسة مذكراتى فإنه فى يوم ٢ أكتوبر ١٩٦٩ (١٠ مهر ١٣٤٨) بعد سماع الكلمة العجيبة والغريبة للشاه قد كتبت عنها مايلى:

....هكذا يبدو أن الشاه قد أصبح فى الواقع أسيراً لأفكار ما يراه، أفكاره الخيالية يصل تصديقه لها كأنها عين الواقع، منذ يومين قال الشاه فى جمع من الضباط: "عند الهجوم على إيران يجب علينا أن نكون مستعدين للدفاع التخريبي" عنها، ونقوم بتنفيذ سياسة "الأرض المحروقة" ولو كنا قد قمنا بهذا الأمر فى شهر يور ١٣٢٠ فمن المؤكد ما استطاع الحلفاء الاعتداء علينا (٢٩).

فى نظر الشاه أن الحلفاء كانوا قد دخلوا إيران لاحتلال الأرض، بينما لم يكن هجومهم على إيران إلا بهدف تأمين خط الاتصال لتوصيل الإمدادات والمعدات إلى جبهة القتال، وغير معلوم ماذا يجب أن يخرب إيران من أشياء حتى لا تسقط فى يد الحلفاء (٣٠).

لقد وصلت الأفكار الخيالية للشاه درجة أنه لا يتعفف حتى عن تحريف الوقائع الماضية، وعندما يدرك أن مركزه قد تعرض للخطر من قبل البعض فإنه بناء على هذه الأفكار يوضح أنه أصلاً غير قادر على تحمل الأمور المخالفة لأفكاره الخيالية.

إن اعتماد الشاه على القيادة الأبوية فى الحكومة قد قادته أكثر من قبل نحو التشريفات وإقامة مراسم معقدة، ومع ذلك فقد شغل ذهنه وفكرة بالأبعد فكره وجود

"الأب" أس المملكة ويلغى الأسباب المختلفة المرتبطة بذلك، وهذا نفسه علامة الهم الذي يتكرر في العالم الثالث دائماً، ويجبر الشعب على قبول مثل هذا الأمر، وإذا أرادوا التنمية والتطور، فهم مضطرون أن يبحثوا عن الأبوة لتهيء مجال انسجام واتحاد الشعب....

وقد رأيت مدى انطباق أفكاره سنة ١٩٦٩ وما بعد هذا التاريخ عن الأوضاع والأحوال الجارية في إيران، ويجب أن أقول: كان هدفي أصلاً من الارتباط بالنظام في سنة ١٩٦٥ (١٣٤٤) فقط مشاهدة الوضع الذي ظهر مرتبطاً بتنفيذ إصلاح الأرض في البلاد، وكان سبباً في تقوية هذه الفكرة في داخلي من أنه طالما أن الشاه كان يسير في الطريق الصحيح لماذا أرغب أصدقائي أيضاً على الرغم من اختلاف وجهات النظر السياسية لنشارك في التنمية الاقتصادية وفي الأنشطة الاجتماعية.

وبالعودة إلى سلسلة التحقيقات التي انتشرت في سنة ١٩٤٥ (١٣٢٤) تحت عنوان "أزمة الإقطاع في إيران" وبالإشارة إلى المضمون الذي ملأ كل تاريخ إيران من الصراع بين الإقطاع والسلطة المركزية الحاكمة، كنت قد كتبت: "إن هذا الصراع في بعض الأحوال المعينة وبشكل لا يمكن تجنبه قد أصبح سبباً لإقرار نوع من توازن القوى في البلاد، ولكن تكثر وتقل الاضطرابات في بقية مجالات تنظيم وتنسيق الأمور" وبعدها طرحت هذا السؤال وهو "هل سيكون لدى سلطة حكمت ٤٠ سنة الأخيرة في إيران مثل سابقتها راسخة ومغامرة؟ أو على العكس من ذلك إنها ستواجه طفرة كيفية، مع إيجاد وضع أفضل وتوازن جديد للمجتمع في طريق التنمية والتطور، وسيتلافى قرون تخلف البلاد؟" (٣١).

ولكن بعد مدة انتهى ارتباطي وأصدقائي بالنظام، وكنت للأسف قد شاهدت كثيراً من التغييرات المختلفة التي بدأت تظهر في شخصية الشاه، وأبعدت ظنونه خاصة فيما يتعلق بالسير على نمط الهخامنشيين - كلية عن الطريق الصحيح.

وبالعودة الى آخر كتاب للشاه (نحو الحضارة العظمى) (*) يوجد أسباب عديدة توضح بجلاء أفكاره وادعاءاته الجنونية ، يقول:

" إن المشاركة الوطنية في جميع أمور المملكة وحكم الشعب بالشعب، تحققت الآن في جميع مستويات الحياة الاجتماعية من أدنى المستويات الى أعلى المستويات، الشعب الإيراني ينتخب نوابه بحرية ، ويعبر عن آرائه من خلال المؤسسات الحزبية وعن طريق وسائل الإعلام بحرية تامة، ومنطقيا أن هذا هو أكمل أنواع الديمقراطية التي يمكن أن توجد " (٣٢) .

في نظري أن نقل أجزاء من كتاب " نحو الحضارة العظمى " ليس كافيا لمعرفة القصص الخيالية للشاه في السنوات الأخيرة لحكمه ، ولا يوجد سبيل أفضل من مطالعة جميع أجزاء هذا الكتاب.

ولكن الأمر الأكثر إثارة هو توجهات القرارات السياسية للشاه التي كانت سببا في إثارة تشاؤمه عامة، طبقا لذلك إنه في سنة ١٩٧٥ وبعد عدة سنوات من النزاع مع العراق حول قضية تقسيم مجرى شط العرب، وصل الشاه بشكل مفاجيء وخلال نصف يوم فقط خلال حضوره جلسة رؤساء أوبك الذي عقد في الجزائر الى اتفاق مع صدام حسين، وقام عقب ذلك بالكف عن حماية أكراد العراق مؤيدى "ملا مصطفى البرزاني" خلال ليلة واحدة مما أثار دهشة الجميع حتى هنرى كيسنجر ومعاونيه (٢٣) وعقب ذلك أيضاً عندما اتهمه الرأي العام العالمى بنقض العهد، هز كتفه بلا مبالاة ورد بلهجة كمن لا يقيدته قيود؛ لما كان الأكراد قد تبعوه، لذا لم يعد لديهم رغبة في استمرار الحرب مع حكومة العراق.

ما حدث مثال بارز عن سياسة إدارة الشاه لشئون البلاد ، وتوضح أنه كيف اتخذ هذا القرار من جانب واحد دون اهتمام برأى مستشاريه أو حتى عرض المسألة على

(*) سوى تمدن بزرگ.

الشعب، ونفذه ، وكان الشاه دائماً يفضل رأيه ومطالبه التي كانت عادة تتعارض مع مصالح البلد- على كل شيء ، وفى الحقيقة يمكن القول: كانت عقيدته هي: أن الشاه يتخذ القرار والبقية يطيعون.

بعد تزايد سعر البترول، عندما أدرك الشاه أنه سيكون قادراً بامتلاكه المال الكثير لفعل كل شيء ، ومع مرور الأيام تحول أمره إلى أن أصبح واحداً من أغنى أغنياء العالم، وأحياناً كان ينطوى على نفسه طويلاً ليفكر فى المستقبل، وفى كل وقت يخرج من هذه الحالة كان يطرح برامج متنوعة.

على هذا الأساس طرح الشاه فى سنة ١٩٧٦ (١٣٥٥) خطة "الحضارة العظمى" وكتب فى وصفها: "...الحضارة العظمى تعنى المدنية التى فيها يستخدمون أفضل عناصر العلم والمعرفة البشرية لتأمين أعلى مستوى للحياة المادية والمعنوية لجميع أفراد المجتمع....." (١).

عموماً فإن كتاب "نحو الحضارة العظمى" هو نوع من حل عقد الشاه السابقة وترديد المطالب التى كانت قبلاً قد كررها مرات: من جملتها أيضاً يجب أن أشير إلى أنه قال فى حديث صحفى مع صحيفة "فيجارو" (طبعة باريس) فى سنة ١٩٥٩ (١٣٣٨): "...امنحونى فرصة عشر سنوات لأحول إيران مرة أخرى إلى إحدى القوى العظمى فى العالم (العدد المؤرخ بتاريخ ٩ يوليو ١٩٥٩ الفيجارو).

إن أوهام العظمة قد أبعدت الشاه عن الحقائق لدرجة أن جهاز السى آى إيه أيضاً كان قد وصفه فى تقرير سرى فى سنة ١٩٧٦ (١٣٥٥) "كرجل تهدده الأخطار الناجمة عن عقدة العظمة".

كان الشاه أسيراً لأوهامه الخيالية حتى أنه لم يكف عن تكرار هذا المطلب حتى نهاية سنوات حكمه من أنه قد أدخل إيران حتى قبل بداية الألف الثالثة ضمن "القوى الصناعية الخامسة فى العالم"، وسيعمل على أن يجعلها مثلاً للحضارة العظمى للعالم

الثالث، والدول الغربية التى فى رأيه فى حالة اندثار (١). ولكن العقبة الرئيسية للشاه للوصول إلى "الحضارة العظمى" كانت أنه خلال تنفيذ برامج تصنيع إيران لم يحقق التوازن الاقتصادى للبلاد، وبلغت رغبته المحمومة لشراء الأسلحة دخل النفط لدرجة أنها لم تدع مجالاً آخر لشئون الإنتاج الأخرى.

كان الشاه يؤمن بأفكاره إيماناً أعمى، وكانت أفكاره ساذجة لدرجة أنها كانت تشكل خطراً حتى لدرجة أنه كان يتصور- دون دليل مقنع أن "دخل إيران سيتزايد أكثر يوماً بعد يوم، وكل من لديه مقدرة مالية من الممكن عمل كل شيء له.... وكلما أراد أخى وكثير من الخبراء الاقتصاديين إظهار عدم رضاهم عن هذين الرأيين، كانوا يواجهون بسوء ظنونه، بالإضافة إلى ذلك فإن سرعة تطور عقدة العظمة قد أوصل الشاه إلى درجة أنه كان أحياناً يعبر عن الأفكار السخيفة بجدية تامة، من جملة مايجب الإشارة إليه أنه ذات مرة صرح فى حديث صحفى لصحيفة "أخبار أمريكا وتقاير العالم" إلى مدى ضعف وهوان القوى المعارضة له، قال حول ذلك: " إلى مدى ضعف وهوان القوى المعارضة له قال حول ذلك: "إن السبب الرئيسى لقلق واضطراب معارضى هو أنهم ليس لديهم وسائل إعلامية" (العدد المؤرخ فى ٢٢ مارس ١٩٧٦).

ذات يوم من أيام صيف ١٩٧٦ (١٣٥٥) عندما كان الشاه مع أخى بطير بطائرة هليكوبتر فى سماء مدينة جالوس على شاطئ بحر الخزر، أشار أمير عباس للشاه على بقعة بها عدة فلل حديثة كانت قد بنيت لصالح رئيس السافاك، وكانت تُباع بأسعار عالية، وعقب موضحاً أن هناك شائعات كثيرة حول هذه الفلل تنتشر بين الناس، ولكن الشاه رد على أخى: "لايهم (١) طالما استثمر أمواله فى هذا العمل، وفى نظرى أن هذا العمل طيب جداً...." حقيقة أن الشاه عند هذه اللحظة تذكر أنه كان قد وضع الأرض المطلوبة لبناء هذه الفلل تحت تصرف رئيس السافاك، طالما لم يكن أصلاً لايصره نمط فكر أخى الخاص بالاعتدال فى الحياة، وذات يوم تحدث عن وضع أمير عباس فقال له: " أنت مثل من يسره العيش فى عش حمامة؟".

كان للشاه أيضاً أفكار خاصة حول مسألة حقوق الإنسان، لم تكن أصلاً متفقة على النمط العام لتفكير العالم، ففي سنة ١٩٧٦ عندما علا صوت عدد من المساجين السياسيين المعارضين للنظام في كل مكان، نظر إلى المسألة من نافذة أفكاره المحدودة كعادته دائماً ودون السماع لما يقولون، لقب معارضى النظام بأنهم حفنة من المخربين الإرهابيين المتآمرين الأوباش.

لأنسى أبدأ أنه ذات يوم من أيام صيف ١٩٧٧ (١٣٥٦) تحدثت الملكة فرح في حضور جماعة من المثقفين حول مسألة حقوق الإنسان في إيران، وكانت كلمتها مثيرة للاهتمام لدرجة أن جميع الحاضرين صفقوا لها، ولكن في نفس الوقت سألتني عدد من أصدقائي ".....إن فرح ملمة بالموضوع، فلماذا لاتذهب وتستعرض ما قالته لنا مع زوجها؟...".

كانت آراء الشاه لعدة شهور قبل سقوطه دائماً كأنما قد وضع بينها وبين الحقيقة حاجزاً حديدياً، كان ينظر إلى شئون المملكة من وراء نافذة ضيقة، أو يعرف عن طريق رجال البلاط المتملقين والنافقين أحداث الوطن، ولهذا السبب استطاع في سنة ١٩٧٦ أن يعلن ببال مستريح أنه قد اقتلع الفساد من المملكة (!).

عندما سأل "أوليويه وارن" في حديثه الصحفي: "هل من الممكن إقامة حكومة جمهورية في إيران؟" أجابه الشاه: "سيستمر تاريخ إيران في مجراه العادى، وطوال ثلاثة آلاف سنة من تاريخ البلاد،، لم يحدث مثل هذا الوضع، حتى في الوقت الذي كانت فيه الحكومات الجمهورية محبوبة كان اختيار الشعب، وقد فُسر الديمقراطية أيضاً بأنها شيء يماثل استمرار السلام والمساواة الاجتماعية، ولكن اليوم إننى لا أستطيع في الواقع أن أفهم ماهو السبب الذي يجعل الإيراني يفكر في أن تغيير النظام سيكون لصالحه...".

في موقع آخر رداً على هذا السؤال الذى يسأله "وارن": ".....يقال: إن السبب

فى عدم وجود معارضة علنية للنظام فى إيران أنه من المعتاد أن جميع المعارضين قد اختفوا؟" أجاب الشاه: "... يجب معرفة المعارض مع من ولم؟ إننى أحس أحياناً أنه من الأفضل أن أقول : إننى نفسى معارض حقيقى، فعندما أستطيع مع أجهزة الاستخبارات والتحقيق أن أقف على أصل ومنبع كل خطأ، لذلك فأنا فى النهاية أقف فى الجناح المعارض: "للجلالة الهمايونية" (٣٤).

ولكن مع هذا لا يمكن القول : إن الابتعاد عن الواقعية كان فقط منحصرأ فى شخص محمد رضا شاه، فأكثر الأشخاص الذين يدورون فى فلكه زمنأ طويلاً دخلوا فى نفس هذه الحالة فى آخر الأمر- وصلوا إلى درجة أنهم لا يقدرّون على تشخيص ظاهر وباطن الأمور لينغمسوا فى الجزئيات وينسوا أصل الأمر.

كنت فى سنة ١٩٥٨ مشغولاً بعمل فيلم حول أصفهان، وذات يوم صعدت على سقف قصر "عالي قابو" برفقة المنتج، وأثار انتباهى كم لهذا القصر من بناء معمارى جميل ومثير فى منظره، ولكن المعمارين قد بنوا أعمدة المبنى الأساسية من جذوع الشجر الرقيق غير المذهب وهذا الوضع قد أظهر تماماً أنه حتى شاه عباس- أعظم ملوك الصفوية لم ير شيئاً إلا ظواهر الأمور.

كل من جلس أعلى...!

ابتعاد الشاه عن الواقع مع الأفكار الناجمة عما ينسجه خياله قد تزايد أكثر من سابقه إلى حد التمسك الشديد بأفكاره التى لا أساس لها.

كان الشاه يقول دائماً بشقة : إن الله مؤيده (١) وكان فى مواقف كثيرة يعلن الحاضرين من الناس أنه أثناء مرضه فى طفولته ظهر له على صهر النبى والإمام الأول، وشفاه، وذات مرة سقط من فوق الحصان فى هوة، وجاء حضرة عباس، مشمر الذراعين، وأمسك بيده حتى ينقذه من السقوط على كومة أحجار، ويعدها أدعى أنه رأى حتى الإمام الغائب، وكان يؤكد دائماً إننى منظور ولا يمكن لأحد أن يلحق بى ضرراً" (١).

فى رأى الشاه أن مقام سلطنته اقتضى أن ينفصل دائماً عن الشعب ويطلع على المعلومات المطلوبة فقط عن طريق الأجهزة الأمنية، لهذا السبب كان فى العادة يهون من شأن الاعتراضات ضده، وتفاهة الجماعات المعارضة للنظام، وكان يتصور أن كل شىء يسير وفق مراده، والشعب أيضاً طالما لديه ملك، فهو فى الواقع سعيد من كل قلبه (١).

آمن الشاه بحظه وأفكاره إيماناً راسخاً لدرجة أنه ظل غافلاً حتى عن الفرص المواتية للتوافق مع الجماعات المعارضة المعتدلة، وعندما فكر فى المصالحة معهم كان الوقت قد تأخر تماماً.

عندما أخذت المعارضة ضد الشاه أبعاداً واسعة النطاق فى سنة ١٩٧٨ (١٣٥٧) أصابته الحيرة من مواجهة الواقع، وكاد أن يفرغ قلبه من الخوف، فى ذلك الوقت وضمن إحساسه بالفراغ عندما رأى جميع أفكاره تذهب هباءً، عجز عن اتخاذ خطوة كرد فعل مناسب.

تعثر الشاه كان سبباً فى أن ينطوى ساعات النهار الطويلة على نفسه ليختار الأساليب المختلفة لمواجهة الاضطرابات، أو يبحث فيما اقترحه عليه حاشيته وسفراء المجلث وأمریکا، وبعدها علق الشاه جميع أخطائه فى رقاب حاشيته والمقربين، وبقي فقط عاجزاً ليستقر فى أحضان القوى الأجنبية، وبهذا العمل أيضاً تسبب فى أن يسقط سريعاً من فوق سلم الأمان إلى الهاوية.

اتفق - تقريباً جميع الأشخاص الذين التقوا به طوال الأشهر الثمانية فى آخر حكم الشاه من أن الشاه كان فى تلك الأيام قد أصبح شخصاً مضطرباً حيران، عند التحدث مع الأشخاص كان يستمع لكلامهم - ولكن أصلاً لا يفهم المطلوب، وكان يلاحظ أيضاً أثناء الحديث أنه كثيراً ما يتلعثم فى الكلام ويصمت.

فى ذلك الحين عندما فقد زعيم النظام القدرة اللازمة لتقييم الأحداث والقيام برد الفعل المناسب، سارت الأوضاع أيضاً أكثر من ذى قبل نحو السوء.

بناءً على هذا فإن فترة ديكتاتورية الشاه قد علّمت جميع رؤساء المصالح في الدولة بالألا يبادر أحدهم بعمل شيء بنفسه، وقد فضلوا أن ينتظروا حتى عند وقوع أزمة أيضاً، حتى ينفذوا قرارات الشاه التي كانت تصدر متأخرة وبطيئة، ويجب الإشارة إلى هذه المسألة أيضاً وهي أنه لم يُر بين حاشية الشاه في الواقع أى شخص يستطيع أن يتولى إرشاده ، لأنه كان قد شئت أثناء صعوده على السلم قوتهم جميعاً- بعيداً عنه.

في ذلك الحين وبينما كانت القوى المعارضة تتحد وتتوافق كل يوم أكثر، كان جنرالات الجيش ورجال الدولة يظنون في بعض ظن السوء وكل واحد يتهم الآخر بارتكاب الأخطاء، وبينما الشاه يزداد ضعفاً يوماً بعد يوم في مقابل توحّد واستحكام معارضيّه.

الشاه الذى حكم سنوات طويلة كزعيم بلا منازع، خلال مدة وجيزة صار كأنه دمية مسرح العرائس التى من أجل مشاهدة حركتها يجب أن يشد الآخرون خيوطها.

ذكر لى أحد أصدقاء شاهبور بختيار أنه فى الشهور الأخيرة لحكم الشاه كانت الملكة فرح تلعب دوراً أساسياً فى تشكيل الوزارة الجديدة والشاه لا وظيفة له أخرى سوى أن يكون مشاهداً.

بحلول نوفمبر ١٩٧٨ (أواسط أبان ٥٧) كان مؤكداً أن سلطنة الشاه تطوى آخر أيام عمرها، وفى ١٦ يناير ١٩٥٩ (٢٦ دي ٥٧) غادر الشاه البلاد، وكان قد بلغ ضعفه وعجزه حد النهاية، ولما كان الشاه ليس لديه قدرة لينقذ معاونيه السابقين الذين كانوا قد سجنوا بأمره، كف يده عنهم، وسقطوا تحت سيطرة الأعداء وفر بنفسه من إيران.

ذكر لى پرويز راجى- الذى كان رئيساً لمكتب رئيس الوزراء (هويدا) فترة- قبل تعيينه سفيراً لإيران فى لندن: أشار أمير عباس يوماً فى حضوره لصورة الشاه وقال: "رجل أنانى جداً، مايعرفه لا فائدة منه لأحد، ودون كلمة يسفه كلامك.....".

فى الأيام الأخيرة من عمر النظام، بينما كان الشاه يقيم فى مراكزه كان عدد من جنرالات الجيش فى طهران فى حالة حيرة وعجز، واتصلوا به هاتفياً ليأخذوا رأيه فيما يجب أن يفعلوه، ولكن بناء على قول شاهد عيان- أثق فى كلامه تماماً- امتنع الشاه أن يتحدث مع الجنرالات.

عندما أصبح خروج الشاه من إيران مسلماً به أرسل أحد المقربين منا، دون علم أخى رسالة إلى الشاه عن طريق أحد الوسطاء، وطلب منه أنه من الأفضل أن يخرج أمير عباس أيضاً من إيران فى طائرته، ولكن الشاه لم يجب على هذه الرسالة وترك للرجل الذى خدمه ١٤ سنة ليقتل عي يد النظام الجديد.

لم يتفوه الشاه حتى بكلمة واحدة فى اليوم الذى قتل فيه أمير عباس، وظل صامتاً لمدة ثلاثة أسابيع حتى تفوه كذباً يبرىء نفسه وقال: "إنى اقترحت على أمير عباس أن يخرج من البلاد، ولكنه شخصياً فضل أن يبقى فى إيران".

بينما كنت على اتصال مستمر مع أخى حتى لحظة تسليمه إلى رجال النظام الجديد، لم أعرف أبداً أن الشاه قد اقترح على أخى الخروج من البلاد بل إن بعض الأصدقاء والمقربين منا كانوا قد أرسلوا رسالة إلى أمير عباس بعد خروج الشاه من إيران، يريدون أن يرسلوا فرقة كوماندوز للهجوم على السجن لإنقاذه ويخرجونه من البلاد، ولكن أمير عباس بعد تسلم الرسالة رد عليهم "لست مستعداً أن أقبل عار هروبى، ولست جباناً فأنا قد جعلت نفسى فداءً لوطنى (١) ولدى القدرة أن أدافع عن نفسى جيداً أمام الجميع.....".

أخبرنى أحد الأصدقاء المعروفين لى ولشاپور بختيار، فيما بعد هذه الحقيقة أن الشاه قبل خروجه من البلاد كان قد أعطى الضوء الأخضر لآخر رئيس وزراء بأن ينفذ كل ما يقترحه كآخر فرصة لإنقاذ نظام الملكية ولم يكن هذا الاقتراح يهدف شيئاً إلا ليهيب بختيار المجلس للتصديق على لائحة تشديد العقوبات على المتهمين بمادة ٨٢

من قانون العقوبات ليستطيع بناء على ذلك أن ينفذ عقوبة الإعدام على جميع الأشخاص الذين أرادوا الطعن في الدستور ونقض الميثاق، وخاصة أنه بإعمال هذا القانون فإنه يحكم بالإعدام على جميع الذين كانوا مسجونين بأمر الشاه في عهد أزهاري.

في السيناريو الذي أعده بختيار وأيده الشاه كان يهدف أن يسلم أخى منذ الوهلة الأولى إلى جماعة الإعدام، وينفذ جريمته أيضاً "مستفيداً من السلطة الممنوحة له من قبل الشاه" وكان بختيار حقيقة قد أقنع نفسه تماماً أنه بإعدام أمير عباس سيتمكن من أن يحصل على رضا الشعب، وينقل النظام أيضاً من السقوط.

ويجب أن أقول : إننى لأشك بصحة أقوال صديقى، فقد أكد فيما بعد "أريك رولو" في مقال له في العدد المؤرخ في ٣ يونيو ١٩٧٩ بصحيفة "لوموند" هذه المسألة، وكتب نقلاً عن أحد رجال العدل الإيرانيين البارزين وهو عضو في لجنة حقوق الإنسان فيما يتعلق بتصميم بختيار "...لأشك أن بختيار قد اختار طريقاً لتحقيق الهدف، ولم يدع مجالاً لاحتجاج الأوساط القضائية الغربية، وكان قد صوب هدفه بدقة نحو أمير عباس هويدا" (٣٥).

لمعرفة ثمة التغييرات التي طرأت على شخصية الشاه طوال مدة حكمه الطويلة، هناك الكثير الذى يقال، وأسهم بدورى بأسباب عديدة، والتي يمكن أن يثبت خطأها حتى إنه يمكن أيضاً إغفال جريمة الشاه في قتل أخى ويخرجها من مجال البحث، ولما كان هدفى قدر الإمكان أن أحاكم الواقع المرئى، لهذا السبب لأعطى أهمية أصلاً لقرارات الشاه سواء لى أو للآخرين، ولكن يقال : إنه ثمل من خمر الغرور عقب نجاحاته الأولية فى تحسين الظروف المادية للبلاد، وانحرف عن المسار الأصلى، ولم يخطئ خطوة فى طريق إقرار الدستور من جديد والذي كان قد علق منذ انقلاب ١٩٥٣، بل إنه ابتعد يوماً بعد يوم عن الواقع، وبعد سنة ١٩٧٦ (١٣٥٥) ظهرت أخطاء كثيرة حوله لم تثمر إلا بفساد المملكة.

- ٢٦٩ -

والخلاصة أننى إذا أردت أن أخلص رؤية الشاه فى جملة واحدة يجب أن أقول:
كانت أعماله كمن لا يسير إلا فى طريق التخریب، أو بعبارة أخرى: كان الشاه يجلس
على طرف فرع شجرة وكان يقطع فى الجذر، وفى هذا الشأن كان يستفيد من مساعدات
إخوته وأخواته الفاسدة أيضاً.

حاشية الفصل الثالث

١ - فيما يتعلق بالخطط العمرانية الخاصة بادعاء الشاه أثناء استعراضات تخت جمشيد يجب القول "إنه في ذلك الوقت أثيرت دعايات واسعة (شبيهة بإعلانات ورق البيانصيب) من جماعة لجمع المال لبناء ٢٥٠٠ مدرسة، ولكن تم فقط بناء عدة مدارس معدودة بأسمائهم وأوصلوا الكهرباء إلى بعض القرى في نواحي شیراز والتي كانت قد بنيت كقرى نموذجية ليتفقدوا الضيوف الأجانب، ووسعوا ومهدوا طريق شیراز- تخت جمشيد وباسارجرود الذي كان مكان مرور وعبور رؤساء الدول كما طوروا اتصالات المايكروفون بين شیراز والمناطق الأخرى لإقامة اتصال مباشر في وقت الاحتفالات والبهت التلفزيوني المباشر أثناء المراسم - م.

٢- الترجمة مستقاة من أصل كتاب "به سوى تمدن بزرگ" صفحة ٢٢٣ و٢٣٥- م.

٣- مع أن الشاه أصلاً لم يستطع أن يثبت حقيقة وجود ملك باسم كوروش في إيران مائة في المائة، وليس معروفًا كيف استطاع السادة أن يحددوا ذلك تحديدًا صحيحًا منذ ٢٥٠٠ سنة قبل جلوس محمد رضا شاه بهلوي على العرش (دون زيادة أو نقصان سنة) - م.

٤- نقل رضا خان جميع الثروة التي استولى عليها من اغتصاب الأملاك إلى البنوك الإنجليزية، ولكن بعد موته عندما طلب ابنه أن يأخذ أموال رضا خان، لم يحول له الإنجليز الأموال في البداية بسبب ظروف الحرب وبعدها أوصوا الشاه أنه من الأفضل أن تنقل أموال رضا خان إلى أمريكا على شكل سبائك ذهبية للأمان أكثر، وعقب هذه الخطوة أخبروه ذات يوم أن السفينة حاملة سبائك الذهب قد أصابها طوربيد غواصات ألمانية وغرقت (١)- م.

٥- عند قراءة مثل هذه الأمور يجب الاعتقاد بحماقة الشاه الذي لم يكن لديه شعور حتى يكف عن مثل هذه الملهيات وعلى الأقل لايجرح إحساسات أشخاص مثل

فريدون هويدا (١) ولعله لم يهتم قط بالشعب حتى يرتدي الشاه التاج بنفسه أو بواسطة نائب الأمة (الذي لن يكون إلا شريف إمامي أو عبدالله رياضي) - م

٦- Le Canard enchainé-Los amoelle

نشرتان طبعة فرنسا التي ثابتهما تشبه توفيق

ويجب توضيح سبب قطع العلاقات الإيرانية الفرنسية في عهد رضا شاه أيضا أنه في نشرتين وصحيفة أخرى باسم "اكسليور" كانوا قد كتبوا "شاه إيران" بدلا من شاه فارس chah de perse؛ ولم يتقبل رضا شاه Chat de Perse (أى قط إيران) وقطع علاقات إيران بفرنسا سنة ١٣١٥ - م.

٧- لا يوجد في ذلك الوقت جماعة يسارية نشطة في إيران إلا حزب توده - م.

٨- فيما يتعلق بالمسألة التي كانت قد عنونت غالبا خطأ "إنقاذ آذربايجان على يد الشاه" يجب تذكر أن أهالي تبريز أصلا كانت قد داهمت قبل يومين من دخول الجيش آذربايجان عناصر الحكومة "المأجورة" وطردت جماعة الديمقراطيين من تبريز، لم تر القوات التي دخلت تبريز بعد ذلك يوم ٢١ آذر ١٣٢٥ ظاهرا "تحت قيادة الشاه" وطلقت عدة طلقات قرب مدينة متوسطة في "قافلانكوه" أى شخص مطلقا في مواجهتها لكى تحاربه من أجل "إنقاذ آذربايجان".

كان الخبر الخاص بـ "إنقاذ آذربايجان على يد الشاه" في الحقيقة شائعة أشاعها الأمريكان والإنجليز للاستفادة منها ليكتسب الشاه أهمية واعتبارا ويستفيدوا من هذه المنة التي منوها عليه لإعمال نفوذهم أكثر في شئون البلاد فيما بعد مع أن واقع الأمر هو أنه في "إنقاذ آذربايجان" لم تتدخل قيادة الشاه بل حدث سببان هامان هما : (١) انسحاب القوات الروسية من آذربايجان.

(٢) ثورة الشعب المسلم في تبريز ضد الحكومة المأجورة.

فيما يتعلق بالسبب الأول، كان للتعامل السري للحلفاء في مؤتمر موسكو دورا هاما (على هذا الأساس كان يجب على الروس أن يسحبوا قواتهم من آذربايجان وكردستان في مقابل الحصول على حق التدخل في شئون الدول التي تحت سيطرته في أوروبا الشرقية، وأن يمتنع عن التدخل في شئون الهند، وتعهدت أمريكا في المقابل أيضا أن تكف عن تأييد قوات شان كاي شيك في مواجهة القوات الشيوعية تحت قيادة ماوتس تونج بشرط امتناع الروس عن إرسال قوات إلى الصين، وفي المقابل تريح خاطرها من استمرار أعمال الروس لنفوذهم في دول الشرق الأوسط وأوروبا الغربية وشمال أفريقيا واليابان) وكان الدور الفرعي لانسحاب الروس من آذربايجان متعلق بقوام السلطنة الذي أثر بالحيلة في ترغيب ستالين لإخراج الجيش الأحمر من آذربايجان (بوعده له بترك امتياز نفط شمال إيران لروسيا).

وفيما يتعلق بالسبب الثاني (الذي يعد أحد أسرار تاريخ إيران المعاصر وحتى الآن أشار إليه قليل من الأشخاص) يجب التنبيه إلى حادثة وفاة المرحوم آية الله "سيد أبو الحسن الأصفهاني" (المرجع التقليدي للشيعة في ذات الوقت) عندما منعت الحكومة المأجورة إقامة أي نوع من مراسم جماعة الديمقراطية ثورة كانت في الأصل سببا للتمهيد الحقيقي لثورة أهالي تبريز الذين داهموا عناصر الحكومة المأجورة قبل تحرك الجيش إلى آذربايجان.

ضمنياً فإن التاريخ المقدم من المؤلف يجب أن يكون ١٩٤٦ وليس ١٩٤٧، فإذا عرفنا أن تاريخ دخول الجيش إلى تبريز ٢١ آذر ١٣٢٥، فإن هذا اليوم كان موافقا ١٢ ديسمبر ١٩٤٦ - م.

٩- خلافا لقول المؤلف فإن امتياز نفط جنوب إيران الذي كان قد منح ومدد للإنجليز على يد رضا شاه في سنة ١٣١٢ لمدة ستين سنة قد انقضى في سنة ١٣٧٢ شمسي (وليس ١٣٢٧ تقريبا) ولكن لماذا كان الإنجليز يحتاجون لوجود الشاه في

ذلك الوقت في مسألة النفط؟ يجب القول: استنادا للقانون الذي وافق عليه المجلس في ٣٠ مهر ١٣٢٦. كلفت الحكومة الإيرانية لاستيفاء حقوق إيران من نفط الجنوب، ولذا بدأ الإنجليز مباحثات مبكرة مع حكومة "محمد ساعد" لإطالة حق امتياز النفط قليلا، واستحسنوا إثارة "استيفاء الحقوق" هذه المباحثات التي انتهت فيما بعد بالاتفاقية الملحقّة" (المعروفة باتفاقية جس - جلشائيان)، ولما واجهت رد فعل سلبي للشعب، رأى الإنجليز لهذا السبب أن يستفيدوا من سلطة الشاه للموافقة على "الاتفاقية الملحقّة" في المجلس (ولكن نفس رد الفعل السلبي للشعب قد تطور فيما بعد وطرح مسألة تأميم النفط) - م.

١٠ - خلافا لما أعلنه المؤلف يجب القول أن إثارة الشعب - خاصة التجار - المؤيدين لتأميم النفط حدث فقط عندما ذكر آية الله كاشاني في رسالة للدكتور مصدق في تاريخ ٢٨ خرداد ١٣٢٩ (الذي قرأها مصدق بنفسه في الجلسة العلنية لمجلس الشورى) بوجود معارضة "الاتفاقية الملحقّة" وعقب ذلك نشر السادة الآيات: سيد محمد تقي خوانساري وبهاء الدين محلاتي وعباس علي شاهرودي وسيد محمود روحاني قمي أيضا بيانات في هذا الشأن وطالبوا الأهالي بأن يؤيدوا مصدق - م.

١١ - تم التصديق على قانون تأميم النفط قرابة شهر ونصف قبل رئاسة مصدق للوزارة (٢٤ اسفند ١٣٢٩ في مجلس الشورى الوطني و ٢٩ اسفند ١٣٢٩ في مجلس الأعيان) ولكن الشاه امتنع عن التوقيع على قرار المجلس حتى اضطر الشاه إلى التوقيع مكرها في أوائل أربيهشت ١٣٣٠ عندما اشترط مصدق على الشاه لقبول رئاسة الوزارة التوقيع على القانون المذكور من قبل الشاه - م.

١٢ - "أدوارد هريو" سياسى وأديب فرنسى، رئيس الوزراء فى سنة ١٩٢٤ - زعيم الحزب الراديكالى الاشتراكى فى سنة ١٩٤٥ رئيس الجمعية الوطنية الفرنسية فى سنة ١٩٤٧ - توفى فى سنة ١٩٥٧ - م.

١٣ - قام المؤلف بالإساءة خاصة فى تلويث ثورة تأميم النفط وإتباع الصغرى بالكبرى التى هى محل شك لتحقيق النتيجة التى يرغبها بينما نحن نعرف أصلاً حدوث ثورة ٢٨ مرداد قد تم فى وقت لم يكن لدى د. مصدق وزملاءه الآخرين تقريباً كلاماً ليقولونه- وخلافاً لرأى المؤلف فإنه قد انقضت فترة من وقت تأجيج هيجانهم، والمسألة الأهم هى أن الإنجليز بعد ثورة ٢٨ مرداد حصلوا على مزايا كانت تفوق مايتوقعونه، وفى اتفاقية مجموعة الشركات أصبح ٤٠٪ نصيب شركة النفط الإنجليزية و١٤٪ نصيب شركة نفط شل (التى كانت خاصة بالإنجليز أيضاً) يعنى خص الإنجليز ٥٤٪ والأمريكان ٤٠٪ وفرنسا ٦٪ حق استغلال نفط إيران، وبالإضافة إلى هذا تسلم الإنجليز ٣٠ مليون جنية من حساب غرامة تأميم البترول من إيران، بينما كان الإنجليز أنفسهم مستعدين لعرقلة تأميم النفط فى آخر أيام استمرار الحرب لكونهم شركاء فى نفط إيران بـ ٥٠٪ فقط- م.

١٤ - حقيقة إن أشخاصاً مثل فريدون هويدا ليس بعيداً أن يكونوا عاراة من أى نوع من حب الوطن وعرق الوطنية، وينشر مثل هذه الأمور لحساب جماعة المنافقين والمتملقين الذين هم مقبلو أقدام كل سلطان يحسبون على حساب كل الإيرانيين، ويظهرون مواطنيتهم أمام العالم كأشخاص متملقين ومنافقين- م.

١٥ - بعد ثورة ٢٨ مرداد، أخذ التضييق وسحق المعارضين أبعاداً فى كل ناحية (ويجب أن يذكر فى هذا الخصوص حادثة ١٦ آذار ١٣٢٢ بجامعة طهران التى تسببت عقب حضور نيكسون إيران فى استشهاد وثلاثة طلاب على يد رجال الحكم العسكرى) ولكن فريدون هويدا (ربما اعتبر نفسه لهذا السبب مفكر يسارى) أشار هنا وفى أغلب أجزاء كتابه غالباً عن تضييق النظام على حزب توده وسعى دوماً أن يظهر الشيوعيين أكثر من الجميع كضحايا لمظالم الشاه- م.

١٦ - لا يتابع الكاتب توالى الأحداث، وفى هذا الصدد يجب توضيح أنه قد تم إقالة اللواء زاهدى من رئاسة الوزارة يوم ١٧ فروردين ١٣٣٤، بينما حدث إعلان خطوية أردشير زاهدى لشهنار يوم ٢٢ آبان ١٣٣٥، وضمنياً فإن أردشير زاهدى الذى صار منذ أسفند ١٣٣٨ ولأول مرة سفيراً لإيران فى أمريكا كان خليفة لعللى مكى أردلان وليس على أمينى (لأن أمينى تولى هذا المنصب فقط منذ فروردين ١٣٣٧) - م.

١٧ - بعد إقالة اللواء زاهدى عين الشاه "حسين علا" رئيساً للوزارة، ووصل إلى رئاسة الوزارة دكتور إقبال بعد سنتين أى فى ١٥ فروردين ١٣٣٦ - م.

١٨ - لو أن هذا الخبر صحيح، فليس بعيداً أبداً أن يكون أردشير زاهدى قد استغل مثل هذه المسألة لإهاب الشاه والاستفادة منه للزواج من ابنته والوصول إلى مناصبه التالية (حتى بعد طلاق شهنار) فطالما أنه على كل حال وبسبب تعاونه مع جهاز السى آى إيه قد حصل على وثائق كثيرة خاصة بالعلاقات السرية للشاه مع الأمريكان والإنجليز خلال ثورة ٢٨ مرداد - م.

١٩ - حدث عكس هذا الرأى، لم تواجه حكومة على أمينى مطلقاً بمعارضة الملاك الكبار (لعل اضطرابات جامعة طهران فى اليوم الأول من بهمن ١٣٤٠ التى عُلِمَ منها فيما بعد أنها كانت نوعاً من حرب السلطة بين الشاه وأمينى وأسفرت نتيجتها عن نفى تيمور بختيار عن إيران) والسبب الحقيقى لعزل أمينى من رئاسة الوزارة والسفر السريع للشاه إلى أمريكا عقب تلقى خبر إرسال سيل من المساعدات الأمريكية لأمينى والذى تم يوم ٢١ فروردين ١٣٤١ وأثناءها تعهد الشاه للأمريكان أنه سيضع تحت سيطرتهم كل ما يريدونه بشرط أن يكفوا عن دعم أمينى، عقب هذا اللقاء أيضاً، ولما كانت أمريكا قد امتنعت عن منح القروض الخاصة بأمينى، لم يستطع أن يستمر أكثر من ثلاثة أشهر فى منصبه، واضطر للاستقالة فى ٢٧ تير ١٣٤١ ورحل - م.

٢٠ - خلافاً لقول المؤلف كان اعتقال الإمام الخميني قد تم قبل يومين من ثورة ١٥ خرداد ٤٢، ولم تكن أصلاً فلسفة هذه الثورة إلا احتجاجاً للشعب المسلم على اعتقال الإمام وتأيداً لكفاحهم، ولكن تحرف الدعايات الاستعمارية الوقائع، وتربط مسألة الإمام الخميني- الذي كان يواجه استسلام الشاه لإسرائيل وأمريكا والسلوكيات غير الإسلامية- بمسألة لا أساس لها، معارضة الإصلاح الزراعي"- م

٢١ - حدث الاضطراب الدامي في فارس بعد عقد استفتاء ٦ بهمن ٤١ (أى في منتصف إسفند سنة ٤١) ويجب القول بصدد نتائج هذا الاستفتاء: طبقاً لزعيم المؤلف كان قد سجل ٩٥٪ من المشتركين في الاستفتاء بالموافقة، وبناء على هذا فمن الطبيعي أن يشكل ٥٪ بقية المعارضين، ولكن من ناحية أخرى وطبقاً للإحصاء الرسمي الحكومي، نرى أن عدد الآراء المعارضة فقط كان ٤٥٠٠ صوتاً، وعلى هذا الأساس فإنه لإيجاد عدد المشتركين- الذين كانوا قد وافقوا في الاستفتاء فلو ضاعفنا ٤٥٠٠ عشرين ضعفاً لوصلنا إلى رقم ٨٥٥٠٠ شخصاً الذى يوضح عدد المؤيدين "لثورة الشاه البيضاء" فى ذلك الوقت- م.

٢٢ - جميع طغاة التاريخ، بدأ من نابليون وهتلر وموسوليني حتى ستالين ورضا شاه وماركوس وحتى نظام جنوب أفريقيا جميعاً كانوا يقولون : إنهم يقصدون أن يستغلوا سلطاتهم فى سبيل تقدم البلاد - م.

٢٣ - تاريخ ١٩٤٢ غير صحيح، لأن سفر الشاه لفرنسا قد تم فى ١٩ مهر ١٣٤٠ الموافق ١١ أكتوبر ١٩٦١- م.

٢٤ - جميع الشيوعيين الذين عملوا مع مرور الأيام فى خدمة نظام الشاه، وجهوا قرارات الشاه إلى هذا الاتجاه، وحتى كثير منهم الذين شكلوا أركان السافاك (أمثال محمود جعفرىان ومنوچهر آزمون وعباس شهریارى وكوروش لاشائى

وبروز نيكخواه....) كانوا يعتقدون أنه يمكنهم عن طريق التسلسل في تشكيلات النظام خدمة عامة الشعب، ولذلك استطاع الشيوعيون القدامى أيضاً مثل: هوشنك نهاوندى ودكتور باهرى وآلموتى وإخوة هويدا من أتباع نفس هذه النظرية فى سلك خدم الشاه- م.

٢٥ - الأشخاص الذين أغلقوا عيونهم، ولم يرغبوا فى مشاهدة الوجه الحقيقى للشاه، سواء بسبب المنصب والموقع أو من ناحية المصالح المادية والرفاهية، واستفادوا منه خلال حكمه، ولعلنا نعرف الكثيرين ممن انكشف أمامهم منذ سنوات- العيوب الشخصية والحقيقية والسياسات المعادية للوطنية والإسلامية- من الشاه- م.

٢٦ - هذا الشخص من المحتمل أنه كان "هرمز قريب" الذى كان معروفاً لهذا وذاك وخاصة أصحاب رؤوس الأموال الأجانب، وكان يأخذ أموالاً كثيراً من أجل تحديد موعد اللقاء مع الشاه- م.

٢٧ - ليس معروفاً لماذا لم يهتم أمير عباس هويدا طوال ١٢ سنة وزيادة- وقت رئاسته للوزارة بالتوجه إلى قواعد الإسلام وبغير لعب القمار وصلات القمار ولكن بمجرد أن رأى خطراً على ملك الشاه، فجأة أدرك أهمية القضية، مع أننا نعرف أن شريف إمامى أيضاً على الرغم من رئاسته لصالات القمار المتعددة فى مؤسسة بهلوى -تقريباً فى زمن هويدا، وقف على ممنوعة لعب القمار فى رأى الإسلام وبمجرد الجلوس على كرسى رئاسة الوزارة، أصدر أمراً بإغلاق الملاهى فى كل أنحاء الدولة، ولكن لماذا لم يشر فريدون لقرار شريف إمامى؟ لعله بهذا السبب لم يرد إيجاد منافس لأخيه من ناحية التوجه إلى "الأخطار الناجمة عن وجود الملاهى على سلطنة الشاه"- م.

٢٨ - "سنجاي غاندى" (ابن أنديرا غاندى- رئيسة وزراء الهند الراحلة) الذى أساء - فى الدورة الأولى لرئاسة أمه للوزارة- استغلال مركزها فى المعاملات المختلفة مع الشركات الأجنبية- م.

٢٩ - ذكر الشاه فى نفس كلمته التى ألقاها فى أكاديمية الدفاع الوطنى - قال أيضاً:
 "..... كما سنفقد فى الدفاع عن الوطن والحدود أشخاصاً، يزيلون أغراض هذه
 المملكة أيضاً حتى لا يستفيد منها العدو...." وهنا تشابه بين نظرية "الدفاع
 التخريبي" و "الأرض المحروقة" للشاه وبين أحداث صدام، الذى كرر أيضاً
 مرات: طالما أن الجمهورية الإسلامية تريد أن تسيطر على العراق سندمر جميع
 المنشآت والأغراض - م.

٣٠ - عند هجوم الحلفاء على إيران فى الثالث من شهر يور ١٣٢٠ كان رضا شاه تماماً
 تحت نفوذ العناصر الألمانية، ولما كان لزاماً أن يتم التخريب فمن المؤكد أن عقل
 الألمان قد أدرك هذا الأمر، هذا بينما كان رضا شاه لا يدرك شيئاً عن هجوم
 الحلفاء على إيران ولم يكن قد وقف على نواياهم فى الإنذارات التى أنذروه بها
 قبل الهجوم - بوجوب طرد الألمان من إيران، ولذلك قال موجهاً الحديث
 لـ "كلارمونت إسكراين" (الضابط الإنجليزي المسئول عن نفيه إلى جنوب
 إفريقيا): ولماذا لم يقل الإنجليز: إنهم فى حاجة إلى مساعدتى؟ لو أن
 رئيس وزرائكم (الإنجليز) كان قد أوضح أهمية تجهيز جيش مملكتى لصالح
 الحلفاء ووجوب الاستفادة منها، كنت قد منحتكم فرصة طيبة لمساعدتكم.....،
 لو أنكم أطلعتمونى من قبل عن الموضوع بدلاً من القيام بعمليات مؤسفة، كنت
 أستطيع أن أضع جميع طرق السكك الحديدية تحت أمركم فى كل أنحاء إيران"
 كتاب "شترها بايد برونند" الطبعة الثالثة - نشر نو ١٣٦٤ صفحة ١٦٢ - م.

٣١ - تحليل المؤلف هو تحليل ماركسى فقط، وتعبيراً عن أصول المادية الجدلية التى
 تظهر مسألة الإصلاح الزراعى للشاه كنوع من النظرات الاجتماعية المتضادة
 وتعوض التاريخ الذى يواصل تقدمه، وحقيقة كان هذه النوع من التحليل أحد
 أسباب حزب توده وجماعة "المفكرين اليساريين" لتأييد برنامج الإصلاح الزراعى

للشاه، ولعلهم وهم يسعدون بهذا الموقف عديم الفائدة ربما لا يعرفون أن الإصلاح الزراعي ليس "تغييراً كيفياً" وليس حركة نحو التقدم، بل هو قرار صادر من أمريكا في إطار نظرية "جون كيندي" تحت عنوان "الاتحاد من أجل التقدم" لمنع الثورات الشعبية في العالم الثالث - م.

٣٢ - تم الاستعانة بالأصل مباشرة في ترجمة الأمور المنقولة من كتاب "بسوي تمدن بزرك" - م.

٣٣ - خلافاً لادعاء المؤلف كانت موافقة الشاه وصادم وعقد اتفاقية ١٩٧٥ - الجزائر - نتيجة لموافقة أمريكا وروسيا وليس اتخاذ قرار متهور من قبل الشاه، ويجب أن يُشار في هذه الصدد أنه قبل موافقة الشاه وصادم في أواسط إسفند ٥٣ (في الجزائر) تمت لقاءات لتهيئة المجال لهذا الاتفاق الذي كان أساساً نتاج وساطة بين إيران والعراق.

جاء هنري كيسنجر إلى إيران أوائل آبان ٥٣، وبدأت فوراً مباحثات بعدها بين وزراء خارجية إيران والعراق أثناء انعقاد جلسة الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك.

أواخر آبان ٥٣ سافر الشاه إلى الأردن وهناك التقى مع "طارق ميخائيل يوحنا عزيز" (وزير إعلام العراق).

أوائل دي ٥٣ سافر الشاه إلى روسيا وأشار البيان المشترك بين الدولتين إلى وجوب السلام بين إيران والعراق.

أواسط دي ٥٣ سافر الشاه ثانية إلى الأردن ثم من هناك إلى مصر وأعلنت وكالات الأنباء حول زيارتيه أيضاً أن الملك حسين وأتور السادات يتوسطان بين الشاه وصادم.

- ٢٨٠ -

- منذ أول بهمن ٥٣ بدأت مباحثات خلعتبرى (وزير خارجية الشاه) مع سعدون حمادى (وزير خارجية العراق- الذى قيل : إنه يفهم لغة الشاه أكثر من جميع العراقيين، فى مدينة استنبول، وبعدها سافر صدام إلى الأردن على الفور.
- تحدث الشاه فى رحلته الترفيحية إلى سويسرا فى أوائل إسفند ٥٣ طويلاً مع هنرى كيسنجر وجوزيف سيسكو (وكيل وزارة الخارجية الأمريكى) وبعدها سافر على الفور من إيران إلى الجزائر ليشارك فى مؤتمر رؤساء أوبك، وفى هذه الرحلة أيضاً تم التوقيع بينه وبين صدام على اتفاقية ١٩٧٥ المعروفة بالجزيرة- م.
- ٣٤ - الترجمة مستقاة من النص الفارسى لحديث الشاه مع أوليويه وارن (كتاب : "شيروخرشيد" صفحات ١٧١ و١٧٢) - م.
- ٣٥ - الأمر الآخر الذى يمكن أن يؤيد هذا القول هو كلام شاهبور بختيار فى حديث صحفى يوم ١٧ دي ١٣٥٧ الذى أعلن فيه "سيبدأ خلال عشرة أيام محاكمة العناصر الفاسدة، ومن المسلم به أن تؤدى أيضاً إلى إعدام عدد منهم".

- ٢٨١ -

الفصل الرابع السقوط النهائي

الفصل الرابع

السقوط النهائي

"لما أفلق من الأمور الداخلية لجسد الحظ"

الشاه في حديث صحفي مع كيهان (بتاريخ ٨ آبان ١٣٥٥)

الأحد ٢٩ أكتوبر ١٩٧٨ (٧ آبان ١٣٥٧) أمل

كانت أحاسيس سكان أمل - هذه المدينة الصغيرة قرب بحر الخزر - تتصاعد كل يوم ضد النظام، واثار مظاهرات ٧ أكتوبر (١٥ مهر) الذي اطلق خلاله رجال الأمن النار صوب الجموع، وقتلوا أعداداً، تزايدت الاضطرابات في المدينة مع تناثر الشائعات المختلفة كل يوم، وكانت المشكلة في بداية الأمر ناجمة عن تعاطف الأهالي فيما يتعلق بحادثة إشعال النار في سينما ركس في عبادان، ووصل إلي درجة أنه وضع أن أهالي أمل ليس لديهم شك في تدخل السافاك في قضية حريق السينما.

عقب ذلك عندما أشيع يوم ٢٧ أكتوبر (٥ آبان) شائعات قائمة علي احتمال حرق سوق أمل علي يد السافاك، قام عدد كبير من طلاب وشباب أمل بحراسة الأهالي في الشوارع، حتي أن الأشخاص الذين لا يعرفون سلوك الشباب لا يمنعونهم عن هذا التصرف، ووصلت الأوضاع حالة أن جعلت رجال المملكة في حالة طوارئ، خاصة أن عدداً من عناصر السافاك قُبض عليهم وحولهم إلى المسئولين المحليين لطمأنتهم، ومع مرور الأيام وصل دور الشباب في الحفاظ علي المدينة درجة أنهم أقاموا في مناطق دخول أمل مسئول حراسة سيطروا علي المرور، وكانوا ينفذون قرارات التفتيش الليلية في الشوارع.^(١)

أخيراً، مع أن قوات الأمن تدخلت يوم ١٩ أكتوبر وقبضت علي جماعة خلال هجوم علي أهالي أمل، ولكن هذا التصرف لم يستطع مطلقاً أن يعيد وضع المدينة إلي حالته الأولى، لأنه في بداية الأمر كانت أكثر المظاهرات ضد النظام قد أخذت شكلاً

أصبح من الواضح أن روح الثورة قد بدأت تنمو بين أهالي آمل، وتعتبر مشكلة آمل مجرد أزمه بسيطة أو احتجاج للأهالي، وعندما تحركت شهدت ثورة واسعة في بداية طريقها.

علي هذا الأساس استطاع معارضو الشاه فقط أن يعملوا خلال عشرة أشهر يخرجوا الناس الساخطين والرافضين والمعارضين للنظام علانية، ويتقدموا نحو الهدف، ولكن جو النفاق والصراع القائم بين أتباع الشاه قد قادهم إلي إثارة الشقاق والدعايات الجوفاء بدلا من اتخاذ رد فعل مناسب تجاه الأحداث، وتسبب في أنه بدلا من البحث ومعرفة أسباب الإضطرابات جرت علي ألسنتهم إشاعات لا أساس لها من قبيل "لوسكويد في الأمر" أو "الفلسطينيون قد أثاروا الاضطرابات" أو "تآمر رجال القذافي".

كان لدي الشاه في ذلك الحين سلطات كثيرة لإنقاذ النظام الملكي، مثلاً كان من الممكن أن يكف يده عن الحكم مدة قصيرة حتي لا تعم الثورة قمماً، أو يتخذ خطوات ليس فيها عنف أو سحق للمتمردين، في أواخر أكتوبر ١٩٧٨ (أوائل آبان ٥٧) كان الموقف الي حد ما لم يزل الشاه يسيطر سيطرة تامة على الجيش، والأمريكيون كانوا يعطون الضوء الأخضر مع كل خطوة من خطواته، وبينما الروس يتابعون الأوضاع من بُعد، ويدركون دوماً أنه لا يحق لأحد أن يتدخل في الشؤون الداخلية لإيران، بالإضافة الي ذلك تابعت الطبقة المتوسطة من الشعب الأوضاع بقلق، وقد كانت تنتفض عند مشاهدة الإضطرابات، ولم يعرفوا وراء من يسرون.

ولكن الشاه كمن توقف عقله، لم يستطع أن يظهر رد فعل مناسب، ولهذا قال "بلومنتال" (وزير الخزانة الأمريكي) بعد زيارة لإيران :

إن حالة الشاه كحالة شخص نجا من الصرع، ودائماً في حيرة ينظر حوله مضطرباً.

كلما كان الشاه يتخذ قراراً أو يتلفظ بأى مطلب كان غير مناسب وفي غير

موضعه لدرجة أنه لم يرفع عن كاهله حملاً، ولم يساعد علي تحسين الأوضاع، وأفضل دليل على هذا؛ أحدهما كان إعلان إلغاء إقامة مراسم عيد ميلاده (١-٢) وثانيها مساعداته لتضري زلزال خراسان.

كان الشاه يحرص على الاستفادة من المواقف المناسبة لدرجة أنه كاد يفقد الفرصة تماماً، وفي هذا الصدد يجب الإشارة إلي توافقه في الحوار وتنحية معارضيهِ المعتدلين مما تسبب في أن يذهب "سنجاي" (زعيم الجبهة الوطنية) إلى باريس لمقابلة خميني، ليعلن تضامنه هناك مع مواقف آية الله، بنشر بيان.

بعد حوادث آمل ضغط بعض مستشاري الشاه - كانوا قد سمعوا أجراس الخطر - عليه، حتي يستعمل العنف أكثر لسحق المعارضين، لدرجة أن أحد أصدقاء البلاط قال: إن أردشير زاهدي كان دائماً يردد علي مسامع الشاه أنه من الأفضل بأن يسلك طريق حل شبيه بـ "بينوشيه" في شيلي، باعتقال واسع وقتل المعارضين، وعندما تخلق جوا من الرعب والخوف بين الناس لا يجرؤ أحد قط المعارضة.

بناء علي قول صديقي، أن أردشير زاهدي قد أشار إليه ضمن اهتمامه ويقرر الشاه لتوسيع الليبرالية في البلاد، لأنه من الأفضل أن يختار عدداً كدروع بلاء للتضحية بهم، ويخلصهم من الموت.

أخبرني أحد المقربين لأردشير زاهدي أيضاً فيما بعد أنه قبل سفر أردشير إلي طهران، وفي حضور عدد من أصدقائه الذين تجمعوا في صالة فندق "والدورف آستوريا" في نيويورك، رأى أنه فيما يتعلق بأوضاع إيران يجب علي الشاه أن يعدم بسرعة عدة أشخاص؛ وفي قائمة الذين أعددهم "مجرمين" ذكر اسم أمير عباس، ووافق أحد رفاق أردشير زاهدي في هذا المجلس علي طريقة حل السفير - المتعطش إلى دم إيران في واشنطن.

(١-٢) كان عيد مولده في ٤ آبان الموافق ٢٦ أكتوبر حيث ولد في سنة ١٢٩٨ هـ ش / ١٩١٩ م.

ليس الهدف من هذا البيان الا أن أشير إلى وجود حالة من العداء بين أفراد الطبقة الحاكمة، وأشير أيضا إلى أنه علي الرغم من وجود خطر فإن هذه الجماعة كانت بسبب حقدها مثيرة للتفرقة.

وعلي العكس بدلا من أن تتحد العناصر الموالية لنظام الشاه مثل مؤيدي الخميني، أهدروا قوتهم حتي يبعدوا فقط المنافسين عن طريقهم، ويعملوا علي تحقيق أهدافهم الوصلية، خلال ذلك، طالما لم يكن لأردشير زاهدي لسنوات من هدف إلا الجلوس علي كرسي الرئاسة، لهذا السبب وجه كل همه لمعاداة أمير عباس بكل صلافة. أدت الحوادث التي وقعت في مدينة آمل وانعكاساتها الواسعة في أنحاء البلاد الي استمرار الضغط من كل جانب علي الشاه، ليعزل بأسرع ما يمكن شريف إمامي (١-×)، ويعين مكانه أحد العسكريين كرئيس للوزارة، وعندما وصل الأمر الي أن شريف إمامي لم يكن لديه مقدرة علي تحسين الأوضاع، وبلا امتيازات إلتي منحها للمعارضين سمح لهم بالتدخل أكثر في أموره، وعلي كل حال لم يكن للنظام مشكلة أساسية سوى أن عامة الشعب قد مالوا أكثر من قبل نحو خميني، واتجهوا نحو الاستجابة لمطالبه.

خلال ذلك جرت بين الشاه ومستشاريه مباحثات متصلة في مجال إمكانية إقامة وزارة عسكرية، وكان هذا السؤال مطروحا ماذا لو لم تستطع قرارات الحكومة العسكرية والقيادة القوية للقائد العسكري أويسى، أن تقوم باللازم؟ وأثناء ذلك كان الشاه الذي لم يصل عقله بعد إلى درجة الهوس إما أن ينفذ رؤية "فرانكو" أو يسير سيرة "كارلوس"؟ (٢-×).

عندما علم شريف إمامي بضغط "الصقور" (٣-×) على الشاه لتشكيل وزارة

(١-×) عين شريف إمامي رئيساً للوزارة خلفاً لجمشيد آموزجار في ٥ شهر يور ١٣٥٧ هـ. ش

(٢-×) انظر ياسخ به تاريخ ص ٣٦٣.

(٣-×) انظر : شكست شاهانه ٣٤

عسكرية ساعة قدر الإمكان للمقاومة، وأثنى الشاه عن اتخاذ مثل هذا القرار، ولكن العسكرين وصلوا في النهاية الى هدفهم واستطاعوا خلق وضع يهيئ شريف إمامي للتسليم.

الأحد ٥ نوفمبر ١٩٧٨ (١٤ آبان ٥٧) طهران

في ٥ نوفمبر بينما عم اضطراب شامل أنحاء المملكة - خاصة المناطق الغنية بالبترو، اختفت جميع قوات الجيش المتمركزة في شوارع طهران فجأة، وكان هذا التصرف عاملاً مساعداً جداً لظهور المتظاهرين، وعقبها انطلقوا بكثرة في الشوارع، خلال هتافات "الموت للشاه" كانوا يثيرون فوضى عظيمة مصحوبة بقلب وسائل النقل واحراق المباني حتي أنهم خلال ذلك أشعلوا النار في قسم من السفارة الإنجليزية (١-٢).

عندما سارت الأحداث سيرا سيئاً، اضطر شريف إمامي عصر يوم ٥ نوفمبر بعد قرابة شهرين ونصف في رئاسة الوزارة وعقب مرحلة من الكوارث أن يستقيل من منصبه، وبعد عدة أسابيع وعند مغادرة البلاد وبحذر شديد قدر الإمكان؛ قام بنقل ثروته، إلى البنوك الأجنبية.

في نفس هذا اليوم أبدى سفير أمريكا في طهران عن قلقه لأحوال الأمريكيان المقيمين في إيران بإرسال رسالة إلى واشنطن، وطلب الإذن بأن يبدأ خطوات بترحيل أتباع أمريكا من إيران، ولكن كارتر رفض قبول طلب سفيره، حتى لا يسبب السفر الجماعي للأمريكان ذعر للشاه، وعقب ذلك قرر تأييده العلني للشاه. أعلن صراحةً أن مساعيه في طريق "إقامة الديمقراطية في البلاد" بدأت تثمر (قبل عدة أيام من إعلان كارتر تأييده للشاه (٢-٣)، كان قد التقى برضا بهلوي ولي عهده وأردشير زاهدي كحركة

(١-٢) انظر : پاسخ به تاريخ ص ٣٦٣.

(٢-٣) انظر: شكست شاهانه ٤٣

دعائية) ويعد كارتر أيد وزير خارجيته (سايروس فانس) أيضا "الخطوات التي اتخذها الشاه لإقرار النظام والهدوء في إيران.

كنت في ذلك الوقت في نيويورك، وبعد الاطلاع علي التقرير بإعلان تأييد المسؤولين الأمريكيين للشاه، قلت لأحد أصدقائي من أصحاب المناصب في أمريكا: "لعلكم قد صمتم في الواقع أن تخلصوا أنفسكم من الشاه؟" وعندما اضطرب من هذا السؤال سألتني عن مقصودي؟ أوضحت له أنه "كان من الأفضل أن تظهروا أسلوباً آخر لحفظ أعماله دون إعلان تأييده، لأن جميع الإيرانيين متفقون تقريباً أن الشاه عميل لكم، ولو لفت انتباهكم مضمون شعارات شعب إيران لرأيتم أن جميع المتظاهرين يرددون في نفس واحد: "الشاه دمية الامبرياليين الأمريكيين".

بدأ الشاه مشاوراته مع علي أميني وجميع الساسة في الدولة عقب حوادث ٥ نوفمبر وإقالة شريف إمامي، وقام بمباحثات مع سفراء المجلترة وأمريكا، وفي النهاية اختار المشير أزهارى (رئيس أركان الجيش) رئيساً للوزارة (١-٨).

بعد ذلك صرح الشاه للشعب خلال حديث تلفزيوني أن "... الأخطاء السابقة والظلم والفساد لن يتكرر ثانية، بل إن الأخطاء أيضا ستتلاشى من كل مكان: " وهكذا تعاهد أنه بعد الحكومة العسكرية "سيعين في أسرع وقت حكومة وطنية لإقرار الحريات السياسية وإجراء انتخابات حرة .. " وأشار في خطابه للشعب إلى هذه النقطة أيضا أنه "... إنني استمعت لرسالة ثورتكم للأمة الإيرانية، وأقدر لكم كل ما قدمتموه من تضحيات .. " (٤).

إن الشاه - أو الشخص الذي قد كتب خطابه - لا شك أنه لم يفكر أنه تحدث مثل هذه الأحاديث وتعهّد بالتعهدات نفسها من قبل، وعلي سبيل المثال في سنة ١٩٦٧ تحدث عن اقتلاع أس الفساد، وفي سنة ١٩٧٧ تحدث عن إقامة انتخابات حرة أيضا.

لم يأت خطاب الشاه بنتيجته سوى التقليل من شأنه، وكان هذا التصرف لا مجال له إلا أنه أضاف ما كان واجباً أن يحدث إلي سجل أخطائه التي كان قد ارتكبها منذ بداية ظهور الاضطرابات.

خلال ذلك لم يكن أمام الشاه مناص إلا الاعتراف بالأخطاء أمام الجميع، ولكن المسألة هي أنه كان قد وضع قدمه في المعمة عند اختياره لطريق ملتو، لأنه إذا كان يريد أن يكسب المحبة بمثل هذا التصرف ويبين للأمة أنه شخص شجاع ومستنير الفكر، كان من الواجب أمام الشعب أن يبحث عن المسببات، ويعدد النقاط الإيجابية في عصر سلطنته، وعند تحديد أخطائه في السابق يتعهد شخصياً بمسئوليته التافهة ويعرض علي الجميع الحقائق الموجودة في النظام.

وإذا كان قد فعل هذا فإنه بذلك يكون قد أدرك بنفسه أن تكليف حكومة عسكرية لن يحقق الفائدة له أبداً، وبذلك لا يكون له هدف إلا إقرار النظام والهدوء، وكان يجب أن يحل مجلس الحكم، ويعمل بأقصى سرعة لعقد انتخابات حرة.

ولكن بدلاً من ذلك الأمر، أهدرت الحكومة العسكرية التي عينها الشاه وقتها هباءً للحصول علي ثقة المجلس، وانشغلت هنا وهناك للبحث عن أشخاص لتضحي بهم كدرع واق للشاه.

عقب تعيين أزهارى رئيساً لوزارة الحكومة العسكرية (١-١٠)، أثار الجيش اضطراباً مرة أخرى في الشوارع، وحاصر المدينة، وادعا اتباع شريف إمامي أن جمع القوات من شوارع طهران يوم ٤ نوفمبر (١٤ آبان) كان بالتأكيد بهدف إيجاد اضطرابات في المدينة وتهيئة رئيس الوزراء للاستقالة من منصبه.

بعد إقامة حكومة أزهارى؛ وعلي الرغم من أن حالة هدوء نسبي قد عمت طهران لعدة أيام، ولكن الاضطرابات استمرت في بقية المدن الإيرانية علي حالها، وفي مثل

(١-١٠) في ١٥ آبان ١٣٥٧ هـ . ش

- ٢٩٠ -

هذا الحال أعلنت أمريكا مرة أخرى علناً تأييدها للشاه، وأوضحت وزارة خارجيتها أيضاً - بنشر بيان - خطوة الشاه علي النحو التالي: "...

لقد استخدم الشاه فقط سلطاته عند تشكيل وزارة عسكرية لأنه تبين له أنه في الوقت الحاضر ليس لديه فرصة قط لتعيين وزارة مدنية أخرى حتي يتمكن عن طريقها إعادة النظام والهدوء اللازمين لعقد انتخابات في البلاد ..."

بالنظر إلي ذكر عبارة "وزارة مدنية أخرى" في بيان وزارة الخارجية الأمريكية بهذا الشكل أن مسألة تردد علي أميني مرات بين البلاط والأوساط المعارضة للنظام ليس له أساس، وكان قد حدد ضمناً تعسر أميني في تشكيل وزارة ائتلافية، لامتناع العناصر المعارضة للاشتراك فيها ما دام الشاه يستقر علي رأس السلطة - مما عرقل جلوسه علي كرسي الرئاسة .

إذا أردنا أن نتعرف علي الواقع يجب أن نقبل أنه في ذلك المنعطف الحساس كان لزاماً علي الشاه أن يتنحى عن الحكم ليمنح أميني الفرصة ليشكل وزارة ائتلافية باشتراك المعارضين، وكان فقط بهذا الشكل يستطيع أن يحفظ النظام الملكي في البلاد حتي لو طالب المخالفون باقامة استفتاء، وعلي الأقل كان القيام بهذا الأمر سبباً في ألا يزهق أرواح كثير من الشعب من أجل قلب نظامه.

ولكن الشاه بسبب أنانيته أكثر من اللازم وحبه المفرط للحفاظ على السلطة لم يهتم أبداً بالواقع، بل إنه سلم عنان سلطته أكثر من ذي قبل لأشخاص مغرضين كانوا قد التفوا حوله، وسعوا بالتوصيات التي أوصوه بها أن يحافظوا علي مصالحهم.

كان هذا في الوقت الذي كان فيه خميني في نوفل لوشاتو قد قوي أكثر، وأعد نفسه بأن يقود ويتزعم الشعب حركة كانت قد بدأت، صوب الثورة.

كان آية الله العجوز يصر في حديثه دائماً علي هذه المسألة أنه ليس مستعداً

أبدأً للمصالحة مع النظام، وكان دائما يؤكد أنه إذا لم يؤد استمرار مظاهرات الشعب إلي سقوط الشاه من الممكن أن يدعو الشعب لثورة مسلحة ضده.

في الوقت الذي لم يكن هناك أحد تقريباً يصدق أن الشاه كان صادقاً في سلوكه وأقواله، وفي هذا الشأن أدركت ذات مرة خلال حديث مع أحد تجار سوق طهران (الذي كان يستعد للعلاج في نيويورك) أن سلوك الشاه وصل درجة أن أصحاب رؤوس الأموال أيضاً كانوا قد فقدوا الثقة فيه، وقال هذا التاجر : "أخيراً كيف يمكن أن يوثق بالشاه؟ إنه بضم عدد من البنوك والمحلات الكبرى قد أفقد أعمالنا ومكاسينا ازدهارهما تماماً.." وحققةً أدركت أنه قبل ظهور الوضع الاقتصادي الجديد في البلاد كان للتجار دور رئيسي في التحكم في التجارة، ومنح أكثرهم القروض للناس التي كانت فائدتها أعلى من السعر المعمول به في المؤسسات المالية.^(٥)

كان من بين المعارضين غير الدينيين للشاه جماعة كانت تأمل في أن تهيئ أمريكا الشاه ليعتزل الحكم لصالح ابنه، وبعدها يستقر الحكم في المملكة بدستور ١٩٠٦، ولكن الشاه؛ لما كان علي كل حال لا يستطيع أن يتنبأ بعواقب الأمر، كما كان أيضاً ينظر الى خطوات أردشير زاهدي والجيش في غيابه، بسوء الظن، لذا لم يشر عن رغبته مطلقاً بترك مكانه ومنصبه، ومع استمرار قبول التوصيات المضللة لحاشيته وضعفه التام عن اتخاذ قرار مناسب قد ضيق الخناق عليه أكثر كل لحظة.

درع البلاء

طلب أزهارى من الشاه فور إبلاغه برئاسة الوزارة أن يتباحث مباحثات سرية مع أردشير زاهدي وقره باغى (الرئيس الجديد لأركان الجيش)، وقد أخبروني بذلك فيما بعد أنه في هذه الجلسة استطاع أردشير زاهدي أن يقنع أزهارى أنه لتقليل شدة هجوم الشعب علي شخص الشاه من الأفضل أن يقبض علي عدد من رجال الدولة ويسجنهم، وبعد أن وافقوا علي الخطة قدموا قائمة بالأشخاص المطلوبين وكان اسم أخى موجوداً بينهم.

الهدف من ذلك كان أن يلقي بالتقصير عن جميع أعمال النظام فى رقبة هؤلاء الأشخاص، وكان يأملون تنظيف المساوئ المشينة للشاه بأن يحاكموا المعتقلين محاكمات سريعة.

أخذ أزهارى موافقة الشاه لتنفيذ هذه الخطة فى غد ذلك اليوم، ثم أعلن فى يوم ٧ نوفمبر (١٦ آبان) (١-×) أنه قبض على ١٤ شخصاً منهم "نصيرى" (الرئيس السابق للسافاك) بجرمة سوء استغلال سلطاته وإشاعة الفساد.

فى ٨ نوفمبر أيضاً اعتقل أزهارى، بموافقة الشاه، على أمير عباس، ولكنه امتنع عن اعلان التهمة الموجهة اليه، وكما سمعت أن الشاه أصر على أن يحاكم أخى بأسرع ما يمكن ربما يستطيع عن طريق هذه المحاكمة أن يغير الرأي العام، لكن وزير العدل قال : إنه "على أساس القوانين المرعية فى البلاد، لا يمكن أن يحاكم رؤساء الوزارة السابقين بسبب أعمالهم وقت رئاستهم إلا بموافقة المجلس، سواء أكانوا متهمين بالفساد أو الاختلاس.. ولهذا السبب لم يكن لدى وزير العدل صلاحية إعداد الجزاء المطلوب فى حق أمير عباس، لذا كان يجب انتظار عدة شهور ليهيئ أسباب إقامة محاكمته على يد المجلس.." وأصدر الشاه أيضاً حول هذا الأمر أوامره لكي يعد وزير العدل بأسرع ما يمكن لائحة فى هذا الخصوص ليصادق عليها المجلس خارج جدول الأعمال.

بعد اعتقال أمير عباس أشيع أن الشاه والملكة قد طلباً من أخى أن يبدي تقصيره فى كل المجالات لينقذ النظام الملكى بهذا الفعل من الخطر.

مع أنني لا أعتقد فى صحة مثل هذه الشائعة الي حد ما ولكننى واثق أن النظام كان يبحث عن شخص يجعله درع بلاء له، وفى هذا المقام استند إلى أقوال الشاه التى صرح بها بعد مقتل أخى بثلاثة أسابيع خلال حديث صحفى مع صحيفة لوموند (بتاريخ ٢٧ إبريل ١٩٧٩) جاء فيه :

(١-×) ورد فى كتاب الشاه "ياسخ به تاريخ" أنه فى الثامن من نوفمبر ١٩٧٨ (١٧ آبان ١٩٧٨) ص ٣٨٠.

عندما عُرض عليّ قائمة الأشخاص المطلوبين - للحصول على إذن باعتقالهم، وافقت عليهم جميعاً ما عدا هويدا (١-٣)، وفي نفس يوم ٧ نوفمبر (١٦ آبان) استدعيت هويدا بعد ذلك الي القصر، واستعرضت معه الأمور بوضوح، وعندما أحسست أن روجه في خطر، طلبت منه تبعا لرغبته قبل أن يفوت الوقت أن يخرج من ايران بطائرة خاصة.

استمع هويدا الى كلامي بأذان صاغية، ثم قال : "ليس هناك سبب لكي أطلب الهروب من إيران، وطالما لم أقصر أصلا، وإذا لم يكن لديك سبيل إلا اعتقالي أتمنى أن تفعل هذا الأمر...". ولم أكن حقيقة أنتظر جوابا من هويدا إلا هذا، ولما كنت أعرف أنه لم يكن مطلقاً خالياً من عبء تحمل المسؤولية بالإضافة إلي كونه شخصاً لا يمكن أن يواجه إليه اتهام أبداً".

هذا الموضوع المتمثل في رفض أخي وقبول الفرار من البلاد حقيقة، فبينما كان خمسة رؤساء وزارة آخرين يعني : أميني وأموزجار وشريف إمامي وأزهاري وبختيار قد فروا من إيران فإن أمير عباس لم يستغل موقعه للفرار أبداً.

ولكن قول الشاه من أنه قد اقترح علي أخي بالخروج من البلاد، وهو قول غير مقبول بالنسبة لي أبداً، واعتبره نوعاً من "الوهم الشاهاني" وطبقاً لم صرح به في صحيفة لوموند، أقول : "طالما أن الشاه كان واثقاً من أن "ما من اتهام يلحق بهويدا" لماذا أصدر أمراً باعتقاله؟ ألم يكن هذا التصرف من الشاه سوى استخدام أخي كدرع للبلاء؟ (٢-٣) وإذا كان قد أحس أن "روح هويدا في خطر" أليس هذا دليلاً آخر علي معرفته لدور أردشير زاهدي لقتل أخي؟.

(١-٣) لم يذكر الشاه ذلك في كتابه ياسخ به تاريخ (انظر ص ٣٧٩ - ٣٨٢).
(٢-٣) قال الشاه : إنه في خريف سنة ١٩٧٨ أنهم جعلوا أمير عباس هويدا درعا للبلاء وهاجموا باعتباره مسئولاً عن أمور الحكومة (ياسخ به تاريخ ٣٨٠) ولم يحدد الشاه من هم الذين جعلوه درعا للبلاء.

فى تلك الأيام التي كنت اتصلت هاتفياً بأمر عباس أخبرني أن الشاه قد قال له: يجب أن يعرف أن اعتقاله فقط خطوة لإنقاذ التاج والعرش، وعقب ذلك سيتمكن من الدفاع عن نفسه جيداً ولن تسفر نتيجة محاكمته إلا علي علو همته وتوفيقه. عند سماع هذا القول، اقترحت علي أمير عباس: أن يرد علي طلب الشاه هذا علي الأقل بأن يبين للجميع مسئولية الشاه واتخاذ كدرج بلاء له ، ولكنه امتنع عن قبول اقتراحى، وقال رداً عليه : "لن يسفر هذا الأمر بنتيجة أخرى إلا زيادة مشاكل المملكة..".

وعقب هذه المكالمات اتصل بى من طهران أحد المقررين بى في غد ذلك اليوم وحذرني من أنه طالما أمير عباس فى وضع خطر فمن الأفضل لى أن أغلق فمى والا أتحدث مرة أخرى هذا الكلام.

وادعى الشاه فى نفس حديثه مع لوموند أنه "قد منح أمير عباس فرصة عند خروجه من إيران يوم ١٦ يناير ١٩٧٩ (٢٦ دي ١٣٥٧) ليفادر إيران بكل حذر" ولكننى أعلن مؤكداً أن قول الشاه هذا ليس إلا "كذبة كبرى" لأن جميع الأشخاص الذين على اتصال بأخى فى هذه الأيام الحساسة يرفضون ادعاء الشاه هذا، وقد تحدثت أنا شخصياً مع أخى فى ١٦ يناير، ولم أسمع منه فى هذه المكالمة أبداً شيئاً خاصاً باقتراح ادعاء الشاه، بينما كنت أعرف منذ عدة أيام من قبل أن سيدة من المقربات لنا قد طلبت فى رسالة لها للشاه والمملكة أن يخرجوا أمير عباس فى طائرتهما من البلاد، ومع أن الشاه كان على علم بانتهاء عهده إلا أنه كان يستطيع حتماً أن يطلق سراح معاونيه الذين كانوا قد سجنوا بأمره، ويحملهم معه من إيران، ولكنه امتنع عن مثل هذا التصرف كيلا يكدر طلعتة البهية، وأنقذ نفسه فقط من المهلكة، وأنا واثق أن محكمة التاريخ ستكشف الحجاب عن النوايا الحقيقية للشاه.

والأمر الذى صرح به الشاه فى حديثه الصحفى مع لوموند أن اعتقال هويدا

وآخرين كان ضرورياً "لتهدئة الثائرين" ولكن من ذا الذى لايعرف أن تصرف الشاه لم يستطع أن يترك أثراً على حركة الشعب ، ولما كان الهدف الحقيقى لهجوم الشعب على شخص الشاه، وليس أخى، والشاه نفسه عند مشاهدة الأوضاع المضطربة أطلق سراح سنجابى وآخرين من معارضى النظام بعد عدة أيام، وكان يجب أن يفهم أن سجن أخى لا تأثير عليه مطلقاً فى "تهدئة الثائرين".

بناءً على ذلك وعلى الرغم مما قاله الشاه (١-×) فى حديثه للموموند، لم تعد أعمال سياسة، "درع البلاء" التى قام بها بالتهدئة فى البلاد ولم تمنع استمرار الاضطرابات، بل أن حيز المعارضة أخذ أبعاداً جديدة كل يوم، وتطور أكثر من مرحلة إلى أخرى حتى قامت الصحف بالإضراب وتوقفت عن النشر بسبب معارضة أعمال رقابة الحكومة العسكرية.

تحركات حكومة ازهادى العسكرية:

قامت الحكومة العسكرية بالضغط على المعارضين للنظام لإجبار رؤسائهم لمصالحة الشاه، واعتقلت فى البداية سنجابى وأحد مرافقيه، ثم حذرت الهيئة المنظمة لإضراب العمال- خاصة فى المناطق الغنية بالبترول أنه إذا لم تنه الإضراب سيعتقلون ويسجنون، ولكن هذا التصرف لم يكن له من أثر بل على العكس كان سبباً فى انسجام الشعب أكثر، وتزايد مطالب المعارضين للنظام.

ورأت الحركة نفسها منذ سبتمبر (شهر يور) وما بعده أنها أقوى من السابق ليس فقط فى مواجهة مثل هذه التهديدات الوحشية ، بل أدركت مجدداً مدى ضعف الحكومة العسكرية (حتى الشاه نفسه لم يهتم بهذا الأمر وأطلق سراح سنجابى بعد أسبوع واحد من الاعتقال).

عقب ذلك عندما أدرك الجميع أن حكومة أزهارى حكومة عسكرية فى الظاهر

(١-×) دافع الشاه كثيراً عن هويدا انظر: (پاسخ به تاريخ ٣٧٩-٣٨٠).

فحسب، وفى الخفاء ليس لها هدف إلا فتح مجال مصالحة المعارضين مع الشاه، لذا وضع ضعف الشاه أيضاً، واستمرت حركة الشعب فى طريقها تزداد قدرة واقتداراً، بينما كان هذا التصور شائعاً فى أذهان العامة كان الأمريكان ليسوا مستعدين مطلقاً لينقذوا الشاه بحجة وجود حرب أهلية، وبهذا العمل الذى كان قد أدى إلى مواجهة الجيش والشعب سبباً فى انفصال الجيش^(٦).

كانت الوزارة العسكرية لأزهارى تلتقط آخر أنفاسها بينما لم يكدم على تشكيلها أكثر من عدة أيام، وعندما أدرك الشعب خواءها اتسع نطاق الحركات المناوئة للنظام أيضاً عنفاً ونشاطاً عن ذى قبل، وتحولت مطالب المضربين أكثر إلى النواحي السياسية، وقُتل وجرح عدد كبير من المتظاهرين إثر هجوم القوات العسكرية عليهم فى مدن مختلفة مثل: عبادان، بهبهان، مشهد، أصفهان وسارى^(٧).

بينما أخذت قوة معارضى النظام تزداد، وتوسيع دائرة النشاط الشعبى، كان الشاه يتمسك بخطوات فقط لإظهار رفعه للأخطاء فى الأوضاع ودفعه لخطأ فى الحسبان، على سبيل المثال، كان يوم ١٧ نوفمبر (١٧ آبان) يُعد "عيد الجيش" واستعرضت القوات العسكرية فى طهران، ولم يحضر الشاه لأول مرة هذه المراسم، وأراد بهذا التصرف أن يقف الشعب على غضبه ورفضه أكثر.

فى رأى كثير من المراقبين أن الشاه لو ظهر فى أحداث استعراض جيشه أمام العامة وأبدى سلوكاً من العنف والقوة، كان من الممكن أن يظهر للشعب عزمه وإرادته وهذا فى حد ذاته يقوى نفسية الجيش للاستمرار فى الوفاء للحكم^(٨).

مثال آخر، كانت زيارة الملكة فرح يوم ١٨ نوفمبر (٢٧ آبان) لكربلاء والنجف - مدن الزيارة الشيعية فى إيران ومع أنها فى الظاهر كانت استجابة لدعوة من الحكومة العراقية، لكن الجميع كان يعرف أنها ليست إلا قضية إظهار التدين من قبل أسرة الشاه وإبراز ارتباطها بالمذهب الرسمى للبلاد.

- ٢٩٧ -

ولما كانت هذه الخطوة أيضاً قد تمت متأخرة جداً عن المعتاد، فقد أثارت غضب البعض ضد الشاه، ولم يثمر برد فعل بين الآخرين إلا بصورة مختلفة ولو أن زيارة الملكة إلى كربلاء والنجف طبقاً لما هو مخطط لها قد تمت قبل يوليو (تير ٥٧) كان من المحتمل أن تأتى بنتائج إيجابية، ولكن هذه الزيارة فى ذلك الوقت لم تتم بسبب إقامة خمينى فى النجف وتم تأخيرها حتى تتم فيما بعد فى شهر نوفمبر بشكل غير مؤثر وبنتائج سلبية.

وفى نفس يوم ١٨ نوفمبر ارتكب النظام خطأ آخر، وقدم أزهارى وزارته العسكرية لأخذ ثقة المجلس، ولكن هذا التصرف فى نظر الشعب لم يعتبر حديث المعارضة والموافقة من نواب المجلس ليس إلا نوعاً من مسرحية دُمى، وكان ضررها الآخر هو أن حضور أعضاء حكومة أزهارى فى المجلس كان سبباً فى أن تفقد حكومته تماماً كونها "عسكرية".

الأهم من ذلك أنه فى يوم ١٨ نوفمبر قطعت موسكو لأول مرة صمتها تجاه أوضاع إيران، وأعلن برجنيف خلال حديثه أن الأمور الجارية فى إيران لها تماماً صفة التحرك الداخلى، وحذر بشدة أى تدخل أجنبى فى شئون إيران.

فى يوم ١٩ نوفمبر بينما أطلق الشاه سراح ٢١٠ أشخاص من المسجونين السياسيين كخطوة لتهدئة الوضع، كانت القوات العسكرية فى نفس الوقت وفى أماكن مختلفة من البلاد مشغولة بسحق المظاهرات السياسية للشعب، وأظهر الشاه بهذا التصرف أنه لم يزل يسلك سياسته الأولى منذ بداية الأزمة، ويتبع سياسة العصا والجزرة، ولما كان النظام فى ذلك الوقت بعد إعادة فتح السوق يعتبر هذا التصرف إظهاراً لقدرته، وفوراً أعلن أكثر التجار أنه "إذا تصورت الحكومة أننا قد سلمنا فإنها تخطىء....".

وبعد ذلك تتابع وقوع حوادث مختلفة فى المدن الإيرانية بالتوالى والتى منها: إطلاق النار من قبل القوات العسكرية صوب أهالى شيراز (١٩ نوفمبر)، هجوم رجال النظام على إحدى المستشفيات فى مشهد وقتل المرضى الجرحى فى المستشفى (٢٣ نوفمبر) (٩).

يوم ٢٦ نوفمبر (٥ آذر ٥٧) لى الشعب أيضاً دعوة رجال الدين والجهة الوطنية وقاموا بالإضراب الشامل احتجاجاً على حادثة مشهد فى كل البلاد وحتى فى المناطق الغنية بالنفط.

أوضاع إيران أواخر نوفمبر ١٩٧٨ (أوائل آذر ٥٧):

مع مرور قرابة ثلاثة أشهر من بداية الإضطرابات والإضرابات كان اقتصاد البلاد يتجه صوب الشلل الكامل، العمليات البنكية كانت تتم بشكل انفرادى، ونقص السيولة كان يحس فى كل مكان، كانت البضائع المستوردة، التى كان أكثرها قابلاً للتلف - قد ملأت منافذ الدخول والحدود بسبب إضراب عمال وموظفى الجمر، وظهر فى المصانع حالة نقص العمل عن عمد، موظفو الحكومة إذا حضروا إلى الإدارات عادة يضعون أيديهم فوق بعضها، ولا ينجزون عملاً، صاحب هذه الأمور أن الأغنياء كانوا مشغولين كما كان من قبل بنقل أموالهم خارج البلاد.

فى ذلك الوقت وبسبب انتشار قائمة مفصلة وإذاعتها بين الشعب، اتهم عدد من الأشخاص المعروفين - خاصة أفراد الأسرة الحاكمة - بإخراج أموالهم من البلاد خلال الشهر الماضى.

فى هذه القائمة، التى كانت بدون توقيع، يقال : إنها قد نشرت عن طريق موظفى البنك المركزى المضربين، ذكرت القائمة أسماء ١٤٤ شخصاً منهم جمشيد آموزجار وأردشير زاهدى ولكن كانت الأرقام المذكورة مبالغاً جداً.

بعض الأشخاص الذين وردت أسماءهم فى القائمة راجعوا رئيس الوزراء، وطالبوه أن يوضح الحقائق بنشر بيان، ولكن أزهارى رفض طلبهم بحجة المصلحة، ووجدت محتويات هذه القائمة قبولاً عند الناس لدرجة أن تأييدها أو تكذيبها لا يحل المشكلة.

على هذا الأساس علم أن تحركات المعارضين تأتى بنتيجة أفضل من أساليب النظام، وأنهم قادرون على أن يطلقوا الحراب التى فى أيديهم فى مقتل مؤيدى الشاه ويقضون عليهم، بينما لم تثمر أفعال أزهارى من القبض على بعض الأشخاص المعروفين وإهانتهم من أجل منح الثقة للشاه، بنتيجة إلا استهزاء الشعب بالنظام، وكان الجميع يقولون: "طالما أن الشاه مضطرب فى أموره فإنه يسعى ليلقى بأخطائه فى رقاب الآخرين" ووسط هذا، عندما رأى المعارضون للنظام أن الشاه قد سقط بالعناصر التى أقامها نظامه، وبضرب بفأسه على جذره، أحسوا بالسعادة.

فى مثل هذا الموقف كان مؤيدو ومعارضو النظام منتظرين حلول شهر المحرم بخوف وأمل كبيرين لأنه منذ حل أول شهر ديسمبر والجميع ينتظر أيضاً يوم ١١ ديسمبر الذى كان يوافق "عاشوراء" ذكرى شهادة الإمام الحسين (حفيد نبي الإسلام) لما سيحدث فيه من صدامات شديدة بين الشعب والقوات العسكرية.

كان مؤيدو النظام يعتقدون أن الشاه لو استطاع أن يتجاوز حوادث يوم عاشوراء سينجو من الهلاك، ولكن المعارضين كانوا واثقين أن يوم عاشوراء ستتحول كل أمانى الشاه إلى يأس.

خلال ذلك عندما كان آية الله خمينى يسعى من قاعدته فى نوفل لوشاتو أن يثير الشعب أكبر ما يستطيع بزيادة خطبه وأحاديثه الصحفية، كانت أوساط البلاط وعواصم العالم تنظر إلى موقف الحكومة الفرنسية نظرة حيرة تامة، وفى الواقع لم يعرفوا لأى سبب يسمح المسئولون الفرنسيون خلافاً للقوانين الدولية فيما يتعلق.

- ٣٠٠ -

باللاجئين السياسيين، حتى يثير رجل دين منفى الثوار فى إيران^(١٠) ولكنهم كانوا غافلين عن هذه الحقيقة وهى أنه بعد سفر خمينى من النجف إلى باريس، عرضت الحكومة الفرنسية الأمر على الشاه، وطبقاً لما صرح به بالأ يقيم بأى عمل من شأنه إخراج خمينى من فرنسا.

فى نفس الحال كل من بين المسئولين فى واشنطن فقط "برجنيسكي" الذى سعى بكل وسيلة ليطمئن الشاه ويرغبه فى الاستقامة، ولكن بقية أعضاء الهيئة الحاكمة فى أمريكا فيما يتعلق بأوضاع إيران، كانوا يقيمون فرصة استمرار حكم الشاه بأى وسيلة، وهذا الأمر نفسه كان سبباً فى ظهور الوهم فى عقل الشاه من أن الأمريكين ليس لديهم استعداد لمساعدته.

فى مثل هذا الوضع- على الرغم من أن عدداً من جنرالات الشاه قد لفتوا انتباهه إلى الضعف المفرط لحكومة أزهارى حتى ينتهز الفرصة المناسبة لحفظ النظام عن طريق انقلاب عسكري، ولكن الأمور فى أواخر شهر نوفمبر قد أخذت شكلاً كان يظهر أنه لا يوجد قط أمل لإنقاذ حكم الشاه سواء عن طريق إقامة حكومة قوية أو إقامة نظام دستورى.

فقد الشاه ومستشاروه جميع الفرص المتاحة التى تهيأت لهم طوال شهر سبتمبر (شهر يور) وحتى أواخر أكتوبر (أوائل آبان) والآن لم يكن للوزارة العسكرية لأزهارى أيضاً مستقبل إلا الاختفاء..

شهر المحرم:

ليلة الأول أو الثانى من ديسمبر ١٩٧٨ (١٠-١١) والتى كان فى غدها يبدأ أشهر العزاء المذهبى (المحرم)^(١١) تدفق المسلمون بعد نهاية المراسم التى كانت مُقامة فى

(١-١٠) ١٠ آذار ١٣٥٧ هـ.ش.

- ٣٠١ -

المساجد طبقاً للعادة المعمول بها، فى الشوارع، وكانوا يهتفون "الله أكبر" دون مراعاة لقرارات الحكومة العسكرية بحظر التجول، مع أن هذه الأعداد توجهت إلى جنوب المدينة لاستقبال الأهالى الذين كانوا قد تجمعوا على الأسطح، ولكن فى هذا الموقف لم تبد القوات العسكرية المتمركزة فى الشوارع أى رد فعل لها.

فى يوم الأول من المحرم أيضاً بعد انتهاء ساعات حظر التجول تدفق آلاف (١-٣) من الأشخاص فى الشوارع وكانوا يلبسون الأكفان، ولكن هذه المرة واجه المسئولون الناس برد فعل عنيف وقُتل إثر إطلاق القوات العسكرية النار قرابة ٦٠ شخصاً وجرحوا عدداً كبيراً، والتى على إثرها أضرب مئات الآلاف من العمال والموظفين فى كل أنحاء البلاد مرة أخرى.

أثناء وقوع هذا الحادث ولمدة أسبوع ظل الشاه منزوياً ولم يقابل أو يتصل بأحد إلا عدد من المقربين والتشاور مع اثنين أو ثلاثة من المعارضين المعتدلين والسفير الأمريكى.

وطبقاً للمعلومات التى أعطانى إياها أحد المقربين من الشاه، كان قلقاً جداً من احتمال صدام بين الشعب وقوات الجيش، وكان يبحث عن مخرج ليجد بأسرع ما يمكن جماعة ليشكلوا وزارة مدنية، ويجعلهم محل وزارة أزهارى التى كانت قد أظهرت عدم كفاءتها "لتهديئة الثائرين".

لم يكن لدى أعضاء حكومة أزهارى مقدرة على اتخاذ قرار بشأن الأعمال الجارية فى المملكة، وكانوا يسارعون إلى الشاه مع كل مشكلة ليأخذوا منه الأمر، ولم يكن الشاه أصلاً مستعداً لقبول حقيقة أنه سعى لسنوات ليفرغ ذهن جنرالاته من أى

(١-٣) مسيرة ضمت مليونى شخص، فى ١٩ آذر ١٣٥٧ هـ.ش.

نوع من أنواع الاستقلال الفكرى، والآن يتوقع إدارة شئون البلاد من أشخاص قد أبعدها أنفسهم عن حياة الشعب عمداً حتى لا يتلوثوا بأفكار الحرية (١).

قال أزهارى نفسه لأحد أصدقائي البارزين فى وزارة المالية: "وزرائى يتوقعون منى دائماً أن أنظر فى المسائل الاقتصادية المختلفة مع أننى عسكرى ولا أفهم أصلاً فى مثل هذه الأمور".

قال لى أحد الدبلوماسيين الأجانب -الذى كان قد جاء من طهران إلى نيويورك والتقى به:- "انتهى أمر الشاه تماماً، وأنه لا يستطيع مطلقاً أن يسترد مكانته التى فقدتها ثانية، وخطوة الشاه فى اعتقال أخيك بسبب عدم ثقته حتى فى حاشيته الآخرين، خاصة أن همهمات السخط تُسمع أيضاً بين جنرالات الجيش، وأغلبهم يدركون أن الشاه عندما ألقى أفضل أصدقائه وخدامه فى مثل هذه المذلة، فليس بعيداً أبداً أن يلحق بهم غداً نفس هذا البلاء.....".

قال لى أحد رفاقى - ذاماً للوضع - عندما أرسله أردشير زاهدى مرة أخرى بسرعة إلى طهران حتى "يقوى نفسية الشاه" قال: "من المعلوم أن الشاه باختيار مستشار مثله فمن المؤكد أنه اختار السقوط".

ويجب أن أقول : إنه فى هذا الأوضاع والأحوال كان أكثر الناس يتحدثون ولا يوجد خوف من مراقبة السافاك، والجميع كانوا يقولون ما يريدون بحرية وأس كلامهم لم يكن إلا أن نظام الشاه يحمى نفسه بالقوة.

وكان رفاقى فى نيويورك ينتقدون أعمال النظام بشكل واضح فى الغالب، ولما كانوا أصلاً غير مستعدين لأن تسمع الأميرة أشرف - التى كانت رسمياً - تتولى رئاسة مندوبية إيران فى الجمعية العامة لمنظمة الأمم، وكانت الأميرة نفسها تسلك سلوكاً حذراً، وتعمل جاهدة على أن تقضى أغلب وقتها فى منزلها الخاص فى نيويورك.

- ٣٠٣ -

فى ذلك الوقت كان المراقبون الأجانب يستخدمون لأول مرة فى أحاديثهم الخاصة بأوضاع إيران بدلاً من "أزمة" لفظ "ثورة" وكان الأمريكيون مستعدين لإرسال ممثلين غير رسميين إلى باريس ليطلعوا على موقف خمينى.

وفى هذه المناسبة قام "رمزي كلارك" (المدعى العام الأمريكى الأسبق) والبروفيسور "فالرك" والبروفيسور "رونيس" بعمل زيارة لنوفل لوشاتو، واتصل بعض رجال السياسة الإيرانيين أيضاً بآية الله لعلهم عن هذا الطريق يستطيعوا أن يدفعوا الخطر الذى يوزعه النظام.

مع أن المسئولين فى واشنطن استمروا فى التأييد الرسمى للشاه كما كان، لكنهم مشغولين فى الخفاء بتقييم سياستهم الجديدة تجاه إيران، وكانت العواصم العالمية الأخرى تتبادل معهم الأخبار فيما يتعلق بالأوضاع التى ستفصل اللحمة عن سدى النظام الملكى، ويتدارسون بدقة حوادث إيران، وكانوا يريدون أن يجدوا إجابة على هذين السؤالين: كم من الوقت يمكن للشاه المشلول أن يثبت؟ وهل سيحمى جيش إيران الشاه أم لا؟.

فى مثل هذا الوضع كنت دوماً فى مكالماتى الهاتفية مع أخى طالت أم قصرت أحاول أن أتحدث معه حديثاً بالرمز، وفى الغالب كنا نفهم بعضنا البعض ولم أر لزوماً لأن ندخل فى التفاصيل.

لما كانت محاكمة أمير عباس قد تأخرت أكثر من اللازم فى اتهام لم يحدد بعد، سألت أخى ذات مرة؟ لماذا لاتعلن عن طلب دفاع عنك؟ وعندما أجاب: إننى لاأريد أن أصدع بهذا التصرف رأس الشاه، ذكرته: لايجب أن يفكر فى الشاه كثيراً، لأنه فى الوقت الحاضر ليس إلا رجلاً يائساً، ولكن أمير عباس أصر علي موقفه، وكان هذا الأمر سبباً فى أن أحس بالقلق لأول مرة على مصيره.

بعدها هدأت المظاهرات الدامية خلال اليومين الأولين للمحرم هدوءاً نسبياً حدثت فقط بعض الحوادث المتقطعة والسريعة، وقام أزهارى خلال مساعيه لكشف عدد قتلى يومى المحرم- والذين كان قد حسب عددهم معارضو النظام بسبعمائة شخص- بإلقاء اللوم الحقيقى فى هذه الوقائع على الأسباب الخارجية وحزب توده (الذى كان لسنوات حزباً غير شرعى) بينما كان الجميع يدرك أنه كان محالاً أن يدع أحد الميدان دون تدخل المشايخ- الذين يعتبرون المنفذين لأوامر خمينى، وكذلك طلب خمينى فى تلك الأيام من الجنود أن يفروا من الشكنات.

فى الثالث من ديسمبر (١٢ آذر ٥٧) استعد الشاه بعد إصرار قادة الجيش والملكة فرح أن يخرج بعد عدة أسابيع من قوقعته، ويظهر أمام عيون الجميع بالاشتراك فى المراسم الخاصة بمركز تعليم طلاب القوات الجوية، وكان يحاول طوال انعقاد المراسم دائماً أن يبتسم حتى لا يتمكن أحد من أن يطلع على وجهه الشاحب بسبب قلقته واضطرابه الداخلى.

فى ذلك الوقت كان عمال صناعة النفط يضربون فوراً بمجرد وقوع حادثة أو إقامة مظاهرات، وبهذا التصرف خفضوا بسرعة مستوى إنتاج البترول، وقال أزهارى فى أول مؤتمر صحفى له بلهجة صارمة جداً: "كل إيرانى أصيل مؤيد لجلالة الشاه" وأضاف بعدها: "...مع أنه خلال ٣٧ سنة من الحكم الشاهنشاهى لم تتم بعض الأعمال بالشكل المطلوب ولكن خلالها أيضاً أقيمت فى إيران عدد من الطرق والموانئ والمدارس التى إذا أردت أن أعده ما تحقق خلال ٣٧ سنة فإنه سيتطلب أكثر من ساعتين" وقد وجدت عند مطالعة التقرير الخاص بكلام أزهارى فى هذا المؤتمر الصحفى يُعد أقواله عن الذهن كأنما أرى حليماً، وتعجبت حقيقة كم يكون الشخص أعمى وأصم عندما يظل عاجزاً عند رؤية وسماع حقائق مثل هذه.

وكانت واشنطن استمرراً لتأييدها للشاه قد أرسلت "جورج بال" (نائب وزير الخارجية في عهد كنيدي وجونسون) بمهمة أيضاً ليتحقق من أوضاع إيران، ويقدم التوصيات اللازمة، ووصف "بال" بعد التحقيقات اللازمة في هذا الشأن، وضمن تقريره، نظام الشاه أنه "لا فائدة منه" وأشار أن الحكومة العسكرية يجب أن تعزل وتتولى أمور البلاد بدلاً منها حكومة مدنية.

عقب هذه التوصية أصدر المسئولون في واشنطن قراراً بترحيل أتباع أميركا المقيمين في إيران، وقال الرئيس كارتر في السابع من ديسمبر (١٦ آذار ٥٧) خلال مؤتمره الصحفي بلهجة تظهر تلويحاً بتغيير موقفه - رداً على أحد الصحفيين حول وضع النظام في إيران من أنه يرجع أن يقوم بدور هام في بلده ، ولكن هذا الأمر يجب أن يوافق عليه شعب إيران.

استنبط الرأي العام العالمي عند سماع وجهة نظر كارتر أن الشاه قد طرد من قبل الأميركيين، وعندما أبدى البلاط الإيراني رد فعل على هذه القول اضطر كارتر تكذيب قوله، وأعلن أنه سيستمر في سياسة تأييد الشاه كما كان وليس هناك تغيير قط لهذه السياسة، وبعد ذلك، مع أن سنجابى قد أطلق سراحه من قبل الحكومة العسكرية كبادرة لحسن النية تجاهه، ولكنه نفى أى نوع من أنواع التعاون مع "نظام الشاه غير الشرعي".

سارت الأوضاع في مثل هذه الظروف خلافاً لرغبة النظام، وكان التفكير في احتمال صدامات يوم عاشوراء يصيب رجال النظام بالفرع أكثر من ذي قبل، وفضل الشاه فعلاً في التراجع وإصدار قرار رفع الحظر عن مظاهرات الشعب في أيام تاسوعاء وعاشوراء" وامتنع عن استعراض القوة في هذين اليومين ليتمكن بذلك أن يجنب نظامه خطراً كبيراً، ولكن هذه الخطوة كانت سبباً في إضعاف نفسية الضباط الأوفياء للنساء، وأثبتت وحدة الأمة كقوة في داخلها، لدرجة أن الشعب كان يردد "خاف الشاه وتراجع وليس لدى الأميركيين طاقة لمواجهة الشعب".

- ٣٠٦ -

عقب ذلك، أعلنت الحكومة العسكرية أن "الجيش سيصطف على طريق المظاهرات والمسيرات، وسوف يتدخل فقط في حالة الغوغاء" وطالب رجال الدين ومنظمو المظاهرات من الشعب أن يحافظوا على هدوء المسيرات حتى لا يعطوا الفرصة لقوات الأمن.

تاسوعاء وعاشوراء:

يعتبر الشيعة في كل أنحاء العالم التاسع والعاشر من شهر المحرم (تاسوعاء وعاشوراء) من الأيام الهامة جداً، ويقيمون في هذين اليومين مراسم عزاء في ذكرى استشهاد الإمام الحسين.

كان يوم الأحد ١١ ديسمبر ١٩٧٨ (١-٨) مصادفاً لتاسوعاء (١٢)، تجمع مئات الآلاف من أهالي طهران (أو بقول بعض المصادر قرابة مليون شخص) لإقامة مراسم العزاء في وسط طهران، وتحركوا من هناك في مسيرات بشارع شاه رضا إلى ميدان شهيد (الذي كان قد أقيم فيه بناء تذكاري على يد الشاه سنة ١٩٧١ أثناء الاحتفال بـ ٢٥٠٠ سنة شاهنشاهيه).

هذه المسيرة بالإضافة إلى أنها كانت دليلاً على إقامة مراسم العزاء كانت في الواقع قد تمت بهدف المظاهرات السياسية، وكان الأهالي يهتفون وهم يحملون صور كبيرة لخميني ومصدق وشريعتي أثناء المسيرة: الموت للشاه- الموت لأمريكا الجرمية. الشاه خائن - بعون الله سنعاقب الخونة، النصر قريب وخميني قائدنا....

كان يُشاهد بين هؤلاء المشتركين في المظاهرات أفراد مختلفون من كل طبقة وجماعة: عمال، مثقفون- تجار - نساء محجبات وبدون حجاب، رجال دين بعمامات سوداء أو خضراء أو بيضاء، أطفال، شباب، أشخاص مرفهين بملابس غربية حديثة،

(١-٨) توافق ٢٠ آذر ١٣٥٧ هـ.ش.

فقراء بملايس رثة، كان التنظيم والترتيب والهدوء لهذه الأعداد الضخمة من البشر فى هذه المسيرة مسألة تثير حيرة كل من يراها.

وفى غد هذا اليوم (عاشوراء) تدفق ملايين من أبناء الشعب فى كل أنحاء إيران فى الشوارع، وقاموا بالمظاهرات بنفس الهدوء والانضباط وروح اليوم السابق، ولكن فى أصفهان فقط مالت مسيرة الأهالى نحو العنف، وحدثت صدامات مع رجال الأمن فى هذه المدينة (١٣).

لم يدرك الشاه ومستشاروه أهمية الأحداث التى كانت قد حدثت فى أيام تاسوعاء وعاشوراء، لأنهم تصوروا أنه بامتناعهم عن أعمال العنف أثناء مظاهرات الأهالى كان لمصلحتهم تماماً، وفتح المجال لنجاتهم، ولهذا السبب أبدوا العمل للمصالحة مع المعارضين وصمموا على أن ينفذوا برنامجهم السابق الذى يتضمن تشكيل وزارة ائتلافية باشارك عناصر معارضة فى إطار دستور ١٩٠٦.

ولكن المشكلة كانت أن يتم اختيار شخص رزين لرئاسة مثل هذه الوزارة من خارج تشكيلات رجال الدين، كما أن سنجابى لم يكن لديه استعداد بأى حال أن يتولى منصب رئاسة الوزارة مادام الشاه على رأس السلطة، لكن الشاه بالإضافة إلى أنه ليس من السهل أن يتنازل عن السلطنة فإنه يعتبر أن سيطرته الكاملة على الجيش من مهامه الرئيسية، وطالما استمر هذا السبيل فإن تأييد قوات الجيش وأردشير زاهدى قد استقر للشاه، ولهذا سعى أيضاً لحفظ مقامه ومركزه، وظل فى دنيا تخیلاته.

بينما لم يكن لعامة الشعب من مطلب إلا رحيل الشاه من إيران، كان موقف خمينى يزداد صلابة كل يوم، وكان المعارضون يقوون أكثر كل لحظة، وكان الشاه ومستشاروه يجلسون فى حماية جدران قصر نياوران الذى كان محكم الحراسة، يبحثون خطط خاصة بقيادة جديدة للجيش بينما كانت الحوادث قد سبقتهم من قبل (أصدق مثال أواخر عهد إمبراطور البيزنطيين).

- ٣٠٨ -

فى مثل هذا الموقف لو أن الشاه تنازل عن منصبه كان مجلس سلطنة سيتشكل شاملاً عدداً من المعارضين- خاصة من رجال الدين وغير رجال الدين- ويتم عزل المتهمين بسحق المظاهرات وقتل الأهالى- خاصة من العسكريين وغير العسكريين- وإذا لم تثمر هذه الطريقة على إبقاء النظام بنتيجة، فإنه على الأقل يوجد إمكانية لحفظ أصول السلطنة الدستورية فى إيران.

ولكن الشاه ومستشاريه كانوا غارقين فى دنيا الأوهام إلى درجة أنهم يدورون بأعين مغماة، وغير مستعدين لأن يخطوا حتى ولو خطوة لإدراك الواقع خارج حدود أوهامهم، وأصلاً ليس لديهم اهتمام بحقيقة أن الهدف الأسمى هو أن إقرار حكم الشاه، مرفوض تماماً فى نظر الشعب.

قبل مظاهرات عاشوراء كان هناك احتمال أن يتمكن الشاه من أن يحفظ مركزه باستخدام كل سلطات الجيش وأتباع أساليب شبيهة بـ "بينوشيه" طالما كان الجيش لم يزل محافظاً على قدرته وانسجامه.

ولكن بعد أن أمر الشاه بأن يمتنع الجيش تماماً عن التدخل فى مظاهرات أيام تاسوعاء وعاشوراء، فقد رأى قادة الجيش أن إظهار قدرة عامة الشعب قد ترك تأثيراً أيضاً على أفراد الجيش، ولم يعد كما كان من قبل ميالاً لإطاعة الأوامر.

اعتبر أكثر الأهالى أن تراجع الشاه ناجم عن خوفه، واعتبروا نتيجة المظاهرات فى هذين اليومين انتصاراً مؤزراً لهم، وبعد ذلك تزايد فرار الأشخاص العسكريين فى الخدمة كل يوم، وأوصلت سعادة الشاه المؤقتة الخاصة بتوصيات مستشاريه- الوضع إلى درجة أن تلاشت فرصة استمرار الحكم الدستورى فى إيران حتى بعد سقوطه وسقوط سلسلته.

موقف أخى (أمير عباس هويدا):

كما قلت من قبل كان أخى يتلقى منى اتصالاً هاتفياً فى معتقله من حين لآخر، وبالتأكيد سعيانا ألا نتحدث فى مكالماتنا أكثر عن المسائل التى تجرى فى الخفاء.

لم يتصل أمير عباس طوال فترة اعتقاله مطلقاً بالشاه، كما كان أصدقائى فى البلاط يقولون: الشاه لم يسأل أو يتفقد مطلقاً أحوال أمير عباس، وخلال ذلك سمع فقط لسيدة من المقربين لنا أن تلتقى مرة واحدة كل أسبوع بأخى.

كنت أنا وأمير عباس يتفقان بأن الشاه ليس لديه فرصة أخرى لاستمرار الحكم ومسئولية ضياعه ليست فى رقبة أحد إلا هو.

علم أخى خلال ذلك بدور أردشير زاهدى ضده، ولكن لم يعره اهتماماً كبيراً، وكان يعتقد أن لديه مستندات ووثائق كافية لإحباط محاولات زاهدى، ولكنه يفضل ألا يعلن شيئاً حتى لا يضيف مصائب للشاه.

كان أمير عباس يقول: "إننى أعرف كثيراً من الأشياء، ولكن لا أريد فى الوقت الراهن أن أتحدث، مع أن الشاه لم يسلك معى سلوكاً طيباً، لكننى لست بالشخص الذى يتلون وأكون رفيق نصف الطريق، سأكتب المعلومات التى فى ذاكرتى فيما بعد...".

وأسفاه: لأنه فيما بعد لم يُمنح أخى فرصة ليقوم بمثل هذا العمل، وقضى عليه سجنه فى النظام الجديد بسرعة جداً، لم أستطع حتى هذه اللحظة أن أعرف سبب مثل هذا التصرف ولا أجد جواباً لهذا السؤال؟ عندما طلب أمير عباس شهراً ليستطيع أن يسجل خواطره لماذا لم يمنحه فرصة لهذا العمل؟.

استطاع أحد شهود عيان كان قد حضر أثناء محاكمة أخى أن يتعرف على شخصين من قضاة المحكمة اللذين كانا منقبين، وقد قال: أحدهما "يزدى" (وزير بوزارة بازرگان) والآخر "قره باغى" (آخر رئيس أركان جيش الشاه (١٢)).

وكان وجود هذين الشخصين فى موقع قضاة المحكمة يثير التساؤل - طبقا لما رواه نفس شاهد العيان - بعد نهاية محاكمة أمير عباس لم يمنحوه حتى مشقة مواجهة مقصلة الإعدام، وقتلوا أخى هناك فى زنزانته، بينما كانت المحكمة قد منحتة فى البداية شهرا فرصة لكتابة خواطره، ولكنهم كانوا قد صمموا على تصفية أمير عباس بعد ١٥ دقيقة.

لماذا حدث مثل هذا؟ من أى شىء كانوا يخافون؟ لعل معلومات أخى كان لها خطر على النظام الجديد؟ هل أقواله كانت من الممكن أن تضر بعض أتباع الحميين؟ هل كان الهدف حمايته من النظام السابق؟ هل هناك عناصر موجودة من النظام القديم فى النظام الجديد أيضا؟ (١٥).

لقد أثارت عدة أسئلة أخرى ذهنى ويجب أن أسأل عنها: عندما ادعى صهر دكتور يزدى (شهريار روحانى) وكان فى منصب القائم بأعمال سفارة إيران فى واشنطن أن لديه وثائق عديدة دالة على تعاون أردشير زاهدى والأمريكان لماذا امتنع عن إفشائها؟ وهل إقالة د. سنجابى من وزارة بازرگان ليس له ارتباط بهذه المسألة التى كان صهر د. يزدى قد أرسل وثائقها المذكورة فى الواقع يجب السؤال: أين هذه الوثائق فعلا؟ من يحتفظون بها؟ الأمريكان؟ أم أردشير زاهدى؟ (١٦).

بالإضافة الى أخى كان أشخاص آخرون أيضا قد استقروا فى قائمة إعدامات النظام الجديد، ومن المحتمل أنهم كانوا يستطيعون أن يعلنوا الكثير من الأمور.

كان نصيرى وباكروان (١-١٠) - كلاهما كانا من رؤساء السافاك - يعرفون أمورا كثيرة فيما يتعلق بعلاقة السافاك والاستخبارات السرية الإسرائيلية وجهاز السى آى آيه؟ وكانوا يستطيعون أن يعلنوا على الملأ أسماء العناصر الموالية وأعمالهم، وكان

(١-١٠) الجنرال حسن باكروان، عمل رئيساً للسافاك خمس عشرة سنة وأعدمته محكمة الثورة فى ١١ إبريل ١٩٧٩.

أيضا خلعتبرى (وزير الخارجية الأسبق) أيضا مطلعا على مسائل كثيرة فى خفايا السياسة الخارجية وكان لديه معلومات قيمة، ولكن بدلا من فتح المجال لهم للتحدث، سعوا للقضاء عليهم بسرعة حتى يطمئنونا مائة فى المائة أن أحدا من أيهم ليس لديه فرصة للكلام... ما السبب؟ ما هى المسألة التى أرادوا أن يخفوها؟ ما المنفعة العائدة إلى أشخاص أرادوا أن يخفوا حقائق هذه المرحلة من تاريخ البلاد؟ غير معروف (١٧).

حقيقة يجب أن تُطرح أسئلة لا جواب لها، منها: لماذا ظل أشخاص حظوا بحماية أردشير زاهدى سواء فى الداخل أو الخارج محتفظين بمناصبهم؟ وما السبب فى أن رجال النظام الجديد لم يتفوهوا بكلمة مطلقا حول جمشيد آموزجار الذى قُتل فى عهد رئاسته للوزارة كثير من الناس فى المظاهرات؟ (١٨).

مع أننى لست مدعيا على من يجيب على هذه الأسئلة، ولكن ضمينا لا أستطيع ألا أسمى الظن فيما يتعلق بنفوذ أتباع أردشير زاهدى فى النظام الجديد (١) ولا أشك فى أن مذكرات أخى كانت من الممكن أن تميّط اللثام عن خفايا زاهدى السرية مع الأمريكان وتضىء جزءا من تاريخ إيران المعاصر الذى ظل فى الظلام.

كان أردشير زاهدى فى أثناء المعركة الانتخابية بين كيندى ونيكسون سنة ١٩٦٠ مؤيدا لنيكسون، لهذا السبب اضطر بعد فوز كيندى أن يتوقف عن العمل فى سفارة إيران فى واشنطن ويقوم بالعمل كسفير لإيران فى لندن، وبعد ذلك عندما كان زاهدى وزيرا للخارجية، أشيع أنه قد شارك بالدولارات التى أدخلها إلى أمريكا مع مبعوث سياسى خاص - فى المعركة الانتخابية سنة ١٩٦٨ لصالح نيكسون.

الهدف من كشف مثل هذه المسائل فقط الإشارة إلى الأسرار التى كان من الممكن التوصل إليها حتى تتضح أسباب السقوط السريع لنظام الشاه، وأريد أن أقول: إنه لا يجب أن يُقلل من شأن دور أردشير زاهدى فى هذه القضية مطلقا، ويجب أن أعترف بحقيقة، أنه طبقا لأقوال أصدقائى الأمريكان إن المخططين السياسيين فى

واشنطن لم يشقوا مطلقا فى الانتماء السياسى لأردشير، وقد سمعت أيضا من صحفى فرنسى كان قد تحدث مع الشاه فى مراكش أن الشاه على الرغم من أنه صهره السابق إلا أنه لا يعتبره أبدا شخصا مناسبا ولائقا، ولكن على الرغم من هذه الأمور نشهد أنه فى أواخر عمر نظام الشاه كانت الصحف تعج دائما بالأخبار الخاصة بتردد أردشير زاهدى بين طهران وواشنطن، وعلى هذا الأساس غير معلوم هل كان يعرف بمهمته لقلب نظام الحكم أم أنه كان متجها نحو الهدف غير مدرك لمثل هذا (١٩).

على كل حال سيسعى المؤرخون فى المستقبل لحل هذه الألغاز، ويجب عليهم أن يجدوا فى الإجابة على الأسئلة التى لم أستطع الحصول على جواب لها، ولكن على الأقل وقفت على حقيقة أنه فى أواسط ديسمبر ١٩٧٨ (أواخر آذار ٥٧) كان عصر لعبة محمد رضا بهلوى قد وصل الى نهايته، وبدأ بقيام مظاهرات يوم عاشوراء - العد التنازلى لأيام سلطنته.

الانتفاخ الاخيرة للنظام

بمجرد أن وصلت أخبار مذبحة أهالى أصفهان فى مسيرة يوم عاشوراء بعد يوم الى آذان الشعب، وعُلم أنه خلال هذه المسيرة السلمية التى كانت شبيهة بطهران وسائر المدن، فجأة انفصل جماعة عن الصف وهجموا على الإدارة المركزية للسافاك فى أصفهان، وقامت قوات الأمن بعد ذلك بتعقبهم، وبدأوا فى شارع چهار باغ بكسر زجاج البنوك ودور العرض ومراكز الشرطة، وحطموا أيضا تماثيل الشاه وأبيه، وقام رجال الأمن بمواجهة الثائرين، وقتلوا عددا بإطلاق النار صوب التجمع، وفى غد ذلك اليوم عندما كان رجال الأمن مشغولين بنصب التماثيل ثانية، تدفق الأهالى فى الشوارع أيضا واستأنفوا شغب اليوم السابق.

فى هذه الظروف لم يستأنف عمال صناعة النفط بعد مظاهرات يوم عاشوراء أعمالهم مرة أخرى، وهدد آية الله خمينى فى حديث صحفى أن صادرات النفط الإيرانية

ستقطع عن الدول المؤيدة للشاه، وأعلن يوم الاثنين التالى "يوم عزاء عام" بإصدار بيان - دون الالتفات إلى تحذيرات حكومة فرنسا، وطالب شعب إيران أن يقيموا في هذا اليوم مراسم عزاء لقتلى أصفهان (٢٠).

فى نفس الوقت نظم المسئولون العسكريون فى أصفهان يوم ١٣ ديسمبر (٢٢ آذار ٥٧) مظاهرات مؤيدة للشاه، وفيها تحركت عدة أتوبيسات وشاحنات حاملة لجنود وجماعة من القرويين فى شوارع المدينة وهم يهتفون "يحيا الشاه" وحشوا سائقى وسائل المواصلات ليلصقوا صورة الشاه والأسرة المالكة على الزجاج الأمامى لسياراتهم.

فى هذا اليوم قامت مظاهرات مشابهة لأصفهان فى عدة مدن أخرى وتصاعدت حدة المظاهرات ضد النظام، وبدأت أغلب القوى الدينية وغير الدينية نشاطا فعالا فى مختلف مدن البلاد، ولكن الضربات التى أصابت النظام من هذه المظاهرات لم تستطع قط أن تعادل الآثار المدمرة للاقتصاد والناجمة عن الاضطرابات، ولهذا ذكر أزهارى فى أحد أحاديثه الصحفية: نتيجة هذه الاضطرابات تسبب - بالإضافة الى خفض دخل الدولة إلى الإضرار بالخزانة فى حدود ٦٠ مليون دولار يوميا.

خلال ذلك واصل الشاه جهوده لتشكيل وزارة ائتلافية، وفى يوم ١٥ ديسمبر (٢٤ آذار ٥٧) أعلن المسئولون الأمريكان لأول مرة بشكل رسمى: "دون رغبة فى التدخل فى الشئون الداخلية لايران (١)، بدأ المندوبون المرسلون جهودهم لمساعدة الشاه لتشكيل حكومة مدنية" وكانت خطوة الأمريكيين هذه من توصيات "جورج بال".

كان على أمينى قد اقترح على الشاه فى ذلك الوقت بتشكيل "مجلس حكم" ولكن لما كان أردشير زاهدى والقائد أوسى قد حذروه بشدة من تشكيل مجلس حكم، فضل الشاه أيضا أن يسلم بمطلب الأمريكيين، وعقب ذلك استدعى "غلا محسين صديقي" (الذى كان من وزراء وزارة مصدق) ليعمل على تشكيل وزارة ائتلافية.

فى مثل هذه الظروف شوهد بوضوح علامات تمرد فى الوحدات المختلفة للجيش حتى أنه فى يوم ١٨ ديسمبر (٢٧ أذر ٥٧) رفض بعض أفراد عسكريين فى تبريز تنفيذ أمر إطلاق النار صوب المتظاهرين، وقبلها بعدة أيام اقتحم جنود صالة غذاء الضباط فى إحدى ثكنات طهران، وأطلقوا وابلا من النيران على بعضهم - الذين طبقا لمصادر موثوق بها - أن الضباط القتلى كانوا قسما من أفراد الحرس الملكى، وتشكلت جماعة كان هدفهم منع خروج الشاه من البلاد (٢١).

بمجرد إذاعة الأخبار الخاصة بفرار الجنود من الخدمة فى الثكنات - خاصة فى مدن قم ومشهد- ظل القادة العسكريون فى قلق واضطراب، ولم يعرفوا أى سبيل يتخذونه لمواجهة فرار الجنود -وموازاة اتساع هذا الوضع، أصاب الشاه والأمريكان أيضا حيرة واضطرابا فى مباحثاتهما للبحث عن حل لإنهاء قرد أفراد الجيش.

فى يوم الاثنين ١٨ ديسمبر (٢٧ أذر) الذى كان قد أعلنه الخمينى "عزاء عاما" أقام الأهالى فى أنحاء البلاد مراسم ، قضت طهران وأغلب المدن هذا اليوم دون حوادث ما عدا تبريز وقم اللتين ظهرت صدامات بين الشعب وقوات الأمن خلال المراسم.

فى يوم ٢٠ ديسمبر خرج الشاه وزوجته من طهران للتزلج، هذا التصرف الذى تم للمرة الثالثة خلال ثلاثة أشهر ماضية فيما يتعلق بظهور الشاه أمام العامة ، لأن حاشيته طالبوه بأن يثبت للشعب أنه لم يزل يقوم بدوره ومحل ثقة.

فى يوم ٢٢ ديسمبر لم يستطع "غلا محسين صديقي" أن يحصل على موافقة أشخاص من بين المعارضين من أهل ثقته للاشتراك فى الوزارة الائتلافية، وأخبر الشاه أنه قد صرف النظر عن تشكيل الوزارة، وعقب إذاعة هذا الخبر أيضا سرت شائعات مختلفة فى طهران حول احتمال وقوع انقلاب عسكرى.

بعد عودة الشاه والملكة من التزلج، مع أن وجه الشاه كان قد تلون قليلا بسبب الشمس وجو مرتفعات البرز، ولكن نفسيته كانت قد انحدرت إلى أدنى حد لها،

وبمجرد وصوله الى قصد نياوران، حبس الشاه نفسه خلف جدران القصر مثل هتلر فى أواخر أيام حكومته - والذي كان قد لجأ فى خندق تحت الأرض، إلا فى بعض الأحيان كانت أخبار مثل: تجديد تأييد الرئيس كارتر للنظام الملكى أو إقامة مظاهرات فى كردستان وأصفهان مؤيدة للنظام تبعث فيه الأمل لفترة قصيرة، وكان يقضى أوقاته فى حزن ووهم لأنه لم يعرف فى الواقع أن يبعد الهاجس أو تغفو عينيه.

أدرك الشاه فى مثل هذا الوضع حلول نهاية أمره، لم يبد رغبة كبيرة فى التدخل فى الأمور، ولكن زوجته ومستشاريه كانوا قد أخبروه بإجراء مباحثات سرية مع بعض المعارضين للنظام - مثل شاهبور بختيار، لعلهم يخرجون الشاه من حالة الضيق، لكن مثل هذه التصرفات لم تثمر بنتيجة إلا زيادة اليأس والقلق، لأنه كان قد وصف منذ عدة شهور سابقة أشخاص مثل بختيار وسنجابى "متآمر أكثر من الشيوعيين" وقد أراد من فرط عجزه أن يتوسل الى هؤلاء الأشخاص الذى كان قد طردهم، ومن الطبيعى أن عمل كهذا مهين بالنسبة لديكتاتور كان لديه سلطة واسعة النطاق حتى اغسطس (شهر يور ٥٧) لدرجة أنه كان من الممكن أن يكون محقرا وزاجرا لمن شاء.

ولكن سنجابى الذى تبع أوامر خمينى، وأعلن فى أثناء مسيرة أعضاء الجبهة الوطنية أن الهدوء لن يعود للبلاد مطلقا دون خروج الشاه من ايران.

فى نفس الوقت كان الشعور المعادى لأمريكا يتزايد دائما بين الشعب، وبمقتل مدير أمريكى للشركات العاملة فى النفط بالأهواز، وتظاهر الطلاب فى طهران مرددين "الموت لكارتير" أمام سفارة أمريكا، لأنه فى هذه الأحداث استطاع حملة السلاح الأمريكان من حراس السفارة أن يفرقوا التجمع باطلاق الغاز المسيل للدموع.

كان إنتاج البترول قد انخفض الى ٧٠٠ ألف برميل فى اليوم، وأجبر - نقص المحروقات فى داخل الدولة - الحكومة إلى تقنين برنامج توزيع البترول، وأثار تسارع أصحاب رؤوس الأموال إلى إخراج ثرواتهم من البلاد أيضا الى أن يؤمنوا الدولارات

التي يحتاجونها من السوق السوداء، وقد سبب هذا الوضع إلى تضاعف قيمة الدولار عن السعر الرسمي.

في يوم ٢٧ ديسمبر (٦دي٥٧) أصاب طهران توتر شديد أثناء تشييع جنازة أستاذ شاب (٢٢) كان قد قُتل على يد رجال الحكومة العسكرية في وزارة الثقافة والتعليم العالي.

أقيمت هذه الجنازة بموافقة مسئولى الحكومة، ولكن عندما حدث خلالها صدامات بين الأهالى وقوات الجيش، كان نتيجتها قيام مظاهرات واسعة ضد النظام، وعقب ما حدث اشتدت الاضطرابات لدرجة أن الأمريكان هياؤا أنفسهم إلى أن يسارعوا بقدر الإمكان للرحيل عن إيران.

في مثل هذه الظروف كان مستشارو الشاه يأملون في أن يؤدي زيادة التوتر، انخفاض النفط والبنزين والأوضاع الاقتصادية المؤسفة إلى تجمع شعب إيران كله حول الشاه من أجل مستقبلهم واستقلال بلادهم، ويؤيدون كونه العامل الوحيد لإقرار النظام والقانون، ولكن المراقبين المطلعين كانوا يعتبرون أن مثل هذا التفكير فقط مجرد أمانى طفولية، خاصة أنه في يوم ١٩ ديسمبر (٨دي) أيضاً، وعقب امتناع "صديقي" عن تشكيل الوزارة، توجه الشاه الى شاهبور بختيار (X) (نائب زعيم الجبهة الوطنية) وطلب منه أن يقبل رئاسة الحكومة.

كان قبول منصب رئاسة الوزارة من قبل بختيار محصلة لمباحثاته عدة شهور مع رجال البلاط والتي خلالها أقر بختيار شرط قبول التماس الشاه بخروجه من إيران وتشكيل "مجلس حكم".

ولكن عقب إذاعة هذا الخبر، كذب أردشير زاهدى الذى كان متحدثاً باسم الشاه وأكبر مستشاريه، الشائعات الخاصة برغبة الشاه فى ترك البلاد، وكذلك رفض بشة

(١-X) عين رئيساً للوزارة فى ٣٠ ديسمبر ١٩٧٨ (٩ دى ١٣٥٧ هـ.ش).

مسألة احتمال سفر الملكة الأم، ولكن فى غد هذا اليوم وصل خبر أن أم الشاه قد وصلت مع عدد كبير من المرافقين إلى لوس المجلوس، وأخبرونى أيضا فى نفس اليوم فى واشنطن أنه بناء على أمر الرئيس كارتر فإن حاملة الطائرات "كانستليشن" مستعدة لمغادرة قاعدتها فى الفلبين عند اللزوم صوب الخليج الفارسى".

وفى يوم ٣١ ديسمبر (١٠ دي ٥٧) كذب "ساليوان" سفير أمريكا فى إيران أيضا شائعة ترحيل جماعى للأمريكان من إيران، ولكنه طلب من الأمريكان المقيمين فى إيران أن يعودوا إلى بلادهم "بصورة مؤقتة" ! وكان القائد العسكرى أزهارى فى نفس الليلة قد استقال من رئاسة الحكومة وتولى إدارة البلاد بأمر الشاه "بصورة مؤقتة" لحين تشكيل حكومة بختيار المدنية.

فى بداية العام الجديد (الميلادى) كانت الأوضاع بصفة عامة فى إيران محبطة، كان الإضراب العام قد أصاب جميع أمور البلاد بالشلل، وكان توقف البنك المركزى قد أدى إلى ركود عام فى نقل وانتقال الأموال، أكثر المحلات كانت مغلقة، عشرات الآلاف من الأهالى كانوا يقفون يوميا لساعات طويلة بجوار محطات بيع البترول ليحصلوا على نصيبهم من المحروقات، استمرت المظاهرات المختلفة، لم تنقطع أصدااء إطلاق الرصاص لحظة واحدة.

فى هذه الظروف كان قصر الشاه يعمل كمركز لنسج قصص الخيال، وكان مستشارو الشاه ما زال لديهم أمل فى أن يهب الشعب لتأييد الشاه ضد المعارضين للنظام ! قال أحد متحدثى البلاط للصحفيين: "لقد مل الشعب من استمرار الفوضى والاضطرابات، وهم الآن قد نهضوا للاحتجاج على الأشخاص الذين أصابوهم بالفقر والفاقة بسبب أهدافهم السياسية ...". بينما الواقع غير ذلك، كان الموظفون والعمال المضربون قد صمموا على أن يواصلوا إضرابهم كما كان إذا لم يغادر الشاه المملكة، والنقطة المحيرة كانت هى أنه على الرغم من توقف الأعمال فى كل المجالات كانت المواد الغذائية متوفرة للجميع بالقدر الكافى.

وصلت صادرات البترول إلى الصفر مع استمرار الإضطرابات والاضراب في طهران وسائر المدن، وتوقفت جميع الرحلات تماما مع توقف العمل في المطارات.

في مثل هذه الظروف، بينما كان خميني في نوفل لو شاتو وسنجاى في طهران يرفضان تشكيل أى حكومة جديدة من قبل الشاه، ارتفعت الستارة مرة أخرى وكان هذا آخر مشهد يعرض من المسرحية التراجيدية لسلطنة الشاه.

خروج الشاه

عندما عمت شائعة خروج الشاه من البلاد، بدأ القلق والاضطراب بين قادة الجيش، وبإدراكهم أن مصيرهم مرتبط بوجود الشاه، لذا كانوا في توتر شديد عندما يتجسد أمامهم ماسيحدث لهم في غياب الشاه.

التحق جماعة من الجنرالات المتشددين بجناح أردشير زاهدى، وعرقلوا جميع جهوده حتى يمنع الشاه من الرحيل، وفكرت جماعة أخرى - كانت محافظة - في أمنها وراحتها أكثر، وعملوا بسرعة على نقل أموالهم وأسرهم إلى خارج البلاد.

في أول يناير (١١ دي ٥٧) استطاع شاهبور بختيار من تحديد أعضاء حكومته، وأكد شائعة رغبة الشاه في الخروج من البلاد وقال: سيغادر الشاه فوراً إيران بعد استقرار هيئة الحكومة الجديدة.

ولكن بمجرد إعلان هذا الخبر، استدعى أردشير زاهدى الصحفيين إلى قصر الشاه ليطلعوا على رأى الشاه فيما يتعلق بسفره إلى الخارج خلال حديث صحفى معه، وعلى هذا الأساس فان التنازع الموجود بين عناصر النظام قد دلل على أن بختيار لن يستطيع فى بادئ الأمر أن يستفيد استفادة كافية قولا وفعلا فيما يتعلق برحيل الشاه من إيران.

مع أنه فى ذلك الحين كان سوء ظن وعدم تصديق الشعب لتصريحات النظام قد اشتد لدرجة أنه حتى إعلان خبر خروج الشاه من قبل بختيار لم يستطع قط أن يغير

ما هو منتظر من الشعب، خاصة أن الشاه في حديثه الصحفي مع الصحفيين كان يبتسم عند أخذ صورة له ابتسامة عريضة حتى يغطي عينيه الذابلتين ووجهه الشاحب، وحول سفره إلى الخارج أيضا ذكر هذه الجملة المناسبة من أنه ظالما يحس بالتعب فإنه من المناسب أن يقضى عطلة في خارج البلاد.

وبعدها بمجرد اعلان موافقة مجلس الشيوخ والشورى الوطنى على حكومة شاهبور بختيار شلت المظاهرات والإضرابات جميع البلاد وحدثت أعمال عنف فى مناطق مختلفة من البلاد، وكان سفر الأجانب من إيران قد تزايد بسرعة، وعمل أفراد من القوات الجوية بدلا من العمال المضربين بالسيطرة على مطار طهران.

فى مثل هذه الظروف أعلن المسئولون فى واشنطن مرة أخرى عن تأييدهم التام للشاه، ولكن على العكس من ذلك أن المسئولين فى موسكو يقومون بإعداد برامج فى صحفهم لتهيئة أذهان الشعب الروسى لمواجهة سقوط نظام الشاه فى إيران، واستعرض فى هذا الصدد أحد أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى بتوقيع مستعار "بوريس وسنين" فى مقاله بمجلة "الدنيا الجديدة" حوادث إيران خاصة "انفجار وجدان الأمة" وكتب فى وصف ذلك، إننا اليوم نشاهد فى إيران لحظة لا إرادية عند جموع عظيمة من الشعب الذى يخطو فى طريق التكامل التاريخى، مع أن نفس هذا الشعب منذ فترة لم يكن لديه أدنى إهتمام بالأمور السياسية.....".

عقب تعيين شاهبور بختيار بادر بعض القادة العسكريين فى المدن خاصة فى مشهد وقزوین وجرجان وكرمانشاه وعدة مدن أخرى بمواجهة مظاهرات الشعب، بينما كان من المنتظر أن يقلل تعيين بختيار من أعمال العنف، استمرار تزايد التوتر أدى إلى أن حكومة بختيار لم تستطع أن تستوضح المستقبل.

فى نفس هذ الأحداث انتشرت شائعة قيام انقلاب عسكرى بين الشعب وخاصة شائعة أن اللواء خسرو داد - من الضباط المتشدين المؤيدين للشاه - مشغول مع عدة

- ٣٢٠ -

جنرالات بطرح خطة، ليستقظوا بختبار بعد خروج الشاه من البلاد، ويستولوا على السلطة، وذكرت هذه الشائعات أيضاً أن خسرو داد ورفاقه قد بحثوا احتمال قيام حركة داخلية شاملة، ليستفيدوا في هذا الصدد من تأييد رجال الجيش وخاصة أفراد الحرس الشاهنشاهي.

أثارت هذه الشائعات اضطراب أفكار الأمريكيان الذين تحركوا بسرعة وأرسلوا في نفس هذه الأيام أول يناير الجنرال "هايزر" (نائب قائد قوات الناتو) إلى طهران ليحبط بسرعة أي سعى من الجنرالات لإجراء انقلاب (٢٣).

استدعى "هايزر" بمجرد وصوله إلى طهران جميع قادة الجيش الكبار ليستعرض معهم الأمر، بينما كان المسئولون في واشنطن قد تخلوا فجأة عن تأييد الشاه، وعرض برنامجاً جديداً على الشاه على شكل توصية للاستفادة من عطلة طويلة خارج البلاد. في ٥ يناير (١٥ دي ٥٧) وصل الرئيس كارتر مع هلموت اشميت (مستشار ألمانيا الغربية) وجيمس كلاهان (رئيس وزراء إنجلترا) بدعوة من جيسكار ديست (رئيس جمهورية فرنسا) إلى جزيرة (جواد ولوب) لبحثوا هناك سوياً أوضاع إيران وموقف الشاه.

وطبقاً للمعلومات التي وصلت يدي عن مؤتمر رؤساء الدول الأربعة جوادولوب، هناك أصر مستشار ألمانيا ورئيس وزراء إنجلترا على تأييد الشاه، وادكارتر وجيسكار ديستان على النقيض كانا يعتقدان أنه بسبب الوضع المسيطر : إيران لا يوجد مجال لاستمرار تأييد الشاه، وعلى كل حال لم يكن هدف مباحثاتهم إلا أن يصلوا إلى اتفاق سوياً لاختيار أفضل السبل من أجل حفظ مصالحهم، وحة كان رئيس جمهورية فرنسا خلال ذلك يأمل بأن يستطيع الاستفادة من وجود خميني ببلاده ليقوم بدور وساطة مع القوى المعارضة للنظام في إيران.

- ٣٢١ -

وصرحت مصادر مقرية من مكتب رئاسة الجمهورية الفرنسية: فى مؤتمر جوادولوب عُلِم أن الأمريكان كانوا يعلمون يقيناً منذ شهر نوفمبر (آذر ٥٧) تقريباً بانتصار خمينى، ولهذا السبب سعوا بكل وسيلة من وسائلهم وأوعن طريق الآخرين ليتصلوا بخمينى وأتباعه، والتصريحات المتتالية للأمريكان التى صدرت تأييداً للشاه أغلبها لخداع المسئولين السعوديين حتى لا يظنوا أن أمريكا تتخلى عن تأييد أصدقائها من أجل الحفاظ على مصالحها.

وشاعت شائعات كثيرة بين الناس بعد مجيء الجنرال هايزر إلى إيران حول سبب سفره، وقال بعض معارضى النظام: هايزر يريد أن يقيم الإمكانات والتجهيزات اللازمة لقيام انقلاب عسكرى، وكان آخرون قد أشاعوا أن هايزر يريد أن يفكك أجهزة التصنت والتجسس الأمريكية فى إيران حتى لا تقع فى يد الروس، وأخيراً اعتقدت جماعة أن هايزر لديه مهمة لينقل طائرات إف ١٤ الخاصة بالقوات الجوية الإيرانية إلى العربية السعودية.

فى مثل هذه الظروف على الرغم من أن الحكومة الأمريكية قد أعلنت رغبتها فى التعاون مع حكومة بختيار المدنية الجديدة، ولكن القرائن تبين أن الأمريكان فى هذا الوقت لم يكونوا متفائلين باستمرار حكومة بختيار.

أكمل شاهبور بختيار أعضاء حكومته بصعوبة بالغة، عندما كان الشاه والملكة قد خرجا مرة أخرى من طهران للتزلج، وفى يوم ٩ يناير (١٦ دي ٥٧) عاد الشاه إلى قصره وقدم حكومة من ١٤ وزيراً جديداً كانوا أساساً من العناصر التكنوقراط، إلى الشاه ولم يعرض فيها حتى لرجل دين واحد أو شخصية معارضة للنظام.

ولكن بمجرد أن أصدر خمينى بياناً قُرئ فى مساجد طهران على الناس اعتبر فيه حكومة بختيار مغتصبة وغير شرعية، وطالب فيه من موظفى الدولة بالآلا يسمحوا

للوزراء الجدد بالذهاب إلى الوزارات، وأعلن يوم الاثنين أيضاً "يوم عزاء عام" لقتلى المظاهرات الأخيرة (٢٤).

بعد تحديد موقف خميني ضد شاهبور كان من المنتظر أن يهب الشعب ضد الحكومة الجديدة، وبينما تصاعدت حدة التوتر كل لحظة شاعت شائعات قائمة على احتمال انقلاب عسكري.

في مثل هذه الظروف كان شاهبور بختيار يواصل مباحثاته مع الشاه بسرعة تشكيل "مجلس حكم" وأيضاً أوصى المسئولون في واشنطن الشاه ليخرج من البلاد في الفرصة المناسبة، وطلبوا القادة العسكريين أن يطردوا فكرة الانقلاب من رؤوسهم بأي شكل، وبدلاً منها يركزوا كل سلطات الجيش خلف بختيار.

في ١٣ يناير (٢٣ دي ٥٧) عندما تشكل مجلس حكم من جماعة من الأشخاص الأوفياء للشاه، اختار خميني جماعة مناهضة لمثل هذه الجماعة، لتهيء المجال لتأسيس حكومة إسلامية في إيران (٢٥) وفي ذلك اليوم استأنفت صحف البلاد عقب ضمان حرية الكتابة من قبل الحكومة - صدورها (٢٦).

في يوم ١٦ يناير (٢٦ دي ٥٧) (١-×) تدفق كل أهالي طهران في الشوارع فوراً بعد عدة دقائق من إعلان خبر خروج الشاه من إيران من الإذاعة، وبينما كانوا يصيحون "رحل الشاه" جعلوا المدينة كلها كرنفلاً من البهجة.

عانق الأهالي بعضهم البعض، وأطلقت الحافلات أبواقاً متتابعة، وكان سرور الجميع غير متوقع لدرجة تشير حيرة كل مشاهد أجنبي لها.

سلك جميع الأهالي مع الجنود سلوكاً أخوياً، ونكس جماعة من المتظاهرين تماثيل الشاه وابنه، ورفعوا في نفس الوقت شعار: حزينا حزب الله، خميني زعيمنا - النصر للجمهورية الإسلامية - دور بختيار بعد الشاه.

قال الشاه فى المطار لبختيار قبل صعوده الطائرة: "لحكومتك تأييد مطلق منى، وأملى أن يؤدى أعضاؤها المدفوعون بحب الوطن، كل واحد منهم ما يستطيع للقيام بالمهام المكلف بها ليحققوا نتائج ناجحة...."

من المهام المعقدة لحكومة بختيار التى أشار إليها الشاه كانت إحداها إقرار الهدوء فى البلاد وثانيها إنقاذ الحكم.

ولتحقيق الهدف الأول، كان الشاه قد هبىء قادة الجيش لطاعة بختيار، ومن أجل الهدف الثانى هباً بختيار نفسه ليضحي بالأشخاص الذين كان الشاه قد انتقاهم للسجن فى عهد حكومة أزهارى، وعندما نجح بختيار فى غياب الشاه فى أن يعدم رئيس وزراء سابق ورئيس سافاك سابق وجماعة من الوزراء والرجال السابقين، واستطاع بهذه الخطوة أن يبرىء الشاه من كثير من جرائمه، ويقضى على موانع عودته إلى البلاد وكان هذا البرنامج نفسه برنامج "درع البلاء" الذى أشرت إليه قبلاً فى نفس الفصل من الكتاب.

ولهذا السبب أيضاً قال الشاه قبل صعود الطائرة لقواد الحرس الشاهنشاهى الذين انكبوا على قدمه والتمسوا منه ألا يسافر: "لا تقلقوا، لن يطول سفري بالخارج كثيراً" بينما كان الشاه يخدع نفسه هذه المرة - حتى فى اللحظات الأخيرة، ولم يهتم أصلاً بأن الطبقات الغنية ومؤيدوه لم يهتموا مطلقاً بلطائفه، لمعرفة حقيقة أن كتاب سلطنة الشاه قد وصل إلى الصفحة الأخيرة، وأنهم فوراً سيحملون أموالهم وأمتعتهم ويرحلون خلفه.

قال الشاه عندما استقبله أنور السادات فى مصر (١-×): لقد سافرت إلى مصر فقط لقضاء أجازة قصيرة، ولكن عندما تجمع أعضاء جميع السفارات الإيرانية فى الدول الأجنبية لاتخاذ قرار لإظهار التضامن مع معارضى النظام ورفع صور الشاه

(١-×) وصل إلى مصر فى ٢ بهمن ١٣٥٧.

- ٣٢٤ -

والأسرة المالكة من أماكن عملهم، انعكست مواقفهم أيضاً على وزارة الخارجية الإيرانية، خاصة في نيويورك حيث أعلن زملائي في مكتب مفوضية إيران في الأمم المتحدة بإعلان بيان: لا نعتزف رسمياً من بعد ذلك بالأميرة أشرف مسئولاً لوفد مفوضيه إيران في الجمعية العامة لمنظمة الأمم.

في نفس اليوم، احتفل سكان المدن الإيرانية المختلفة أيضاً مثل أهل طهران بسرور بالغ بخروج الشاه من البلاد، وحينما أعلنوا نفورهم من الشاه، هتفوا جميعاً في صوت واحد في كل أنحاء إيران "لتبقي خالدة الجمهورية الإسلامية الإيرانية".

في غد ذلك اليوم وأثناء تواصل احتفال وفرح الشعب، أعلن زعماء قادة المعارضة أنهم لا يعترفون بحكومة بختيار، وطالب المتظاهرون أيضاً معهم إقالة بختيار الذي كان موظف الحكومة قد منعوا وزراءه من دخول الزارات بناء على أمر خميني.

سعى بختيار ألا يفقد هدوء أعصابه، ويسير الأوضاع بأي شكل بصورة عادية، مع أنه كان يحسب حساب تأييد قادة الجيش له في هذا الصدد، ويواصل السير معتمداً على تأييدهم، ولكن لم يعرف أنه على الرغم من وصية الشاه لجنرلاته بتأييد حكومته لكن أكثر قادة الجيش كان يكن للشاه الكراهية لأنهم أدركوا خيانتهم لهم.

نهاية أمر بختيار:

بعد خروج الشاه من إيران أعلن خميني من نوفل لوشاتو بنفس هادئة وثابتة بياناً بتهنئة شعب إيران، وطالبهم بأن يتظاهروا يوم ١٩ يناير (٢٦ دي ٥٧) ضد بختيار "الخائن" (٢٧) ورفض بشدة مطلب الرئيس كارتر الخاص بتأييد حكومة بختيار (٢٨).

في يوم ١٩ يناير سار الملايين من الإيرانيين في شوارع طهران وسائر المدن بمسيرات، وهتفوا "الموت للشاه" وفي نهاية المظاهرات، عقد أهل طهران العزم في بيان

- ٣٢٥ -

أصدروه بأن يواصلوا كفاحهم حتى استقرار حكومة جمهورية إسلامية فى إيران، وطالبوا فيه- ضمن إعلاناتهم بعدم شرعية حكومة بختيار- منه ومن نواب المجلس أعضاء مجلس الحكم أن يستقيلوا من مناصبهم.

وشاعت فى ذلك الوقت شائعات فى طهران بحدوث مباحثات بين قادة الجيش ومؤيدى خمينى، ولكن شاع أيضاً أن القادة المتشددى فى الجيش مشغولون بالمباحث من أجل القيام بانقلاب عسكرى.

فى ذلك الوقت أعلن خمينى على الملأ فى بيان أنه سيسافر إلى إيران قريباً، وطالب خلاله بإعادة النظر فى جميع المعاهدات المتعقدة بين الشاه والدول الأجنبية.

فى واشنطن قال أردشير زاهدى فى حديث صحفى صرح فيه للصحفيين: إن قدوم الشاه إلى أمريكا لن يكون له معنى إلا غض البصر عن السلطنة، ولهذا السبب سيسافر بعد مصر وقبل عودته إلى إيران إلى دولة أخرى (مراكش).

عقب إعلان هذا الخبر قام قادة الحرس الشاهنشاهى أيضاً معتمدين على تصريحات سفير إيران فى واشنطن بمناورات فى عده ثكنات حتى يظهروا استعدادهم لمواجهة الحوادث.

فى يوم ٢٣ يناير (٣ بهمن ٥٧) أعلن بختيار أنه إذا أجل آية الله عودته سيستقيل من منصبه أيضاً، ويترك تحديد ماهية النظام القادم للبلاد. جمهورى أم ملكى- فى يد الشعب، ولكن "مجلس الأمن القومى" خلافاً لرأيه أغلق المطار فى خطوة متهورة، ليمنع عودة آية الله المنفى إلى إيران (٢٩).

يوم ٢٥ يناير (٥ بهمن ٥٧) نظمت حكومة بختيار مظاهرات تأييداً للدستور والذى تجمع فيه مايزيد عن ٥٠ ألف شخص فى ميدان بهارستان ورفعوا شعار- التأييد لبختيار (٣٠).

- ٣٢٦ -

ولكن فى غد ذلك اليوم تظاهر مؤيدو خمينى فأطلقت القوات العسكرية النار صوبهم، وقتلوا قرابة ١٥ شخصاً.

فى يوم ٢٨ يناير (٨ بهمن ٥٧) أعلن بختيار أنه يريد أن يسافر إلى باريس للقاء خمينى والتباحث معه حول مستقبل البلاد، ولكن آية الله اشترط استقاله بختيار من رئاسة الوزارة لمقابلته.

بعد ذلك عند تصاعد استمرار مظاهرات الشعب ضد الحكومة وميلها نحو الخشونة، وتزايد عدد القتلى والجرحى، فضل بختيار أن يسلك طريق المسالمة بإلغاء إغلاق المطار، وأبدى استعداداه بأن يتصالح بعد عودة خمينى، معه (٣١).

وأخيراً فى يوم أول فبراير (١٢ بهمن ٥٧) وصل الزعيم الدينى للإيرانيين بعد قرابة ١٤ سنة من النفى بطائرة مؤجرة من إيرفرانس- إلى طهران وفى خط سيره من المطار إلى المدينة، بينما كان راكباً سيارة مرسيدس بنز إستيشن (١) إستقبله إستقبالاً جنونياً ملايين الأهالى الذين كانوا قد وصلوا إلى درجة الانفجار من السعادة (١).

وتوجه الجميع فى مظاهرتهم نحو مقبرة بهشت زهرا، وهناك ألقى خطاباً فوق كرسى بين جموع مهللة واثرة بلهجة شديدة وعلى وتيره وا حدة بينما كان سيل من البشر يحيط بجميع جوانب المقبرة، وقال فى خطابه ".... هذه الحكومة وهذا المجلس غير شرعيين.. إننى أطعن فى هذه الحكومة، وسوف أعين بنفسى حكومة- إننى أعين حكومة بتأييد هذه الأمة... وإذا رفض بختيار الإستقالة، سأعتقله..." (٣٢)، وهاجم خمينى فى هذه الكلمة أمريكا، وطالب ضباط الجيش أن يلحقوا بالشعب.

فى نفس الوقت عندما تظاهر الطلاب المصريون أيضاً ضد تواجد الشاه فى بلادهم، اضطر الشاه مغادرة مصر إلى مراكش (٣٣).

لم يكن لدى بختيار سبيل آخر فى مثل هذا الوضع إلا بالسماح للمظاهرات لصالح خمينى، وسعى ضمناً بتنفيذ بعض البرامج التى كان خمينى قد أعلن عنها من

- ٣٢٧ -

قبل فى باريس، ولهذا السبب أعلن أنه: سيعيد النظر فى معاهدات إيران مع الدول الأجنبية، سيوقف بيع البترول لإسرائيل وجنوب إفريقيا.....

كان بختيار أصلاً منذ بداية وصوله للسلطة قد دخل فى دوامة الأحداث، وكان يدرك أنه مثل الشاه صار موضع سخرة وعدم ثقة وسوء ظن الشعب، لم يحظ بتأييد الأمة، ولم يعد يخضع القادة العسكريون لأوامره.

كانت خطوات بختيار تتم بعشوائية واضطراب لدرجة أن أكثرها ظل بلا أثر، وبعد إعلان عزله أردشير زاهدى عن منصبه فى واشنطن لم يبلغ قراره رسمياً لوزارة الخارجية الأمريكية، ولهذا السبب استطاع زاهدى أن يواصل سيطرته كما كان على شئون سفارة إيران فى أمريكا، أما فيما يخص محاكمة المعتقلين، اكتفى بختيار بإعلان هذا الخبر فقط، ولم يقم بأى عمل آخر فى هذا الصدد.

بدا بختيار فيما سبق شخصاً ضعيفاً لأنه أصلاً لم يكن لديه قدرة للقيام بالأمور الهامة.

يوم ٥ فبراير (١٦ بهمن ٥٧) خطا آية الله خمينى أولى خطواته رسمياً كزعيم للبلاد، وعين "مهدي بازرجان" رئيساً "للحكومة المؤقتة للجمهورية الإسلامية" (٣٤) وأصدر له أمراً بأن يشكل وزارة ويستطلع رأى العام لتغيير النظام.

إن خمينى فى المرسوم الذى شكلت بموجبه الحكومة المؤقتة قد أكد على أن المظاهرات الواسعة والضحايا الكثيرين الذين قدمهم الشعب قد اختاروه زعيماً للبلاد، وطالب الجميع بأن "يُظهروا بمظاهرات سلمية فى المدن والقرى وفى كل مكان يكون فيه مسلمين رأيهم الخاص بالحكومة الإسلامية للسيد المهندس بازرجان..." وأعلن أيضاً: "أن عقاب الأشخاص الذين يعرقلون أو يناهضون الحكومة الإسلامية سيكون عسيراً، وفى الفقه الإسلامى الثورة ضد حكومة إلهية هو ثورة ضد الله، والثورة ضد الله كفر وعقاب ذلك وخيم جداً...." (٣٥).

- ٣٢٨ -

إن وجود عبارة "بناء على إقتراح مجلس الثورة..." " فى بداية أمر الحكومة المؤقتة كان أول مرة يعلن عن وجود "مجلس ثورة" ولكن تركيب أعضائه مازال حتى اليوم مجهولاً^(٣٦).

فى غد يوم تعيين بازرجان رئيساً للحكومة المؤقتة، لم يعترف بختيار خلال بيان "باصطلاح" حكومة آية الله المختارة، وأعلن : "إننى أظل فى المملكة فى منصب رئيس الوزراء قانوناً حتى أقوم بانتخابات حرة فى المستقبل، حتى إذا خضع جميع نواب المجلس لطلب آية الله خمينى واستقالوا من نيابة المجلس....".

فى ذلك اليوم أخذ بختيار الموافقة على لائحتين خاصتين بحل السافاك ومحاكمة الوزراء السابقين، وفى مجال السياسة الخارجية أيضاً أعلن رغبة حكومته خروج إيران من الحلف المركزى.

قام بازرجان الذى كان مستفيداً من سلطة خمينى ومؤيداً من جميع فئات الشعب لمواجهة بختيار وقادة الجيش والذى أعلن جماعة تتجاوز المائة ألف شخص فى طهران والمدن خلال مظاهرات سلمية تأييدهم لاختيار بازرجان، بينما كانوا يسيرون فى الشوارع يهتفون "عاش خمينى - عاش بازرجان - الموت لختيار" (١٧ بهمن ٥٩) .

فى مثل هذا اليوم، كان تواجد الجيش - غير طلعات الطائرات والهليكوبتر فى سماء الشوارع - محدوداً، وأعلن إبراهيم يزدى، أيضاً خلال إظهار انضمام عدة وحدات من الجيش إلى الحكومة الإسلامية أنه فى يوم ٨ فبراير (١٩ بهمن ٥٧) سيقام أثناء مؤتمر صحفى لختيار مظاهرات واسعة فى طهران والمدن^(٣٧).

فى يوم ٨ فبراير بينما شاعت فى كل مكان شائعة قيام انقلاب عسكرى، سعى سفير أمريكا بكل وسائل للاتصال بالزعماء الدينين، وقام جمع يتعدى المليون بمسيرة فى شوارع طهران، وطالبوا بإقالة بختيار من رئاسة الوزارة، ولكن بختيار على الرغم

- ٣٢٩ -

من مشاهدة مظاهرات الأهالى أقسم ألا يستسلم وسيظل فى مقاومته، ووصف أفكار خمينى أيضاً "بالقرون الوسطى".

فى يوم ٩ فبراير (٢٠ بهمن ٥٧) فجأة تصاعدت الاضطرابات، وهجمت عناصر من الحرس الشاهنشاهى على جماعة فى قاعدة للقوات الجوية الذين تظاهروا لصالح خمينى، وقتل أكثر من خمسين شخصاً، وأكد أحد أصدقائى (الذى كان قد غادر إيران بعد عدة أيام من مغادرة الشاه) والذى قال: عُلِمَ من مصادر سرية أن الحرس الشاهنشاهى كان يريد أن يقوم بانقلاب تحت قيادة جماعة من الجنرالات.

فى يوم ١٠ فبراير (٢١ بهمن ٥٧) توترت الأوضاع أكثر، وبعد هجوم الحرس الشاهنشاهى على نفس هذه القاعدة الجوية التى أعلن أفرادها تأييدهم لخمينى، خرج أفراد القاعدة وسلموا أسلحتهم للأهالى، وبعد عمل سواتر فى أطراف القاعدة، قامت معركة شاملة بين الأهالى والحرس الشاهنشاهى، إستمرت حتى صباح ذلك اليوم، قُتل خلالها قرابة ٢٠٠ شخص.

والمعلومات التى توفرت لدى فيما بعد أثبتت أن ماحدث من هجوم للحرس الشاهنشاهى على القاعدة الجوية كان يعد مقدمة لانقلاب كان قد أشبع منذ فترة أنه من تدبير "خسروداد" وعدد من الجنرالات الآخرين، ولكن تذكر بعض التقارير أن أحد الضباط من أصدقاء خسروداد، ويدعى الجنرال "ربيعي" كان قد أخبر مؤيدى خمينى من قبل بالأمر.

فى اعتقاد المصادر التى أعطتنى هذه المعلومات أن تخطيط الانقلاب كان منظماً من قبل بموافقة الشاه، ويستند فى ذلك بشرط كان قد وقع فى يد المعارضين منذ عدة أيام سابقة، وفيه سمعت أوامر الشاه موجهه لقادة الجيش للعمل على إثارة التوتر والاضطراب (مع أنه يجب القول أن صحة مثل هذه الشريط قد كُذبت من قبل مؤيدى الشاه).

في نفس يوم ١٠ فبراير إتصل بى أمير عباس من مكان اعتقاله تليفونيا^(٣٨) وخلال حديثه إعترف صراحة أن تصرفات الشاه نزقه، وقال أخى ضمن إبراز هذا الأمر : إنه فى الواقع لايفهم كيف يمكن لرئيس دولة فى مثل هذا الوضع أن ينقذ نفسه ويذهب؟: "...الآن أدرك أننى أخطأت الحكم على الشاه"^(٣٩) وكانت هذه آخر مرة أسمع صوت أمير عباس.

في صباح يوم الأحد ١١ فبراير (٢٢ بهمن ٥٧) صمم قادة الجيش على قلب بختيار، ولما لم يستطيعوا الحصول على أمر من الشاه من أجل هذا العمل، انقسموا إلى جماعتين، الجماعة الأولى استعدت لتنفيذ خطة خسروداد ورفاقه بالقيام بانقلاب عسكري ، والجماعة الثانية أعلنت حيادها فى النزاع بين الحكومتين، وأمروا قواتهم بالعودة إلى ثكناتهم.

خلال ذلك رأى بختيار نفسه بدون تأييد كامل من الجيش، وأدرك بسرعة نهاية أمره، واستعد للفرار وبعدها اتضح أنه غادر إيران على الفور، وذهب إلى أوروبا لاحقاً^(٤٠).

بعد ذلك، سقطت طهران ولمدة ٤٨ ساعة فى يد جماعات لم يكن محدداً تبعيتها لأى مسئول، وعندما غادر حراس سجن أخى والمعتقلون الآخرون لنظام الشاه مكان عملهم، استطاع كثير من المعتقلين الهروب مستفيدين من هذا الموقف، ولكن أخى فضل أن يبقى هناك ولا يغادر سجنه، معتقداً أنه "يجب على المرء أن يبدى للنهاية مدى شجاعته وجراته"^(١) حتى قبل رفض اقتراح بعض الأصدقاء والمقربين الذين كانوا يريدون إرسال جماعة للهجوم على السجن وإنقاذه^(٤١).

عقب فرار بختيار وسقوط النظام، تولت الحكومة المؤقتة للجمهورية الإسلامية شئون البلاد، وقبضت القوات المؤيدة للخمينى على الجنرال خسروداد، وأعلنت حكومة الولايات المتحدة عن رغبتها للاتصال بالنظام الجديد لحفظ مصالح أمريكا فى إيران، واعترفت الحكومة السوفيتية رسمياً بالنظام الجديد لإيران.

حاشية الفصل الرابع

- ١ - مع أن مهمة الحراسة الدينية من قبل الشباب كان لابد أن تعطى لأهالى أمل فى فترة الثورة، لابد أن نعرف أنه فى نفس تلك الأيام كان أهالى مدن: بابل وشادجان ولار وسنقر ومريوان ويندر عباس ودرجز وبيجار مشغولون فى الشوارع بالتجوال والحراسة من أجل التحصن ضد هجوم رجال النظام من حملة العصى - م.
- ٢ - كان الجنرال فرانكو ديكتاتوراً لأسبانياً، وقد سعى "خوان كارلوس" الملك الحقيقى للبلاد أن يجعل الليبرالية مهيمنة على أسبانيا فى عهد حكمه - م.
- ٣ - يطلق "عقاب" فى القاموس السياسى على الأشخاص الذين يعتقدون بحل الأمور وفصلها عن طريق أعمال العنف والقوة، وعكس هذا الاصطلاح "حمام" الذى يستخدم فى وصف الأفراد الذين يعتقدون فى الوفاق والمصالحة والتباحث - م.
- ٤ - يقولون: إن لويس السادس عشر (آخر ملوك فرنسا) ونيقولا الثانى (آخر قيصرية روسيا) أيضاً فى أيام حكمهم الأخيرة وعندما لم يجدوا فى أنفسهم قدره لمواجهة الثوار جرت هذه الجملة على ألسنتهم وقالوا للشعب أنهم: قد سمعوا صدى ثورتهم وقالوا أيضاً أنهم: بضمنون الحرية للشعب (ترجمة الكلمات التى نقلت من حديث الشاه قد تم بالاستفادة من النص الأصيل لكلمته يوم ١٥ آبان ٥٧) - م.
- ٥ - كان بعض الأفراد - شبيهه بنفس تاجر السوق المشار إليه من المؤلف - مثل كثير من المفلسين السياسيين كان تصورهم أنه إذا سقط النظام سيصلون إلى الماء والخبز، وبعد سقوط الشاه واستقرار الجمهورية الإسلامية مع أن هؤلاء استطاعوا أن ينهبوا ويسلبوا فترة، لكن أدركوا فوراً أن هدف الشعب كان الكفاح ضد الطاغوت والوصول إلى سيطرة النظام الإسلامى وليس تأمين مصالحهم ولهذا السبب سعى هؤلاء الأشخاص أنفسهم بعد الجمهورية الإسلامية أيضاً للمعارضة والعداء - م.

- ٣٣٢ -

٦ - من الطبيعى أن يهتم الجيش الشاهنشاهى وخلاياه الأمريكية مع الجنرالات ا
تربوا فقط على حماية مصالح أمريكا؛ بالأمريكان خاصة، ولم يستطيعوا ه
أن يقبلوا بأن يضحوا بشمرة ٢٥ سنة من جهودهم لحماية أى شخص يدق
الفضيحة على الملأ ورأوا أنه لا يوجد له أى قاعدة مطلقاً بين عامة الش
وعندما أدركت أمريكا جيداً أن جسم الجيش يتزلزل والعناصر المطالبة با
داخل الجيش لا تنفصل عن الشعب وليس لدى الجنرالات العملاء لأمريكا
قدرة ونفوذ، لهذا السبب طالبت بسفر الجنرال "هايزر" حتى يمنع أي تحرك ه
للجيش أو انقلاب للجنرالات، طالما كانت تعرف أنه أمر لا فائدة منه و
عملى، وعلى هذا الأساس فإن قره باغى عصر يوم ٢١ بهمن ٥٧ أعلن فى
خبر تحييد الجيش وتضامنه مع الشعب، ولكن رأينا فى النهاية أن الش
بهجومه على الثكنات قد هدم تماماً الركن الأسمى لسيطرة أمريكا على الج
يعنى نظام قيادة الجنرالات، ودمر بيت أمل أمريكا- م.

٧ - يجب أن نضيف أيضاً إلى قائمة المدن التى ثار أهلها فى العشرة أيام الأولو
حكومة أزهارى ضد الحكومة العسكرية واستشهدوا؛ نجف آباد وهمدان وز
وكرمانشاه وبابل وآمل- م.

٨ - عادة لم يتم فى أيام ٢٦ ابان (الذى كان قد سمي تقريباً منذ سنة ١٣٥٤
"عيد الجيش") عرض عسكري فى الشوارع حتى يشترك فيه الشاه، كانت الما
فى هذا اليوم عادة تتم بمشاهدة الشعب للثكنات- التى كان خلالها يحض
جماعة من الموظفين والطلاب بحافلات حكومة إلى الثكنات لمشاهدوا الج
الشاهنشاهى، ولكن حدث تغيير فى هذا الأمر يوم ٢٦ آبان ٥٧ بصفة استشد
تحركت وحدات من الجيش مع الدبابات والمدفعية فى الشوارع لاره
الشعب.

- ٣٣٣ -

كان العرض العسكرى العام يعرض أمام الشاه عادة أيام ٢١ آذر من كل سنة، وفى سنة ١٣٥٧ وخاصة بعد المسيرة العظيمة ١٩-٢٠ آذر بمناسبة تاسوعاء وعاشوراء ألغى هذا العرض تماماً- م.

٩ - كانت الأحداث التى أشار إليها المؤلف أثناء هجوم وإطلاق النار لرجال النظام فى الحرم المطهر لحضرة الإمام الرضا (ع) الذى وافق يوم ٢ آذر ٥٧ (٢٣ نوفمبر) ولعل الهجوم على مستشفى شاه رضا مشهد (أمام الرضا) قد تم فى يوم ٢٣ آذر الموافق ١٤ ديسمبر ١٩٧٨- م.

١٠ - خلافاً لرأى المؤلف لم تكن إقامة الإمام الخمينى فى باريس مطلقاً إقامة لجوء سياسى، وكان قد دخل فرنسا كمسافر عادى واستطاع طبقاً لقرارات ذلك الوقت أن يقضى ثلاثة أشهر على أرضها دون الحصول على تأشيرة- م.

١١ - مع أن المؤلف قد شك فى تحديد ليلة أول المحرم سنة ٥٧ بين يومى الأول والثانى من ديسمبر، مع هذا يجب القول أن ٣٠ نوفمبر ٧٨ الموافق ٩ آذر ٥٧ كان ليلة أول المحرم- م.

١٢ - كان تاسوعاء سنة ١٣٥٧ فى يوم الأحد ١٠ ديسمبر (١٩ آذر)- م.

١٣ - فى مظاهرات يوم عاشوراء فى أصفهان، عندما غير الأهالى أثناء المظاهرة خط سيرهم، وهاجموا إدارة السافاك، فأطلق النار صوب التجمع بأمر الحاكم العسكرى من طائرة فى السماء، واستشهد عدد نتيجة لذلك- م.

١٤ - يجب التوضيح حول وجود دكتور إبراهيم يزدى كقاضى منقب فى المحكمة الخاصة بأمير عباس هويدا- فقد استعرضت المسألة مباشرة مع الدكتور يزدى، وأجاب تحريرياً على هذا السؤال- والذى ينقل نصه حرفياً فيما يلى:

السيد ح.١٠ مهران

إجابة على السؤال الخاص بادعاء السيد فريدون هويدا في كتابه "سقوط الشاه" الخاص بحضورنا محاكمة أمير عباس هويدا ويذكر أمراً لأساس له ألبتة ، ومن جانبى فإننى لم أحضر ولم أشارك مطلقاً لافى هذه المحكمة ولا فى محاكم أخرى، لا منقباً ولا غير منقب، ولم أكن أوافق على هذا الأسلوب.

ومن ناحيتى فإننى رأيت وتحدثت مع هويدا مرة واحدة فقط ولأول مرة عندما أحضروه إلى مدرسة الرفاه؛ وأعلن استعدادده منذ البداية بكتابة مذكرات ١٤ سنة من التعاون مع نظام الشاه وإبراز الوجه الحقيقى له، ولما كان خائفاً من أن يتأمر جميع المعتقلين عليه ويقتلونه، أمر بأن يحفظ فى غرفة منفصلة عن الجميع.....

مع الشكر والسلام

دكتور بيزدى

٦٤/١١/٩ (ه.ش)

وفيما يتعلق بقائد الجيش قره باغى فالأمر أكثر وضوحاً من أن يحتاج إلى توضيح، فطالما سقط هذا الشخص فى قبضة الثوار كان من الواجب عليه طبعاً أن يقف بجوار هويدا والآخرين، ويسحب للمحاكمة كأحد الأركان الراسخة لنظام الشاه ورئاسة بختيار للوزارة - م.

١٥ - الأمر الذى يريد أن نصدقه فى الواقع ساذج جداً أو أبلهاً - فقبول ادعاء أمير عباس هويدا الخاص بكتابة مذكراته وإفشائه للمعلومات التى كان القصد منها أن يظهر أعمال وسلوك نظام الشاه، ولم يكن يعقل أن يكون سفيهاً لدرجة أن يكتب بيده صك إدانته، وأصلاً يجب السؤال: ما هو الشىء الذى كان من الممكن أن يكتبه هويدا فى مذكراته ليتهم الشاه وبهوى نفسه؟ لأن كل ما كان منسوباً إلى الشاه كان فى الواقع أكثر تجريماً له، وفى حكم نفس الدستور الذى كان يعترف به

أنه من المحال أن يتمكن من تبرئة نفسه فى أى محكمة (لأنه رئيس وزراء مسئول أمام الدستور) من التعاون والمشاركة فى جرم الشاه المجرم الفاسد (الذى لم يكن مسئولاً قط فى نظر الدستور).

وبناء على هذا لو أن عشر سنوات قد منحتة الفرصة لكتابة مذكراته فإنه لابد أن يكون قد كتب نفس المسائل التى جرت على لسانه فى المحكمة واعتبر نفسه جزءاً من "نظام" وألقى بالمساوىء فى رقبة "النظام" وكان من المحال أن ينتظر من هويدا غير هذا وأن يقول شيئاً آخر وأن يعلن حتى فساد واحد من مفاصد الشاه فى أمور المملكة ويضيفها فى الحقيقة إلى ذنوبه.

فى نفس الوقت فإن أخاه فريدون هويدا (مؤلف هذا الكتاب) أيضاً مع كونه بعيداً عن الهلاك كان لديه فرصاً كثيرة لكى يعلن فيما يخص المسائل التى تتعلق بالأعمال الخائنة للشاه فى شئون منظمة الأمم، ولما كان هو شخصياً يتولى مسئولية مندوبية الشاه فى منظمة الأمم المتحدة فإنه لم يتحدث مطلقاً عن خيانة الوطن والقرارات المضادة للوطنية والمعاملات الخفية للشاه مع مندوبى القوى العظمى فى الأمم المتحدة.

مع أن السيد فريدون لم يستعرض مجرى قرارات النظام فى مجال مهمته والخاص بالفترة التى كان يعمل فيها تحت إدارة أشرف بهلوى فى نيويورك لم يعلن الأمر؟ وكذلك لم يفعل أخوه، وأصلاً فإن هذا الأمر ليس إلا حجة أرادها أمير عباس هويدا ليتوسل بها عدة أيام لعل الفرج يأتى وتتحقق مساعى أتباعه وأصدقائه الأوربيين والأمريكان والإيرانيين لإطلاق سراحه من السجن - م.

١٦ - أشار الدكتور إبراهيم يزدى فى رسالته المؤرخة فى ٩٤/١١/٩ إلى مترجم الكتاب إلى مسألة الوثائق السرية لسفارة إيران فى أمريكا أيضاً بالتوضيح التالى:

السيد ج. أ. مهران

إجابة على السؤال الخاص بادعاء السيد فريدون هويدا في كتابه "سقوط الشاه" الخاص بحضورنا محاكمة أمير عباس هويدا ويذكر أمراً أساساً له ألبته ، ومن جانبى فإننى لم أحضر ولم أشارك مطلقاً لافى هذه المحكمة ولا فى محاكم أخرى، لا منقباً ولا غير منقب، ولم أكن أوافق على هذا الأسلوب.

ومن ناحيتى فإننى رأيت وتحدثت مع هويدا مرة واحدة فقط ولأول مرة عندما أحضره إلى مدرسة الرفاه؛ وأعلن استعداداه منذ البداية بكتابة مذكرات ١٤ سنة من التعاون مع نظام الشاه وإبراز الوجه الحقيقى له، ولما كان خائفاً من أن يتأمر جميع المعتقلين عليه ويقتلونه، أمر بأن يحفظ فى غرفة منفصلة عن الجميع.....

مع الشكر والسلام

دكتور يزدى

١١/٩/٦٤ (هـ.ش)

وفيما يتعلق بقائد الجيش قره باغى فالأمر أكثر وضوحاً من أن يحتاج إلى توضيح، فطالما سقط هذا الشخص فى قبضة الثوار كان من الواجب عليه طبعاً أن يقف بجوار هويدا والآخرين، ويسحب للمحاكمة كأحد الأركان الراسخة لنظام الشاه ورئاسة بختيار للوزارة - م.

١٥ - الأمر الذى يريد أن نصدق فى الواقع ساذج جداً أو أبلهاً- فقبول ادعاء أمير عباس هويدا الخاص بكتابة مذكراته وإفشائه للمعلومات التى كان القصد منها أن يظهر أعمال وسلوك نظام الشاه، ولم يكن يعقل أن يكون سفيهاً لدرجة أن يكتب بيده صك إدانته، وأصلاً يجب السؤال: ما هو الشئ الذى كان من الممكن أن يكتبه هويدا فى مذكراته ليتهم الشاه ويبرىء نفسه؟ لأن كل ما كان منسوباً إلى الشاه كان فى الواقع أكثر تجريماً له، وفى حكم نفس الدستور الذى كان يعترف به

- ٣٣٥ -

أنه من المحال أن يتمكن من تبرئة نفسه فى أى محكمة (لأنه رئيس وزراء مسئول أمام الدستور) من التعاون والمشاركة فى جرم الشاه المجرم الفاسد (الذى لم يكن مسئولاً قط فى نظر الدستور).

وبناء على هذا لو أن عشر سنوات قد منحتة الفرصة لكتابة مذكراته فإنه لابد أن يكون قد كتب نفس المسائل التى جرت على لسانه فى المحكمة واعتبر نفسه جزءاً من "نظام" وألقى بالمساوىء فى رقبة "النظام" وكان من المحال أن ينتظر من هويدا غير هذا وأن يقول شيئاً آخر وأن يعلن حتى فساد واحد من مفاصد الشاه فى أمور المملكة ويضيفها فى الحقيقة إلى ذنوبه.

فى نفس الوقت فإن أخاه فريدون هويدا (مؤلف هذا الكتاب) أيضاً مع كونه بعيداً عن الهلاك كان لديه فرصاً كثيرة لكى يعلن فيما يخص المسائل التى تتعلق بالأعمال الخائنة للشاه فى شئون منظمة الأمم، ولما كان هو شخصياً يتولى مسئولية مندوبية الشاه فى منظمة الأمم المتحدة فإنه لم يتحدث مطلقاً عن خيانة الوطن والقرارات المضادة للوطنية والمعاملات الخفية للشاه مع مندوبى القوى العظمى فى الأمم المتحدة.

مع أن السيد فريدون لم يستعرض مجرى قرارات النظام فى مجال مهمته والخاص بالفترة التى كان يعمل فيها تحت إدارة أشرف بهلوى فى نيويورك لم يعلن الأمر؟ وكذلك لم يفعل أخوه، وأصلاً فإن هذا الأمر ليس إلا حجة أرادها أمير عباس هويدا ليتوصل بها عدة أيام لعل الفرج يأتى وتتحقق مساعى أتباعه وأصدقائه الأوربيين والأمريكان والإيرانيين لإطلاق سراحه من السجن - م.

١٦ - أشار الدكتور إبراهيم يزدى فى رسالته المؤرخة فى ٩٤/١١/٩ إلى مترجم الكتاب إلى مسألة الوثائق السرية لسفارة إيران فى أمريكا أيضاً بالتوضيح التالى:

..... وضمنياً نسب السيد فريدون هويدا فى كتابه أموراً أخرى إلىّ لأساس لها ومحض افتراء، على سبيل المثال أورد فى صفحة ١٣٦ من النص الإنجليزى فيما يتعلق بمسئولية صهرى (دكتور شهريار روحانى) فى سفارة إيران فى أمريكا ووثائقها السرية- أموراً كاذبة، أولاً: لم يكن السيد د. روحانى أبداً فى أى وقت مسئولاً عن سفارة إيران فى واشنطن، ثانياً: بموجب محضر الجلسة الذى كُتب ووقع فى أواخر إسفند ٥٧ أو أوائل فروردين ٥٨ من أربعة أشخاص منهم السيد "جعفر فقيه" القائم الجديد بالأعمال والمعين من قبل السيد د. سنجابى (وزير خارجية إيران آنذاك) (السيد د. روحانى ليس واحداً منهم) وهو موجود أصلاً فى الإدارة الحقوقية لوزارة الخارجية الإيرانية، وقد أرسلت جميع الوثائق السرية لسفارة إيران مختومة بالشمع الأحمر ومهجرة إلى وزارة الخارجية الإيرانية.

وقد قدم د. إبراهيم يزدى توضيحات أخرى حول أمر آخر فى كتاب فريدون هويدا ولما كان أصل المسألة سوف يأتى فى الفصل الخامس من الكتاب لذا سننقل هذا التوضيح فى موضعه.

١٧ - كما تم التوضيح من قبل فيما يتعلق بأمير عباس هويدا، وكان حث هؤلاء الأشخاص لإعلان الاتهام ضد نظام الشاه أمراً محالاً، طالما أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم جميعاً مجرد "آله فعل" وجزء "من عناصر النظام" ولم يكونوا مستعدين مطلقاً لإظهار الأمور التى من شأنها أن تجرمهم فى النهاية، وطبقاً لما شاهدناه جميعاً فى التلفزيون عند التحقيق الأولى مع "نصيري" أنه سعى فى الإجابة على أسئلة د. يزدى دائماً أن يظهر نفسه جاهلاً بكل الأمور، وعدم مسئوليته عن أدنى الأمور، ويظهر الآخرين كمقصرين حقيقيين- م.

١٨ - عندما نشر فريدون هويدا هذا الكتاب فى أوائل سنة ١٣٥٨ فى ذلك الوقت وبسبب سيطرة الليبرالية على البلاد - كان كثير من المسئولين من الدرجة الثانية

والثالثة لنظام الشاه مازالوا يحتفظون بوظائفهم خاصة فى وزارة الخارجية ولم يكونوا قد تم التخلص منهم، لذا يسأل سؤاله لكل النظام الإسلامى حاملاً توهماته- م.

١٩ - يطالب المؤلف من شدة حقده على أردشير زاهدى بأى صورة ولو باستدلالات فجة يجعلها مثل جبل قش، وحول زاهدى الذى كان قد عمل فقط مجرد عنصر تافه فى العلاقات والمعاملات بين الشاه والأمريكان إلى مخزن أسرار، إلى أن قدمه كسبب أصلى لاعتقال وقتل أمير عباس هويدا، وقد رفع أهمية أخيه حتى لا يتصور المرء أن يتكون أعداء لهويدا من أشخاص تافهين ووضعاء مثل أردشير زاهدى- م.

٢٠ - المقصود أنه يوم الإثنين ١٧ محرم (٢٧ آذر ٥٧)- م.

٢١ - هذه الحادثة التى حدثت يوم عاشوراء (٢٠ آذر ٥٧) أثناء مسيرة عظيمة لشعب إيران فى ثكنة لوزان (مقر الحرس الشاهنشاهى) تركت أثراً على نظام الشاه لدرجة أنه يمكن القول بحق: أنها حولت أكبر أمل لبقاء الشاه إلى يأس، لأنه كان يعتمد على الحرس الشاهنشاهى، هجم العريف "سلامت بخش" والجندى "عابد" اللذان استشهدا فى هذه الحادثة على ضباط الحرس وقصما ظهر النظام يوم عاشوراء بقتل وجرح قرابة ١٦٠ شخصاً منهم، وأظهرا بهذا التصرف للشاه أن أمواج الثورة الإسلامية قد أمتدت إلى أكثر مقار حفظ سلطته أماناً أيضاً- م.

٢٢ - كامران نجات اللهى - م.

٢٣ - وصل الجنرال هايزر إلى إيران يوم ١٧ دي ٥٧ (٧ يناير ٧٩) عندما كانت أمريكا وحلفاؤها قد إتخذوا قراراً فى "جوادلوب" منذ يومين من قبل (٥ يناير بأن يكفوا عن تأييد الشاه، وبدلاً منه يؤيدوا شاهبور ويختاروا جنرالات الجيش أيضاً حتى لا يقوموا بعمل متهور، مما يؤدى إلى أن يشنت الشعب بنية الجيش الشاهنشاهى- م.

- ٣٣٨ -

٢٤ - الإثنين ١٨ دي ٥٧ - م.

٢٥ - أذاع الإمام الخميني على الجميع يوم ٢٢ دي ٥٧ (أى قبل إعلان تشكيل مجلس الحكم بيوم واحد بنشر بيان تشكيل "مجلس الثورة الإسلامي" ولما كان قد تم من قبل اختيار أعضاء مجلس الثورة منذ فترة وبناء على هذا ليس مقبولا إدعاء مؤلف الكتاب بشأن "عمل المقابلة بالمثل".

٢٦ - بدأ نشر الصحف من جديد يوم ١٦ دي ٥٧ وليس ٢٣ دي - م.

٢٧ - كان ٢٩ دي ٥٧ موافقاً ليوم "الأربعاء" وقامت فيه مظاهرات عظيمة ضد حكومة بختيار وهجم رجال الأمن بأمر منه على سقوف الأهالي في مدن نجف آباد وكرمانشاه ونهاوند ورضائييه ومسجد سليمان وقرية سبزوار، وقتلوا مئات الأشخاص - م.

٢٨ - كان الإمام الخميني قد قال رداً على طلب كارتر "لتأييد الحكومة الشرعية لبختيار": ليس لكارتير الحق أن يعلن رأياً حول شرعية أو عدم شرعية حكومته في إيران...، وسيعود الهدوء والاستقرار أيضاً إلى إيران عندما تكف الدول الأجنبية عن التدخل في الأمور الداخلية لإيران... - م.

٢٩ - إدعاء مؤلف الكتاب فيما قاله بختيار ليس مقبولا لأن بختيار قد قال في أول بهمن ٥٧ في حديث صحفى: "لن أتخلي عن موقع رئاسة الوزارة" وعندما اضطرت قيادة الجيش إطاعة بختيار، وتولية رئاسة مجلس الأمن القومى أيضاً لرئيس الوزراء، لم يستطع احتلال مطار مهر آباد أبداً دون الحصول على إذن بختيار - م.

٣٠ - رقم ٥٠ ألف شخص رقم مبالغ فيه للغاية، وليس معروفاً بينما لم يكن نفسه في إيران، وقد أورد رقماً غير مناسب، فأى وثيقة إستند إليها، ولابأس أن نعرف أن قره باغى (آخر رئيس أركان جيش الشاه قد اعترف صراحة في مذكراته

- ٣٣٩ -

أنهم " .. قد أحضروا فى مظاهرات الخامس من بهمن ٥٧ عدد ٣٥ حافلة من عمال منشآت القوات الجوية فى چاه بهار إلى طهران، ليشتركوا فى مسيرة المؤيدين للدستور....) " (حقايق دربارہ بحران ایران - نوشتہ عباس قرہ باغی ص ٢٦٩) - م.

٣١ - كان فتح مطار مهر اباد يوم ٩ بهمن فقط بسبب الإحتجاج الواسع للشعب والتصميم على مسيرة للمليونى شخص صوب المطار، وهذا الأمر أفزع بختيار إلى درجة أنه تسبب فى رفع الحصار العسكرى للمطار - م.

٣٢ - نقل فريدون هويدا من الخطبة التاريخية للإمام فى بهشت زهرا فقط هذه الجمل الثلاث، ولكنه للأسف غير الجملة الثالثة تبعاً لرغبته، وأوردها بشكل محرف، فقد قال الإمام فى كلمته بدلاً من جملة "إذا لم يستقيل بختيار سأعتقله" قال "إنه بشر وحكومته بشر، ومجلسهم بشر، وجميعهم غير شرعيين، وإذا استمروا فهم مجرمون ويجب محاكمتهم وسنحاكمهم..." - م.

٣٣ - كان فرار الشاه من مصر إلى مراكش قد تم منذ عشرة أيام قبل هذا التاريخ أى الثاني من بهمن ٥٧ - م.

٣٤ - فى ذلك اليوم عندما لم يغير النظام نفسه بشكل رسمى لذا وعين المهندس بازرجان كرئيس "الحكومة الثورة المؤقتة" وليس "الحكومة المؤقتة للجمهورية الإسلامية" - م.

٣٥ - فى ترجمة الأجزاء التى نقلها المؤلف من بيانات الإمام تم الاستفادة مباشرة من النص الأصلى لخطبة وحديث الإمام الخمينى فى مراسم تقديم المهندس بازرجان - م.

- ٣٤٠ -

٣٦ - حتى وقت تشكيل أول دورة لمجلس الشورى الإسلامى وحل مجلس الثورة (٧
نحرداد ٥٩) كان هذا المجلس دائماً حالة سرية ولم يعرف تركيب أعضائه فى
الغالب - م.

٣٧ - فى تلك الأيام كان بختيار يعقد يومياً مؤتمراً صحفياً لذلك فإن إشارة المؤلف إلى
أن مسيرة الأهالى يوم ١٩ بهمن ٥٧ فقط هى نوع من رد الفعل لمؤتمر بختيار
الصحفى، ليس مقبولاً - م.

٣٨ - ذكر فى النص الأسمى للكتاب - تاريخ هذا الاتصال الهاتفى ١٠ يناير وهو خطأ
طبعاً ويجب أن يكتب ١٠ فبراير (٢١ بهمن ٥٧) - م.

٣٩ - معلوم أن ماكتب حتى الآن من قبل المؤلف والخاص بنظرة أمير عباس هويدا
السياسية ليست إلا هراء.

٤٠ - يجب السؤال: مؤلفون أمثال فريدون هويدا أنى لهم أن يروا كل هذا الحماس
والإبثار من أهالى طهران أيام ٢١ و ٢٢ بهمن ٥٧، ويدركوا مسألة هامة
مثل سقوط نظام الشاه فقط على أنه ناجم عن إعلان حياد الجيش أو فرار
بختيار؟ - م.

٤١ - مسألة بقاء أمير عباس هويدا فى السجن بسبب "الشجاعة والقوة" أمر مشكوك
فيه لسببين. أحدهما أنه لو لم يسجن هويدا فى أواخر نظام الشاه لكان حماية
روحه مشكلة فى الواقع ولكن استطاع فى السجن أن يهيم له أمناً كافياً،
والثانى: طبقاً لما قاله "پرويزراجى": لم يغادر هويدا سجنه يوم ٢٢ بهمن فقط
لهذا السبب، إنه كان يخشى أن يقتل على يد الأهالى الغاضبين (خذ متكزراً
تخت طاووس - ص ٤٠٧ - انتشارات اطلاعات ١٣٦٤) - م.

- ٣٤١ -

الفصل الخامس الكلمة الأخيرة

- ٣٤٣ -

الفصل الخامس

الكلمة الأخيرة

الاثنين ١٢ فبراير ١٩٧٩ (٢٣ بهمن ٥٧) طهران

بعد أن أزاح خميني آخر جندي عن لوحة الشطرنج، استرخى وأغمض عينيه المتعبتين للحظة، وهمس "مات الملك".

رأى خميني الصراع الذي بدأ من سنة ١٩٦٠ ووصل إلى ذروته في سنة ١٩٧٨ قد أسفر الآن عن انتصاره، منذ ذلك الحين ارتبطت إيران بخميني، ولم يستطع أحد أن يشكك في زعامته للبلاد.

صحيح أنه في ذلك الحين كان مسئول قصر الحكم قد أغلق أيضا كتاب "نحو الحضارة العظمى" تأليف محمد رضا بهلوى، ونحاه جانبا، ولما كانت مهمته لم تصل بعد إلى غايتها، فتح بدلا منه كتاب "الحكومة الاسلامية" وانشغل في قراءته.

السبت ١٧ أبريل ١٩٧٩ (١٨ فروردين ١٣٥٨) طهران

استمرت المحكمة - التى كانت قد سُكِّلت من قبل رجال النظام الجديد - لمحاكمة أمير عباس منذ أمس بشكل سرى^(١)، وخلالها لم يكن الوضع مماثلا لمحاكم التفتيش الدينية في القرون الوسطى، كان القضاة (الذين يعتبرون من أعضاء "لجنة الثورة") يخفون وجوههم وراء نقاب، وحاكموا أخى باتهامات باطلة مثل "محاربة الله" والفساد فى الأرض" في الوقت الذي لم يكن يعرف كيفية الدفاع عن الاتهامات التى تتعلق أكثر بأمور ميتافيزيقية بدلا من القانون، وكذلك إمكانية المتهم للدفاع على نفسه.^(٢)

و كما كتبت فى الأجزاء السابقة من هذا الكتاب فيما يتعلق بالمحاكمة السريعة لأخى، لم يكن يوجد قاضى حقانى ولا شاهد في محكمته، وكان منذ البداية قد قُـرر إعدام أمير عباس، وقد أقلقنى قتله بعد عدة دقائق من انتهاء المحكمة لدرجة أننى

- ٣٤٤ -

مازلت لا أستطيع أن أبعد شبحها عن نفسي، وفي الواقع لا أعرف كيف تصبح أحداث محاكمته قائمة علي أساس العدل والإنصاف؟^(٣).

خاطب أمير عباس يوم ١٥ مارس (٢٤ اسفن ٥٧) القضاة المنقبين في محكمته: نحن جميعاً كنا نعيش في نظام واحد، وأنا أعتبر نفسي مذنباً إلي حد ما وأنتم مذنبين لأنكم قبلتم جميعاً هذا النظام " (١)

وفي ١٥ أبريل (١٥ أريدهشت ٥٨) جرى على لسان مهدي بازرجان مثل هذا القول بمناسبة مقتل الجنرال "قرنى" (رئيس أركان جيش حكومته) وقال: "لا يمكن أن نعتبر القادة والجنود خونة بسبب أنهم كانوا يعملون في خدمة الشاه، لأننا جميعاً - شئنا أم أبينا - قد تعاوننا مع النظام السابق"

السبت ٧ إبريل ١٩٧٩ (١٨ فروردين ١٣٥٨) جزيرة الجنة - باهاما

عندما وصل خبر مقتل أخى الي مسامع الشاه "السابق" لم يقل شيئاً مطلقاً وبدلاً من رد الفعل، استمر في رياضاته المحببة مثل التنس والتزلج علي الماء والجري والجولف ومثلها التي كانت ضرورية لسلامته.

كان الشاه وأسرته يسبحون غالباً في مياه ساحل جزيرة الجنة الدافئة ويأخذون حمام شمس على الشاطئ الفاخر من أجل أن تصبح أجسادهم برنزية، لعدة أيام، قبل أن يطلوا بوجوههم المبتسمة أمام عدسات مراسلي الصحف العالمية ليأخذوا لهم الصور.

واصل الشاه لعدة أسابيع صمته فيما يتعلق بمقتل أخى، حتي اضطر إلي كسر صمته في ٢٧ إبريل (٧ أريدهشت ٥٧) بسبب الانتقادات المتتالية للصحف الأوربية له - من أنه لماذا لم يتخذ أى خطوة لإنقاذ أمير عباس هويدا؟

وسعى لإظهار الأمور (التي ذكرتها من قبل) ليرفع الاتهام عن نفسه في هذا الخصوص^(٤).

ولكن لم يصدق أحد أقوال الشاه، لأن الجميع يعرفون أنه كان الشخص المستول الحقيقي عن كل الأعمال، وأنه سعي دائماً أن يقدم نفسه علي الجميع علي أنه الشخص الوحيد صاحب القرار في أمور المملكة.

كان الشاه في سنة ١٩٧٥ (١٣٥٤) قد قال في حديث صحفي مع "جان اوكرز" (المنشور في العدد ٣٠ في سبتمبر ١٩٧٥ في نيويورك تايمز) فيما يتعلق بمطلبه القائم بجعل إيران تحتل مكاناً بين القوى العظمي في العالم : "ستكون هذه المرة الأولى التي سيصبح فيها المستحيل ممكناً في هذه المملكة ...". مع أنه ولثلاث سنوات بعدها لم يتحقق تنبؤات الشاه ويتم إنجاز المستحيل، ولكن هذا الأمر تم، ليس بيد الشاه من أجل تنفيذ رؤياه" بل بيد خميني ويسعى الثوريين العزل في مواجهة جيش مجهز، الذين استطاعوا أن ينهوا ٢٥ قرناً من الملكية، وقيموا في إيران بدلا منها نظاما جمهورياً إسلامياً، وفي نظري أنه يجب أن نعتبر خطوتهم ثورة رائدة لأن أكثر الطبقات المتفرقة والمتعارضة اتحدت مجتمعة فقط تحت لواء شعارين "الله اكبر" والموت للشاه".

ولكن هنا يطرح السؤال نفسه من أي مصدر اكتسب شعب إيران كله مثل هذه الثورة الهادرة؟

يمكن القول ببساطة جداً أن هذه القوة كانت ناجمة عن الإيمان والاعتقاد المذهبي العميق للشعب، وفي النهاية يجب إمعان النظر - لماذا لم يدفع المذهب الشيعي الشعب لمثل هذا من قبل مع أنه يعد منذ القرن السادس عشر ومابعده أساساً لقوة الإيرانيين^(٥)، وإذا كان ما حدث مرتبط بكلام خميني - لماذا لم يحدث مثل هذا منذ سنوات سابقة عندما دعا الناس للثورة؟^(٦)

وعلى كل حال يجب السؤال : ما السبب الذي كان له الأثر في إثارة الشعب؟ الجبهة الوطنية المؤيدة لمصدق ؟ أم المثقفون المرتبطون باليمين واليسار ؟ ... ولكن الحقيقة أنها لم تشكل إلا جماعة أقلية في المجتمع.

لعل أعمال الشركات البترولية التي أرادت بهذه الوسيلة أن تعبر عن سخطها لسياسة الشاه ؟ ... ولكن يجب معرفة أن قدرتها محدودة، وعلي كل حال لم يكن الشاه يرفض دائما المساهمة في تأمين البترول الذي تحتاجه الشركات البترولية (٧).

كان أحيانا يسمع أن نفوذ الأجانب كان مؤثراً فيما حدث ومن جملة ذلك؛ كان الشاه يتشاور تقريباً يومياً مع سفراء إنجلترا وأمريكا؛ كان الفلسطينيون يدرجون جماعات فدائية إيرانية؛ كانت إذاعة "بيك إيران" (التي كانت تذيع من إحدى دول أوروبا الشرقية) مشغولة دائما بانتقاد الشاه؛ كما كان نيكسون قد هباً الشاه لينفق جميع ثروة المملكة على شراء الأسلحة.

ذهب البعض إلي أبعد من هذا، مثلاً أشخاص مثل "روبرت دريفوس ورفاقه في مقالاتهم في مجلة "أكسكيوتيو اينتليجنس ريبويو" (طبعة لندن - أعداد ٢٠ فبراير و ٨ مايو ١٩٧٩) اعتبروا الثورة الإسلامية مرحلة تمهيدية لـ "مؤامرة كبرى" لم يكن لها من هدف إلا ضرب الاستقرار في المنطقة وتجزئة الدول التي تشكلها، حتي يمكن فيما بعد أن يظهروا رغبتهم في حدود جديدة لبلادهم.

بناء علي النظرية الموضحة في هذه المجلة أن تنفيذ هذا المخطط السري المذكور في إيران يتولي تنفيذه أشخاص مثل : يزدي وقطب زاده وبنى صدر وامير انتظام، وكتبت خاصة عن يزدي أنه تابع لأمريكا وأنه كان دائم الاتصال مع "ريتشارد كاتم" (استاذ العلوم السياسية بجامعة بطرسبرج).

كتاب هذا المقال يعتقدون بأن يتولي الدور الأصلي في هذه المؤامرة بدلاً من الحكومات العربية منظمة سرية "اخوان" (٨) التي اختارت "الأصولية الاسلامية" كسلاح قوي لإقرار الوضع المطلوب لها، حتي تستطيع أن تقرّر البرامج التي تريدها في دول العالم الثالث، ولهذا السبب اختارت إيران كأول مكان لتنفيذ المؤامرة لما لها من ظروف مواتية، وبعد إيران سيقومون بمثل هذا التصرف في سائر دول المنطقة أيضاً عن قريب.

يقال إن وجة نظر كُتاب المقال وجدت بعد فترة قصيرة داخل إيران شواهد دالة على صحتها، علي سبيل المثال، عندما أخفي آية الله طالقاني نفسه في يوم ١٧ مايو ١٩٧٩ (٢٧ أربيهشت ٥٨) بعد القبض علي ابنه علي يد "اللجنة" توالي شيوخ شائعات عجيبة وغريبة أيضاً، والتي من جملتها قالوا : عندما دخل الفلسطينيون سفارة إسرائيل في طهران لاحتلالها، وجدوا وثائق هناك تثبت أن يزدي وقطب زاده وآخرين من أتباع خميني يرتبطون بالمنظمات الجاسوسية الأجنبية، وعندما وقعت هذه الوثائق في يد ابن طالقاني، أقدمت "اللجنة" التي علمت بما حدث بالقبض عليه، وأخرجت الوثائق من يده^(١٠).

مع أن كل هذا الذي ذكرته ليس أكثر من شائعات، ولكن بالنظر إلي الأحداث العالمية اليوم يمكن أن توجد مجالات تثبت صحتها.

علي سبيل المثال : أخيراً أفلح الاقتصاديون الغربيون فجأة عن نظرياتهم المشهورة وبلوغ النهاية للنظريات السابقة في مجال "يتحدثون عن التطور وفي رأيهم أن دول العالم الثالث يجب أن تتوجه للإقتصاد الزراعي ؛ لأنها عن هذا الطريق ستزيد من إنتاج المواد الغذائية، وتستغل الطاقة البشرية أكثر".

ولكن هذه النظرية تجعل الخبراء يشقون أن الدول الفقيرة إذا اهتمت بالتطور فإنها لن تستطيع مطلقاً أن توفر ما يحتاج إليه الشعب من غذاء، والدليل على ذلك أيضاً أن التوسل بالنظرية المعروفة "بالثورة الخضراء" التي كانت تشار في أوقات الآمال العريضة، ليس لديها القدرة اللازمة لحل مشاكل الدول المتجهة نحو التطور وطبقا لما ورد عن إيران أنها بسبب نقص المياه والأرض الصالحة للزراعة فلا يمكن أبداً أن تكفي البلاد نفسها من الإنتاج الزراعي (١) ويجب قبول هذه الحقيقة مضطرين، لأنه علي الرغم من أن الشاه ارتكب أخطاء كثيرة ولكن رؤية في مجال تصنيع البلاد كان صحيحاً (١) ولا يجب أن نبعد هذه المسألة عن نظرنا لأنها عندما ينتهي احتياطي

البلاد من النفط دون تصدير منتجات صناعية، فكيف يمكن توفير غذاء ولباس ما يحتاجه ٦٠ مليون إيران ليعبروا إلي الألف الثالثة^(١١).

علي كل حال من ذا الذي يقبل أو لا يقبل الشائعات الخاصة بالتدخل الأجنبي في حوادث البلاد؟ في هذه المسألة لا يمكن الشك أن الشاه كان قد لعب دوراً رئيسياً في قلب سلطنته، وعند قبولنا هذه الحقيقة، إذا أردنا أن نعرف الأسباب الخارجية المؤدية لسقوط الشاه، فلا بد أن نصدق أن جميع حركات وسكنات الشاه كانت توجه من الشائعات قبل الأجانب عن بعد!

ولكن من الشائعات والأقوال السابقة، فان وقوع الثورة في إيران كان واقعاً لا يمكن تجنيبه، طالما أن الشاه طوال السنتين الأخيرتين لحكمة كان يستهين بقوانين وقيم المجتمع خاصة في العادات والتقاليد والأصول الشعبية لدرجة أنه أحياناً كان يسخر منها.

علي الرغم من أن الشاه كان يدعي أنه في الفترة ما بين سنوات ١٩٦٥ حتى ١٩٧٧ قد حقق أشياء ملموسة ولكن الطبقات الدنيا من الشعب لم تستطع أبداً أن تمنح خطوات الشاه القيمة التي كانت في رأس الشاه، وكان يمنح أصدقائه والمقربين إليه حرية لدرجة أنهم خصوا أنفسهم بكل بساطة بجميع شئون تجارة البلاد، وكان فكرهم فقط في ملء جيوبهم، وفي هذا الصدد حتي الطبقات المرفهة أيضاً كانت تنتقد في الغالب سلوك الشاه ومواقفه السياسية علانية، واستمرار الوضع الي درجة أن امتداد ظل الدكتاتورية علي جميع شئون المجتمع، وغض البصر هذه النقطة التي يمكن أن تبين بوضوح السبب الرئيسي للنفور العام للإيرانيين من الشاه في سنة ١٩٧٨.

ولكن مع هذا وبعد سقوط نظام الشاه . أليس هناك احتمال علي الرغم من وجود عنوان اسم "الله" من قبل هؤلاء الذين لدى كل واحد منهم حل للمشاكل الاقتصادية والقضائية والسياسية للبلاد - من أن نشاهد ثانية انحراف شئون البلاد عن

- ٣٤٩ -

سياستها الواقعية ؟ ... في هذا الصدد لم ننس بعد أنه بعد ثورة رجال الدين والشعب ضد استيلاء القاجارية في أوائل القرن الحالي رأت الأمة الإيرانية بدلا من تحقيق هدف الثورة وكان الحصول على حكومة برلمانية - أن يكون عليها الديكتاتور رضا شاه، ومن الواجب هنا أن نسأل أنفسنا، هل العودة إلى الأصول الإسلامية يمكن في الواقع أن يوصل الشعب إلى الحرية التي يريدها؟ (١٢).

ربما لا يمكن الإجابة في الوقت الحاضر علي هذا السؤال، ولكن المجادلة التي تجري الآن بين رؤساء الحكومة تنبئ بمسائل أخرى (١٣).

التفكير في مثل هذه المسائل التي تشغل فكري وتجعلني أسأل نفسي ألم يكن من الأفضل أن يغادر الشاه إيران في نفس سنة ١٩٥٣ (١٣٣٢) ولا يعود إليها ثانية؟ وهل آخر انقلاب السى آى ايه تقدم البلاد؟.

مع أن هذا القول كان يجري علي الألسنة من أنه لو لم يقم السى آى ايه بالانقلاب، لسقطت إيران في يد الشيوعية، ولكن المسألة هنا هي هل إيران في الواقع كانت معرضة لتهديد الشيوعيين؟ ... مسلماً لم يكن كذلك، ولما كان الروس في ذلك الوقت قد نجحوا ولأول مرة من تجربة قبلتهم الذرية، ولكن أمريكا كان لديها اهتمام بالقنبلة الذرية والحوادث بعد الحرب العالمية الثانية تبرهن علي أن الروس يسعون دائما في مواجهة أمريكا ويقومون بعمل أعمال وقائية، فلما استدعي ستالين سنة ١٩٤٥ (١٩٤٦) الجيش الروسي من أذربيجان بناء علي طلب ترومان؛ وبعدها سحب خروشوف صواريخه من كوبا بعد إنذار كيندى، وهنا يذكر الأعضاء المنشقين عن حزب توده أن زعيم الحزب كان قد اعتقلهم جميعاً تحت ضغط روسيا بحجة المقاومة المسلحة في مواجهة انقلاب السى آى ايه.

استطاع انقلاب سنة ١٩٥٣ فقط أن يؤخر لفترة "تصفية" حساب الشاه لأنه بعد مرور ٢٥ سنة علي عودته منتصراً إلي بلده رضى الشاه مرة أخرى النفى الإجباري،

- ٣٥٠ -

ولكن هذه المرة كان بلا كرامة ولا شرف، وترك أقرب المقربين إليه في قبضة أعدائه وهرب، إنه، كربان يتولي قيادة سفينة، تخلص من المسافرين في الطوفان ونجا بنفسه.

كان لمحمد رضا شاه مصير عجيب، ففي الوقت الذي استطاع فيه أن يهزم ثورة في خارج حدود إيران (ظفار) حاصرته الثورة في داخل حدود بلاده، وبدأ كمن هو في طوفان من غضب الشعب لفظ في الهواء، إنه كان كصانع فخار يشرب الماء من إناء مكسور!

حاشية الفصل الخامس

(١) خلافاً لرأى المؤلف، كانت محكمة الثورة التي بدأت بعد ظهر يوم السبت ١٨ فروردين ٥٨ محاكمة أمير عباس هويدا - بعد توقف بضعة وعشرين يوماً (عقب إعلان الراحة يوم ٢٤ اسفند ٥٧) علانية، وبناءً على الفيلم (الذي أذيع من التلفزيون) والصور العديدة في المحكمة وفي الصحف المختلفة ذلك الوقت (خاصة صحيفة إطلاعات بتاريخ فروردين ٥٨) ومع وجود ٥٠ شخصاً على الأقل لمشاهدة وكتابة جميع أسئلة وإجابات المحكمة في الصحف لا يمكن مطلقاً أن تتم في محكمة سرية - م

(٢) غير معلوم حقاً أن المؤلف كان لا يعرف إلى هذه الدرجة، مع أنه اتهم نفسه عمداً بالجهل، وأنه لم يكن يعرف المقصود من "محاربة الله والفساد في الأرض" وإنها ارتكاب لأعمال مخالفة للقوانين الإسلامية وتقوية العداء للإسلام، والترغيب في الطاغوتية وتأييد المظاهر الشيطانية - م.

(٣) هل هناك عدالة وإنصاف أفضل من أن يُسمح لأمر عباس هويدا بعد ١٢ سنة وزيادة مشاركاً للشاه في الجرائم والمفاسد - حتى يقول ما يريد في محكمة ثورية خلال محاكمته (فهل عرف مؤلف الكتاب . وهو أهل معرفة أيضاً - ثورة أخرى في العالم فعلت مثل هذا ؟) ولكن أمير عباس هويدا الذي كان يفتخر كثيراً بأنه "منفذ الأوامر الشاهنشاهية" (أو بقوله في جلسه المحكمة : منفذ أهداف النظام) لم يكن لديه شجاعة حتي يقول بنفس هذا الكلام الذي قاله يوم ٢١ بهمن ٥٧ هاتفياً لأخيه (مؤلف الكتاب)، من أن يكرر في جلسة المحكمة أيضاً ويقول صراحة : "الآن أدرك أنني كنت قد حكمت خطأ على الشاه" .. (صفحة ٢١٢) - م

(٤) جاءت هذه الأمور التي ذكرها هويدا عن الشاه في صفحة ١٧٤ في نفس الكتاب - م.

- ٣٥٢ -

(٥) بعد الثورة ضد معاهدة "زي" حول تحرير الطباق، وثورة دستور إيران وثورة تأميم البترول وثورة ١٥ خرداد، ٤ نماذج قيمة من تجلي قدرة إيمان الشعب في الثورة ضد الاستبداد والاستعمار والاستغلال - م.

(٦) **أولا:** حدثت ثورة ١٥ خرداد ٤٢ في أوائل دعوة الإمام الخميني، **ثانيا:** كان من الأفضل لمؤلف الكتاب أن يعرف حداً أدنى من المعلومات المختصرة حول "تعريف الثورة" وبعدها يبدى رأيه حول مسائل "الثورة"، وكما هو مشهود، في ظنه أن المراحل الطويلة والصعبة يجب أن تحدث فقط في ظرف يوم أو يومين للإتيان بثمرة الثورة! ولا لزوم لمزور عصر لعدة سنوات من أجل زيادة معرفة عامة الشعب خلال مراحل صهر الثورة - م

(٧) لم يحدد مؤلف الكتاب عن أي سياسة كانت الشركات البترولية غير راضية عن الشاه؟ هل لعدم مشاركة الشاه في المقاطعة البترولية سنة ٥٢؟ أم لاسترداد ناتج بيع البترول لجيب الدول الغربية؟ أم لزيادة سعر البترول من ٤ دولار إلى ١٢ دولار؟ (لأنه يجب أن نعرف أنه فيما يتعلق برفع سعر البترول الذي أرادتته الشركات البترولية ونفذته أمريكا على يد الشاه) - م

Brother hood (٨)

(٩) ما حدث من القبض على ابن حضرة آية الله طالقاني ومغادرته طهران على يدهم حدث في أيام أول ارديبهشت ٥٨ وليس في ٢٧ أرديبهشت.

(١٠) قدم د. إبراهيم يزدي في رسالته المؤرخة في ٦٤/١١/٩ مترجم الكتاب (الذي سبق الإشارة إليها في صفحة ١٩٢) ما يتعلق بالمسائل التي ذكرها فريدون هويدا في شأنهما، توضيحات علي النحو التالي :

.. الموضوع الآخر في صفحة ١٥٥ من النص الإنجليزي "سقوط الشاه" الذي فيه أمران غير صحيحين؛ أولهما. ذكر أنني عضو في جمعية "الإخوان المسلمين" وهو لا أساس له، وكذلك يطرح أموراً أخرى وينسبها لنا وهو قول كاذب واقتراء ولا ينبغي أصلاً ترجمتها في صحيفة.

ثانيهما: ما كان مرتبطاً باعتقال ابن المرحوم آية الله مجاهد نستوه الطالقاني لكشف وثائق في سفارة فلسطين في طهران والتي هي شائعات لا أساس لها، اعتقال ابن المرحوم طالقاني (ولا تم دون تدخل أو علم من الحكومة، ولا أنا؛ علي يد جماعة خاصة، ثانياً: بموجب توضيحات السيد المهندس "غرضي" (أحد أعضاء هذه الجماعة) أنه في نفس الليلة وفي منزل المرحوم طالقاني في حضور الحاضرين في المجلس كان قد اعتقله على يد هذه الجماعة لأحداث داخلية في منظمة مجاهدي خلق في سنة ١٣٥٤ وما بعدها. وموت - أو من المحتمل قتل - أحد كوادر هذه المنظمة في الشرق الأوسط بعلّة استقامته للحفاظ على هويته الإسلامية وقد اعتبره المعتقلون عنصراً أو شريكاً في هذا القتل.

(١١) وقع المؤلف عن علم أو جهل تحت تأثير الدعايات الواسعة للشركات المتعددة الجنسيات للحبوب (التي تشتهر "بالانتاج الكبير للغلال") التي رفعت جميعاً شعار "عدم إمكانية تحقيق الكفاية الزراعية في دول مثل إيران ونفس هذه السياسة التي جرت وتجري في دول تحت سلطة أمريكا لتخريب الزراعة والترغيب للإقامة في المدن وطلب الرفاهية - وباصطلاحهم - التوجه نحو اقتصاد الصناعة، ولما كان من الطبيعي إذاً بدل شعار "الزراعة محور الاستقلال" بـ "الصناعة محور الاستقلال" في دول مثل إيران فإن الشاه على هذا النحو أراد ألا يكون هناك إلا تأسيس لمصانع لتركيب صناعات الغرب (لإفادة الشركات الصناعية المتعددة الجنسيات من العمالة الرخيصة، ومنع الأخطار الناجمة عن الاضرابات العمالية

خاصة) وليس لمثل هذا الوضع من نتيجة إلا الارتباط الكامل بالغرب وتفرغ الأمة من الهوية الثقافية والارتقاء في أحضان القوي الصناعية وعبارة أخرى إذا كفت دول العالم الثالث يدها عن اقتصاد الزراعة فإنها ستتحوّل إلى اسطوانة مفرغة يكون قوتها وضعفها فقط في يد القوى العظمى. حقيقة التوجه نحو التصنيع مفيد جداً ولكن بشرط ألا يكون مجرد مونتاج، ونستفيد من امكانياتنا وموادنا وعقولنا من أجل الإنتاج الصناعي.

(١٢) حدث أن أحد أسباب هزيمة ثورة الدستور وظهور ديكتاتورية رضاخان أن شعب إيران بعد أن دفع استبداد القاجار لم يستطع أن يقر القوانين الإسلامية، وظن أن حكومة الدستور غير المشروعة يمكن أن تخلصه من قبضة الاستعباد -م

(١٣) لما كان هذا الكتاب قد طبع في النصف الأول من سنة ١٣٥٨، مما أدى إلى ظهور مثل هذه التوهّمات عند المؤلف، بسبب الأمور الناجمة عن الجماعات السياسية المختلفة المطالبة بالسلطة بعد الثورة، مع الجدل والصراع بين طلاب السلطة والمنافقين منتهزي الفرص -م

مراجع الترجمة العربية

- ١ - الإسلام وإيران - تأليف الشهيد آية الله مرتضى المطهرى ترجمة محمد هادى اليوسفى - ٣ مجلدات طهران ١٩٨٥.
- ٢ - إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية طلال مجذوب - بيروت ١٩٨٠.
- ٣ - إيران اليوم ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م وزارة الارشاد الاسلامى طهران.
- ٤ - به سوى تمدن بزرگ - محمد رضا شاه - وزارت إطلاعات تهران ١٩٧٤.
- ٥ - پاسخ به تاريخ نوشتة محمد رضا پهلوى ترجمه دکتري حسين ابو ترابيان - چاپ دوم - تهران ١٣٧١ هـ.ش.
- ٦ - پشت پردهء تخت طاووس - مينو صميمى ترجمه دکتري حسين أبو ترابيان - انتشارات إطلاعات - چاپ سوم ١٣٦٩ هـ.ش.
- ٧ - تاريخ اجتماعي وسياسى إيران - دوره معاصر - سعيد نفيسى چاپ ششم ١٣٦٦ هـ.ش
- ٨ - تاريخ بيدارى إيرانيان - ناظم الإسلام کرمانى به اهتمام على اکبر سعيدى سیرجاني - چاپ چهارم - تهران ١٣٦٢ هـ.ش
- ٩ - تاريخ مختصر أحزاب سياسى إيران - ملك الشعراء بهار مؤسسه انتشارات أمير كبير - دوجلد تهران ١٣٦٣ هـ.ش.
- ١٠ - الثورة الإسلامية - السيد زهرة - مركز دراسات الأهرام القاهرة.
- ١١ - الثورة الإيرانية - الصراع الملحمة النصر - د. إبراهيم الدسوقي شتا - القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ١٢ - الثورة الإيرانية - محمود النجار - أبو ظبى ١٩٨٠.

- ۱۳ - الثورة الإيرانية واحتمالات الخطر في الخليج - محمود النجار- ابو ظبی ۱۹۸۰
- ۱۴ - جستارهایی از تاریخ معاصر ایران - ظهور وسقوط سلطنت پهلوی - بیوست ویراستار - مؤسسه مطالعات و پژوهشهای سیاسی تهران ۱۹۷۰
- ۱۵ - حالا خودم حرف می زنم - ثریا اسفندیاری - ترجمهء معصومه عامری - بهارستان - تهران ۱۳۵۸.
- ۱۶ - حیاتی فی الف يوم - فرح دیا - ترجمه منی رجب القاهرة ۱۹۸۳
- ۱۷ - خاطرات ارتشبد سابق حسین فردوست - ظهور وسقوط سلطنت پهلوی - مؤسسهء مطالعات و پژوهشهای سیاسی تهران ۱۳۷۰ ه.ش.
- ۱۸ - خاطرات نصر الله انتظام - شهریور ۱۳۲۰ ازدیدگاه دربار - دفتر پژوهش وانتشارات بکوشش محمد رضا عباس - بهروز طیرانی - چاپ دوم ۱۳۷۱ ه.ش
- ۱۹ - خاطرات وخطرات مهدی قلی هدایت - مخبر السلطنة - چاپ چهارم - تهران - زوار ۱۳۶۳ ه.ش
- ۲۰ - خدمتگراز تخت طاووس - پرویز راجی - انتشارات اطلاعات تهران ۱۳۶۴ ه.ش
- ۲۱ - دائرة المعارف - اطلاعات عمومی - تألیف مهرداد مهرین چاپ اول ۱۳۶۲ ه.ش
- ۲۲ - دائرة المعارف تلاش - اطلاعات عمومی - چاپ جدید تهیه و تدوین تقی کاغذچی تبریز.
- ۲۳ - در آخرین روزهای رضا شاه - ریچارد أ. استیوارت ترجمهء عبد الرضا هو شنگ مهدی کاوه بیات تهران ۱۳۷۰ ه.ش چاپ سوم

- ۳۵۷ -

- ۲۴ - رحلة الشاه الأخيرة - وليام شاوکروس - ترجمة إبراهيم مرعى أبوظبى.
- ۲۵ - رساله نوین - مجلدات چهارگانه - شامل مسائل عبادى - اقتصادى - خانواده - سياسى وحقوقى - إمام خمينى چاپ چهاردهم ۱۳۶۷ ه.ش / دفتر نشر فرهنگ اسلامى
- ۲۶ - زندگى پرماجرأى رضا شاه - إسکندر دلد - دوجلد تهران ۱۳۷۱ ه.ش
- ۲۷ - شاه وکارتر نوشته : مايکل لدين ووليام لويس ترجمة مهدى افشار همراه باآخرين مصاحبه شاه بس از سقوط - چاپ اول ۱۳۷۰ ه.ش
- ۲۸ - الشعر النسائى فى إيران فى ظل الثورة الإسلامية د. أحمد الشاذلى القاهرة ۱۹۹۰.
- ۲۹ - شکست شاهانه - ملاحظات درباره سقوط شاه - ماروين رونيس ترجمة إسماعيل زند بتول سعیدى - نشر نور.
- ۳۰ - الصراع العراقى الفارسى - د. عماد عبد السلام رؤوف وآخرون بغداد ۱۹۸۳
- ۳۱ - عبرات وعبارات - المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية - بيروت ۱۹۹۰.
- ۳۲ - العودة إلى الذات - على شریعتى ترجمة د. إبراهيم شتا - القاهرة ۱۹۸۶
- ۳۳ - کز راهه - خاطراتى ازتاریخ حزب توده - إحسان طبرى - تهران ۱۳۶۶ ه.ش
- ۳۴ - کیهان - روزنامه شماره ۳۶۶ ه.ش ۲۴ مرداد ۱۳۷۰
- ۳۵ - النشرة الاستراتيجية - مركز العالم الثالث للدراسات والنشر - لندن العدد ۲۳ لسنة ۱۹۸۰
- ۳۶ - نیمروز - روزنامه - چاپ لندن - شماره هاى مختلف (۱۰۹ - ۱۱۰ - ۱۱۱ - ۱۱۲ - ۱۱۳ - ۱۱۴ - ۱۱۵ - ۱۱۷ - ۱۶۸ - ۱۸۹ - ۱۴۴۰)

- ٣٥٨ -

٣٧ - وثائق عن الصراع العراق الفارسي - مازن عبد المجيد السامرائي - بغداد
.١٩٨٧

- Faces In The Mirror, Ashraf Pahlavi, Memoirs from The Exile - ٣٨
Engle Wood Cliffs - IV - J - 1980.

- In The Service of The Peacock Throne The Diarier of The - ٣٩
Shah's Last Ambassador to London - London 1983.

- Helms, Cynthia, An Ambassdor's Wife in Iran - New York. - ٤٠
Dodd Mead 1981.

- ٣٥٩ -

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمه
١٠	سقوط الشاه - العلل والآسباب -١-
١٢	العلة الأولى - أسره الشاه
١٢	الأب
١٣	الملكة الأم - تاج الملوك
٢٠	إخوة الشاه
٢٠	غلامرضا
٢١	على رضا
٢٢	عبد الرضا
٢٣	أحمد رضا
٢٤	محمود رضا
٢٥	حميد رضا
٢٦	إخوات الشاه
٢٦	همدم السلطنه
٢٧	أشرف بهلوى
٣١	شس بهلوى
٣٢	فاطمه بهلوى
٣٣	محمد رضا بهلوى
٣٥	الملكة فوزية
٣٧	الملكة ثريا

- ٣٦. -

٤٣	العلبة الثانية - السافاك
٤٧	مهمة السافاك
٤٧	تاريخ السافاك
٤٨	تنظيم السافاك
٥٠	الهيكل الإدارى لجهاز السافاك
٥٣	الإدارات العامة للسافاك
٥٧	تيمور بختيار أول رئيس للسافاك
٥٩	السافاك جهاز القمح والقلع
٦١	العلبة الثالثة - (مير عباس هويدا
٦٣	هويدا فى وزارة الخارجية
٦٥	هويدا وشركه البترول
٦٥	هويدا ورئاسة الوزارة
٦٦	هويدا البهائى
٦٧	فساد هويدا
٦٩	سقوط الشاه (فريدون هويدا) - ٢-
٧١	مقدمه ح - أ - مهران
	تقديم - الثلاثاء ٣ اكتوبر ١٩٧٨ - مطار اورلى
٧٤	باريس
٧٥	الثلاثاء ٣ أكتوبر ١٩٧٨ - طهران
٨١	الفصل الاول - بداية النهاية
٨٣	الأحد ٣١ ديسمبر ١٩٧٧ - طهران
٨٦	بداية الأزمة
٩١	الأحد ٨ يناير ١٩٧٨ - طهران

٩١	الانئين ٩ يناير ١٩٧٨ - قم
٩٨	آخر لقاء لى مع الشاه
١٠٤	آخر لقاء لى مع أخى
١٠٧	تصاعد التوتر
١١٣	موجة جديدة من العنف
١١٩	الشاه يواجه الحقائق
١٢٤	تحدد العنف
١٣٢	الإضرابات
١٣٥	دسياسة رجال النظام ضد شريف امامى
١٣٩	الجزر السياسى للبلاد فى أواخر شهر أكتوبر
١٤٤	حاشية المقدمة
١٤٦	حاشية الفصل الأول
١٥٩	الفصل الثانى - جذور الازمة
١٦١	إيران - ديسمبر ١٩٤٤
١٦٧	الثلاثاء - ٣٠ مايو ١٩٧٢ - طهران
١٧٠	ديسمبر ١٩٧٣ - قصر نياوران - طهران
١٧٤	٥ أغسطس ١٩٧٣ - نوشهر
١٧٩	الشاه الدكتاتور
١٨٠	دولة داخل الدولة
١٨١	المبادرات العظيمة
١٨٣	الفساد المالى
١٨٧	الكبت
١٨٨	المواد المخدرة
١٩٠	الفساد الأخلاقى
١٩٢	الإفراط فى شراء الأسلحة

١٩٥	التدهور الاقتصادي
١٩٦	نظام الحزب الواحد
٢٠٠	الاضطرابات المذهبية
٢٠٣	السياسة الخارجية
٢٠٩	حاشية الفصل الثاني
٢٢١	الفصل الثالث - المتغيرات التي طرأت على الشاه
٢٢٥	موعد مع التاريخ
٢٢٧	الابن النجيب
٢٣٠	لقائي الأول مع الشاه
٢٣٣	من اغتيال الشاه لسقوط مصدق
٢٣٧	نحو الدكتاتورية
٢٤٠	اللقاء الثاني والثالث مع الشاه
٢٤١	أوضاع البلاط في سنة ١٩٦٥
٢٤٤	نقاط ضعف الشاه
٢٤٨	التشابه بين الأب والابن
٢٥١	ثروة أسرة بهلوي
٢٥٦	التغير الكبير
٢٦٤	كل من جلس أعلى
٢٧٠	حاشية الفصل الثالث
٢٨١	الفصل الرابع - السقوط النهائي
٢٨٣	الأحد ٢٩ أكتوبر ١٩٧٨ - آمل
٢٨٧	الأحد ٥ نوفمبر ١٩٧٨ - طهران
٢٩١	درع البلاء
٢٩٥	تحرركات حكومة أزهاري العسكرية
٢٩٨	أوضاع إيران أواخر نوفمبر ١٩٧٨

٣٠٠	شهر المحرم
٣٠٦	تاسوعاء وعاشوراء
٣٠٩	موقف أخى (أمير عباس هويدا)
٣١٢	الأنفاس الأخيرة للنظام
٣١٨	خروج الشاه
٣٢٤	نهاية أمر بختيار
٣٣١	حاشية الفصل الرابع
٣٤١	الفصل الخامس - الكلمة الأخيرة
٣٤٣	الاثنين ١٢ فبراير ١٩٧٩ - طهران
٣٤٤	السبت ٧ إبريل ١٩٧٩ - باهاما
٣٥١	حاشية الفصل الخامس
٣٥٥	المراجع والمصادر

- ٣٦٤ -

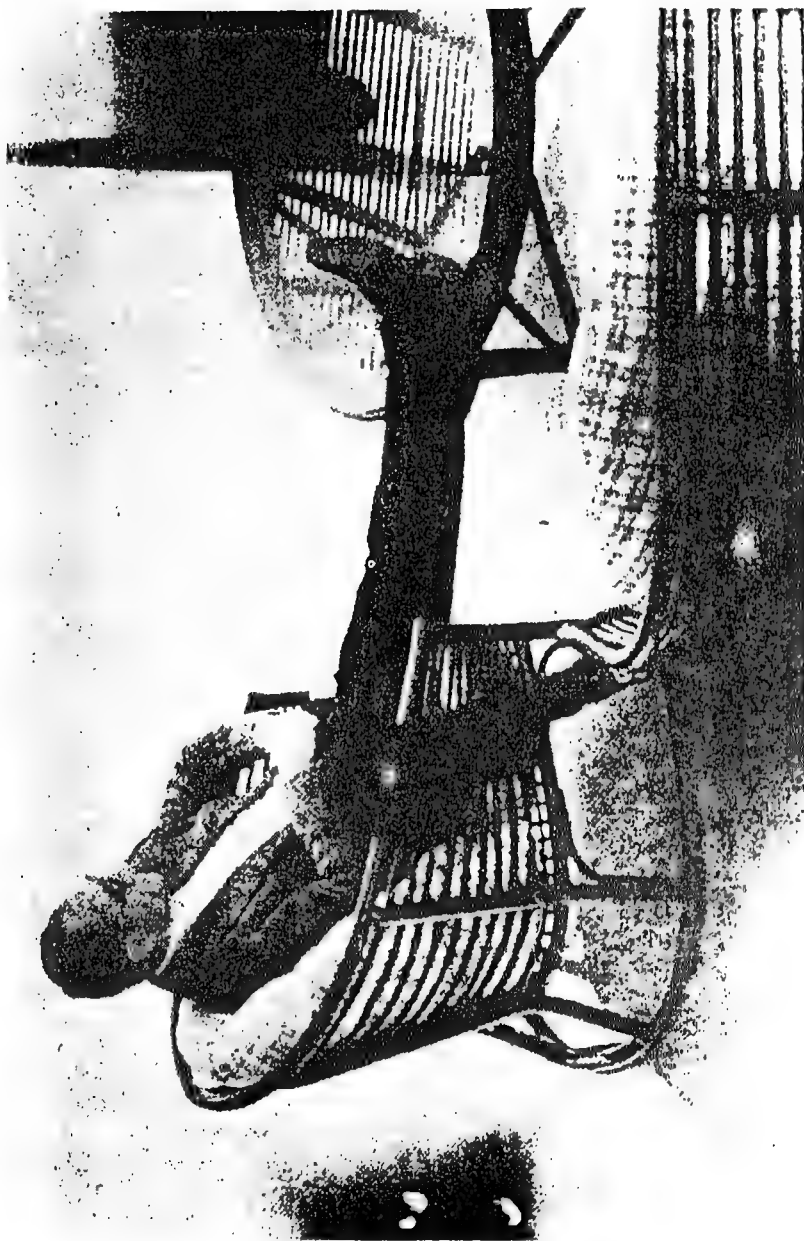
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٩٩٣/١١٥٣٣

رقم الإيداع الدولى

I. S. B. N

977 - 5533 - 01 - 5

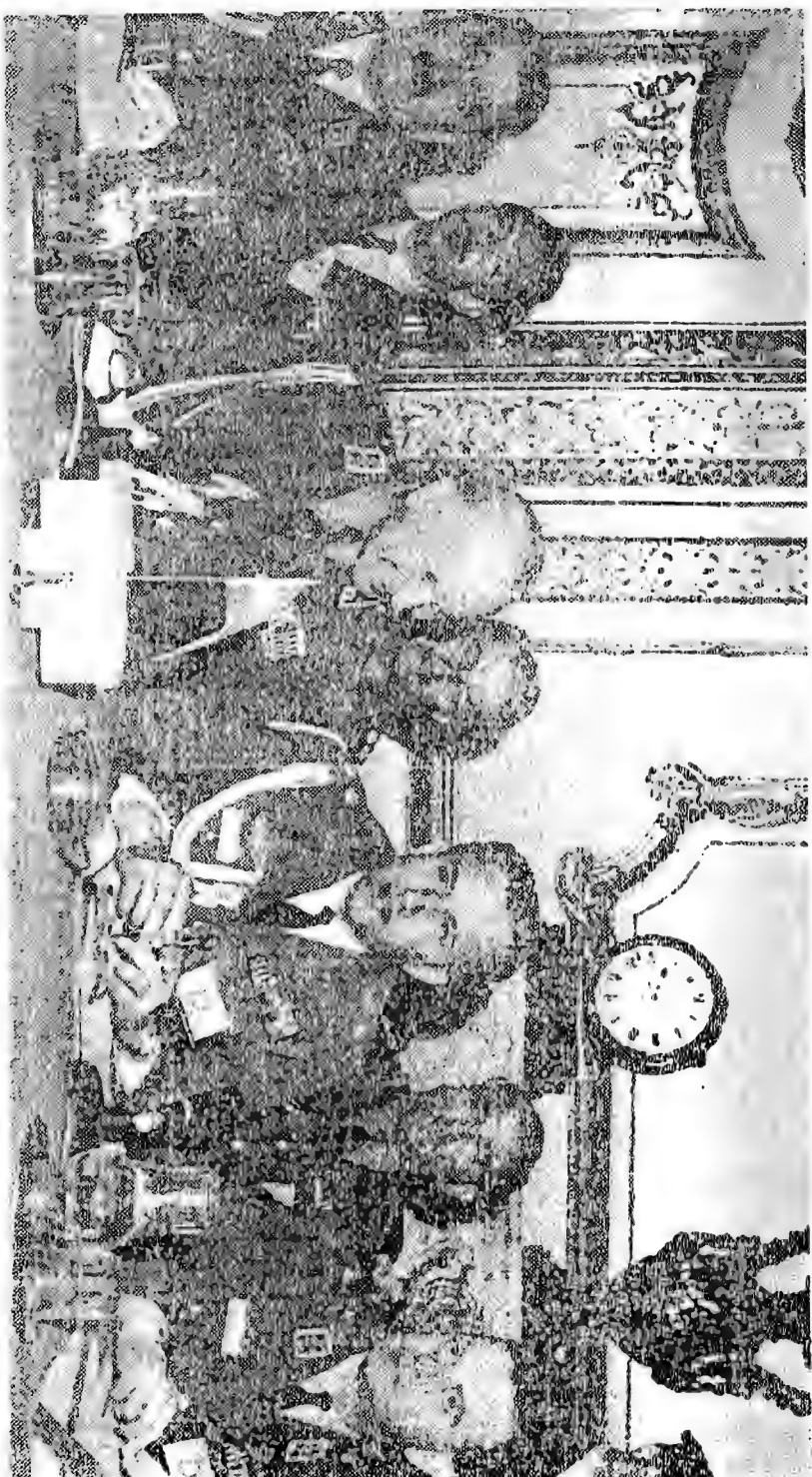


شاه در مراکش به چه می‌اندیشد؟...
همانروزها نتیجه رفت‌وآمدوم ملت ایران رژیم شاهنشاهی را در زیر خاکستر
تاریخ دفن کرد.



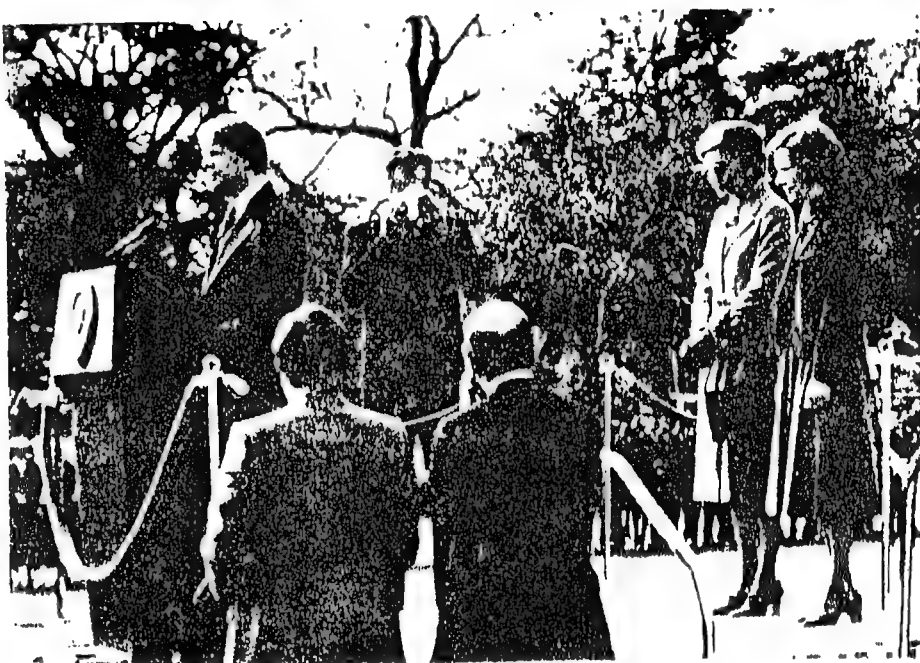
۲۵ تیر ۱۳۵۹

شاه در قاهره ده روز قبل از مرگ (او حدود سه ماه قبل آخرین فصل
کتاب پاسخ به تاریخ را نوشته بود).



نمایندگان ایران در کنفرانس «استو» در لندن
از چپ به راست: سید نادر باتاقلیچ، ارشد عبدالحسین حجازی (رئیس ستاد ارتش)، سر لشکر حسن طوفانیان، سر تیپ هوشنگ حاتم





خودکرده را تدبیر نیست...
گاز اشک آور پلیس امریکا علیه مخالفین شاه، خود شاه را به گریه در آورد
(مراسم استقبال کارتر از شاه در مقابل کاخ سفید).



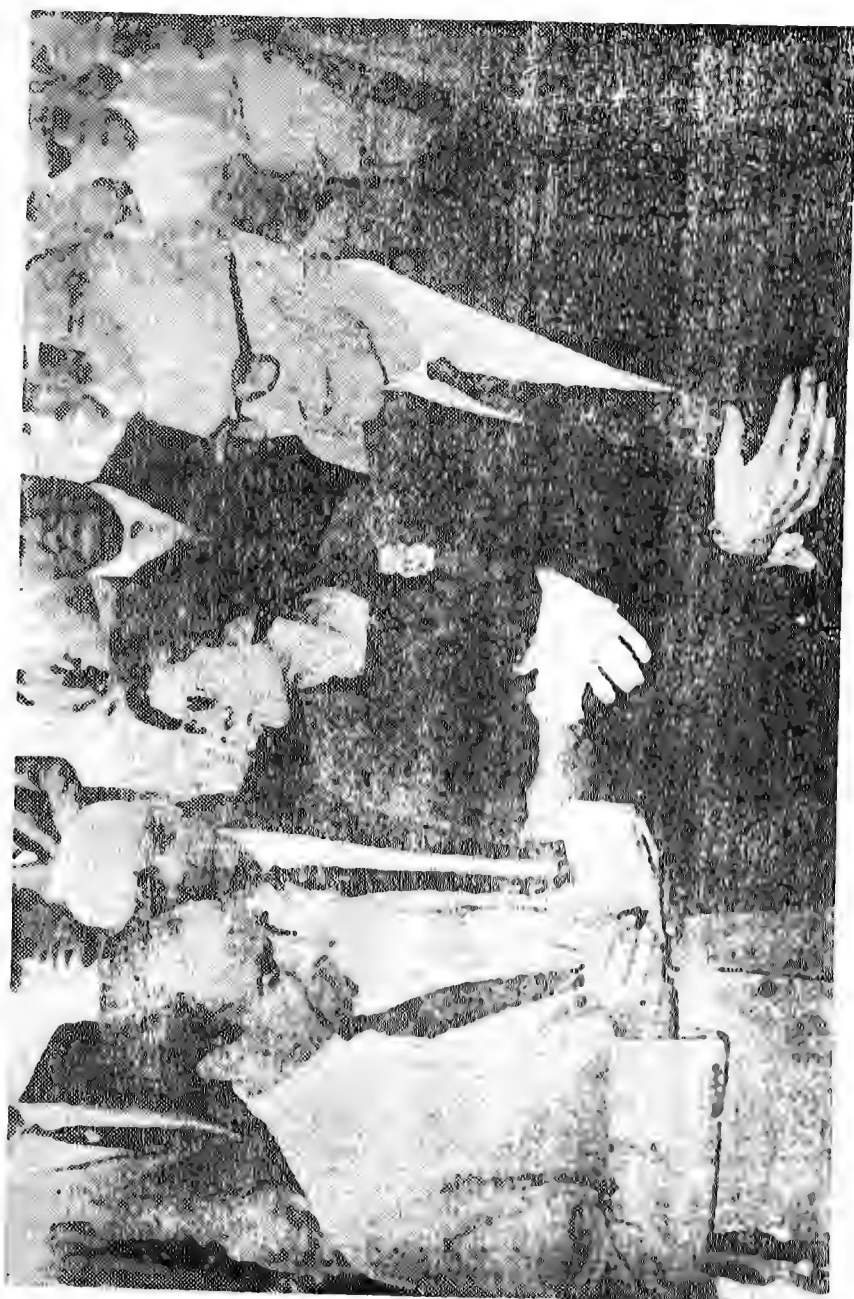
چند ثانیه بعد شاه و فرح و کارتر و رزالین جامهای مشروبشان را به
سلامتی یکدیگر نوشیدند.
(شب بیستم محرم الحرام سال ۱۳۵۶ شمسی - تهران کاخ نیاوران)



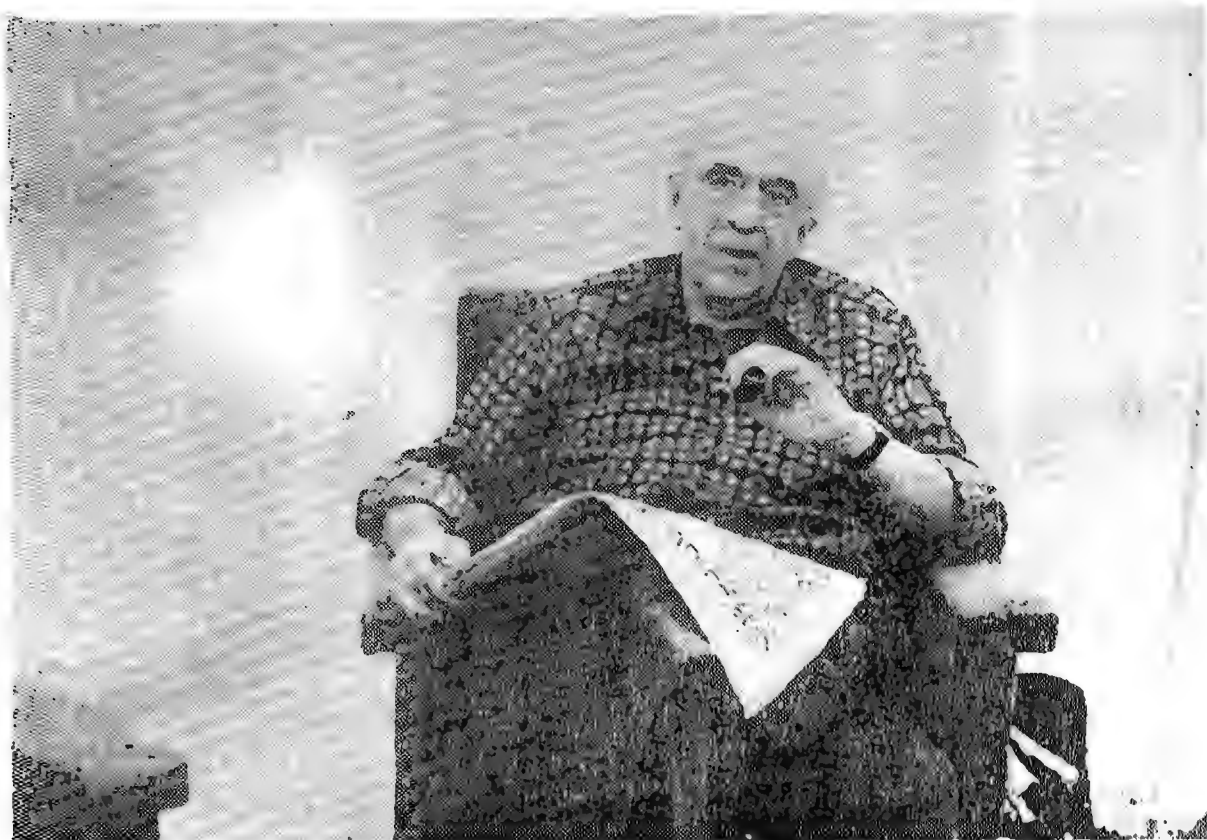
فاطمه پهلوی



تاج الملوک (مادر محملرضا - اشرف و شمس)



سید فضل الله زاهدی و اساتذہ علمہ



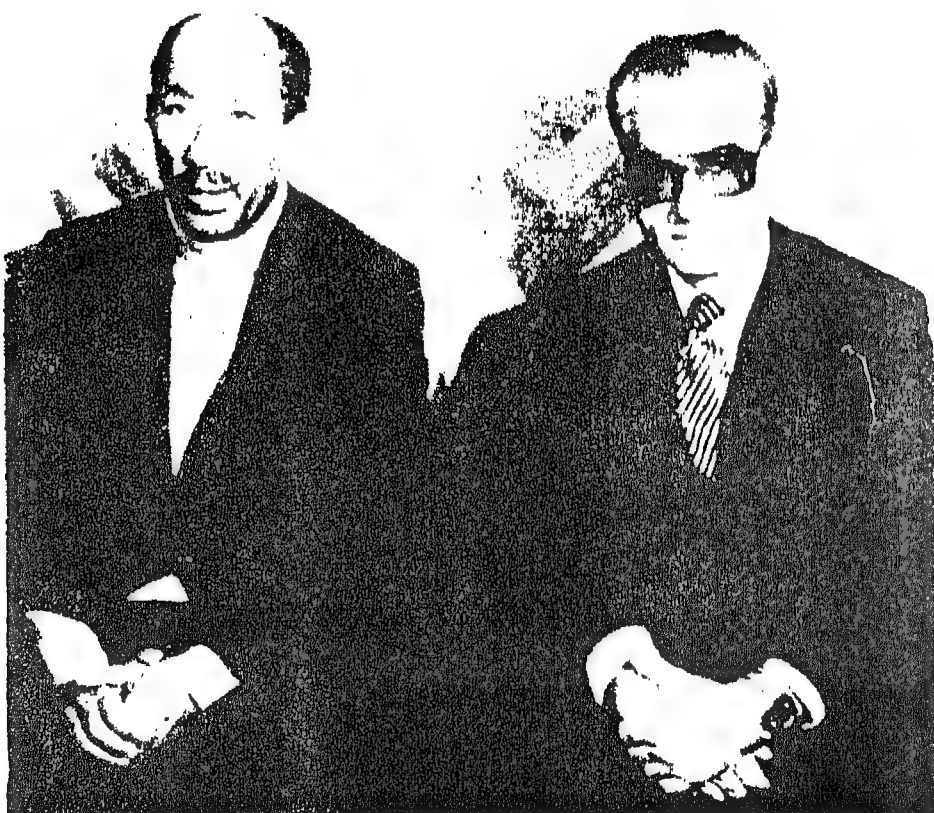
امیرعباس هویدا (روزهای انقلاب - بازداشتگاه)



دکتر الکساندر آفابان



خانواده سلطنتی پس از مراسم تاجگذاری، شاه (روی یک سکو)، شهبانو فرح، وارث
رسمی اش رضا دوم، و دخترشان شاهدخت فرحناز، در سمت راست شاه دخترش شاهدخت
شهباز و خواهر دوقلموش شاهدخت اشرف و در سمت چپ شهبانو، شاهدخت شمس
۱۳۵۶ خ. / ۱۳۵۶ م. / ۱۳۵۶ ق. / ۱۳۵۶ ه. / ۱۳۵۶ ب. / ۱۳۵۶ ک.



عادت شاه و پریدت انورسادات در مصر، شاه رنجور و پید - ه. نهر می-سده ۱۹
ژانویه ۱۹۷۹ (۲۹ دی ۱۳۵۷).

سرلشکر علی معتضد



سرلشکر منصور قدر



سرلشکر عبدالعلی ماهوتیان



سرلشکر عبدالله



خانواده سلطنتی - شاه و همسرش ملکه فوزیه، و شاهدخت شهباز متولد ۱۹۴۰ (۱۳۱۹).



احمد شفيق



ارتشبد فریدون جو



ارتشبد غلامعلی ریسی



امیر اسدالله علم

سپید زاهدی، اردشیر زاهدی و شهناز بهلوی





اشرف بھلوی



شاه با چشم گریان، قبل از سوار شدن به هواپیما به مقصد مصر و تبعید در نتیجه انقلاب
مردمی که خواستار عزل و مرگ اوست. ۱۶ ژانویه ۱۹۷۹ (۳۶ دی ۱۳۵۷).



جعفر شریف امامی



جستید آموزگار

هذا الكتاب...

القضية التي نحن بصدها هي قضية السقوط، سقوط امبراطورية آل بهلوي التي استنفذت أسباب استمرارها وبقائها، وتوافرت علل زوالها واندثارها، إنها قضية سقوط الجالس على عرش الطاووس، الشاهنشاه محمد رضا، آخر أسرة آل بهلوي.

إن سقوط الشاه قضية طرفاها الشاه ونظامه وخميني ومؤيدوه، إنها قضية صراع بين أيديولوجيتين ونظامين ورجلين.

ولقد سجل كل فريق أفكاره وآراءه، وسجل الشاه، وزوجاته؛ ثريا وفرح ديبا ورجال بلاطه؛ على أميني ونصر الله انتظام وأسد الله علم وپرويز راجي وأبو الحسن ابتهاج وأحمد علي مسعود أنصاري ومينو صميمي وغيرهم مذكراتهم وخواطرهم، كما كتب رجال الثورة ومؤيدوها ومعارضوها كتباً كثيرة في شأنها.

ويتميز كتاب فريدون هويدا باستعراضه لأحوال إيران سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، ويستعرض أحوال الشاه وعلاقته بواشنطن ولندن وموسكو، وكذلك علاقته بدول الخليج العربية والمملكة العربية السعودية والعراق.

إن عجلة التاريخ تدور بسرعة ولا تقف إلا عند الأحداث البارزة، وتاريخ إيران الحديث والمعاصر ملئ بالصفحات المثيرة التي تترك بصماتها على تاريخ الشرق الأوسط والعالم، ولا يستطيع أحد أن ينكر هذه البصمات على الساحة الإقليمية والعالمية.

وهذا الكتاب مجرد صفحة من تاريخ تلك البلاد، ولعلنا بقراءته نتوقف على أحداث الأمس القريب لنذكر أهمية الدوافع والعلل والتي تكمن وراء دفع تلك البلاد نحو المستقبل.

فريدون هويدا